الجمهورية العراقية
وزارة الاوقاف والشؤون الدينية
لجنة إحياء التراث الاسلامي

قواعد التجويد و الالقاء الصوتي

للشيخ جلال الحنفي

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

THE RECITATION AND PRONUNCIATION
OF
THE WORDS OF THE HOLY QUR'AN

—

AND
ALL THE OTHER WORDS OF ARABIC SPEECH

BY
SHAIKH JALAL AL-HANAFI

1987

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

القرآن الكريم

العلامة «۷» اذا وضعت على واو أوياء - مفتوحتين - دلّت على حالة الامالة ومن ذاك «مَجْرَيهَا» . .

للكتاب ملحق بعنوان «التجريد من قواعد التجويد» .

المقدمة

بقلم المحقق الفهّامة الاستاذ محمد الحبيب عباس من فضلاء القطر التونسي . .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

تلقى رسول الله محمد بن عبدالله القرآن، كلامَ الله وكتابه، من روح القدس مُرَتَّلًا. وأمر فيه بترتيله، ونُهي عن التعجل في قراءته ولو لغاية حفظه واستذكاره. وكان أن ظهر بدعوته في أبلغ بيئات العرب، وأبين لهجات قبائلهم، ثم كان هو أفصح من نطق بالضاد، وأحسن القراء صوتاً وأداءا . .

وحرص صلى الله عليه وسلم على تبليغ التنزيل تلقيناً وتبييناً بمنتهى الأمانة والاجادة. وظلّ بين أتباعه نحواً من ثلاثة وعشرين عاماً يبلغهم آياته، ويعلّمهم كيفيات قراءته كما تلقاها عن أمين الوحي، وعلى النّحو الذي عارضه بها في مواسم المعارضة، فحذقها القراء عنه، وأجادوها، وتناقلوها بغاية التحرّي. وتتابعت الرّواية حتى بدت الحاجة الى تدوين ضوابط أدائها، والتّعريف بهيئات التّلفظ بأصواتها الى أن تقوّم من بحوثهم ما عُرف ـ فيما بعد ـ بعلم التجويد أو علم التّلاوة.

وبرع فيه أفذاذٌ من العلماء فأثمرت جهودهم تطويراً لمباحث التّجويد والتّلاوة الى قضايا أوسع وأدقّ تندرج فيما تعارف اهل هذا العصر على تسميته بعلم الأصوات، بل سبق علماؤنا غيرهم الى بحث العديد من المسائل التي يخوض فيها معاصرونا بوسائل العصر الحديثة لاستكناه دقائقها بأوفى ما يكون التّمييز، كما سبقوا المتأخرين في اطلاق تسميات دقيقة على موضوعات الاختصاص.

والغاية المباشرة من ضبط قواعد الالقاء الصّوتي، هي التّحري في الوصول الى النّطق بكلمات القرآن المجيد على وجهٍ يكون مطابقاً لنطق السّلف في تَلَقِّيهم لكيفياته المحددة كابراً عن كابر الى قارئه الأول ﴿ﷺ﴾.

وما من شك في ان المسحة الصّوتيّة لفصاحة القرآن تشكّل وجهاً من أوجه إعجاز المعجزة الخالدة، ولذلك أيضا كان يشافه الرسوُل قومه بآي التّنزيل مباشرةً فيقع في نفوسهم الموقع المستحوذ برغم عنادهم وعدائهم، ومدافعتهم له عنهم بأشدّ ما تكون المدافعة، إصراراً وكبراً لكنهم هزموا فأسلم له من أسلم، واستخذى دونه من استخذى..

وهناك غاية أخرى تتحقق بتحرّي الأداء الصّوتي وفق ضوابطه المرسومة، هي إتقان التّكلم بالعربية تعبيراً بالصوت المسموع ولاجَرَم أن العربية هي لغة ذوقٍ وإيقاع وإرهاف حتى كان الشّاعر العربي في عهدي الجاهلية والاسلام يُغنّي شعره، ويُنشد قصائده.

ثم تحجرت الأفهام بقضايا هذا العلم الرفيع، فأصاب التّجويد ماأصاب غيره من شعاب المعرفة لمّا توقف البحث العلمي عن التّقدم بالمعارف الى مزيد من الدّقّة والاختبار والتّرقية والفهم.. واكتفى العلماء بالجمع والحفظ والتّرديد، حتى كاد يندثر ذلك العلم في عهود الرّكود

والـتّراجـع، وغُبن أعـلامـه، على جلالة دورهم في حماية الاختصاص من مداخـلات المتطفلين عليـه من العـوام، وتـرامي المتخلفـين ذهنيّـاً وسمعيّـاً وبصـريّـاً على حماه . . . وقصّـر كثـير من المسلمـين ـ العامة منهم والخاصة ـ في حق القرآن الكريم كمعين جامع لأرفع النماذج من التّهذيب المطلوب في دنيا الأذواق والمعاش والكمالات.

وانـزوى التّجـويـد المعـرفـة ـ الدراية ـ كما انخزل شطره الرواية، فقلّت مراجعهـما، وانصـرف البـاحثـون عن دقـائق مسـائلهـما، وعـزّ ما طُبـع من المؤلفات في موادهما، وانحرف الفهم بالتّجويد والتّرتيل والأداء الصوتي الى اعتبـاره تغنّيـاً صوتيـاً مطلقـاً من الضـوابـط المـوضـوعية، لايستجيب الاّ لما يتـداعى من هيئـات المـزاج الفـردي في استمـلاح الاطـالـة والختل والقطع والتّمـويـج . . . دون اهتـمام بتحقيق الصّفات، وتطويع المخارج، وتشكيل الأصوات لمصاقبة المعاني . . .

وانقلب المجـوّدون في مجتمعـاتنـا ـ الاّ من عصم ربُّـك ـ الى مغنّـين مشعـوذين لايتقيـدون بقـاعدة، بل لايخطر على بالهم انّ لما يردّدون قواعد، ولا يلتـزمـون مسـاراً نغميـاً موزونـاً، ولا يترسّمون مضموناً فيما يصعدون، تعالى كلام الله عن زيغ المناحات، ووسائل التّميل والتّخدير، والتّقعير والتّقليع . . .

وكُنّـا قِلّةً نتحـرّق حسـرةً على ضَياع هذا العلم منّا، وغياب أثره الجميل فيـما نقـرأ من القـرآن، ومـا نسمـع من نتاج عربي، فَنَدَّ الأداء الصّوتي عن فصـول المـدارس، وقـاعـات المحـاضرات، وفي مواقف الخطابة، وعروض المسـرح، وعلى ألسنة المختصين في شؤ ون الاعلام والتّبليغ، وتوارى حتى عن مجالس الذّكر والتّذكير والتّرَحُّم . . .

وابتليت لغتنا المسموعة بفساد النّطق، وسماجة الذّوق، ولم نحرك ساكناً لمحاولة التّغيير حتى نهض الشيخ جلال الحنفي صاحب هذا المؤلَّف الخطير ـ فيمن أهمَّهم أمْر كتاب الله، واللّغة الأمّ ـ نهض ـ بهمة العالم البصير لاحياء قواعد الأداء الصّوتي، فخصَّه بهذا الكتاب النّفيس الذي كرّس لأبحاثه جهوداً ضخمة حتى تخلّقت فصوله وضوابطه كأوفى ما تكون الدراسات المعمقة دقةً وإحاطةً وتمييزا.

ولم يقف بغايته عند مسائل تجويد القرآن وترتيله فحسب، بل هَيَّأه عُدَّةً لاكتساب مهارة التأدية الصّوتية الصحيحة للفظ العربي أينما كان موقعه، في كلام الله، أم في لغة العرب.

لذلك برز جمع الكتاب بين قواعد التّجويد، وضوابط الالقاء الصّوتي في مشرب واحد مزيةً جليلةً من مزاياه المتعددة.

لقد وفق المؤلف التّوفيق الحصيف في اشتراع أنجع الأساليب باعادة الصّلة الطّبيعية القائمة بين القرآن، ولغة الضّاد من خلال تحرّي مواصفات الأداء المضبوطة لكلمات القرآن المجيد، ونصوص العربيّة عبر الوسائط المسموعة.

وعدا ذلك فتيسير تعلم الأداء الصّوتي، وحذق أنماطه، وتبسيط قواعده، واكتساب مهارة النّطق السّليم والايقاع البيّن، والوقوف بالتّنغيم في مواطنه عند حدوده المناسبة، جميعها، من أجل مقاصد المؤلف، وأهداف التّأليف.

وسعة اطلاع المُصنّف على بحوث علمي القراءات والتّجويد، وتعمقه في دراسة الأصوات ومسائل فِقه اللغة، وتقصّيه، من قبل، فيما نشر عن قضايا العَروض المعقدة، وماله من ابتكارات فريدة في الأوزان

الشعـريـة، وتمـرُّسـه بعلم المـوسيقى والأنغـام، بالاضـافـة الى حذقه للغة الصينيـة حتى بلغ فيهـا مرتبـة الاقتـدار على التأليف عنها، وهي لغة دقيقة الأصوات، خفيّة الفروق، كثيرة الاشتباه. . . كشفت له عن أسرار صوتية لم يسبق اليهـا، شأنـه في ذلـك شأن المجتهدين من أيمة اللّسان الذين بلغوا بعلم الأصوات مبلغاً دقيقاً متطوّرا.

ثم قَلَّبَ البحـاثـة الشيـخ جلال الحنفي ألفـاظ الدّلالة من المصطلحات ناقـداً إيـاهـا، فأقـرّ المعـبرّ منهـا، وتصـرّف فيما تدعو إليه حاجة الابانة ـ كما تراءت له ـ بتمييـز للفـوارق أوفى، وتحـديـد للدقائق أجدى، فخصّ بعض المصطلحـات ببعض المسمّيـات، وأطلق تسميـات أخـرى وجـدهـا أَحَقَّ بالتأدية، وأثرى اصطلاحات السَّلَف بمصطلحات جديدة تخيرّها لاضافاته المبتكرة.

تلك هي سبيـل العـالم المتمكن، والباحث اليقظ، والمجدد الثّبت، يفيد المعـرفـة كلما اعتمد منهجية البحث، ويطوّر الحصيلة العلمية مااستقامت له طرقُ التّحقيق المـوضوعية، ويثري بعطائه مكاسب الانسان في دنيا الابداع والتجويد والتقدّم.

فاذا جاءت بحـوث الشيـخ الحنفي في علميْ التّجـويد والالقاء الصّوتي مصـوغـةً في هذا الكتـاب القيمّ أثراً من آثار التحقيق والمقارنة والاختبار تسدّ الفراغ المخجل الذي أصاب ثقافتنا، فأكرم بها من مساهمة نفيسة لاستدراك تخلفنـا العلمي في اللّسـانيـات، احدى فروع المعرفة اللّغوية المعاصرة. وما ذلـك بعـزيـز على من بمستـوى الشّيـخ المؤلف همةً، وعلماً، وأدباً، وذوقاً، وذكاءاً، وشمائل عالية.

وحـالمـا يَضُمّ اليها، في مرحلة لاحقة، رسوماً بيانيةً يستعين على رسمها

بالأجهزة الحديثة التي تعمر المختبرات المتطورة في التّشخيص الصّوتي بتقنيّاتها العجيبة، ثم يدوّن لها اشرطة مسموعة تُعين على استماع الكيفيات الموصوفة لمداخلات الحروف، ومتغيّرات صفاتها كان ذلك لمباحث الكتاب خاتمة التّيسير، ولعلمي التّجويد والأصوات حظاً عالياً من التّطوير.
شكر الله سعيه، واجزل اجره، ونفع به في رحاب العلم والبيان.

تونس مساء الاحد ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٣ وفي ٦ شباط ١٩٨٣.

محمد الحبيب عباس

توطئة المؤلف

لم يكن لعلم التّجـويـد دور بارز أو غير بارز في المجـالات اللغويّة والفنيّة وانما كان محصوراً في نطاق ضيّق محدود لايتعدّى شبراً واحداً . . ذلك هو أن هذا العلم كان مقصورا على التّلاوة التي تتلى في المساجد والمقابر والفواتح والمآتم . .

ولم يكن الذين يتلقونه من الراغبين فيه يتلقونه وفق دراسة علمية دقيقة انما كان يتلقاه من يجد في نفسه حاجة فيه من طريق اللّجوء الى التَّعَلُّم الفردي غير المنظَّم ، ثم يَضُمّ الي ـ ما يحصـل عليـه من معلومـات يسـيرة استطـاع الحصـول عليهـا ـ شيئـاً جديداً من التحصيل النَّغَمي الذي يعتمد فيه على أذنه لا غير ، وكان غالبة هؤلاء من المكفوفين المملقين الذين يحملهم سبب الحصول على وسيلة جليّة للتَّعيُّش أن يتعلموا التّلاوة ويستظهروا كتاب الله ليكـون لهم عونـاً في الحيـاة . . وقد ينبغ من بينهم النّزر القليل جدّاً فيجد في ذلـك الشُّهـرة والصِّيت الحسن ، ويظـلّ من سواه في مكانه . . . ولكنّ الأمر الـذي يلازم من نبـغ ومن لم يكن قد نبـغ هو ضيق الاختصـاص وبقـاء هذا العلم من شأن الدِّراسات الفردية القليلة الشّأن . .

ومن الأمـر البـديهي أيضـاً أنّ المتخصصـين في التّـلاوة ـ حتى اليـوم ـ لايعرفون معاني ما يقرأون لأنهم لم تتح لهم الفُرص لتعلم اللغة وما فيها من أسـرار يستطيعـون بها وهم يتلون القـرآن المجيـد ان يتفهموا ما في الآي من مقاصد الاّ ما كان واضح المعنى كلّ الوضوح . .

ولم نجد في جماعة المقرئين من درس البلاغة والبيان العربي والنحو والصرف بل لم نجد في هذه الجماعة من درس الأنغام دراسة علمية موسعة الاّ من ندر فيهم وشذّ عنهم . . أما قراءة القرآن الكريم في المدارس الرسمية فانها لم تكن الاّ مادة في المنهج لا أهمية لها ولذا لانرى في الطلاب من يحفظ قدراً حسناً من آي الذكر الحكيم، بل ان ما يحفظه منه قد يكون فيه اللحن والاختلال الظاهر الذي يصعب تصحيحه الا بعد اجتياز زمن طويل وذلك فضلا عن الاملاق في اجادة التلاوة واتقان قواعدها . والسّبب في هذا هو عدم وجود جهاز يتولى هذه المطالب بجدّ وحرص تامّين، ولعلّي أرى أول مرة جهداً رسمياً ينفق من أجل هذا في اقامة دورات تربوية رسمية وإدخال علم التجويد في المدارس[1] . .

وقد اقتضاني ذلك أن أصحح جمهرة من المصطلحات الشائعة رغم علمي أنّ في القوم من يحرص عليها كل حرص حتى أن هناك من يُخَيَّل اليه أن هذه المصطلحات ميراث للناس من عهد الاسلام الأول، في حين أنها قد عرض لكثير منها التّغيير والتبّديل تبعاً لتقديرات المصنفين في هذا العلم . .

وقضية المصطلحات في التجويد أو في العَروض وغيرهما من المعارف ليست خَدّيَةً لاتتبدل ان وجد ماهو خير منها وأكثر تحقيقاً للمطلب العلمي الذي وضعه الواضعون قصد التعريف والتعليم . . فلقد قال العلامة الامام «حازم القرطاجني» - ص ٢٥٢ - من كتابه «منهاج البلغاء» ما نَصُّه : «ولا تشاحُّ في الألفاظ كما أنه لا حرج على من عدل عما تقتضيه تلك الأسامي في المسميات اذا أراد الافصاح عن جهات مشابهاتها لما نقلت اليها منه التسمية والتمثيل الصحيح في ذلك .»

واني لآمل بهذا أن يتحقق التوفيق المرتجى لهذا العلم الجليل اضافةً الى

تيسُّر الدراسة القرآنية لأبناء الأمّة مما سيتأتّى منه تقويم الألسنة [٢] وتصحيح النطق وتبيان ماهو لحن في القول وخطأ في الالقاء ذلك لأنَّ العلم الذي نحن في صدد دراسته ليس قاصراً على الاطار الذي أُطِرَ به في رأي النّاس فبعدت به الشقّة عن مجالات الانتفاع الكثيرة وبقي محصوراً في مجالات التلاوة لاغير . . .

إن علم التّجويد والالقاء الصّوتي يُعَدُّ في الحقيقة من أوائل ما تنبّه اليه السَّلفُ من أدوات العلوم الصَّوتية فاشتغلوا فيه ورسموا صوره التّعبيرية ووضعوا له ما تهيّأ لهم من المصطلحات على هدى ما تيسَّر لهم من مواصفات حروفه ومقاطعه وكلماته وعلى نحو ما سمعوه من العرب قبل تعرُّض الألسنة للفساد بمخالطة الأعاجم .

انّ علم التّجويد هو علم هندسة اللفظ العربي الفصيح ، وقد كان لهذا العلم قديماً مكانهُ الرفيع في الدّراسات الأدبية واللّسانية والصَّوتية . بحيث كان يحتاج اليه الشّاعر والخطيب والمغنّي احتياج المقرىء اليه [٣] ولايعني هذا أن يسمّى الغناء تجويداً وانّما يعني هذا أن يكون لأحكام التّجويد وقواعده سلطان على كل لفظ عربيّ منطوق به ، يستوي في ذلك أن يكون منغّماً وغير منغّم ، على أن تلاحظ الاستثناءات المعدودة عند تطبيق قواعد التجويد على غناء المغنّين . . .

هوامش التوطئة

(١) قال الأستاذ على ظريف الأعظمي في كراس له في التجويد طبع عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٩ م - «حملني على تحرير هذه النسخة فقد مبادىء هذا الفن في بلادنا، فقد كاد ينعدم حتى في المدارس العلمية والمكاتب الاسلاميّة واني مع إقراري بعدم وقوفي على دقائق هذا العلم، واعترافي بأني لست من فرسان هذا الميدان صرت مدفوعاً بعامل الغيرة الدينية وحبّ الخدمة الوطنية للتّصدي لهذا الأمر . .»

(٢) قال الأستاذ محمد المبارك في كتابه «فقه اللغة وخصائص العربيّة» - ص ٥٩ «وقد كان القرآن الكريم والحضّ على ضبط حروفه والدقّة في تلفظها سبباً في بقاء الأصوات العربيّة في اللغة الفصحى ثابتةً في حين أنها نفسها قد تبدّلت في لغة الكلام . . وقال - ص ٥٧ - «وكذلك كان القرآن سبباً في بقاء اللفظ القديم للحروف في البيئات العلمية وأحياناً في البيئات العامّة .»

(٣) الرّأي السّائد ولسنا بآخذين به في فهم هذا العلم أنه خاص بالتّلاوة لا غير . . وممن قال به الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه «البدور الزاهرة» اذ قال: «هو علم يعرف به كيفية النّطق بالكلمات القرآنية»، وفي موضوعه قال «كلمات القرآن من حيث أحوال النّطق بها وكيفيّة أدائها» وعرّفهُ الدّكتور الفضلي - ص ١٢٧ - من القراءات القرآنية - بقوله «ونستطيع أن نقول بتعبير آخر انّ علم التجويد يبحث في الصّورة الصّوتية للحرف الهجائي القرآني» . . وفي غُنْية الطّالبين: «وموضوعة الكلمات الفرقانية».

وهناك تعاريف كثيرة لعلم التجويد واشارات الى موضوعه وثمرته، وقد ظهرت من خلال ذلك آراء شتى ومناقشات في هذا الشّأن ونحن ناقلون بعض ذلك في هذا المقام قال المرعشي «قيل موضوعه الكلمات القرآنية يعني حروفها وفيه نظر لأنه يبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت. فلعله من العلوم العربيّة . وداخل في التصريف ولذا جعل جزءاً من بعض كتبه» . . ثم قال «وأمّا علم التّجويد فالغرض منه معرفة ما هيّات صفات الحروف» وقال الأستاذ على ظريف الأعظمي في كتابه

«دروس التّجـويـد» ـ مطبعـة الآداب ـ بغـداد سنـة ١٣٣١ هـ ١٩١٩ م ـ في الكـلام على موضـوع التّجـويـد ما يلي : «مـوضوعه الحروف لأنّه يبحث عن كيفية التّلفظ بها ومخارجها وصفاتها كالتّرقيق والتّفخيم والاظهار والاخفاء والادغام والاقلاب ونحو ذلك» . .

قال «ومن فوائده أيضاً أننا نصبح قادرين على اتقان واجادة نطقنا وألفاظنا في غير القرآن الكريم» .

وقال الاستاذ فرج توفيق الوليد في كتابه «قواعد التّلاوة وعلم التّجويد» ـ ص ٩ ـ « . . . لأنّ الآيات القـرآنيـة لاتكـون وحـدهـا موضـوع هذا العلم وان كانت الـدافع لتأليف هذا العلم ككثير من علوم العربيّة باعتبار وجوب النُّطق بها على الصّورة التي نطق بها الرسول عليه الصّلاة والسّلام ومَنْ بَعْدَه جيـلاً بعـد جيـل . بل موضـوعـه سائـر الكلمات العربيّة من نثر وشعر . . وهذه الكلمات تتكون من الحـروف العـربيّـة ولذلك أطلق عليه المحدثون اسم علم الأصوات» . . ـ قلنا ان الصحيح في أمر هذه التّسمية أنها عرفت منذ وقت مبكر وماهي من تسميات المحدثين . . فقد صرّح بهذا ابن جِنّي في سرّ الصنـاعـة . . واستعمـل الفرّاء هذه التسمية في مسائل حرفية اذ قال «ولم يأت في الأصوات شيء بالفتح غير غواث» ـ المصباح المنير ص ٤٨٤ ـ وقال الأستاذ فرج ـ ص ١٥ ـ «ومثل ما يقال من أن فائدته صون اللسـان عن اللحن في لفظ القرآن كذلك يقال ان فائدته صون اللسان عن الخطأ في الكلمـات العـربيّـة والنّطق بهـا على الصّـورة الصّحيحة التي نطق بها الفصحاء من العرب وفي مقـدمتهم صاحب الـرّسـالـة ﴿ﷺ﴾ . . » . . وقـد حصـر مؤلف احكـام تجـويد القران ـ ص ٧ فن التجويد بأنه اصطلاحا إعطاء حروف القرآن الكريم حقاً من الادغام والاظهار والغُنّ والمدّ والترقيق والتفخيم . » وذهب عند الكلام على فائدته الى انها «صون اللسـان عن الخطأ في تلاوة كلام الله عزَّ وجلّ» .

ويرى الشّيخ محمد بن عبدالرحمن السّند الفقيه الزّبيري السّلفي في كتابه «رسالة في بيان حكم التجويد» ـ ص ٣ ـ غير ذلك ، اذ جاء في رسالته هذه قوله :

«واشتـراط التقييم للأوضـاع اللفظيـة ولـزوم أحكـام ما يسمّى بالتجويد المبتدَع لم يعتبره المبعوث رحمة للعالمين» . .

ومما تجدر الاشـارة اليـه ـ ونحن نقـرّر شمـول قواعـد التّجـويد سائر الملفوظات العربيّة ـ أنّ فريقاً من هذه الملفـوظـات لاتنسحب عليـه القـواعـد كلهـا ومن ذاك أحكـام المـدود التي تسقط في الكلام المرسل أو تقل مقـاييسهـا في بعض أنـواعهـا كالمدّ الطبيعي الذي يكتفى فيه بالحركة الواحدة دون الزام الناطق به أن يمدّه

حركتين اذ لو فعل ذلك لظهر التَّنطّع في لفظه، . وكذلك القول على ماهو من المدود المتّصلة والمنفصلة واللّازمة وغيرها . .

وفي تضاعيف الكتاب بيان بما للمغنينّ من استثناءات معدودة في قضايا التجويد . .

خصائص الحروف وألقابها

للحروف خصائص ووظائف تؤدى عند تحقق الحاجة اليها وفي الظروف الملائمة لذلك وَفْقَ طبيعة هذه الحروف ووفق ما يتوفر فيها من مواصفات مساعدة على ذلك فالحرف «ق» حين يكون ساكناً فانه يكون بيئة مستعدة للتعبير عن صوت القلقلة، ولا يكون كذلك حين يكون متحركاً بأيّ حركة من الحركات الثلاث ولكنَّ حرف القاف حين يكون متحركاً يكون معبّراً عن حالة أخرى لها لقبها في علم التجويد والصوتيّات، فهو ان كان مفتوحاً قبل الألف ظهر نطقه بهيئة يقال لها «الاستعلاء» أي ان صوته عند النطق به يكون على شيء من التفخيم . . .

وطريقة نطق الحرف والتحكم في مخرجه عند استنباطه منه، يختلف في حالة نطقه ساكناً عنه في حالة نطقه متحركاً . . ففي الحالة الأولى يُتوصَّل الى نطق الحرف بالاصطكاك والالتقاء كأنْ يقع اللسان على مخرج الحرف كنطق اللام أو أن تلتقي الشفتان عليه كنطق الميم أو أن يكون نفخ الهواء هو المتحكم في جوانب مخرج الحرف كنطق الهاء . .

وفي حالة نطق الحرف متحركاً فان النطق يكون بالانفراج لا بالاصطكاك فان على من يريد نطق الميم مع الحركة أن يطبق شفتيه ثم يعمد الى فتحهما مع ضخّ الهواء اللازم فيسمع للميم صوته الطبيعي، وكذلك عند ارادة نطق اللام متحرّكاً فان اللسان يبيت على مخرج اللام ثم ينفصم عنه فاذا بصوت

اللام يكون واضحاً . . وهذه قاعدة ثابتة تَطَّرِد في نطق ما هو ساكن وما هو متحرك من الحروف . . ان لكل حرف أكثر من اختصاص ولقب ومن معرفة ذلك وإحصائه تكون لدينا مجموعات من الحروف ذات أثر صوتي واحد، فيقال مثلا حروف الصفير ويراد بها ثلاثة حروف هي الزاء والسين والصاد . .

ولكن الزّاء والسّين والصّاد لاتقتصر خصائصها على الصفير، فهي اذا جمع بينها بلقب الصفير فانّ هناك حالات تعرض لهذه الحروف على انفراد اواجتماع تجعل لها خصائص أخرى . .

كأنْ تدخل هذه الحروف الثلاثة في مجموعة ما يسمّى بالحروف الشمسيّة كقولنا الزَّمنُ والسَّمْعُ والصُّورة . . كما تدخل في مجموعة حروف الاشمام الجزئي، وتنفصل الصّاد عنهما فتلحق بمجموعة حروف الاستعلاء دونهما فيكون للصاد شيء من التفخيم لا تملكه الزّاء ولا السّين لأنّهما ينتميان الى حروف الاستفال . . واذا نظرنا الى حرف القاف رأيناه اضافة الى امتلاكه حق الانتماء الى مجموعة حروف القلقلة ـ عند سكونه ـ فانّه ينتمي كذلك الى مجموعة الحروف القمرية لأنه لا تأثير له على لام التعريف التي تدخل على كلمة مبدوءةٍ به . . واذ إنه من حروف الاستعلاء كما أوردنا قبل قليل ففي حالة الاستعلاء هذه يتقبل التفخيم ويؤثر في الألف التي ترد بعده فيمنحها مذاقاً من التفخيم ظاهراً للسمع . . كذلك يطبع في النون الساكنة التي تكون قبله مذاقاً ذا رنين خاص كالذي يتمتّع به هو في الطبق الفموي بسبب بعده عن متكأ الكاف . . فهو بهذا صار معدوداً من حروف الاشمام الكلّي . . أن الكاف يعدّ من حروف الاشمام الكلي لسبب يستوجب ذلك . .

والقاف أيضاً من الحروف ذات المخارج الخطيّة أي انه يمكن نطقه على

هيئات متدرجة تصاعديا وتنازليا في التفخيم والترقيق، والكلام على المخارج الخطية والنقطوية يرى في مكانه من هذا الكتاب بالتفصيل . .

ان المخرج الواحد قد يخرج حروفاً غير متشاكلة في أوصافها فالباء والميم من مخرج واحد ولكن الباء حرف شِدَّة والميم حرف غُنَّة أي أنه انسيابي الجرس لينُ الصوت، ولكنه قد يحاكي الباء في الشدّة والقلقلة على وجه غير معترف به في اللسانيات العربية، لذا عدّ نطقه مقلقلا من جهل الناطقين به على هذه الصفة . .

ولكونهما أي الميم والباء شفويين فان بينهما تلاقياً وتنافرا اذ تقلب الباء الساكنة الى ميم في مثل اركبْ معنا فتلفظ ارْكَمْ معنا وكذلك وقع في اللغة قلب الميم الى باء في مثل نغمة ونغبة ولكن ذلك سماعي غير قياسي وهو من مباحث اللغة البحتة التي لا تعلل في العادة تعليلاً صوتياً . .

ان المخارج الشفوية التي تعتمد على الشفتين يلاحظ فيها أنها عَضَلِيَّة فهي تتحرك داخليا وتتقلب بمنتهى الخفة والدقة فتجري منها أصوات في غياب السلطان السمعي والبصري اذ يقع التزاحف بين مخارجها ولذلك يقع فيها الادغام بين الحرف المرقق والحرف المفخم خلافاً لطبيعة الأصوات في مثل هذه الحالة . .

فأنت تستطيع أن تبدأ نطق الباء الساكنة مرققة ثم تنتقل عنها فاذا هي مفخمة، وكذلك العكس . . فتقول (أَبْ با) في المقطع الأول مرقّقة ومفخّمة في الثاني . . ومثل ذلك القول على الميم تلفظ وهي ساكنة مرققةً أو مفخمةً ثم تلفظ بعد لفظها الأول وهي مفخمةٌ أو مرققة فتقول (أَمْ ما) في المقطع الزوجي الأول مرققة وفي الثاني تلفظها مفخمة وكذلك العكس . .

وانـما وقـع هذا لها لاسفنجيَّة الشّفة التي تتزحلق بها الحروف عن مخارجها بارادة الناطق طبعاً ان شاء ذلك . .

وهناك حروف غير شفوية تنزلق عن مخارجها إما بفعل الجهل بموقع المخرج أو بفعـل تقليـد اصـوات موجـودة في العاميَة أو ابتغاء التخفيف والتسامح في نطق الحروف . .

ومن ذلـك حرف العـين والحـاء فانهـما ينطقان أحيانا بها يمكن وصفه بأنه نصفُ عينٍ ونصف حاء أو يمكن وصفـه بأن المنطـوقـة ليست عَيْنـا ألبتة ولا الحاء، وكأنهما اذ نطقا مَرّبهما الناطق على حفافي مخرج الحرف وليس على ممرّ الحـرف ومجـراه الصـوتي الصحيح . . وكثيرا ما يقع ذلك للأطفال وهو واقع لدى العامة الكبار أحيانا . .

ومن ذلـك نطق الهـاء نطقـاً ناقصاً كل النقص فيشبه نطق الحاء الناقصة تقريباً أو العين الناقصة . .

والهـاء من الحـروف الصعبـة النطق لأن مخرجهـا جوفيٌّ عميق في الجـوف ولايبعد مثلها من حرف عن مجموعة الحروف وهذا ما يتطلب أن يكون نطقها مصحـوبـاً بالتّهيُّـؤ والاستعـداد، والاحتيـاط بالقـدر الـلازم من الهـواء . . وتوصف الهاء اذا نطقت سليمة بأنها ناصعة وخالصة وصافية وواضحة[1] . . ويـلاحـظ انّ في القرآن الكريم سورة من قصار السور وردت فيها الهاء سبعاً وعشـرين مرة . . تلك هي سورة «والشمس وضحـاها» وبذلك صارت هذه السّورة دستوراً تعليمياً ينضبط به نطق الهاء ويجري وفقه التمرين التام على ذلـك لتأتي الهـاء على وجههـا الصحيح . .

والسورة هي ـ بعد البسملة ـ:

وَالشَّمْسِ وضُحاها . .

وَالقَمَرِ اذا تَلاها . .
والنَّهارِ اذا جَلّاها . .
والليلِ اذا يَغْشاها . .
وَالسَّماءِ وَما بَناها . .
وَالأَرْضِ وَما طَحاها . .
وَنَفْسٍ وَما سَوّاها . .
فأَلْهَمَها فُجورَها وتَقْواها . .
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها . .
وقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها . .
كَذَّبَتْ ثَمودُ بِطَغْواها . .
إذا انْبَعَثَ أَشْقاها . .
فقالَ لَهُمْ رسولُ الله : ناقَةَ الله وسُقْياها . .
فَكَذَّبوه فَعَقَروها فَدَمْدَمَ عَلَيهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها . .
وَلا يَخافُ عُقْباها . . .

والهاء حرف ينتمي الى حروف الاخفاء وهو كذلك من مجموعة حروف الحلق التي يقال لها حروف الاظهار، وهو قمريّ غير شمسيّ . . ومن حروف الاستفال التي لايجوز تفخيمها[٢].

ان البحث في الحروف يتقوّم من التنبيه على مواقعها الصوتية على وجه الاستيعاب وقد أوردنا بعض النماذج من ذلك، ونزيد الآن عَرْضَ بعض النماذج لغرض الزيادة في التوضيح، فنذكر مثلا حرف الفاء فانه يقال في تعريف هذا الحرف. إنه من حروف التفشي لاسيما في حالة نطقه ساكناً فهو في هذه الحالة يتجلى التفشي فيه وان كان التفشي فيه ظاهراً في حالة وجود

الحركة عليه . .

وهو كذلك حرف إشمام كلّيّ اذ إنَّه يمنح من شخصيته الكثير للنّون الساكنة التي تسبقه ـ وهذا ما سماه القدماء بالاخفاء وليس هو الاّ الاشمام .

والفاء كذلك حرف قمري اذ إنه لا يؤثر في لام التعريف أيّ تأثير خلافاً للحروف الشّمسيَّة التي تؤثر في لامات التعريف فتقلبها الى حروف مماثلة تقع عليها أحكام الادغام المقررة . . والفاء كذلك حرف استفالي لايقع له التفخيم وان كان العـامّـة يفخمونه في بعض ألفاظهم ويقلدهم الناطقون بالفصحى على جهة الغفلة ومطلق المحاكاة فيعاملون هذا الحرف معاملة حروف الاستعلاء . . . وليست الفاء من الحروف التي تصحّ قلقلتها لأن حالة التفشي حالة انسياب لاحالة انحباس ومن الناس من يقلقل الفاء جهلاً ولُكْنة .

ولايصح كذلك اخفاؤها في المقاطع الثلاثية لذات السبب أي سبب التفشي فيها ، فانّ الاخفاء انحباس الهواء وانغلاق مجراه وليست الفاء من نمط الحروف التي ينحبس فيها الهواء لأنها ليست من حروف الشدّة كما ذكرنا في الكلام على عدم وقوع القلقلة في سواكنها . .

وهي اسفنجية المخرج أي يقع الادغام بين صوتيها المدغمين ما كان مرققاً وما كان مفخّماً على عدم جواز التفخيم فيها أصلاً . اذ يقول القائل ان تَعَمَّدَ ذلك «أف فا» بالترقيق والتفخيم وبالتفخيم والترقيق وان لم يكن هذا من صميم كلام الناس ولكنه كائن بيسر عند ارادته . واذا تكلمنا على اللام فانه حرف قمري لاشمسي لأنه لا يؤثر أدنى تأثير في لام التعريف وهو في حالة ادغامه لا تكون معه غنّة الا ما يصنعه البعض من إصحابه بغنة نطلق عليها الغنّة الكاذبة . .

وحسب ذلك مدّاً مؤلف «بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد في القرآن المبين» فقال في ذلك وهو يعني غنّة اللام السّاكنة: «فلا يجوز المدّ فيه أصلاً، لا وصلاً ولا وقفاً كما في ال في لفظ الحمد لله..» وهو ذات ما منعناه وغاية ما قلناه.. في موضوع تمويج اللام الساكنة الذي أطلقنا عليه تسمية: الغنّة الكاذبة..

واللام غير استعلائي ولكنه يقع له التفخيم في بعض حالات النطق بلفظ الجلالة حين يكون ما قبل لام الجلالة مضموماً أو مفتوحا مثل: يقولُ الله وانّ الله ويقع الترقيق اذا كان ما قبل لام الجلالة مكسوراً مثل بسم الله ولاقُوَّة إلاّ بالله.. وبهذا يعدّ اللام عندنا من الحروف ذات المخارج الخطّيّة.. ولاقلقلة في اللام الاّ لدى من اعتاد أن ينطق هذا الحرف مشفوعاً برطانة مفتعلة هي مستبشعة حتماً في أسماع السامعين.. واللام من حروف الاخفاء الثمانية في المقاطع الثلاثية من نحو قولنا النَحلْ والنَمل والبَعْل والجهل فلا تنطق اللام هنا عِدْلَ نطقها في السّاكن الذي يسبقها، والكلام على هذا آتٍ بالتفصيل في باب الاخفاء في الكتاب..

واللام حرف إقلابي ينقلب الى راء ان كان ساكناً وبعده راء فيقال في نطق «بَلْ رَبُّكُمْ»: «بَرْ رَبُّكُم».. وهو وان كان حرفاً أصيلاً في الحروف فانّه يَرِدُ مُجْتَلَباً كذلك من طريق قلب النون الساكنة الى لام اذا جاء بعدها هذا الحرف مثل «فمن لم يَجِدْ» فانّ النّون هنا تنطق على هيئة لامٍ فيقال: «فَملْ لم يَجِدْ»..

ومن الحروف التي يدور عليها الكلام والتأويل كلّ من حرفي الضّاد والظّاء فانّهما في الحقيقة حرفٌ واحد ذو مخرج خَطِّيّ..

تبرز الظاء عند حافة اللسان وأسَلَته في حالة كونها على مستوى الأسنان

لاتجاوز مكانها الى خارجها . . خلافاً للضاد فانه ينطق بكامل اللسان ويظهر منه الى ما أمام الأسنان جزء مزئي لرائيه . . والخطأ الشائع عند النّاس أنّهم ينطقون الظاء ضاداً وليس الضاد ظاءاً وذاك ان نطق الظاء يتطلب التركيزَ الصوتيّ على أسلة اللسان وعلى حافته وكأنها الذال بعينه غير أن الاستعلائية اليسيرة في الظاء دون الذال هي التي تميّز صوت كلّ منهما عن صاحبه . . وهذا ما يجرّ الى جعل الظّاء نقطويّة المخرج . .

وفي تلاوة قوله تعالى في الأنعام ـ الآية ١٢٩ ـ «وكذلك نُوَلّي بعضَ الظّالمين بعضاً بما كانوا يكسبون» . . يتجلّى على لسان التّالي وسمع السّامع بعض الفرق بين الحرفين بشيء من الوضوح . . ومثل ذلك «الذي أنْقَضَ ظَهْرَك» في سورة الانشراح ومن ذلك «يومَ يَعَضُّ الظّالِمُ على يَدَيْهِ» . . الفرقان ٢٧ . . فانّ العرب حين قالت «عَضَّ» حدّدت موقع الضّاد في اللسان اذ لايكون العَضّ الاّ باخراج شيء من اللسان تقع عليه الأسنان، وليست الظاء كذلك . .

وإن حرفي الظّاء والذّال حرفان يَشِقُّ على الأعاجم التمييز بينهما في النطق والاصغاء لأن الفرق بينهما جدّ دقيق . . والضّاد أهون من الظاء بكثير . . والضّاد أحد حروف الاشمام الجزئيّ خلافاً للظّاء التي هي من حروف الاشمام الكلّي كما أن الظّاء من حروف التفشي خلافاً للضّاد التي لاتفَشّي فيها . . والضّاد يقع فيه الاخفاء خلافاً للظاء التي لايقع فيها الاخفاء . .

نكتفي بهذا القدر من الكلام على خصائص الحروف وطبائعها لمجرد إعطاء الصّورة الصّوتية البسيطة التي يُحْتاج اليها عند دراسة النظام الصوتي للحروف . . وما أوجزناه من هذا الكلام مفصّلٌ أو شبه مفصّل في أماكنه

من الكتاب وفق العناوين والفصول التي جرت عليها سياسة تأليفه وعرض مسائله ومطالبه . .

انّ هندسة الصّوت في العربيّة الفصحى التي تنزّل بها القرآن الكريم تبدو بوضوح وجلاء ذات كيانٍ في غاية الإحكام والرّصانة مما لانحسب لغةً أخرى غير العربيّة قد أوثرت بمثله . .

وقد كتب الله لعلماء الأصوات في عهد الحضارة العربيّة بالعراق أن يصيبوا من التّوفيق في ذاك نصيباً لايكاثره نصيب، فليت علم التّجويد يكون له مكانُه وصِيتُه من جديد في هذا البلد الكريم . .

هوامش خصائص الحروف وألقابها

(١) شكا السويدي الكبير في بعض مصنفاته عجز القوم في زمانه عن نطق الهاء خالصة واستثنى أحد أعمامه وشيوخه من هذا العجز فنسب اليه القدرة على نطقها نطقاً صحيحا . فلقد قال في كتابه «تعليقات على شرح الجزرية» ـ وكانت وفاته عام ١١٥٤ هـ ـ : «وغالب قراء زماننا لم يعتنوا بتصفيتها وأحسن ما سمعته في تصفيتها قراءة عمي وشيخي الشيخ فانه يخرجها من مخرجها اخراجاً صافياً لاشبهة فيه . .»

(٢) وهوفي الفصحى يقع التبادل بينه وبين الحاء فلقد قالوا مدح ومده . . وفي العامية البغدادية وقع لديهم قلبه الى حاء في مثل قَحَرْ أي قهر، ونطقوا اسم فرهاد بلفظ فرحات وقالوا قَحْوائي في النسبة الى لون القهوة وفق الرطانة التركية . .

مَخارج الحروف والمقاطع الصوتيّة

للحـروف في كلّ لغـة من لغـات البشـر مخـارج فمـويَّـة تخرج منها، وأسبـاب تكـوين الحـروف عديدة. . وللسان دور مهم في النطق بكثير من الحـروف عنـد قرعـه مخـارجها واحتكاكه بها. . وعند تحركاته العضلية[1] وفق ما يتطلّبـه نظـام توزيـع الهـواء الجوفي المقصود به الكلام على مواقع الحروف داخل الفم وكذلك في بعض حالات النّفخ الصّوتي[2]. . وهناك حروف لاصلة للسان بمخارجها ولا دَوْرَ له فيها كحرف الميم والهاء وسائر حروف الحلق، ولغلبـة اللسـان في اللغـات قيـل لهـا اللسـانيّـات ويـستعـان على اخـراج فريق من الحـروف ـ أيضـا ـ بتقليب الشّفتين وتقليصهمـا. . أمـا الحـروف الحلقيـة فانّ أمـرهـا يعـود الى النّظـام الحنجـري. . ولـدى فريق من اللغـات البدائيّة يمكن اخراج الحروف من طريق الاحتكـاك العضلي داخـل الفم. . . وفي اللغـات العامّية يقع مثل ذلـك أحيـانـا. . ويستعين الأطفـال بوسائل خاصّة من أجل النُطق بألفاظٍ مخترعة دون أن تكون لهذه الألفاظ علاقةٌ بالهواء الصوتي الجوفي[3]. . .

ان مخـارج الحـروف كثيـرة كثـرة الحـروف واللغات في العالم. . وان التّجـويف الفمـوي يتّسـع لشتى أنـواع التّعبيـر الصّوتي وهوذو قابليّة على ابتداع تصويتات لاحَدَّ لها مما يصلح للتّعبير عن الانفعالات الكثيرة التي يتعـرض لهـا المتكلم بأيّ لغة من اللغات. . وما الصّفير والضّحك والبكاء

وضروب التَّصارخ المختلفة والتَّهامس بين المتهامسين الاّ كلام ذوحروف ومخارج صوتية لم تخضع بعد للكتابة والاحصاء الحَرْفيّ بسبب تكامل اللغات لدى ذويها بما شاءت اختياره من الحروف وإلفته من المخارج[4]. .

والحروف العربية التي عرفها العرب في لهجاتهم القديمة كثيرةٌ قد تكون بلغت الخمسين حرفاً غير أنَّ التِّسعة والعشرين حرفاً المعروفة اليوم في أبجديَّة العربيَّة الفصحى انما هي الحروف المستحسنة التي نزل بها التنزيل العزيز. . .

ولكلِّ حرف منها مكان خُصِّص له في الجِبِلَّة الأولى . . فعند النُّطق بالميم يكون الاعتماد على الشَّفتين اللتين يجب انطباقهما انطباقاً تاماً لابراز صوت الميم ساكناً. فان لم يتهيّأ للشَّفتين هذا الانطباق انعدم صوت الميم في كلام من لايتحقق له ذلك. . ولا يمكن أن يوجد هناك بديل لهذا المخرج بحيث يستعمل للنُّطق بالميم من داخل الفم أو الحلق أو الأسنان واللّهاة. . وكذلك القول على حرف العين فانه يخرج من داخل الحلق فان أريد على وجهٍ ما اخراجه من الشَّفتين أعيا ذلك من يحاول ذلك. . واللام والرّاء يخرجان من أسلة اللسان ومقدّمته ولايمكن بحال من الأحوال اخراجهما من مكان آخر. . ولو أنّ لساناً قطع من مقدّمته شيء لانعدم وجود الرّاء واللام في نطقه.

فهذا معنى ما سمّي بمخارج الحروف. . غير أن تحديد المسافة المكانيَّة لكل مخرج من هذه المخارج كان محلَّ دراسةٍ ومتابعةٍ وخلافٍ بين علماء الصِّناعة واللغة. .

فقد حدّدوا نقاطاً معيَّنة لكل حرف وقد يكون هذا التَّحديد صحيحا، ولكن

هذه الصِّحّة لا تَطَّرد في جميع الحروف . .

فالـذي نراه أن مخارج الحـروف تتّسـعُ وتضيق وفقـاً لطبيعـة كلّ حرف من الحروف . . فالشّين له مخرجٌ عريضٌ يمكن إجالة اللسان عليه لاعطائنا أكثر من صورة مسمـوعـة للشّـين . . ولكن الأمر يستقرّ على الشّين الشّرعيّة التي يجب الالتزام بها عند النُطق أو التّلاوة . . والخاء والغين وان كانا من حروف الحلق فانّ دائـرة النُطق بهما دائـرةٌ متسعـة بحيث يمكن النُطق بهما مُستعليين ومستفلين ومن هنـا وجب معـرفة الشّكل الشّرعي للحرف عند النّطق به ، . وهما كذلـك يصلحان للقيام بمهمة اشمامية عند اتصالهما بالنون الساكنة . .

والسببُ في هذا كله اتسـاع مخارج الحـروف بحيث يخرج الحـرف من أداني أطراف المخرج أو أعاليه وأواسطه ان كان مخرجه خَطّياً . . والحُكْم النّهائي في هذا الأمر هو للقاعدة الأدائيَّة التي تضع كلّ شيء في نصابه . .

وعلماء الأصـوات أحـاطـوا بهذا عِلماً يوم جعلوا المخـرج الصَّـوتيّ يصلح لاخراج عدَّة حروف كالذّال والثّاء والظّاء فانّ مخرجها عندهم مخرجٌ واحد . . في حين أن كُلّاً منهـا له مخرجـه الخـاصّ به اذا جعلنـا المخـرج نقطـة واحدة لاتتّسع لأكثر من صوت متميِّز واحد . .[٥]

وكـذلـك قالـوا انّ الـدّال والتّاء والطّاء من مخرج واحد في حين أن بعض هذه الحروف اطباقي استعلائي وبعضها استفالي . . وكذلك قالوا في الصّاد والسّين والزّاء انها من مخرج واحد في حين أن بين الصّاد والسّين بُعداً ظاهرا يفسـد به الصّـاد ويتغيـّر المعنى المـراد من اللفـظ عنـد النّطق به على هيئـة السّين ، كقولنا نَصَبُ ونَسَبُ وصارَ وسارَ ، وصَيفٌ وسَيفٌ ونَصْرٌ ونَسْرٌ . .[٦]

أن خَطِّيَّـة المخـرج قد ينشأ عنهـا ظهـور أكثر من فرق بين أشكال الحرف الواحد الملفوظ على المدرج الصوتي الخطي كالحال في الضاد والظاء واللام

المفخمـة والأخـرى المـرققة وكذلك الراء المفخمة والمرققة[٧] والشين المفخمة والمرققة . . وكذلك الميم المفخمة والمرققة[٨] . .

وبهـذا قد يقـع للحـرف أن يكـون نطقه يسيراً حينا في أوائل مدارج المخرج الخَطّي ، في حينَ يكـون نطقُـه صعبـاً ظاهـر الصُّعـوبـة والتكلّف في نهايات مدارج المخرج كالهاء فانها حرف حلقي خَطّيٌّ أقصاه أبعد مكان في الجوف الى الفم فانه يكاد يصل الى أقصى المرىء عند التوغل في النطق به . . وان كلّ ناطق به على هذه الهيئة يُحسُّ بمعاناة شيء من العناء والتكلف . ، ومن هنـا علم أن أدنى مكـان للهـاء يكـون في أقصى الحلق لذا يعدّ هذا الحرف أقرب حرف الى الجوف من سائر حروف الحلق . .

وقـد يكـون اللسـان في مكـانـه من المخـرج ولكنـه يتحرك من مناطق عضليـة أخـرى فيـه فتخـرج بذلـك حروف أخـرى . . فأنت اذا قلت «أدْ» أمكنك أن تقول «أت» وأمكنك كذلك أن تقول «أط» معتمداً في نطق هذه الحروف ذات الأصوات المتمايزة على تحركات عضلية في جسم اللسان وأنت على ما تظنّ لايبرح لسانك مكانه . .

ولعله يستخلص من ذلـك أن المخـارج النقطـويـة تعتمـد في بعض الأحيـان على الحـركات اللسانية التي تؤدي مهمة إحداث أصوات متغايرة وهي لاتجـاوز مكـانها مما يمكن أن يفهم منه أن العضلات اللسانيّة عامل مسـاعـد على إحداث الحروف والأصوات بحيث يمكن القول ان التحرك العضلي في اللسان نمط من المخارج الاضافيّة في الأصوات[٩] . .

هذا مع الاعتراف المعروف في الطاقة اللسانية الكائنة في جميع أنحاء اللسـان على تصنيف الحـروف وتحقيق شخصيـاتهـا المتنـوعة ، فالكاف والقـاف كل منهمـا يعتمد على مواقع في الجذر اللساني اضافة الى مواقع

الحرفين في الفم اذ يكون الكاف على جانب الفك وهو جانب من طبيعته أن يكـون مصمتـاً فلا يكـون له مثـل صدى القاف الذي يظهر بوضوح في حالات الاشمـام النّـوني . . وكـذلك القول على القاف الذي يعتمد على منتصف مقـدمـة اللهـاة وبذلك يكون له صدى ظاهر لأنَّ جَوُّ سطح الفم يعمل عمله في إحداث صدى يكون من القاف وهو صدى يبدو بوضوح تامّ في جَوِّ الاشمام النوني أي حين ينطق الناطق بنون ساكنة بعدها حرف قاف . .

ومن قال ان مخـرج كل حرف هو نقطـة لاتَتَّسـع لغيـره فلعله أراد بذلك التَّحديدَ الشَّرعي للحرف بحيث اذا جاوزها كان النُطق به لحناً . . فان أراد أن الحرف لايخرج من غير مجال تلك النّقطة فقد فاته أنَّ طبيعة الحروف تنافي ذلك في معظم الأحيان . . اللهم الاّ اذا جعلنا لكل صوتٍ يخرج من نقطة معينة اسماً وعددنا ذلك حرفاً مستقلاً وان كان يشبه حرفاً آخر معروفاً في الحـروف الهجـائية[١١] . . وفي هذا ما فيه من توسيع آفاق الحروف الى الحدّ الذي يصعب على التَّلقي والضَّبط . .

وآنذاك ستنفتح علينا آفاقٌ كثيرة للتخريجات الصَّوتية التي قد يكون منها أنّا لانقـول عنـد ارتباط النّون السّاكنة بالذّال ـ مثلا ـ إن الذّال أعطت رائحتها للنّـون فصـار ذلـك على حدّ تسميتنـا إشمـاماً، بل سنضطر الى القول انّ النّون عندما أريد لها الارتباط بالذّال كان لابد من اتخاذ جسرٍ لهذا الارتباط فكـان ذلـك في الانتقال من النّون السّاكنة الى حرف يقع بينها وبين الذّال ثُمَّ بعـد ذلـك تمَّ الانتقـال الى الذّال أي الى النُطق به من مخرجه الخاص به . . وفي هذا تكلفٌ ظاهـر وعَنـاء كبيـر في تفسيـر تحـركـات الحـروف والألفاظ في العربية خاصة . .

لاسيمـا ونحن نعلم أن إقـلاب النّـون الى حرف ما كالـراء ـ مثـلاً ـ لايتطلّب التـوصُّـل الى ذلـك بجسـرمن حرف آخـر خفيّ المخـرج بين الحـروف، ومـاأكثـر ما يقع من اقلاب الحروف في ألفاظ النّاس على بعد الشقة بين تلك الحروف من دون توسيط وسيط لهذه العمليّة . .

وفي هذا الفصـل سنتكلم على طبـائـع الحـروف العـربيّـة ومخـارجها ومجالات استعمالها وما الى ذلك من شؤون ومطالب أدائيّة وصوتيّة . .

على أن المـادة التي يقـوم عليهـا بنـاء التّجويد والمطالب الصّوتية ـ اذا أردنا الدّقة في التعبير ـ انما هي المقطع الصّوتي، لأنه يُعَدُّ حَيّاً نامياً، أما الحرف فانّ وجوده في المقطع أكبر تأثراً منه في حال انفراده، وهو غير ذي موضوع عند انفراده(١١) انما يكون ذا موضوع حين تمثّله المقاطع بتراكيبها الصّـوتيـة ذات المـواصفـات العـديـدة التي لاتعرف في غير علم التّجويد والأداء الصّوتي . .

ان علم الأداء الصّـوتي له موازينـه الخـاصـة وهـو ذو شخصيّـة مستقلّة استقـلال النّحـو والصّـرف والعـروض وقـواعد رسم القلم، وذاك لاعتماده الكلّي على النّطق والاصغاء، أما ما يقع له من الصّلات بتلك العلوم فانها صلات محدودة يسيرة . .

تتجلى حكـايـة المقـاطـع والحروف في مثل قولنا «كَتَبَ» فانّ هنا ثلاثة حروف في ثلاثة مقاطع . . فان قلنا «كتبوا» فانّ عدد الحروف أربعة ولايعدّ الألف حرفاً في مثل هذه المواقع ـ أما المقاطع فانّ عددها ثلاثة كذلك . . فان قلنا «مستشفى» فانّ عدد الحروف ستّة ولكن عدد المقاطع ما يبرح ثلاثة . .

وعندما نقول «أنباء» فانّا نرى النّون قد قلبت الى ميم، وانّما كان ذلك

كذلك لأنَّ النّون دخلت في المجال المقطعي فصار لها بذلك ظرفٌ خاص لم يكن له وجود لولا المقطعيّة . .

وحين نقول «من فعل هذا» فانّا نرى النّون السّاكنة أي النّون المقطعية قد علق بها شيء من الفاء، لأنها تأثرت بها وأُشِمَّتْ رائحتها . .

وحين نقرأ النّص القرآني «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين» فانّا نلاحظ أن النّون المقطعية قلبت الى ياء تأثراً بالياء التي جاءت بعدها فصارت «إيْ يكن» وحين ننطق بأداة التّعريف التي هي «أل» نراها تصطبغ بأكثر من صبغة عند اتصالها بالألفاظ المُعَرَّفة، وذاك انّا نقول «طلع البدر» فنلفظ لام التعريف لاماً كما هو . فان قلنا «طلعت الشّمس» انقلب لام التّعريف الى شين فصار للشّمس شينان وهي في الأصل ذات شين واحدة . .

نفهم من هذا أنه لولا العلاقات المقطعية لما وقع مثل هذا التأثر والتأثير بين جماعة الحروف . .

قد يكون المقطع الصّوتي حرفاً واحداً فهو المقطع الفرديّ، وقد يكون مؤلفاً من حرفين فهو المقطع الزوجيّ، فان كان من ثلاثة حروف يرتفع اللسان عنها مرة واحدة فهو المقطع الثلاثي أو المقطع المبسوط ونموذجه قولنا «جاءْ» باسكان الهمزة وقولنا «بُكاءْ» بالسّكون عند الوقوف عليها، فتكون لفظة «كاءْ» مقطعاً صوتيّاً ثلاثيا . .

وبهذا نعلم أن موضوع علم التّجويد هو المقاطع الصّوتيّة عند النّطق بها فان انعدم النّطق انعدم الصّوت، وان انعدم الصّوت فلا تجويد ولا إلقاء صَوْتيّ . .

والتّعريف الشّائع للتّجويد - اذ يقال فيه انه اعطاء الحرف حقّه

ومُستَحَقَّـه ـ ان صدق على حروف بعينهـا فانّـه لايصـدق على حروف سواهـا . . وانمـا ينبغي أن يكـون الحرف غداة اعطائه حقه كائناً في وعائه الـذي هو المقطـع الصَّـوتي المسمـوع والملفـوظ[١٢] . . ورفض مؤلف «الـدروس التجـويـديـة» استعمال صيغة «ومستحقّه» في تعريف التجويد وانما قال «هو إعطاء كل حرف حقّه مخرجا» . .

وللتَّجـويـد جانب آخر هو جانب الفنّ والتَّنغيم، ويظهر ذلك في المدود والغنن، ومن هذه النّاحية يمكن عزل الغناء عن بعض قواعد التَّجويد التي من شأنهـا تحـديـد المـدود والغنن بحـدود لايملك المغنّي الالتـزام بهـا ولايمكن حمله على مثلها . .

فالمقرىء يمـدّ فريقـاً من المـدود بحـركـات كثيـرة، ويمدّ فريقاً منها بحـركـات قليلة، فمن المـدّ الكثير الحركات المدّ اللازم ومن المدّ القليل الحركات ما يسمّى بالمد الطبيعي . . أما المغنّي فله أن يزيد في الطبيعيّ ويقلّل في اللازم وما كان من قبيله، وكذلك ينظر الى حكم الغنن . . فهذا هو الجـانب الفنّي في التَّجـويـد، أمـا الجـانب اللغوي فلا حقّ لمغنّ من المغنّين أن يخرقه ويتغافل عن الالتزام به، كالحروف الشّمسية والقمريّة، وكـالادغـامـات والاشمـامـات والاقـلابـات ونحو ذلك فانّ هذه المطالب مطـالب لسـانيّـة لايجـوز اهمـالهـا بحال من الأحوال . . وكذلك الأمر في الثّـقـافـة الاقـرائـيّـة فانـهـا تحتـاج لثـقـافـة نغميّـة موسّعـة،

كما يجب على المقـرىء أن يلتـزم بالضّـوابـط التي يلتزم بها أصحاب صناعة الغناء مادام هناك قدرٌ مشترك بين الصّناعتين ـ ونعني به النَّغمة المُتنغَّم بها في الغنـاء والتّـلاوة ـ على فرقٍ في طرائق الالقـاء، وسنـوضـح ذلك في موضوع خاص به . .

هوامش مخارج الحروف والمقاطع الصّوتيّة

(١) ـ ان اللسان اذا لامس مواقع الحروف مصحوباً بصوت هوائي مسموع نشأت بذلك جمهرة من الحروف التي يتكلم بها المتكلم، ولكن اللسان اذا انفصم من مكانه من موقع الحرف ومخرجه انفصم منتقلاً الى موقع حرف آخر يلامسه فينطق الحرف المودع فيه. . غير ان انفصام اللسان عن موقع الحرف ينشأ معه صوت الحرف نفسه عند وقوع اللسان عليه فيما اذا شاء المتكلم أن يصنع ذلك. . واذا لم يشأ ذلك لم يقع لارتفاع اللسان عن موقع الحرف أدنى صوت. . ومن نماذج الحالة الأولى أن تقول «كلاّ» ففي المقطع الصوتي الأول الذي هو «كَلْ» وجدنا أن نهاية المقطع أي الجزء السّاكن منه هو اللام السّاكنة ونلاحظ أن صوت اللام عاد ثانية الى الظهور عند ارتفاع اللسان عن المخرج الصّوتي للاّم في المقطع الثاني الذي هو «لا» وقد تم به التّعبير عن «كلاّ» ذات المعنى المعلوم. . ومثل هذا يقال أيضاً في الحروف غير اللسانية. .

وكذلك يلاحظ أن اللسان عند ملامسته مخرج اللام قبع في مكانه حتى ارتفع عنه فأحدث ذات الحرف بجميع مواصفاته مما يفهم منه أن هناك تحرّكاً عضلياً قد أدى مهمة استعادة النّطق بذات الحرف. . ولكن عند عدم ارادة النُّطق بالحرف ثانية يرتفع اللسان منتقلاً الى موقع حرف آخر دون أن يكون لموقع الحرف السّابق أيُّ وجود كأن تقول «كُلِّيَةٌ» فالمقطع الأول هنا هو «كُلْ» بلام ساكنة، والمقطع الثاني هو الياء المفتوحة، والمقطع الثالث هو التاء المربوطة المقترنة بالتّنوين. . وبذلك لم نجد اللام الساكنة في «كل» قد عادت الى الظّهور مرة أخرى في المقطع التالي للمقطع الأول. . مما يفهم منه أنّ المتكلم رفع لسانه عن اللام الساكنة منتقلاً الى حرف الياء دون أن يؤدي حرف اللام أيّة مهمّة مكررة لذات صوته الأول. . وكان هذا هو سرّ الادغام الذي اضطربت تعابير المصنفين في الكلام على تعريفه وتلخيص حاله. .

(٢) ـ ينشأ حرف الفاء بفعل الهواء الجوفيّ المارّ من بين الشّفتين المتماسّتين تماسّا يسيرا وان كان الهواء الجوفي غير مصحوب بصوت مقصود. . فان كان تماسّ الشّفتين شديداً أمكن اخراج الميم

على أن يكون ذلك مصحوباً بهواء جوفي صَدَوِيّ لايملك النّفوذ من بين الشُّفتين . لتعسر ذلك وانما يخـرج من الـخيـاشيـم . . ولـكـن يمـكـن اخــراج الـمـيــم من بيـن الـشـفـتـين المنطبقتين تماما من طريق القرع غير المصحوب بشيء من الهواء مثل «الصمّ البكم» عند الوقوف على الميم في البُكْمْ . . ومثـل ذلـك العِلْمْ والحِلْمْ واللَّحْمْ والعُـدْمْ ، اذ نلاحظ أن الحرف المُخْفى يلفظ تماما من دون تصـويت لأنـه انبنى على نظـام القـرع الخفيف الـذي ينعدم فيه الصّدى الصّوتي . . ومثل ذلـك «نخـل» ـ باسكـان الـلام . واسكان الخاء من قبلها ـ فانّ الظّاهر في ذلك أن اللسان يقع على مخرج اللام تماما ولكن دون أن يظهر للام صوتٌ صريح واذا ظهر من ذلك شيء فانه صويت ضئيل قد تدركه الأذن الدّقيقة بصعوبة . . وكذلك عند قولنا «أمْنْ» فان حالة النّون الساكنة هنا كحالة اللام في النخْل وكحـالـة الـواو في النَّحْـوْوفي بَدْوْعنـد اسكـان الحـرفين الأخيرين إذ تتحرك عضلات الشُّفتين في اطار مرئي غير مسموع . . وكالياء السّاكنة في البَغْيْ وفي نُؤْيْ وخِزْيْ فانّها لاتكاد تسمع وانما يعرف من ظاهر هيئة الفم أن الياء قد لفظت واستوفي بلفظها النُّطق بالكلمة المطلوبة . . وذاك أن بعض الحـروف تدرك حقيقتهـا كالميم المخفـاة من نحـو النَّجْمْ والعَزْمْ من طريق مراقبة انضمام الشُّفتين والتّلبّث على ذلـك الانضمـام فترةً تسبق الانفراج . . وكذلك عند مراقبة الباء السّاكنة فانها تعرف من مراقبة الشُّفتين المُنضمتين يعقبهما انفراج فوريّ . .

وتعليـل هذا يقـوم على كون النطق بالحرف ساكناً غير النطق بالحرف متحركا ، فان الحرف الساكن يتهيّأ بروز صوته بمجرد وضع اللسان أوبعض جوانب اللسان على مخرجه . . أما الحرف المتحرك فانـه ينشأ بعـد وضـع اللســان في مكـان المخـرج الحـرفي ثم اتبـاع ذلـك بالانفصـام المصحوب بالتصويت فيخرج الحرف المطلوب . . وقولنا «كَلاّ» يرد فيه اللام ملفوظا مرتين . . الأولى في حالة السكـون والثـانيـة في حالـة الحـركـة ، وقد تمّ النطق باللامين وفق القوانين الصوتية المشار اليها . . فاللام الأولى الساكنة في «كَلْ» نطقنا بها في ذات الوقت الذي قرعنا فيه مخرجها بأسلة اللسان . . وبعـد الفـراغ من نطقهـا ساكنة ظلت راكدة في مكانها وبذلك أمكن لنا نطقها ثانية عند رفع اللسان عنهـا عنـد قولنـا «لا» لأنهـا في المـرة الثـانية كانت متحركة والحرف المتحرك يبدأ عند نطقه بوضع اللسان على مخرجه ثم امرار الصوت منه خلال ارتفاعه عن مكانه فيقع له النطق التام ، وذلك شأن الحـروف المتحـركـة عند ارادة نطقها ، وشأن الحروف الساكنة عند ارادة ذلك بها وليس ذلك خاصاً بالحروف اللسانية وحدها بل هو عامّ في جميع الحروف . .

ومثـل ذلـك لمـزيـد من التمثيـل قولنا «لَمّا» المؤلفة من مقطعين الأول هو«لم» الساكنة ميمه . .

والثاني هو «ما» المتحركة ميمه . . فانا بادرنا الميم الساكنة بالنطق فارتبطت من طريقه باللام المتحركة . . فلما بدأنا نطقها وهي في ذات مخرجها ـ لم تبتعد عنه ولم تنفكّ منه ـ أمكن لنا نطقها بسهولة بمجرد رفع اللسان عن مخرجها، لأن قانون نطقها يتطلب أن تنطبق الشفتان أولاً ثم يمرّ الصوت من بينهما وهما منفتحتان . . هذا اذا شئنا اعادة النطق بالميم متحركة بعد التي سبقتها ساكنة . . فان لم نشأ ذلك أمكن لنا أن ننطق بأي حرف شئناه على ذات الوجه . .

ومعرفة مخرج الحرف عند نطقه متحركاً تكون أوفر حظّاً من الوضوح ممّا لو نطق ساكناً كقولنا «خطّ» فانّ الطاء الأولى الساكنة لايعرف لها صوت ظاهر في السمع الّا بعد اكمال نطقها محرّكة . .

(٣) ـ عندما يطلب الطّفل الصّغير ماءاً ليشربه فانه يحدث احتكاكاً بين شفتيه أشبه ما يكون باشارة التقبيل . . ويسمع لذلك صوت يعرف به قصد الطفل الى الماء . .

(٤) ـ بين اللغات البدائيّة الأفريقية مالم يعرف المتكلمون بها كيف يكتبون ألفاظهم وقد لقيت أستاذاً من المتكلمين باللغة الزّوليّة قد وضع معجماً للغة قومه وصنع علاماتٍ ورموزاً كتابيّةً لألفاظ هذه اللغة . وكان ذلك لأول مرة في تأريخ أولئك الأقوام . .

وكثير من ألفاظ الزّولية لانجد لدينا من الحروف ما نملك أن نكتبها به لأنها حروف غريبة المخارج سمعنا بقليل من أشباهها في ألفاظنا العاميّة القادمة الينا من طريق الاماء الزّوليات وغيرهنّ ممن كنّ يربّين الأطفال في بلادنا قبل عدّة عقود من السنين . .

وقد حاول علماء العربية وضع حروف معبرة عن أصوات مماثلة في ألفاظنا فقد قالوا «ان في مضّ لمطمعاً» وهم يعنون بمضّ هذه صوتاً في العامية لايكتب وهو يعني الرفض والتأبّي والنفي . . ومايزال هذا الصوت معروفا في العامية . . واستعمله أبو نواس في بعض شعره . .

وكذلك وجدناهم وضعوا ألفاظاً حاكوا بها أصوات الأشياء كقولهم «جَلَنْبَلَقْ» لصوت الباب فتحا واغلاقاً . .

(٥) ـ قال الامام شهاب الدين القسطلاني في «لطائف الاشارات لفنون القراءات»: «وهذه المخارج على سبيل التقريب والاّ فلكل حرف مخرج» . . ويقول الشيخ عبد المحسن بن محمد بن الشيخ مبارك اللويمي في «بداية الهداية»: «ان كل حرف له مخرج على حدة في الحقيقة» . .

(٦) ـ قد يكون حقيقة علمية أن يقال انّ الصّاد والسّين حرف واحد ذو مخرج خطي لانقطوي فحين يكون الحرف اطباقيا مستعلياً فانّه تظهر فيه الصّادية الصّريحة فان استفل وانتهى الى نهاية الخط

اللساني صار سيناً والسّين ليست الاّ صاداً ضعيفة . . وهذا ما سوّغ لراجزهم أن يقول:

إن يأتني لصٌ فانّي لِصُّ أطلس مثل الذئب اذ يَعْتَسُّ

فساوى بين الصوتين ووجدنا من سمّي كتاباً له «حلّ الخلاصة لأهل الرئاسة» ـ المورد ١٤ : العدد الرابع ص ٤٧٢ ـ . . ومثل ذلك في خَطِّيَّة المخرج حرف الضّاد فانه في حالة اطباقه واستعلائه ضادٌ ذو فخامة ظاهرة، فانّ دنا في اطباقه الى منابت الأسنان ضعف ذلك فيه وضعف استعلاؤه كذلك فصار ظاءا . . وقد وصف قومٌ العلاقة بين الضّاد والظّاء بالمؤاخاة لفرط التّناسب بينهما والمضارعة . . ونقل في «بغية المُرتاد» قول صاحب الرّعاية : «والظّاء حرفٌ يشبه لفظه في السّمع لفظ الضّاد لأنّهما من الحروف المُستعلية المجهورة ولولا اختلاف المخرجين لهما وزيادة الاستطالة في الضّاد لكان لفظهما واحدا ولم يختلفا في السّمع . .»

وقد كاد على بن غانم المقدسي الحنفي أن يُعبّر عن هذا المعنى في كتابه «بغية المرتاد لتصحيح الضّاد» اذ قال «ظهر لي بفضل الله تعالى الجليل ما لعله يروى الغليل ويشفي العليل وهو أن تشابه المخرجين وان كانا بعيدين سببٌ لتشابه لفظي الحرفين فانّ مخرج الظّاء من طرف اللسان وأطراف الأسنان ومخرج الضّاد من حافّة اللسان وما يليه من الأضراس التي هي من جنس الأسنان . . ولايخفى أن بين طرف وحافّته مشابهةً من حيث ان كُلاًّ منهما نهاية مساحة جرم اللسان فالطرف نهايته من جهة مقدم الفم والحافة نهايته من جهة يسار الفم أو يمينه فمخرج كلّ من الضاد والظاء نهاية اللسان فلا جرم تشابه منهما اللفظان، ولعل هذا والله سبحانه أعلم هو السّبب في اشتراكهما في تلك المذكورة» . .

ونرى ابن خالويه في كتاب الالفات يكاد يصرّح بخَطِّيَّة المخارج اذ وصف اللام قائلا وهي تقرب من نصف حروف المعجم لسعة مخرجها وهي تخرج من حافة اللسان الى منتهى طرفه وفويق الضّاحك والنّاب والرّباعية والثّنيّة فلما اتّسع مخرجها وقربت من هذه الحروف أدغموها فيها» . . وهي عبارات ليست من دقة الوصف بحيث يتعيّن بها المفهوم الخَطّيّ في المخارج على النحو الذي كنا قد أوضحناه . . غير أن هذا النحويّ المتبصر تنبه الى أن المخارج ليست على حالة واحدة . .

(٧) يمكن اخراج الرّاء مرققة غاية التّرقيق ويمكن اخراجها مفخمة غاية التفخيم اضافة الى النّطق بها مفخمة ومرققة على وجه الاعتدال الذي تقرّه قواعد التّجْويد الصّوتيّة . .

(٨) ـ ليس في الفصحى ميم مفخمة ولكن ذلك كائن في العامية بحيث يبدو البعد بين الميمين المرققة والمفخمة ظاهراً على سطح الشّفة السُّفلى في مثل قول العوامّ: «نمنمات» بميمين مفخمتين بحيث يندسّ جانب كبير من الشفة السفلى طيّ الفم تغطّيه الشفةُ العليا، وليس الأمر كذلك في الميم المرققة التي تلامسها الشفةُ العليا مما يلي الفم لا مِمّا يكون منها خارجه . .

(٩) ـ ان المخرج النقطوي اذا ميل عنه أدنى ميل انتقل الى مخرج آخر غيره كالسِّين ينقلب عند زحزحته عن مخرجه الى صاد ومثل ذلك الثّاء والنّون والضّاد والزّاي والطّاء والظّاء . .
وقد يكون الحرف نقطوي المخرج وخَطِّيّه ايضاً ونعني بهذا أن اللغة قد تقتصر على ما يكون للحرف من صوت واحد فيكون نقطوياً كالنون فانه له أكثر من صوت مسموع في اللغات الأعجمية ولكن ذلك غير معترف به في كلام العرب . . وكذلك حرف الزّاي والشّين . .
(١٠) ـ ان مثل هذا الادعاء واردٌ وقريب من الواقع، وغير مستبعد أبداً أن يكون بين مخرج حرف وحرف مخرج آخر لحرف آخر مجانس لكلا الحرفين اللذين يقع المخرج الخفّي بينهما أو يكون غير مجانس لهما ولو لم يكن الأمر كذلك لما كانت لغات العالم من السّعة والاختلاف على النحو الذي نلاحظه . . غير أنا لا نميل الى تطبيق هذه القاعدة في منهجنا الأدائي وفي تراكيب لغتنا لأن في ذلك من التعقيد مافيه . . وعلى أيّ حال لانجد من حقنا منع العلماء والباحثين من التعمق في الدّراسات الصّوتيّة للوصول الى حقائق فاتت على الأقدمين . .
وشيء آخر يَحْبِسُنا عن الأخذ بنظرية تعدّد المخارج المعترف بها في العربية، هو أن هذه المخارج تنشيء حروفاً تتطلب أن تكون لها أشكال حرفيّة مكتوبة، وأن تكون لها كذلك أسماء كأسماء سائر الحروف الهجائية المعلومة . . ولم تكن العرب قد جعلت كلّاً من اللام المفخمة واللام المرققة حرفاً مستقلا عن صاحبه، ولا شاعت التمييز بين الرّاءين مفخمة ومرققة، ولا جعلت لكل منهما شكلاً يمثله عند كتابته . . وان كان هناك من بين علماء اللغة من ذهب الى اعتبار الحرف المفخم غير الحرف المرقق . . .
(١١) ـ باستثناء حالات محددة كحالة الرّاء المتحركة مثلا . .
(١٢) ـ قال في «التجويد الواضح»: «التجويد صوت معتمد على مقطع أي مخرج ففسّر المقطع بالمخرج وهو عندنا أَعَمُّ من ذلك . .

وفي كتاب الرعاية ـ لأبي محمد مكي بن ابي طالب المتوفى سنة ٤٣٧ هـ استعمل مصطلح اللفظ دون مصطلح الحرف اذ قال في تفسير موضوع التجويد . . «وإعطاء اللفظ حقه ومعرفة أحكام الحروف التي ينشأ الكلام منها» . . وكأنه أراد باللفظ المقطعَ الملفوظ . .

وإتماماً لموضوع المقاطع الصّوتيّة نوضح أنّها في العربية ثلاثة أقسام: المقطع الفردي أو الأحادي والمقطع الزوجي أو الثّنائي والمقطع الثّلاثي . .
المقطع الفردي مثل كُ وتِ وبَ أي انّه يتألف من حرفٍ وحركته . . والمقطع الزوجي يتألف من حرفين أولهما متحرك والآخر ساكن مثل بَلْ ومنْ وفي ولاً . .
وهذه المقاطع تكون في أوائل الكلمة وأواسطها وأواخرها ولكن المقطع الثلاثي قليل الورود في أوائل الألفاظ ومن ذاك حاسّة لواحدة الحواسّ ومادّة ودابّة وعامّ وخاصّ وجادّ وجادّة وشاذّ وشاذّة وحافّة وحارّ وكافّة وحالّ وضالّ . . وهو يكثر في أواخرها بغير حساب مثل نابْ وبابْ وفيلْ وتينْ وسرورْ وحضورْ . .

الحروف الشّمسيّة والقمريّة

حروف الهجـاء تسعـة وعشـرون حرفـاً منهـا ما هو شمسيّ ومنهـا ما هو قَمـريّ . . ومعنى هذه التسميـة انّ الحـرف اذا دخلت عليـه لام التعـريف فانقلبت ـ هذه اللام ـ الى حرف من جنس ما دخلت عليه فهو حرف شمسيّ . .

أما اذا ظلّت لام التعريف على حالها ولم تبرح ظاهرة دون أن تقلب الى حرف من جنس ما دخلت عليه فان الحرف المدخول عليه يعدّ حرفا قَمَريّا . .

فاذا تلونـا النَّص القـرآني «والشَّمس وضُحـاهـا ، والقَمَر اذا تلاها» وجدنا في الشَّمس شينـين في حين أنهـا لاتملك الاّ شينـاً واحدة . . أما الشّين الأخرى فانها اجتلبت باقلاب لام التَّعريف الى شين . . وهذا هو الأصل في التَمييز بين الحرف الشَّمسي والحرف القمريّ . .

وانّـا لنـرى في القمر قافاً واحدة لم تتكرر بدخول أداة التعريف عليه وذاك لعـدم انقـلاب هذه الأداة الى حرف مماثـل للحرف القمريّ عند اقترانها به ودخولها عليه . .

ومن هنا نشأت التَّسمية اذ قيست الحروف المماثلة للشّين في الشَمس بالشّين وقيست الحروف المماثلة للقاف في «القمر» به فقيل لتلك شمسيَّة وقيل لهذه قمريَّة . .

والحروف الشّمسِيَّة هي التّاء والثّاء والدّال والذّال والرّاء والزّاء ـ وكذلك يقال لها الزّاي بالياء ـ والسّين والشّين والصّاد والضّاد والطّاء والظّاء والنّون . .

أما الحروف القمريّة فهي الهمزة والباء والجيم والحاء والخاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والهاء والواو والياء[1] . .

أمـا الألف وهـو الحـرف التاسع والعشرون فلكونه ساكناً أبداً فانه لايعدُّ شمسيّـاً ولا قمـريّـاً . . انَّ عدَّة الحـروف الشَّمسيّة ثلاثة عشر حرفاً ليس من جملتهـا الـلام وعـدة الحـروف القمريّة خمسة عشر حرفاً من ضمنها اللام . . ويبدو أن سيبويه تنبَّه الى أمر اللام هذه فلم يعدّها في الشَّمسيَّة . .

وقـد جعـل بعض المصنفـين في هذه المبـاحث حرف الـلام شمسيّـاً ـ بل لعلهم أجمعـوا على شـمسيتـه ـ أو كادوا ـ رغم أن لام التَّعـريف لاتتأثـر به ، وذاك لأن اللام لاتنقلب الى لام اذ لامفهوم لانقلاب الشيء الى نفسه . . والـذين قسمـوا الحـروف الى شمسيّـة وقمريّة لم يلاحظوا هذه الضوابط . . ففي الـرّسـالـة التّجويدية لمؤلفها اسماعيل بهاء الدين العبيدي ـ ص ٨ ـ في كلامـه على الادغـام الشَّمسي نراه يقـول «اذا أتى حرف من غير الحـروف القمـريـة بعـد أل التّعـريف وحينئـذ لاتظهر لام أل مطلقاً بل تدغم كقولك الشّمس السَّماء الصّبي . . »[2] ولكن مؤلف الرُّسـالـة التَّجـويـدية عَدَّ اللام في جماعة الحـروف الشَّمسيَّـة في حين أنَّ الـلام في «أل» التَّعـريف قد ظهرت واضحةً في مقطعها الصَّوتي حين قلنا الليل والليث واللبن . . فهل يمكن أن يقال إنَّ لام التعريف أخذت شخصيتهـا الـلاميـة من الـلام الكـائنـة في كلمة ليل وليث ولبن؟؟ انا اذا نطقنا بلفظة «ليل» مقرونة بلام التعريف فقلنا «الليل» لانجد أحد اللامين مجتلبا ، بل نجد كلاًّ منهما أصيـلاً في مكـانـه ـ . وهـذا يعني أن الـلام حرف قمـريّ لاشمسيّ . . وذاك أن لام التعريف اكتسبت لاميَّتها من ذات نفسها ولم تكتسبها من اتصالها بلام أخرى في كلمة جاءت بعـدهـا . . وهي وكـلُّ لام تأتي بعدها في الكلمة المعرَّفة حرفان متماثلان في كل صفة من صفاتها . .[3]

وان الـذين يحصـون عدّة الحروف الهجائية في التّنزيل لايحصون مجتلبات الحـروف كالحـروف الشّمسيـة مثـلا فهم لايـذكـرون للشّمس شينـين بل يذكرون لها شيئاً واحدة لاغير . . فاذا أحصوا ما في الليل من لامات أحصوا في اللفظ لامين هما لام التعريف ولام الليل . .

وقد اضطر مؤلف كتاب «فنّ الالقاء» عند ايراده اللام في جمهرة الحروف الشّمسيـة أن يقـول في الليمـون قولـه : «وهذه تتبع القاعدة الأصلية فاللام والـلام متـماثـلان» ويعني بالقـاعدة الأصلية ادغام المتماثلين من الحروف . . ويريد بذلك أن لا أحد من اللامين مجتلب بل هو أصيل . .

وفي «تحفـة المـريـد» ـ ص ٢٦ ـ أوضـح أن «أل الشّمسية هي التي تختفي عنـد النّطق بها كما تختفي بنطقـك الشّمس فانّ أل لاتظهـر» . . قلنـا ولكن «أل» لاتخفى عند نطقنا كلمة الليل فقد ظهرت لام التّعريف في مقطعها كما ظهرت لام الليل في مقطعها . .

وقـال الشيـخ عبـد المجيد الخطيب في كتابه «عمدة المفيد» ـ ص ٣٦ ـ في الكلام على الحروف القمرية إنّها «هي التي لاتختفي معها لام «أل» بل تبقى ملفـوظـة . . » ولكنـه عاد فعـدَّ اللام في جمهرة الحروف الشمسية في حين أنها تلفـظ كما هي ولاتخفى معهـا «أل» التعـريف . . وقـال في صفـة الادغـام الشمسي «انها تختفي معها لام أل فلا تلفظ . . . » ولكنه اذ عدَّ اللام شمسية لم يلاحـظ أن لامَ التعـريف تلفـظ مع الليل لاماً أصيلة غير منقلبة عن لامٍ تليها . . ومن ملاحظة ماذكره القوم في الكلام على اللام أن سبب احتسابها في الشمسيات ما فيها من ادغام ، في حين أن سبب التسمية غير ذي علاقة بالادغام ، انها تتعلق حكايته بالاقلاب وأما الادغام فعملية أخرى تبعيّة . . ولوجعلنا الادغام سبباً لتسميه الحروف باسم الشمسية لكانت الحروف كلها

شمسيـة لأنهـا كلهـا يقـع لها الادغـام . . فنحن نقـول «محمد» بادغام الميم الأولى في الثـانيـة ، فلا يكـون من هذا أن تعـدّ الميم في جمهـرة الحـروف الشمسيـة . . ونقـول «وَفّى» فنـدغم فاءاً في فاء فلا يكون الادغام مغيراً من قمرية الحرف شيئا . .

ان تسميتنـا الحـرف شمسيّـاً أو قَمَـريّـاً انـما يكـون بالاحتكـام الى لام التعريف وسلامتها في اللفظ أو انقلابها الى حرف مماثل لما تدخل عليه ، ومن هنا كان الادغام غير صالح للاحتكام اليه في أمر هذه التسمية[٤] . .

وقـد ناقش الـدكتـور عبـد الصبور شاهين في كتابه «المنهج الصوتي للبنية العـربيـة» موضـوع قمـريـة الـلام فقـال ـ ص ٢١٢ ـ ما نصّـه «وقـد جرى الاستعمال باختفائها مع ثلاثة عشر صوتا هي مقدم الفم «ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ن» وتظهر مع بقية أصوات اللغة الخمسة عشر وهي «ء ب ج ح خ ع غ ف ق ك ل م هـ و ي» . .

ثم قال «وهـذا الـذي نقـولـه مما قرره القـدماء وأيدته الدراسات الصوتية الحـديثـة فلاخـلاف بيننـا وبينهم الاّ فيـما يتعلق بصوت اللام في بداية كلمة نريد تعريفها مثل لوم لعاب . . فالقدماء يرون أن نطق أللوم وأللعاب ، هو من قبيـل الـلام الشمسيـة ونحن نرى أن الـلام الشمسية تختفي في الصوت التالي بعدها اختفاءا تاماً ، وهي في الأمثلة المذكورة موجودة بكل خصائصها دون أدنى تأثـر فهي قمـريـة واضحة لا فرق بينها وبين اللام في مثل «الباب والجور والحيوان والكلب . . اللعاب . . . » . انتهى قول الدكتور . .

أما تفخيم لام التعريف عند التقائها بلام الجلالة المفخمة فان ذلك من خصائص الادغام الكائن بين الحروف كالذي يرى في الرّاءين المدغمتين . .

على أن كلمـة الجـلالـة سقـط فيهـا معنى التعريف لانعدام مفهوم التنكير

فصـارت حرفـاً واحـداً تفخم اللامات فيه معاً وترقق معاً وفق قواعد الترقيق والتفخيم . . ولاعـلاقـة لهذا الأمـر بشمس ولا بقمر . كما أن العربيّة ليس فيها حِرف هو شمسّي وهو قمريّ في آنٍ واحد . .

ولكن الدكتور أحمد مختار عمر يعلل ذلك في كتابه «دراسة الصّوت اللغوي» - ٣٣٤ - بالتّبـاعـد والتّقـارب فهو يقول «أمّا مع أل التعريف فمن الملاحظ أن لامهـا تتحـول الى صوت مماثـل لما بعـدهـا حين يتقـارب المخرجان وتحتفظ بشخصيتهـا حين يتبـاعد المخرجان . . » والأصل الذي ينبني عليه الحكم في هذا هو ما تسـمعـه الأذن من انقـلاب حرف الـلام الى حرف آخـر ذي مواصفات أخرى كالذي يقع للاّم من أيلولتها الى شين بمجرد دخولها على كلمة في أول حروفها «شين» من نحو الشّمس اذ يقال «أش - شمس» بدلا من «أل - شمس» . . فان قلنـا «أل - ليـل» فانّ لام التّعـريف لم ينقلب منهـا شيء الى شيء آخر . . فهي هي اللام الملفوظة في كلّ من المقطعين بلاميَّة ظاهرة مكشوفة لم يندسَّ فيها صوت آخر . .

لذا لا نعـدّ تبـاعـد المخرجين أمارة على قمرية الحرف ، ولا تقاربهما أمارةً على شمسيَّتـه . . فمن أورد من ذلـك شيئـاً فانـما يكـون ايـراده على وجـه التّعليل وليس على وجه الفرض . . والتّعليل انما يكون بعد النّظر في طبيعة ما يقع من الأصوات والتزام ظواهرها اللفظيّة .

على أن الدكتور أحمد مختار عمر جعل الشّمسيات ثلاثة عشر حرفاً بطرح الـلام أن تكـون من بينهـا . . وجعل القمريات اثني عشر حرفاً باسقاط الواو واليـاء من مجمـوعتهـا ، وأغفـل ايراد اللام في جمهرتها . . في حين أن القانون الـذي وضعـه للتشميس والتّقمـير يفـرض أن تكـون اللام عنده قمرية لأنَّ اللام وانِ احتفظت بشخصيَّتها فانها ليست بعيدة المخرج عن كل لام أخرى

ترد قبلها أو بعدها . .

وأحسب في كتابة لام التَّعريف الدّاخلة على كلمةٍ ذات لامٍ مثل ليل ولبن ولون اذ تكتب اللّيل واللّبن واللّون في الخط السائد دلالةً على قَمَرِيَّة اللام في الكلمة المُعَرَّفة اذ يكون لكلّ من اللامين - رغم الادغام الجاري بينهما - استقلالٌ في الشّخصيَّة يمنع ادّعاء انقلاب أحدهما الى غيره وهما شيء واحد لاغَيْرِيَّة بينهما . .

ومن نماذج الألفاظ القرآنيَّة ذات الحروف الشّمسيَّة . .

في التّاء : -

«قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ ومِنَ التِّجارة وَاللهُ خَيْرُ الرازِقين» . . الجمعة الآية الحادية عشرة . .

«يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِب . . » الطارق ٧

«وَهُوَ الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عن عِبادِهِ ويَعْفو عَنِ السَّيِّئات» . . الشورى ٢٥

«وَالتِّينِ وَالزَّيْتونِ وَطورِ سينين وهذا البَلَدِ الأمين» التين ١ و٢ و٣

«أَنْ اقْذِفيه في التّابوتِ فاقْذِفيهِ في اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالسّاحِل» طه ٣٩

«إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيم» البقرة ٣٧

«إنَّما التَّوْبَةُ على اللهِ لِلَّذين يَعْمَلون السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتوبون مِنْ قَريب» . . النِّساء ١٧

وفي الثّاء -

«لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرْضِ وما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى» . . طه ٦

«فانْ كانَتا اثْنَتَيْنِ فَلَهُما الثُّلثانِ مما تَرَك . . » النِّساء ١٧٦

«رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَه مِنَ الثَّمَرات» . . البقرة ١٢٦

«نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقا» . . الكهف ٣١

«وَيُنْشِىءُ السَّحابَ الثِّقال» . . الرَّعد ١٢
«أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالعُزّىٰ ومَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرىٰ» . . النجم ٢٠
وفي الدّال ـ
«هَلْ أَتى عَلى الإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكورا» . . الدَّهر ١
«وقيل ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخلين» . . التَّحريم ١٠
«واذا سَمعوا ما أُنْزِلَ الى الرَّسولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْع» . . المائدة الآية ٨٣
«يَعْلمون ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنيا وهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلون» . . الرُّوم ٧
وفي الذّال ـ
«قُلْ يا عِبادِيَ الذين أَسْرَفوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً إنَّه هُوَ الغفورُ الرَّحيم» . . الزُّمر ٥٣
«والذين يَكْنِزونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقونَها في سَبيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليم . .» التَّوبة ٣٤
«إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنّا لَهُ لَحافِظون» . . الحِجْر ٩
«والذّاكِرينَ الله كَثيراً وَالذّاكِرات» . . الأحزاب ٣٥
«يَهَبُ لِمَنْ يشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكور» . . الشّورى ٤٩
وفي الرّاء ـ
«الرَّحمن عَلَّمَ القُرآن» . . الرَّحمن ١
«والرُّجْزَ فاهْجُرْ» . . المُدَّثِّر ٥
«إنَّ اللهَ هُوَ الرَزّاقُ ذو القُوَّةِ المَتين» . . الذّاريات ٥٨
«إنَّ الى رَبِّكَ الرُّجعىٰ» . . العَلَق ٨
«فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسولَ فَأَخَذْناه أَخْذاً وَبيلا» . . المُزَّمّل ١٦

وفي الزّاء ـ
«الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ». . النّور ٣٥
«أَذلِكَ خيرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقّوم». . الصّافّات ٦٢
«وَأَقيموا الصَّلاةَ وَآتوا الزَّكاة». . البقرة ٤٣
«وكانوا فيه مِنَ الزّاهِدين». . يوسف ٢٠
«يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ والزَّيْتونَ وَالنَّخيلَ وَالأَعْناب». . النحل ١١
«فاجْتَنِبوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبوا قَوْلَ الزّور». . الحجّ ٣٠
وفي السّين ـ
«وَأَمّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ». . الضُّحى ١٠
«إِنَّما السَّبيلُ على الذين يَظْلِمون النّاس. .» الشّورى ٤٢
«وَلا تُؤْتوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ التي جَعَلَ الله لَكُمْ قِياماً». . النّساء ٥
«إِلاّ إِبْليسَ أَبى أَنْ يَكونَ مَعَ السّاجِدين». . الحِجْر ٣١
في الشّين
«وإذا مَسَّه الشَّرُّ فذو دُعاءٍ عَريض». . فُصِّلَتْ ٥١
«الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بالفَحْشاء». . البقرة ٢٦٨
«وقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكور». . سَبَأ ١٣
«فَلَمّا رَأى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبّي هذا أكبر». . الأنعام ٧٨
وفي الصّاد ـ
«رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْف». . قُرَيْش
«إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَر». . العَنْكبوت ٤٥
«قُلْ موتوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ الله عَليمٌ بِذاتِ الصُّدور». . آل عمران ١١٩
«لِيَجْزي الله الصّادِقينَ بِصِدْقِهِمْ». . الأحزاب ٢٤

وفي الضاد ـ

«فَقالَ الضُّعَفاءُ للذين اسْتَكْبَروا إنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعا» . . ابراهيم ٢١

«إنَّ الذين كَفَروا بَعْدَ إيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادوا كُفراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وأولئك هُم الضّالّون» . . آلِ عمران ٩٠

«فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحق الا الضلال» يونس ٣٢

«وَالصّابرينَ في البَأْساءِ وَالضَّرّاءِ وحينَ البَأْس» . . البقرة ١٧٧

وفي الطّاء ـ

«فاذا جاءت الطّامّة الكبرى، يوم يتذكّر الانسانُ ماسعى» النازعات ٣٤ و٣٥

«وما أَدْراكَ ما الطّارِق» . . الطّارق

«والطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبين وَالطَّيِّبونَ لِلطَّيِّبات» . . النّور ٢٦

«فَأوقِدْ لي يا هامانُ عَلى الطّينِ فَاجْعَلْ لي صَرْحا» . . القصص ٣٨

«الطّلاقُ مَرَّتانِ فَإمْساكٌ بِمَعْروفٍ أَوْ تَسْريحٌ بإحْسان» . . البقرة ٢٢٩

وفي الظّاء ـ

«فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلّى الى الظِّلّ» . . القَصَص ٢٤

«وما يَسْتَوي الأَعْمى وَالبَصيرُ وَلا الظُّلُماتُ وَلا النّورُ ولا الظِلُّ ولا الحَرور» . . فاطر ١٩ و٢٠ و٢١

«وَلَوْ تَرى إذِ الظّالِمون مَوْقوفونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ الى بَعْضٍ القَوْل . .» سَبَأ ٣١

«كَسَرابٍ بِقيعةٍ يَحْسَبُه الظّمْآنُ ماءاً حتّى اذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا» . . النّور ٣٩

وفي النّون ـ

«قُلْ أعوذُ بِرَبِّ النّاس . . مَلِكِ النّاس . . إلَهِ النّاس . . مِنْ شَرِّ الوَسْواس الخَنّاس . .» الناس

«يا أَيُّها النَّبِيّ حَسْبُكَ الله وَمَن اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمنين». . الأنفال ٦٤
«وَالنَّجْمِ اذا هَوى». . النَّجم ١
«مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِلاّ اتِّباعَ الظَّنّ». . النّساء ١٥٧
أما نماذج الحروف القمريّة في الآيات القرآنية فمنها ـ

حرف الهمزة ـ
«هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظّاهِرُ والباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَليم». . الحَديد ٣
«يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرونَ لِمَنْ في الأَرْض». . الشّورى ٥
«هُوَ الذي بَعَثَ في الأُمِّيّينَ رَسولاً مِنْهُمْ». . الجُمُعة ٢
«مُتَّكِئينَ فيها على الأَرائِك». . الدَّهر ١٣
«وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذْ القُلوبُ لَدى الحَناجِرِ كاظِمين». . غافر ١٨
«أُولئكَ لَهُمُ الأَمْن». . الأنعام ٨٢
«أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْر». . الأعراف ٥٤
«الأَخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ الاّ المُتَّقين». . الزُّخْرفُ ٦٧
حرف الباء ـ
«فَلْيَعْبُدوا رَبَّ هذا البَيْتِ الذي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْف». . قريش ٣ و٤
«إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذه البَلْدَةِ الذي حَرَّمَها». . النَّمل ٩١
«فانْ تَوَلَوْاْ فانَّما عليك البَلاغُ المُبين». . النَّحْل ٨٢
«لايَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذين كَفَروا في البِلاد». . آل عِمْران ١٩٦
«وَادْخُلوا البابَ سُجَّداً وَقولوا حِطَّةٌ» . . البقرة ٥٨
وفي الجيم ـ
« مِنَ الجِنَّةِ وَالنّاس». . الناس

«وَتَرى الجبالَ تَحسبها جامِدَةً وَهيَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب». . النَّمل ٨٨
«وَلٰكِنْ انْظُرْ الى الجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مكانَه فَسَوْفَ تَراني». . الأعراف ١٤٣
«وَلَه الجَوارِ المُنْشَآتُ في البَحْرِ كالأَعْلام». . الرَّحمن ٢٤
«فَأَمّا مَنْ طغَى وَآثَرَ الحَياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الجَحيمَ هِيَ المَأْوى». . النّازعات ٣٧ و٣٨ و٣٩

وفي الحاء ـ
«قُلْ يا أَيُّها النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ». . يونس ١٠٨
«يُثَبِّتُ الله الذين آمَنوا بِالقَوْلِ الثّابِتِ في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرة». . ابراهيم ٢٧
«وكانوا يُصِرّونَ على الحِنْثِ العَظيم». . الواقعة ٤٦
«فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الحوتِ إِذْ نادىٰ وَهُوَ مَكْظوم». . القَلَم ٤٨
«أُدْعُ الى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَة وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنة» النَّحل ١٢٥

وفي الخاء ـ
«قُلْ لايَسْتَوي الخَبيثُ والطَّيِّبُ». . المائدة ١٠٠
«يَوْمَ يَسْمَعونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقّ ذلكَ يَوْمُ الخُروج» قٓ ٤٢
«قَال الذين أُوتوا العِلْمَ إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ والسُّوءَ على الكافِرين»النَّحل ٢٧
«خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرة ذلك هُوَ الخُسْرانُ المُبين». . الحَجّ ١١

وفي حرف العين ـ
«وَاللّهُ رَؤوفٌ بالعِباد». . البقرة ٢٠٧
«إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ العَبْدُ إِنَّه أَوّاب». . صٓ ٤٤
«فَسُبْحانَ الله رَبِّ العَرْشِ عَمّا يَصِفون». . الأنبياء ٢٢

«يُريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُريدُ بِكُمُ العُسر».. البقرة ١٨٥
«اَلحْمد لله رَبِّ العالَمين».. الفاتحة
في الغين ـ
« وَلا تَطْرُدِ الذينَ يَدْعونَ رِبَهُمْ بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُريدونَ وَجْهَه».. الأنعام الآية ٥٢
«ومَا الحَياةُ الدُّنيْا إلَّا مَتاعُ الغُرور».. آل عمران ١٨٥
«وفي الرِّقابِ والغارمين وفي سبيلِ اللّهِ وابنِ السَّبيل».. التّوبة ٦٠
«ثُمَّ تُرَدُّونَ الى عالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعملون».. الجُمعة الآية الثامنة..
وفي الفاء ـ
«إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كانَ عَنْه مَسْؤُولا».. الإسْراء ٣٦
«فَلَمَّا تَراءَتِ الفِئَتانِ نَكَصَ على عَقِبَيْه».. الأنفال ٤٨
«فَعَسى اللّهُ أنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِه».. المائدة ٥٢
«وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْل».. البقرة ٢١٧
وفي القاف ـ
«إِنّا أَنْزَلْناه في لَيْلَةِ القَدْر».. القَدْر
«يا أَيُّها الذينَ آمَنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصاصُ في القَتْلى».. البقرة ١٧٠
«قالوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفي ضَلالِكَ القديم».. يوسف ٩٥
«واذا قُرِئَ القُرْآن فَاسْتَمِعوا لَهُ وَأَنْصِتوا».. الأعراف ٢٠٤
وفي حرف الكاف ـ
«قُلْ يا أَيُّها الكافِرون لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدون».. الكافرون
«ويقولونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمون».. آل عمران ٧٥

«كَمَثَلِ الكَلْب إنْ تَحْمِلْ عليه يَلْهَثْ أَوْ تتْرُكْهُ يَلْهَث». . الأعراف ١٧٦
«وَنَجّيناه وأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظيم». . الصّافات ٧٦
وفي حرف اللام ـ
«يَخْرُجُ مِنْهُما اللُؤْلُؤُ والمَرْجان». . الرَّحمن ٢٢
«وجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباساً وَجَعَلْنا النَّهارَ مَعاشا». . النّبأ ١٠ و١١
«قالوا أجِئْتَنا بالحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللّاعِبين». . الأنبياء ٥٥
«قُلْ ما عِنْدَ الله(*) خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارة». . الجُمُعة ١١
« لاظَليلٍ ولا يُغْني مِنَ اللَّهَب». . المرسَلات ٣١
حرف الميم ـ
«تَبارَكَ الذي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدير». . المُلْك ١
«الذين هُمْ يُراءون وَيَمْنَعون الماعون». . الماعون
«المالُ والبَنونَ زينَةُ الحَياةِ الدُّنْيا». . الكَهْف ٤٦
«قالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إنّا لَنَراكَ في ضَلالٍ مُبين». . الأعراف ٦٠
وفي الهاء ـ
«أولئك الذين اشْتَرَوْا الضَّلالَة بِالهُدى وَالعَذابَ بِالْمَغْفِرَة». . البقرة ١٧٥
«إنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَما هُوَ بِالهَزْل». . الطارق. . ١٣ و١٤
«قالوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يوسفَ حَتىّ تَكونَ حَرَضاً أَوْ تَكونَ مِنَ الهالِكين». . يوسف ٨٥
«فاليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الهونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرون في الأرض». . الأحقاف ٢٠
وفي حرف الواو ـ
«وَالشَّفْع وَالوَتْر». . الفَجْر ٣

«حَتىّ إذاَ أَثْخَنْتُموهُمْ فشدّوا الوَثاقَ». . محمد ٤
«وإذا الوُحوشُ حُشِرَتْ». . التّكوير ٥
«قُلْ إنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ». . الأنبياء ٤٥
وفي الياء ـ
«اليَوْمَ يَئِسَ الذينَ كَفَروا مِنْ دينِكُمْ». . المائدة ٣
«وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتىّ يَأْتِيَكَ اليَقين». . الحِجْر ٩٩
«وَأَمّـا إنْ كانَ مِنْ أَصحـابِ اليَمـينِ فَسَـلامٌ لَكَ مِنْ أَصحـابِ اليمـين». . الواقعة ٩٠ و ٩١
«وقالت اليَهودُ يَدُ اللهِ مَغْلولَةٌ غُلَّتْ أَيْديهِمْ وَلُعِنوا بِما قالوا». . المائدة ٦٤

أمّـا الألف فانـه كما ذكرنـا من قبـلُ لايُعـدُّ في جهـرة الحـروف الشّمسيّـة ولاالقمريّة من جراء أنه ساكن أبداً لايُعْرَف له بدءٌ يبدأ به الاّ ان كان مقترناً بحـرف متحـرك يسبقـه. . وهـو أحـد حروف الهجاء وقد ثُبِّت له في جهرتها شكـلٌ ورسم حين قالـوا «لا» ونطقـوا به «لام ألف لا». . وانّـما صنعوا ذلك وتَخَيَّروا له اللام ليكون سهل الشّكل والنُّطق. . .

ان في النّاس من يعرض له الخطأ في الحروف الشّمسية والقمريّة بحيث يضع حرفـاً مكـان حرف. . فقـد سمعنـا في المغنّين من يقول « ياراهب الدير هلْ مرَّت بك الابـلُ». . بابـراز لام التّعـريف المقترنة بالدّير وهو خطأ ولحن لأنّ الدّال حرف شمسي. .

ونـرى في النّـاس من يقـرأ النّص القـرآني «من الجِنّـةِ والنّاس» بتشديد الجيم وكأنّـه في نظـرهم حرف شمسي. . في حين أنـه حرف قمـري وهـذا اللّحن متفشّ على ألسنة العامة تفشّياً ملحوظاً يشاركهم فيه غير قليل من المثقّفين. .

ان لمعرفة الحروف الشّمسية والقمريّة أهمّيّةً كبيرة تتجلى بوضوح عند المضيّ في قراءة نصّ عربيّ أوعند تلاوة آي الذّكر الحكيم . . فآنذاك يبرز اللحن كلّ بروز وهذا مما يجب تحاشيه، والفرار من الوقوع فيه[٦] . .

---

(١) ـ وهكذا عدّها الدكتور عبد الصّبور شاهين في كتابه «المنهج الصّوتي للبنية العربيّة» ـ ص ٢١٢ . . من نسخة أهدانيها متفضلا . .

(٢) ـ أراد أن اللام تقلب . . وايراد الادغام دون الاقلاب فيه تسامح ظاهر . .

(٣) ـ ان شخصيّة اللام ثابتة منطوق بها عند القطع حين نقول «والـ» في لفظة «الليل» دون اكمال النطق بذلك . . فاذا وصلنا فقلنا «والليل» لم يتغير النّطق ولا تحوّل اللفظ عن مذاقه فاللام هي اللام وصلاً ووقفاً أو قطعا . .

وذاك خلافاً للقطع في قولنا «والـ» ونحن نريد أن نقول «والشّمس» ففي القطع نقول «وَشْ» ثم نكمل اللفظ بقولنا «شمس» دون فاصل زمني بين المقاطع . . فان وقع الفصل وجب النطق باللام مظهرة غير منقلبة الى الحرف الشّمسي . . لأنّ الحالة الادغامية تتطلب الولاء والمتابعة . .

(٤) ـ وفي «اعانة المستفيد في علم التجويد» قال في تعريف الادغام الشمسي «اذا وقع حرف من غير الحروف القمرية بعد أل التعريف فلا تظهر بل تدغم، وعدّ اللام من بينها وهي ظاهرة وهو يريد في تعريفه ان يقول تقلب فقال تدغم . .

(٥) ـ يلاحظ أنّ لام التّعريف اكتسبت التفخيم باتصالها بلام الجلالة التي فخمت لانفتاح الحرف الذي يسبقها . . فاذا كانت لام الجلالة مرققة رققت لام التّعريف بترقيقها . .

وهذا هو النّمط الوحيد في اللامات القمرّية يقع فيه للام التعريف أن تتأثر ببعض حالات لام تأتي بعدها . . ولكنّ هذا لايترتّب عليه أن تُعدّ اللام في مجموعة الحروف الشّمسيَّة وانما هو من فعل

الادغـام لا الاقـلاب . . وقـد كنّـا أوردنـا أن لام التعـريف في لفـظ الجلالة صارت جزءاً من اللفظ لانتفاء مفهوم التنكير فيه . .

(٦) ـ لايجـوز هدر الحـرف الشّمسيّ مع أداة التعـريف الاّ عند القطع والوقف لأن الحالة الادغامية تتطلب الارتباط الزمني وتتابعه دون توقف بين الحرفين . . على أن القطع لايُعَدّ من الكلام الفصيح ولكن قد يقع ذلك في الضروب الرجزية خاصة كقوله : ـ

قلت لطـاهـينـا المُطَـرّي في العَمَـلْ
دع ذا وعَـجِّـلْ ذا وألْـحِـقْـنـا بذا ال
شحـم فانـا قد مللنـا ذا بِخَـلّ

فلو قال «بـذا الشـ» بالشين لفَسَدَ أمـر نظـام القـافيـة كمـا أنـه اذ قطع الادغام فلا ينطق الحرف الشمسي شمسيا . .

ولـو وقف النـاطق على أداة التعـريف لضرورة وكان وراءها حرف شمسي فانمايقفعلى اللام بهيئة الـلام ثم يعـود الى نطقهـا بالحـرف المجتلب ومن ذلك أن تقرأ «والشمس» فترى أنك ستقف على الـلام فلا بد أن تلفظهـا لامـاً . . ولكن لايصـح أن تواصل القراءة بادئا بالشين وانما عليك أن ترجع الى اللام وهومقلوب الى شين ثم تواصل القراءة . .

الكلام على همزة الوصل وهمزة القطع

همزة القطع هي التي تتقبّل الحركات من فتحة وضَمّة وكسرة وتكون في أكثر من مكان من الكلمة بدءاً وانتهاءا . . وهي - أي همزة القطع - حرف هجاءٍ يحرَّك ويسكَّن ويكون سكونه سكون بناءٍ أو سكون وقفٍ أو سكون جزمٍ الى غير ذلك من أنواع السُّكون الكثيرة . .

أما همزة الوصل فانها رغم سكونها - الذي لايلمس ولا يُسمع ولا يعرف له شكلٌ ولا صورة . . . وذاك بسبب اختفائها هي وسكونها بالمرَّة . . حين تكون في تضاعيف الكلام أو تسبق بحرفٍ أو بلفظ - فانّها اذا بُدِئَ بها في الكلام مَثَّلَت دور همزة القطع فظهرت عليها الحركات الثَّلاث هذا اذا لم نقل إنّا نستعير همزة القطع للتوصل بها الى النطق بدلاً من همزة الوصل التي لايمكن ان تكون لها في الذهن صورة حرف ذي حركة . . وهذا أثر من ذاك . . ان أداة التّعريف التي تدخل على الألفاظ هي من ذوات همزة الوصل الاّ عند بدء الكلام بها . . كقولك «ألْعِلْمُ خيرٌ من الجهل» وقولك «ألجهل شرٌّ محنةٍ تعلق بالأمّة» فانْ أدخلت على همزة الوصل شيئاً من كلام فقلت «إنَّ العلم خيرٌ من الجهل» فرَّت همزة الوصل وتَنَحَّتْ من مكانها وثبتت اللام دونها . . اللهمَّ الاّ اذا جاء بعد أداة التّعريف حرفٌ من الحروف الشّمسية ، فانّ اللام بعد فرار الهمزة تنقلب الى حرف شمسيّ فتختفي هي كذلك . .

فان جاءت أداة التّعريف أوّل الكلام مما فيه حرف شمسيّ انقلبت اللام

الى مثـل ذلـك الحرف وثبتت الهمزة، لأنها تعامل عند البدء بها معاملة همزة القطـع . . وانّ من أسـوء الأخطاء التي تعرض لألسنة النّاطقين بالفصحى، ما يكون فيه من التّغافل عن حقوق هاتين الهمزتين . . وكثيراً ما يقع لجهلة النّاس أن يقلبوا همزة القطع الى همزة الوصل عند تلاوة الآي القرآني كالذي يقرأ «انّا أعطَيناكَ الكوثر» بهمزة وصل فيقول «انّعطيناك الكوثر» . . أو يحذف همزة القطـع في النّص القـرآني «قُـلْ أَعـوذُ بِرَبِّ النّـاس» فيقول «قُلَعوذُ بِرَبِّ النّاس» بلام مفتوحة[1] . .

وفي النّاس من يقلب همزة الوصل الى همزة قطع فيقول ـ مثلاً ـ «هنا دار ألاذاعـة العـراقيـة» باثبـات الهمزة المنطوقة على أداة التّعريف، في حين أنها همزة وَصْلٍ لاتنطق في مكانها هذا . . ومثل ذلك من النّماذج السَّيِّئة أن يقول طالب من الطـلاب «اني طالب في ألمتـوسطـة وبيتي يقع في شارع ألكفاح» . فكـل ما ينـاظر هذا الكلام انما هو لحن مفضوح يجب تحاشيه ويجب تصحيح مقولته وتنبيه من يصنع ذلك الى فداحة اللحن فيه . .[2]

---

(١) ـ اذ كان قد وجـد في الشعـر العـربي القديم قلب همزة القطع الى همزة وصل أو حذفها بحكم الضرورات العروضية ومن ذلك:

أبـوه أبـي، والأمّـهـات امّـهـاتُـنـا

فأنْـعِـمْ فدتـكَ الـنّـفس، قومـي ومَـعْـشـري

يقلب همزة القطع في أمّهاتنا الى همزة وصل . . وليس الأمر أمر قياس . .

(٢) ـ كثر على لسان المذيعين من مثل هذا اللحن فصاروا يقولون «وعلى رأسها ألسيد» و«حضرها ألسفير» و«تقـدمه ألعلمي» و«خـلال لقـائـه أليـوم» و«في تمـام ألساعة» . . و«ألقي ألقبض على ألجناة» . . و«وقف ألجميع» وانتهى الاجتماع.

التّاءات المربوطة والمبسوطة

الـوقف على التّـاءات المبسوطة يكون بصريح لفظها فالميقات والسّيِّئات والصَّلوات والأشتـات والبنـات يوقف عليهـا بالتـاءات التي تلفـظ مكتملة التّائيّة . . فان وُقف عليها منصوبةً وقف عليها بالألف غيرَ الجموع كما سيأتي . .

ومن ذلك قوله تعالى ـ

«اِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كانَ ميقاتا» . . النَّبأ ١٧

«أَلَمْ نَجْعَـلِ الأَرْضَ كِفـاتـاً أَحْيـاءاً وأَمْـواتـاً وجَعَلْنـا فيهـا رَواسِيَ شامخاتٍ وأَسْقَيْناكُمْ ماءاً فُراتا» . . المرسلات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧

«يَوْمَئِذٍ يصْدُرُ النّاسُ أَشتاتا» . . سورة الزلزلة ٦

«وأنـزَلْنـا مِنَ المُعْصِـراتِ ماءاً ثَجّاجاً لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَباتا» . . النَّبأ ١٤ و ١٥

اللهمَّ الاّ ما كان من جماعة التّاء المبسوطة مما ينصب بالكسرة بسبب كونه من جموع المـؤنّث السّـالمة . . فانه يوقف عليه عند نصبه بالتّاء المسموعة السّاكنة . . ومن ذلك ـ

«اِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتْ» . . هود ١١٤

«وَعَدَ الله المؤمنينَ والمؤمناتِ جَنّاتْ» . . التوبة ٧٢.

«أَلَمْ يَعْلموا أَنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتْ» . . التوبة ١٠٤

وكـان من العـرب قديـماً من يقف على التّـاء المبسـوطـة بهاءٍ . . فقد قال قائلهم «دفنُ البَنـاهْ من المَكْـرُمـاهْ» يعني البنـات والمكـرمـات . . ومثـل ذلك

وقوفهم على مسلمات وفرات وتابوت بهاء . .

وكـذلـك ما يكتب من التّـاءات المبسـوطـة في أسـامي الأعـلام من نحو طَلْحتَ وغيرها كانوا يلفظونها بتاء ظاهرة[1] . . أما ما يكتب من الألفاظ ذات التّـاء المـربـوطة بتاءٍ مبسوطة وليس هو بِعَلَمٍ فانّه يلفظ عند الوقف هاءاً مثل «فَـرَوْحٌ وريحَـانٌ وجنّتُ نعيم» فانهـا في خط المُصحف بتاءٍ مبسوطة ولكنّها في الحكم تاءٌ مربوطة فقد جاء في شتّى المُصنَّفات أنَّ التّاء في هذا النَّص يوقفُ عليهـا بلفـظ الْتّـاء . . ولكنّـا نرى أنَ التّـاءات انْ كُتبت في المصحف على هيئتَـين مبسـوطةٍ ومربوطة فانَّ الوقوف عليها في الحالتين يجب أن يكون وقوفاً على هاءٍ مربـوطـة وان لم تكـن ـ في الـعـادة ـ محلاً للوقـوف . .

ومن ذلك كلمة الرّحمة التي رَسِمَت ـ اونة ـ في المصحف بتاءٍ مبسوطَة مثل «اِنَّ رَحْمَتَ الله قَريبٌ مِنَ المُحْسنين[2]» ـ الاعراف ٥٦ ـ

ومثل : فانْظُرْ الى آثارِ رَحْمَتِ الله[3] ـ الروّم ٥٠ ـ

وكُتِبَتْ آونـةً أخـرى بتـاءٍ مربـوطـة في مثـل «كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِـهِ الـرَّحْمَـة» . . فانّها يوقَف عليها بالهاء في الحالتين . . التزاماً بالأصل الذي هو التـاء المـربـوطـة ، أمـا كتابتها بالتّاء المبسوطة فانّ فيه قصداً مقصوداً يراد فيه معناه وفحواه، ولذا لاتعد الصّورة الاملائيّة هي المقصودة . . وقد ذكر العلماءُ أنّ كتابة الرّحمة بتاءٍ مبسوطة مرادٌ به ابراز رحمة الله تعالى بصورة واسعة لاقرار ذلك في النّفوس إقراراً تامّا . .

أما ما كُتب من التاءات بتاءات مبسوطة لا غير فانّ الوقوف عليها يكون بالتّـاء مثـل «الـلات وذات والتّـابوت» وقد وجدنا ابن بلبان الحنبلي يقول في «بغية المستفيد في علم التّجويد» في كلامه على التّاءات وان كانت غير منونةٍ وهي مرسـومـة مجرورة أي مبسـوطـة فقد جاء عن بعض القّراء الوقف عليها

بالتّاء رعايةً للرسم وعن بعضهم بالهاء على الأصل وذلك نحو «ذكر رحمت ربك» و «امرأت عمران» ونحوها مما رسم بالتاء المجرورة في المصحف الامام . . ويعني بالمجرورة المبسوطة أي غير المربوطة . .

وكذلك اذا نقلنا النص القرآني للاستشهاد به في مقال ونحوه فكتبناه بالخطّ المعاصر فانا نكتب الجنّة بالتّاء المربوطة لا المبسوطة . .

ومن هنا كان حكمها الاعتباري هو أن تقلب الى هاء عند الوقوف عليها لا كما قال مؤلفوا «حق التّلاوة» وغيرهم . .

أما التّاءات المربوطة فانها يوقف عليها في جميع حالات الوقوف بالهاء اذ يجب اقلاب التّاء المربوطة الى هاءٍ ساكنة وان كان يجب كتابتها منقوطةً ـ حالة اقلابها ـ بنقطتي التّاء للدّلالة على أصل اللفظ ومعناه . .

ومن ذلك ـ

«اِلاّ أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاة» . . آل عمران ٢٨

«وحَناناً مِنْ لَدُنّا وَزَكاة» . . مريم ١٢

«يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاة» . . لقمان ١٧

«وَلَتجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلى حَياة» . . البقرة ٩٦

فهذه التّاءات تلفظ هاءات . . وليس هذا خاصّاً بالآي القرآني بل هو عامٌّ في البيان العربيّ يُعدُّ التّغافل عنه لحناً مردودا على لاحِنه . .

ومن الألفاظ القرآنية ذوات التّاءات المربوطة مما يقلب الى هاءٍ عند الوقوف عليه ـ «وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراة» . . آل عمران ٥٠

«وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاة» . . يوسف ٨٨

«القارِعَةُ ما القارِعَةُ وما أَدْراكَ مَا القارِعَة» . . القارعة

«اِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدة» . . الأنبياء ٩٢

«فآتاهُمُ اللهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَة». . آل عمران ١٤٨
«فيها سُرُرٌ مَرْفوعةٌ وأكْوابٌ مَوْضوعَةٌ ونَمارِقُ مَصْفوفة». . الغاشية
«قُلْ مَنْ ذا الذي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إنْ أرادَ بِكُمْ سُوءاً أو أرادَ بِكُمْ رَحْمَة». . الأحزاب ١٧
«إنَّما التَّوْبَةُ على الله للذين يَعْمَلونَ السوءَ بِجَهالة». . النِّساء ١٧
«وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عليها مِنْ دابَّة». . النَّحل ٦١
«فَلْيَحْذَر الذينَ يُخالِفونَ عَنْ أمْرِهِ أنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَة». . النُّور ٦٣
«ولِيَدْخُلوا المَسْجِدَ كما دَخَلوه أوَّلَ مَرَّة». . الاسراء ٧
«ومـا أدْراكَ ما العَقَبَـة، فَكُّ رَقَبَـة، أوْ إطْعـامٌ في يَوْمٍ ذي مَسْغَبَـة، يَتيماً ذا مَقْرَبَة، أوْ مِسْكيناً ذا مَتْرَبَة» البلد ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦
«فيها كُتُبٌ قَيِّمَة». البيِّنَة
«وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَة». . الهمزة
«للذين أحْسَنوا في هذِهِ الدُّنْيا حَسَنة». . النحل ٣٠
والنَّماذج القرآنية في التَّاءات المربوطة كثيرةٌ، وما ورد في ألفاظ العرب أكثر. . غير أنَّ اللحن في ذلـك شائـعٌ ذائـع لدى المتكلمـين والمذيعين ومن كان من قبيلهم. . فهنـاك من يقـول «قـال الـرُّواةْ» بالتَّـاء المسمـوعة و«ركن الهُواةْ» و«عنـدنـا اليوم مباراةْ» بالتاء الملفوظة وهو خطأ صحيحه النُّطق بهذه التَّاءات هاءاتٍ ظاهـرة[٤] . . يقـولـون ذلـك في الـوقف. . وكـان في العـرب من نطق بالتَّاء المربوطة تاءاً لا هاءاً عند الوقف، فقال ـ

اذا اغـتـزلـت من بُقـام الـفـريـر
فيـاحُـسـنَ شمـلتـهـا شمـلتـا

ويـا طيـب أرواحـهـا في الـضُّـحـى
اذا الـشـمـلتـان لها ابـتـلَّتـا

فلم يقل «شملة» بهاءٍ عند الوقف عليها، وانَّما عاملها معاملة التّاء المبسوطة عند الوقف عليها مفتوحة. . وهذا مما لايقاس عليه ولايؤخذ به. .

ومن نماذج ما جاء من قلب التاء المربوطة الى هاء في الشعر القديم قول الشاعر:

يارِبِّ انّي ما جَفَـوتُ وقـد جَفَـتْ
فالـيـكَ أشـكـو ذاك ياربّـاه
مولاةُ سوءٍ ماتـرِقّ لعـبـدهـا
نِعْـمَ الـغـلامُ وبئـسـت المـولاةْ
ياربّ ان كانـت حيـاتـي هكـذا
ضرراً عَلَيَّ فما أريـد حيـاةْ

فان التاء في «مولاة» وفي «حياة» تلفظ هاءاً ساكنة مُجْتَلَبَة. . (*)

ومثل ذلك من نماذج الشِّعر القديم الدّالّة على قلب التّاء المربوطة الى هاء:

لو كنتُ أدري فَعَلَيَّ بَدَنَهْ   من كثرة التّخليط انّي مَنْ أَنَهْ

فانّ التّاء في بَدَنَة قلبت الى هاء. فقابلت هاء السكت اللاحقة بأنَا. .

وفي السُّور القرآنيّة مايهدي الى طريقة هذا النطق، ومنها «ويلٌ لكلّ همزة لمزة. . الـذي جَمَعَ مالاً وعَـدَّده. . يحسب أنَّ مالـه أخلده. . كلاّ لينبـذنَّ في الحُطَمَـة» ففي الـوقـوف على التـاءات في نهايـة هذه الآيات مايدلّ على أنّ

ذلك يكون بالهاءات الساكنة بسبب الاقتران الكائن بينهما في هذه الفواصل . .

وفي الشعر وغيره تجتمع التّاءات المبسوطة والتّاءات المربوطة على هيئاتها ولكن جاء في ديوان حاتم الطائي ـ طبعة دار صادر ودار بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م كتابة «ضَرّة» بتاء طويلة وجرى تعليل ذلك بقول كاتب الحاشية : ـ ص ٣٢ ـ «والأصل أن تكتب هذه اللفظة بالتاء المربوطة وكتبت هنا بالتاء المبسوطة اتباعاً لتاء الرويّ المبسوطة في سائر الابيات» ولا صحة لذلك . .

هوامش التاءات المربوطة والمبسوطة

(١) ـ من نصوصهم الشّعرية ما يشير الى أن هناك من أَلِفَ النُّطق بالتّاء المربوطة تاءاً ظاهرة وأنَّ هذا ليعدُّ لغةً وليس قاعدةً يقاس عليها . . ومن ذلك قول الرّاجز ـ وقد تكون المشاكلة سبب اظهار التّاء ـ

بَلْ جوز تيـهـاء كظـهـر الـجَـحَـفَـتْ
قطـعـتـهـا اذا الـمَـهـا تَجَـوَّفَـتْ
مآرُنـا الـى ذراهـا أهْـدَفَـتْ

ومثل ذلك قول هِنْد بنت عُتبْة في رثاء أبيها ـ

يَدْفَـعُ يـومَ الـمَـغْـلَبَـتْ
يُطْـعِـمُ يَـوْمَ الـمَـسْـغَـبَـتْ

وذكر اللغويون أنَّ طَيِّئاً تقف على التّاء في مثل «جِئْتْ» وأنّ حِميَراً تقف على التاء في مثل «تَمْرَتْ» أي تمرة لواحدة التَّمر . .

(٢) ـ الاعراف ٥٦

(٣) ـ الرُّوم ٥٠

(٤) يستثني من الحكم بالخطأ ما يلفظ من التّاءات المربوطة بلفظ التّاء لا الهاء اذا جاء ذلك على وجه المشاكلة والمزاوجة كقول الغزالي في تسمية كتاب له «وسائل الحاجات وآداب المُناجاة» فانّ التّاءات المربوطة تلفظ هنا تاءاً ظاهرة في النُّطق تبعاً للحالة السُّجعيّة ومثل ذلك كتاب جاء اسمه «مادّةُ الحياة وحفظ النَّفس من الآفات» لمؤلف توفي سنة ٦٧٧هـ . . وأسبق من هذين كتاب «بقيّة التنبيهات على أغاليط الرواة» لعلي بن حمزة البصري المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . .

كما يستثني من الوقوع تحت طائلة هذا الحكم ما يكون قد بُني على السّكون من الألفاظ المختومة بالتاءات المربوطة عند اعتبارها أعلاماً . . كأن تسمّي شخصاً باسم نجاةْ وفتاةْ وقناة باسكان هذه التاءات فانّ ذلك ينقل الاسم المعرب الى فصيلة الأسماء المبنية الجامدة وفي هذه الحالة يكون الاعراب تقديريّا . . ويستثنى كذلك من النطق بالتاء المربوطة الساكنة هاءاً في سكونات الانشاد مثل قوله :

ان الـحـيـاة، وَغـىً ولـيس بظـافـر
في خوضـهـا غيـر الـكـميّ الـمُـعْلَم

وذلك لأن سكون الانشاد يعدّ وقوفاً موقتاً . فهو في حكم الكلام المستمر اذ لا اعتبار له في التقطيع العروضي ومن المزاوجات الشعرية (الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية) . .

لُغَـةَ العُـرْبِ اذكـرينـا وانـدُبي ما فاتْ
كيـفَ نَنْـسـاكِ وفـيـنـا نَسْمَـةُ الحيـاةْ

ومنها لشاعر مهجريّ :

لظلام الليل فضلٌ في الحياةْ، مثلما للنّورْ
فخذ الدُّنيا وما فيها وهاتْ، خيمةَ الناطورْ

(٥) ـ ولشرف الدين الأنصاري :

اذا دخـلـت عـسـاكـره بلاداً
لهـم خرجـت أعـزَّتُـهـا أذِلَّـة
فـنـحـن بـه نعـوذ اذا خشـيـنـا
الـرَّدى والـفـقـر وهـو يعـوذ بالـلّه
أبـادَ الـلّهُ أهـلَ الـشـركَ منـه
بخـيـر مكـافـح عن خيـر مِلَّة

يتضح من هذه الشواهد أن للعروض دوراً متميزاً في الأحكام الصوتيّة اذ تدل القرائنُ الملاحَظَةُ فيه على وقـائـع صوتيـة قاطعـة يعـرف بهـا كيف كانت العـرب تنطق الألفاظ لأن المقاييس العروضية محكمة كل احكام والكلام عليها غير ملقى على عواهنه

حروف الاستعلاء

حروف الاستعلاء سبعة هي الخاء والصّاد والضّاد والطاء والظّاء[٢] والغين والقاف وقد لقّبت بذلك لأنّها تستعلي في مخارجها ويقع للألف انْ جاء بعدها أنْ يفخَّم تَبعاً للحالة التي تكون هي عليها من التَّفخيم .. أي أن تظهر على الفم حالةُ انتفاخ يسير لايراه الرائي وانما يدريه من يقع له نطق الحرف الاستعلائي . .

ومواصفات هذا التَّفخيم أنَّهُ تفخيمٌ ظاهر لا امالة فيه ولا وقوع في مثل رطانة الأعاجم ويكون الامتداد بألفات هذه الحروف امتداداً جانبيّاً شبه أفقي وليس امتداداً اتِّجاهيّاً أو انخفاضيّاً كالذي يحدث لحروف الاستفال . .

وهناك من يتعسَّف في النُّطق بهذه الحروف بحيث يبيت الألفُ بعدها وقد انقلب الى واوٍ مرئيَّة . .[٣] وهذا خطأ صريح فيجب التَّنبُّه اليه وتصحيحه .

ان حروف الاستعلاء تفخَّم في حالات كثيرة غير أن تفخيمها يتجلى مع الألف ان جاء بعدها وكذلك ان جاءت هذه الحروف مفتوحة ولكنَّ تفخيمها مع الفتحة لايكون مضاهياً تفخيمها مع الألف . . اذ انه يفقد في غير حالة الارتباط بالألف كثيراً من طاقته التفخيميّة هذه . .

فان جاءت بعدها ياءٌ مَدِّيَّة أوكسرة فَقَدَ التَّفخيم معظم وجوده وذاك للتعارض بين حالة التَّفخيم وبين حالة النّزول الى مستوى الياء والكسرة[٤]

بل ان الامالة التي لاتخرج عن كون الحرف مفتوحاً لَتُؤَدّي بما كان مفخّما الى التّرقيق ولذا منع سيبويه امالة القاف ـ مثلا ـ لئلا ينسلخ من مذاقه الاستعلائي الذي هو سبب التّفخيم فيه . . فكيف اذن يملك التفخيمَ المرئيَّ مع الياء المدّيّة المكسورِ ما قبلها . .

هذا وقد تجاهل أناسٌ من المصنفين حكاية الاستعلاء وأهميته الأدائية ، فلم يحسبوا له حساباً في قواعد التّجويد ففي «التّجويد وعلوم القرآن» لعبد البديع السّيد صقر ـ ص٥٣ ـ أورد كلمة المرصاد على أنها مرقّقة الرّاء رغم أنها مُتبعةٌ بحرف استعلاء مفتوح . . وكان قد قال في مقدمة كتابه ـ ص ٥ ـ «وعلى هذه القاعدة قمنا بوضع هذه الرّسالة مراعين فيها اعطاء مقياس سهل واضح واستبعاد ما لاضرورة له» . . وكان مما استبعده الاستفال والاستعلاء تعسّفاً منه . .

وليس معنى الاستعلاء أن نجعل الخاء حرفاً موغلا في الشّخيريّة ، ولاالغين بحيث نغرغر بها غرغرة متعسفة ، ولا القاف بحيث تبيت حرفاً يسدُّ على الحلق سبيله ، كما يفعل أناس ممّن يتولّون أمر الاقراء والتّلاوة . .

ومن نماذج ما نحن في شأنه ـ

«وَأَمّا مَنْ خاف مَقامَ رَبِّهِ وَنَهى النَّفْسَ عنَ الهَوى فَانَّ الجَنَّةَ هِيَ المأْوى» . . النّازعات ٤٠ و٤١

«قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ علينا أَوْ أَنْ يَطْغى» . . طه ٤٥

«الله خالِقُ كُلِّ شيء» . . الزُّمَر ٦٢

«والصّادِقين والصّادِقاتِ والصّابرين والصّابرات» . . الأحزاب ٣٥

«قالَ الحَوارِيّون نَحْنُ أَنْصارُ الله» . . الصَّفّ ١٤

«وضاقَتْ عليهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ الله إِلاّ اليه» . . التّوبة ١١٨

«وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى».. الضُّحى
«فَأَيَّدْنا الذين آمنوا على عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرين».. الصَّفّ ١٤
«يُريدون أَنْ يَتَحاكَموا الى الطّاغوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُروا بِهِ».. النّساء ٦٠
«مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدْ أَطاعَ الله».. النِّساء ٨٠
«إِنَّهُ لايُفْلِحُ الظّالِمون».. الأنعام ٣١
«وَاللهُ غالِبٌ على أَمْرِه..» يوسف ٢١
«وبُرِّزَت الجَحيمُ لِلْغاوين..» الشعراء ٩١
«وما مِنْ غائِبَةٍ في السَّماءِ والأرضِ الاّ في كِتابٍ مُبين.» النمل ٧٥
«إِنْ أَرَدْنا إِلاّ إِحْساناً وتَوْفيقا..» النِّساء ٦٢
«إِذ انْبَعَثَ أَشْقاها..» الشمس ١٢
«فكانَ قابَ قوسَيْنِ أَوْ أَدْنى..» النَّجم ٩

وفي غير هذه الحروف لايصحّ التّفخيم.. ومما وقع على أَلسنة النّاس من ذلك تفخيم الميم في السّماء والماء.. وكذلك يفخمونها في أسامي النّاس من نحو «كمال»، وفي «أمان» عند الاستغاثة ـ وفقاً للرّطانة التركيّة ـ وفخموا الباء في مثل «الأخبار»، والفاء في «فاروق» و «فَكّ» أي فتح.. ومن هذا في كلامهم كثير..[٥]

وهناك من عَدَّ اللام المغلظة والرّاء المفخَّمة من حروف الاستعلاء[٦].. قال المرعشي في رسالته: «الظاهر أنها في حالتي تفخيمها من الحروف المستعلية» نقله الشيخ محمد مكي نصر الجريسي، وكان قد قال في «القول المفيد في علم التّجويد»: «ثم اعلم أن حروف الاستعلاء ويقال لها حروف التّفخيم سبعة ويتبعها حرفان الرّاء في حال تفخيمها ولام التّغليظ»..[٧]

ووصف الشّيخ حبيب الكندي السّيلاني حالة التّفخيم في اللام المفخّمة

بالاستعلاء الخفيف «مغنم الصّبيان ص ٢٢» . .
أمـا الشّـين فانـه قد يقع فيه شيء يسير من التّفخيم لأنه حرف شَجْريّ فانْ رقق كلّ الترقيق تقرّب من السين وصار صفيريّا . . ويبرز شكل التفخيم فيه اذا وقـع مع الألف والـواو المـدية ، فان وقع مع الياء المدية انعدم ذلك فيه وان اقـترن بحـروف استعـلائيـة ظاهـرة ظهر عليـه التفخيم اليسير طبيعةً لاتَكَلُّفـا مثـل «شططـا» . . و«شققنـا الأرضَ شَقّا» وهذا كائن في الشّين وان قال بالنهي عن تخشـين لفـظ الشّـين عند مجاورة الحروف المستعلية غير واحد من المصنفين . .
ومن ذاك أنّا اذا نطقنا بالشّين في «العرش» ساكناً كان لابُدّ من اعطائه مسحة من التّفخيم بسبب تفخيم الرّاء السّاكنة قبله ، فان لم نفخّمه اضطرب النُّطق به ، وفقد الجرس الصّوتي اتساقه، وأخلّ الانتقال من التّفخيم الى التّرقيق بالاستمـراريّـة التي تعتـبر أصـلاً صوتيـاً في هذا المقـام . . فان رَقّقنـا الشّين اضطـرّنـا ذلك الى ترقيق الرّاء المفخمة وهذا لايجوز لأن الرّاء هنا تظلّ على تفخيمها دون أن يتعرض هذا التّفخيم لِلتّخَلّف . .
وكـذلـك حين نقـرأ اللفظ القرآني «كالعِهْنِ المَنْفوش» تجد أن الشين تصيب نصيباً من التّفخيم اليسير ، لأنّ اجتياز الواو المدّية لايتلاءم والشين المرققة انما يتلاءم والشين المفخمة بعض التّفخيم . . . وكان هذا هو السّبب في تفخيم الرّاء السّاكنة بعد الواو المديّة مثل نَوْرْ وحَوْرْ لأنّ التّرقيق لاينسجم والواوات المَدِّيّة . . [٨]
وهنـاك من أثبت للشّـين شيئا من الاستعلاء يقع لها وسط اللسان وان لم يعدّ الحـرف من الحـروف المستعليـة . . لأن استعـلاءهـا دون استعلاء الحروف السبعة وقد أوضح ذلك المرعشي في رسالته . .

أمـا الألف فانهـا يعلق بها شيء من التفخيم بعـد حروف الاستعـلاء السبعة ونفى قوم ذلك فيها. والذي نراه أن التفخيم العالق بالألف هذه انما هو من بقـايـا التفخيم الكـائن في حروفـه، أي انـه حالة استمرارية لتفخيم الحرف الاستعلائي تظل كائنة في اللفظ ما زال راكباً جناح المدّ. . وقد جاء في «المنح الفكرية على متن الجزرية» ما أشار الى قول الجزري، «ان الألف اذا وقعت بعد حرف التّفخيم تفخّم اتباعاً لما قبلها نحو طال وقال والعصا، لأنَّ الألف لاحيِّـز لها حتى توصف بالـتَّرقيق والتّفخيم، فتكـون تابعـة لما اتصلت به». . والحقيقة أن التّفخيم والتّرقيق ليسا طرفين من أطراف النُّطق في الحروف ذات المخارج الخَطّيَّة، وذاك أن للتّفخيم منازل كمنازل التّرقيق فقد يكون التّفخيم مبالغاً فيه كما أن التّرقيق يكون مبالغاً فيه، . والمبالغة في كلّ منهما ممنوعة غير مقبولة، وهي من عيوب اللفظ. .

ومن هنـا نعلم أن تفخيم الحـرف وتـرقيقه قد يكون صناعياً أي غير جارٍ على السَّليقة، فلا بدَّ اذنْ من ضبط حالات التّفخيم والتّرقيق اعتماداً على المشـافهـة وعـدم التّأثّـر بلهجات الاعاجم ورطانتهم، وهذا يُعتَمُد فيه على التّمييز بين الألفاظ الفصيحة والألفاظ المتأثّرة باللهجات العاميّة . .

هوامش حروف الاستعلاء

(١) ـ في «لطائف الاشارات لفنون القراءات للقسطلاني» جاءت تسمية حروف الاستعلاء بالحروف العُلْويَّة . قال: وأما العلويَّة فسبعة أحرف جمعوها في «قظ خص ضغط» وسمّيت به لارتفاع اللسان بها عند النّطق الى أعلى الحنك . وسمّاها قوم بحروف التّفخيم . .

وقال البارذوي في «تعليم القارىء» في الكلام على حروف الاستعلاء «ووصفت بذلك لارتفاع اللسان عند النّطق بها فيعلو الصّوت معها ويترتّب على الاستعلاء التّفخيم .»

(٢) ـ ان تفخيم الظّاء مسألة نسبيةً عند مقابلتها بالذّال . فان قابلناها بالضّاد فقدت كثيراً من مذاق التّفخيم هذا . .

وما نسب الى الحرف من صفة الاطباق قد لايكون دقيقاً ولا بعض الدّقّة حتّى أن الاستعلاء فيه دعوى اعتباطيّة أيضا . وانما هو ـ أي حرف الظّاء ـ حرف مماثل مماثلة ظاهرة لحرف الذّال الذي هو حرف غير استعلائي ولكنا لانملك عند تعداد حرف الظّاء الاّ أن نعدّه في الاستعلائيات لسبب واحد هو الحاجة للتمييز بين الظّاء والذّال وان كان الواقع أن الظّاء تملك طاقةً يسيرة من التّفخيم على نحوما تملك اللام والرّاء والشّين وما هن بحروف استعلائيّة . متكاملة الاستعلاء .

على أن التّفخيم قد يكون صناعيّاً بفعل التّأثير الذي يقع على اللسان من سلطان اللهجات العامّية ولكن القواعد الأدائيّة هي التي تضع كل شيء في نصابه دون ترك الحبل على الغارب ولولا ذلك لفقدت الألفاظُ المنطوق بها في العربية طابعها الشّرعي الذي هو بتعبير آخر قانون الأداء الصّوتي . .

(٣) ـ المراد بالواو المرئيّة تلك الواو التي تلفظ على هيئة يصلح فيها أن تكتب لفرط وضوحها . . كأن يلفظ اللافظ «قال» بلفظ يشبه تمام الشّبه قولك : «قَوْلْ» بألف أعجميّة محوّلة الى واو . فاذا كان اللفظ كذلك بات من حقّ من يسمع هذا النّمط من الألفاظ أن يكتب الألف واوا . .

ويبدو أن بعض العرب كان يصنع هذا مع الاستعلاء وبدونه ولكن بامالة يسيرة : لا تنقلب فيها الألف الى واو صريحة مرئية ، وشاهد ذلك قوله :

تُبْـتُ الـيــكَ فَتَـقَـبَّـلْ تابـتـي
وصُـمْـتُ رَبّـي فَتَـقَـبَّـلْ صامـتي

فالمظنون أنّه مال بالألف ميلاً خفيفاً الى الواو للدلالة على أن الأصل في النطق هو الواو لأن اللفظ هو توبتي وصـومتي، ويمكن أن يعـدّ هذا نوعـاً من أنـواع الاشـمـام عرض للواو التي أشمّت رائحـة الألف فاتجهت الى وجهته. .

وفي الـرعـايـة ا ـ في صفـة الألف المفخمة هذه: «وهي أَلِفٌ يخالط لفظها تفخيم يقرّبها من لفظ الـواو. .» وفي الـوضـع الجديد» ـ ص ١٨٣ ـ قال وقد فسّرها الدماميني في «شرح التّسهيل» بأنها بين الواو والألف . . قلنا: ولا واقع في هذا لألف التفخيم.

وفي «عرف النّد» قال: «وبعضهم يضم ضاد الضالّين حتى تصير الألف واواً ويعتقدون أن ذلك من الامعان في التفخيم ولم يشعروا أن التفخيم هو تسمين الحرف لاتسمين حركته» . .

(٤) ـ قال مؤلف «علم التّجويد في تلاوة القرآن المجيد» ـ ص ١٦ ـ «ثلاث من هذه الحروف وهي الخاء والغين والقاف ترقّق اذا كانت مكسورة أو كانت ساكنة وما قبلها مكسور» . . وفَسر التّرقيق في هذه الحروف بأنّه تخفيف تفخيمها. .

وفي الواقع ان الحرف المُمال شبه مفتوح لأنا نرى الرّاء الممالة لاتفخم فلو كانت هناك فتحة عليها لفخمت ولَمّا رققت. . مثل مَجْرَيْهَا. .

وقد وصف في «مغنم الصبيان» هذا النمط من الحركات بأنها حركة فرعية ليست بكسرة خالصة ولا فتحة خالصة. .

(٥) ـ ومن هذا الكثيـر قولهم «بـارك الله» و «بـاضت الـدّجـاجـة» و «بـارود» وفي الفاء مثل «فاضل» .

«فـانـوص» و «فـار» و «فَـكّ» و «تأفّف» و «تفخيم» وغيـر ذلـك ولكن هذه الكثرة مهما كثرت لاتزكي الخطأ ولا تبيـح القيـاس عليـه. . على أنّ التّفخيم لايَطّـرد عند العامّة وانما يقع لهم في ألفاظ دون ألفاظ فقد نطقوا بالفاء الفصيحة في كلمة «فاس» و «فال» و «فايق» و «فالة» . . كما نطقوا بالباء غير مفخمة في «بال» أي ذهن وفكر وفي «بان» أي ظهر وفي «باب» لواحد الأبواب. . ونطقوا بالميم غير مفخمـة في مثـل «مـال» و «مـاع» و «مـاش» و «مـالح» الى جانب ميمات كثيرة فخموها اعتباطا مثل «مكة» و «مكرّم» والأمّ. .

وهم يميزون بين معاني اللفظ الواحد عند الترقيق والتفخيم، فهم ان قالوا «هَمّ» بالترقيق عنوا به الهمّ والغَمّ. فان قالوه بالتفخيم عنوا به الأكل والطعام بلغة الأطفال. فان قالوا «غمّ» بالترقيق عَنَوْا به الحزن فان قالوه بالتفخيم أرادوا به صورة من صور اللّطم والصّفع، فاذا قالوا «باعْ» بالترقيق فقد أرادوا الفعل من البيع فان قالوا «باع» بتفخيم الباء أرادوا الأمر برؤية شيء، أي انظُر من المباوعة في العامّية أي المشاهدة والنّظر.

وفخموا النّون حتى لم يبت فيها مذاق النّون حين قالوا «عَنْطَزْ» و «مَنْطِقْ» كما قالوا «بانْزين» بتفخيم النّون بعض الأحيان أو انّ ذلك مما يلفظه بعضهم.

(٦) ـ في «دراسة الصوت اللغوي» للدكتور أحمد مختار عمر ـ ص ٣٩٨ ـ عدت اللام المفخمة حرفاً مستقلاً.

(٧) ـ ان تفخيم الراءات المفخمة لايجري في مجرى الحروف الاستعلائية وانما يدانيها قليلا.
ومثل ذلك القول على الشّين عند اعطائها شيئا من التفخيم. وذاك لأن الاستعلاء يتطلب التفخيم أمـا التفخيم فلا يتطلب الاستعلاء. فان التّفخيم حالة تلقائية في الحرف وكذلك الترقيق ولكلٍّ مكانه في الأداء، أما الاستعلاء فعملية صناعيّة ذات تكييف خاص يلجأ اليه لجوءا.

(٨) ـ وهذا بخلاف قولنا «قول» فانّ الواو تتجانس واللام المرقّقة، والسّبب في ذلك، أن اللام لاتفشّي فيها، وهي تلفظ على قانون الاظهار وفي الاظهار مطاوعة تامّة لما قبله وما بعده.
أما الشّين فان التفشّي فيه يقتضي أن يكون الفم على هيئة يظهر معها هواء التّفشي من أدنى الفم، وهذا يقتضي عروض حركة اضافيّة للفم لكي يتمّ الرُّبط بين تعالي الواو بسبب التمام الشّفتين عليه وبين تدنّي الشّين بسبب ما يراد له من ترقيق غير متوافق.

المدود وأحكامها

المـدّ هوجَرَيـان النَّفَس في حرف مدّي مسبـوق بحـرف هجـائيّ متحرك بحركة ملائمة للشّكل المدّي ومسايرة له على أن يكون حرفُ المدّ هذا ساكناً سكوناً انسيابيّاً[1] . . والاّ امتنع وقوع المدّ فيه، غير أن القواعد هي التي تحدّد حدود هذا المدّ من طول ومن قصر وفق كل نوع من أنواعه المعلومة . .

وحروف المدّ ثلاثة هي الألف والواو والياء[2] . . ولايقع المدُّ فيهنَّ مالم يكن الحرف الهـجـائـيّ المـمـدود متـحـركـاً بحـركـة ملائـمـة لحرف المـدّ كالفتحة مع الألف ـ والأمر في هذا أي وقوع الفتحة مع الألف بديهيّ وجِبِلّيّ ـ والكسـرة قبـل اليـاء، والضَّمـة قبل الواو[3] . . كذلك لايقع المدّ من دون وجود حروفه المرئيَّة والمقدَّرة . . فان أريد للمدّ أن يقع عنوةً وتعسّفاً من دون أن يقـع على جذرٍ مدّيّ مرئي فهـو مجرَّد إشبـاع للحـركـة لايتحصـل منهـا شيء[4] . . على أن اشبـاع الحـركة دون وجود حرف مدّي مقدّر انّما يقع فيه اللحن في الشِّعر الاّ في الضروب الشّعريّة التي لايوقف بالحركة عليها ويختلّ به الـوزن كالـذي كان من المغني محمـد عبـدالوهاب عندما أشبع الكسرة في «شئتِ» الواردة في البيت التاليَ المتغنىّ به ـ

قالــت سرَرت الأعــداءِ قُلتُ لها ذلــك شيءٌ لو شئــت لم يَكُــنِ

٢١٢٢ / ١٢٢٢ / ٢١١٢ ٢١١٢ / ١٢٢٢ / ٢١١٢

مستـفـعـلن مفـعــولاتُ مفـتـعـلن مفـتـعـلن مفـعــولات مفـتـعلن

ففي مدّ التّاء في «شئت» لتلفظ «شئتي» انكسار للشّعر وتغييرٌ لوزنه اذ يكون

وزنه :

قالـت سررت الأعـداء قلت لها ذلـك شيء لو شئتِ لم يَكُـن

٢١٢٢/ ١٢٢٢ /.٢١١٢ ٢١١٢/ ٢٢٢٢/ ٢١١٢

مستفعلن مفعولات مفتعلن مفتعلن مفعولاتن مفتعلن

فلقد انقلبت تفعيلة «مفعولات» - ١٢٢٢ - الى تفعيلة «مفعولاتن» - ٢٢٢٢ - وهـذا غير مقبـول، وانـما هومن دواعي انكسـار الشعر واضطراب وزنه في البحـر الـذي هومنه وهو المنسرح . . وكالذي فعلته فيروز المغنّية حين غنّت بالبيت الشعري التالي -

بغـداد والـشّعـراءُ والـصُّـوَرُ ذَهَـبُ الـزَّمـانِ وضَـوْءُـه الـعَطِـرُ

٢١٢٢/ ٢١٢١١/ ٢١١ ٢١٢١١/ ٢١٢١١/ ٢١١

مُتْ فاعـلن مُتَـفـاعـلن فعـلن متـفـاعـلن متـفـاعلن فعلن

فانهـا مدّت الهمـزة في الشعـراء مَدّاً مُشبَعـاً فخـالفت بذلـك قواعـد الأداء والعروض معا . . اذ صار الوزن على النحو التالي -

بغـداد والـشُّعـراءُ والصُّـوَر

٢١٢٢ / ٢٢٢١١ / ٢١١

مُت فاعـلُنْ متفـاعيـلن فـعلن

وهذا كسرٌ للشّعر لاندري كيف توَهَّمتْ أنَّ النَّغم يستره وهو لم يستره ولن يسـتره . . واذا كان لايجوز اشبـاع الحركة في غير مواقع الاشباع أي في غير المـواقـع التي يكـون فيهـا جذرٌ مدّيّ فانه لايجوز هدرُ المد والغفلة عنه كالذي فعلته أمّ كلثوم المغنّية عند قراءتها البيت الشّعري -

هل من سبيـل أنْ أبثَّ صبـابـتي أو أشتـكـي لمواي أو أتَـوَجَّـعـا

٢١٢٢ / ٢١٢٢ / ٢١٢١١ ٢١٢٢ / ٢١٢٢ / ٢١٢١١

مت فاعـلن مت فاعـلن متَـفـاعـلن مت فاعـلن مت فاعلن متفـاعلن

فانها قرأته بلفظ -

هل من سبيـل أن أبـث صبـابـتي أو أشتـكِ بلوَاي أو أتـوجعـا

١١٢٢ / ٢١٢٢ / ٢١٢١١

مت فاعلُ مت فاعلن متفاعلن

فقُلبت تفعيلة «مُتْ فاعِلُنْ» - ٢١٢٢ - الى تفعيلة «مُتْ فاعِلُ» - ١١٢٢ -. وبهـذا انكسـر وزن الشّعـر اضافة الى حذف حرف العلة في «أشتكي» دون وقـوع ما يستـوجب حذفـه ، فكـانت الغلطـة الأدائية مُتْبَعَةً بغلطةٍ عروضيّة وأخـرى نحـويَّـة صرفيَّـة . . وكالذي فعله «القُبَّنْجي» المغنّي البغدادي عند غنائه قول الشاعر:

انـي اغـنّـي وقـلبـي كلُّه ألَـمُ

٢١٢٢/ ٢١٢/ ٢١٢٢/ ٢١١

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

فانه قرأ. «أُغنّ» بدون ياءٍ أي بكسرة لا ياءَ معها، وهو خطأ لا تتناوله قواعد العروض، انّما تتناوله قواعد الأداء واللغة لأن ياء «أُغَنّي» لا يصح حذفها الاّ بجازم يجزم الفعل فانْ انعدم وجَبَ إثبات الياء والنطق بها(*). .

وفيما يلي كلام على أنواع المدود بأوصافها ونماذجها . .

١ - المدّ الطّبيعي . .

ينشأ المدّ الطّبيعي في المقطع الصّوتي الزّوجي عند وجود أيٍّ من حروف المدّ فيـه على أن يكـون حرف المـدّ ساكناً سكوناً انسيابيّاً وأن يكون ما قبله محرَّكاً بحـركـةٍ ملائمة لهوى الحرف ، كأنْ يكون الحرف واواً فتكون الحركة الملائمة له والتي تأتي قبله هي الضّمّـة . . أو كأنْ يكـون الحـرف ياءاً فتكون الكسرة هي الحركة الملائمة له . .

والمدّ الطّبيعيّ على بساطته أدقّ مَدّ بين المدود وهو أقصرها مسافةً وزمناً . . إذ لا يجوز أن يزيد مداه الزّمني على حركتين أي رفع اصبع وخفضها . . وقد ينجرف القارىء في تيّار النّغمة فيزيد في مسافة المدّ الطّبيعي زيادةً ظاهرة، فيخرج بذلك على قانون المدّ بمجاوزته مقداره المقرَّر . .

أمّا المغنّون[1] والمؤذّنون فيسمح لهم بهذا التّجاوز في الطّبيعي وغيره فقد نقَلَ مؤلف «الدُّرّ المرصوف» عن «الحرز الثّمين شرح الحصن الحصين للملاّ علي القاري» أنّه استحبَّ المشايخُ والعلماءُ أن يَمُدَّ الذّاكرُ صوته في لا إله الاّ الله قدرَ خمس ألفات فانه اكثر ما ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم عند القراءة مع تجويز القصر . . وكذلك في لفظ الجلالة وصلاً جَوَّزوا مدَّه ثلاث ألفات على المختار للتعظيم» . .

وقد لبث مؤلف «الدُّرّ المرصوف» ينكر على المقرئين مجاوزتهم الحَدَّ في المدّ الطَّبيعيّ اذ نراه يقول : «اذا زادَ في المدّ الطَّبيعي الأصليّ على حَدّه العُرْفيّ بأن جعله قدر ألفين أو أكثر كما يفعله أكثر الأئمة من الشافعيّة والحنفيّة في الحرمين الشريفين المحترمين فانّه قبيح محرَّمٌ، لاسيّما وقد يقتدي بهم بعض الجَهلة ويَستَحسِنُ ما صَدَر عنهم من القراءات» .

وأنكر الشيخ مكي نصر في كتابه «نهاية القول المفيد في علم التجويد» على من زادَ في المدّ زيادته هذه سواء أكان من المقرئين أم كان من المؤذّنين . . قال :

«فما يفعله بعض أئمة المساجد وأكثر المؤذنين من الزيادة في المدّ الطَّبيعي عن حدّه العُرْفيّ أي عُرفِ القرّاء فمن أقبح البدع وأشدّ الكراهة لاسيما وقد يقتدي بهم بعض الجَهلة من القرّاء . .»

أما مفهوم مصطلح الحركة فهي رفع أصبع أو خفضها، فاذا رفعتَ الاصبع ثم خفضتها كان مجموع ذلك مقياساً للمدّ الطّبيعيّ المقدّر أي كان مجموع ذلك حركتين، على أن يقع رفعُ الاصبع وخفضها بقياس لاتكلُّفَ فيه ولاتباطؤ ولاتعجُّل ولاتوقّف بين الرفع والخفض مهما كان هذا التوقف قليلاً[٧]. .

ولا بُدَّ أن تكون مع وجود حرف المدّ أسبابٌ معلومة للمدّ يسميها بعض المصنّفين شروط المدّ وهي في الطّبيعي ملاءمَةُ الحركة لحرف المدّ، وانسيابيَّةُ السكون فيه، . وفي المدود الأخرى هناك شروط وأسباب غير التي في المدّ الطّبيعي يشار اليها في مكانها[٨] . . ومن نماذج المدود الطّبيعيّة في التّنزيل العزيز-

والنَّجْمِ اذا هَوى. .
ماضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غَوى. .
وما يَنْطِقُ عن الهَوى. .
إنْ هُوَ الاّ وَحْيٌ يُوحى. .
عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى. . النَّجم ١و ٢ و٣ و٤ و٥
والشَّمسِ وضُحاها. .
والقَمَرِ اذا تَلاها. .
والنَّهارِ اذا جَلّاها. .
واللَّيْلِ اذا يَغْشاها. . الشَّمس ١ و٢ و٣ و٤
«سبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأعلى. .
الذي خَلَقَ فَسوّى. .
والذي قَدَّرَ فَهَدى. .

والذي أخرجَ المرْعىٰ . .
فَجَعلَهُ غُثاءاً أحوى. . الأعلى ١ و٢ و٣ و٤ و٥
«والله جَعَـل لَكم مِنْ بُيـوتِكمُ سَكنـاً، وجَعَـلَ لكُمْ من جُلود الأنعـام بُيـوتا تَسْتَخِفُّـونهـا يَوْمَ ظَعنِكمُ ويَومَ اقامتكُم ومِنْ أصوافِها وأوبارِها وأشْعارها أثاثاً ومَتاعاً الى حين. . النحل ٨٠
«والضّحى . .
واللّيْلِ اذا سَجى . .
ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلى . .
ولا الآخرةُ خيرٌ لكَ من الأولى . .
ولَسَوْفَ يُعطيكَ رَبُّكَ فتَرضى . . الضُّحى
اذا زُلزلَت الأرضُ زلْزالها . .
وأخْرَجَتْ الأرضُ أثقالَها . .
وقالَ الانسانُ مالَها . . الزَّلزلة
هل أتى على الانسان حينٌ مِنَ الدُّهر لَمْ يكن شَيئاً مذكورا . .
انّا خَلَقْنا الانسانَ مِنْ نُطفَةٍ أمشاجٍ نبتليهِ فَجعَلناهُ سَميعاً بصيرا . .
انّا هَدَيْناه السَّبيلَ إمّا شاكراً وامّا كفورا . . الدُّهر ١ و٢ و٣
ويلحق بالمدّ الطّبيعيّ أكثـر من نوعٍ، منهـا ما يقـال له مَدُّ الصِّلَة . . وهو مدٌّ يقـع لضمـير الغـائب المفـرد المذكر وقد يقع لغير ذلك مثل «انَّ هذهِ تَذْكِرَة»
ومن ذلك كذلك: «هذه ناقة الله لكم آية . . » فانّ الهاء في هذه من أوعية مدّ الصّلة وان لم تكن من الضمائر . .
على ان يكون ماقبل الهاء متحرّكاً غير ساكنٍ الا في الشعر فانّه يقع فيه وفق النّظم العَـروضيّـة . . والأصـل في هذه الضمائر أنها تبدو مقرونةً بواوٍ وياءٍ

مقدَّرتين.

ومن نماذج ذلك -

«وأسْبَغَ عليكُمْ نِعمَهُ ظاهرةً وباطِنَة» لُقمان ٢٠

فان الهـاء في «نعمَـهُ» تمدّ مدّا طبيعيا بسبب مايعلق بها من واوٍ مقدَّرة

«انَّهُ كانَ ظَلوما جَهولا». . الأحزاب ٧٢

فالمدّ هنا ظاهرٌ على الهاءِ التي في «انَّه»، اذ إنَّ المقطع الصَّوتي المؤلّف من هاءِ الضّمير هو في الواقع مؤلَّف منها ومن واوٍ مقدّرة غير مَرئيَّة، ويُعَدُّ ذلك في قواعد العَروض مما يُرى ويُكْتب. . .

«ثُمَّ أماتَهُ فَأَقْبَرَهُ». . عَبسَ ٢١

وانما يكون المدّ في هاءِ «أماته» عند عدم الوقوف عليها، وذاك لأنَّ مدود الصِّلة تقع في الدَّرْج لا في الوقف

«وعندهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لايَعْلَمُها الاّ هُو». . الأنعام ٥٩

المَدّ كائنٌ في هاءِ عندهُ. . أما «هُو» التي في آخر النَصّ فانها مدّ طبيعيّ نَشأ بسبب الوقوف بخلاف مَدّ الصِّلة الذي ينشأ بسبب الدّرج واستمرارية قراءة الألفاظ. .

«فَاسأَلْ بِه خَبيرا». . الفُرقان ٥٩

المَدّ هنا في هاءِ «به» فانَّ وراء الهاءِ ياءاً غيرَ مرئيَّة أي ياءاً مقدَّرة. .

«انَّهُ كانَ بعبادِهِ خبيراً بَصيراً» الاسراء ٣٠

المَدُّ كائنٌ على الهاءِ في «انَّهُ» وعلى الهاءِ في «بعبادِهِ» والأول من المَدَّينِ مقدَّرةٌ له الواو، والثاني مقدرة له الياء. .

«ومن يَخْرُجْ مِنْ بيتِهِ مُهاجراً الى الله ورَسولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقدْ وَقَعَ أجرُهُ على الله» النِّساء. الآية المئة

فانَّ مدُّ الصِّلة وقع في هاءِ «بيتِه» وهاءِ «رسوله» وهاء «أجرُهُ».
«سُبحـانَ الـذي أسْـرى بعبْـدِهِ لَيـلاً مِنَ المَسجـد الحَـرام الى المَسْجـدِ الأقصى». . الاسراء، الآية الأولى.
المدّ واقعٌ في النَّصّ على هاء «بعبده» بتقدير ياءٍ كائنة بعدها. .
وظاهرٌ من ذلك أنّنا نرى عند تذوُّق مَدّ الصِّلة أنَّ المقطع الفرديّ قد آل الى مَقطَع زوجيّ. . ومن نماذج مدود الصّلة ـ
«يَوْمَ يَفِرُّ المَرءُ مِنْ أخيهِ وأُمِّهِ وأبيهِ وصاحبتِه وبنيه» . . عَبسَ ٢٤ و ٢٥ و ٢٦
فانَّ المدَّ كائنٌ في هاء أمّه وصاحبتِه. . وانّما أُلحِقَ هذا المدُّ بالمدّ الطَّبيعي لأنّه مبنيٌّ على ما بُنِي عليه المدّ الطَّبيعي من وجود حرفِ مَدّ غير مصحوب بسبب خارجيّ سوى ما حُدِّدَ لذلك من السّكون الانسيابّي، ومواءمةِ الحركات لحروف المدّ. .
ففي مدّ الصِّلة يُتَصَوَّرُ وجودُ واوٍ وياءٍ بعدَ هاءِ الضَّمير ـ وما اليه ـ وان كان هذان الحرفان غير مكتوبين ولا مثبتين الاّ في الذّهن. . على أن العروضيين يكتبون هذه الواوات والياءات عند التقطيع. .
أما ما كان من الهاءات الكائنة في بناءِ الكلمة فلا مدُّ صلةٍ فيها كالهاء في: «كـلاّ لِئنْ لَمْ يَنْتَـهِ» فانّها لاتُمَدّ مَدَّ صلةٍ لأنها من بعض حروف «ينتهي». .
ومثـل ذلك الهاء في «نفقه» من قوله تعالى: «قالوا ياشُعَيبُ ما نَفْقَهُ كثيراً مِمّا تقـول». . ومثـل ذلك الهاء في لفظ الجلالة فلو مُدّت لخولف في مَدِّها قانونُ مَدّ الألفاظ كالذي فعله الشّاعر
اذ قال ـ

جَزى اللّـهُ مُؤَلِّـفَـهـا بخـيرٍ
وأسْـكَـنَ روحـه غُرَفـاً منـيـفـة

وهـو شاعـر متأخـر مَدُّ الهـاء في لفظـة الجـلالـة مدُّ صلة على وجـه التّـوهُّم والخطأ . . والـذي دعـاه الى ذلـك أنـه وجـد الشِّعـر ينكسـر بغـير هذا المدّ فَمَدَّه . . ومثل ذلك هاء «فواكه» في «لَكُم فيها فَواكهُ كثيرة» . . ولكن فواكه وما اليها يقع لها مثل مدّ الصّلة في الشِّعر لاسيّما في الرَّويّ وعند الوقوف عليها منصـوبـةً بسبب اقـترانهـا بألف الاطـلاق، وهو نَمطٌ من مدّ الصِّلة خاص بالشِّعـر ولا يستعمـل منـه شيء في كتـاب الله . . وان كان المصطلح الأدبي لايعرفه باسمه . .

أما ما كان من مثل قولهم «مُنْتَهٍ» «ومُشتَهٍ» فانَّ الهاء لاتمدُّ في ذلك مدَّ صلة الآّ في ضَرْب البيت، أو عند تصريعه فيكون بذلك للشاعر أن يَمدَّه مدَّ صلة في عَروض البيت كذلـــك . . واستثُني من الـوقـوع في حكم مدّ الصِّلة ـ وان توفـرت شروط المـدّ ـ هاءُ الضَّمير في قوله تعالى : «وانْ تشكُروا يَرْضَهُ لكُمْ» فلقـد جاءَ في «فنّ الـتَّرتيـل» للأستـاذ عبد الله توفيق الصَّبّاغ ـ حاشية ٣١ ـ قوله : «وقد تتوفَّر الشُّروط المتقدمة ولا تمدّ كقوله تعالى : وإنْ تَشْكرُوُا يَرْضَهُ لكُمْ» . . الزُّمَر ٧

وفي كتـاب «سبعـة أبـواب في علم التَّجـويد» لمؤلفه عبد الحميد بن أحمد الحديثي . ـ خطيب الكاظمية ـ عَلَّل استثناءِ الهاء في «يَرضَهُ» من مدّ الصّلة بكـونهـا مجزومـة بجـواب الشَّـرط . . في حين أن الجزم وقع على الضّاد التي حذفت منهـا الألف وكـان أصلُها «يَرْضاه» أمّا الهاء فهي ضمير وليست من صلب اللفـظ . . ونـرى أنّ هدر المـدّ فيهـا والغـاءه انما وقع لغرضٍ نغميٍ

إلقائيّ ولصرف الاشتباه في أنَّ هاء الصِّلة ليست ضميراً مفصولاً موقوفاً عليه أي «يرضى هُوَ» . .

وقد جاء في النّص القرآني نصٌ كان الضَّمير فيه مسبوقاً بسكون ولكنّه مُدَّ مَدَّ صلة وذاك هو قوله تعالى «ومَنْ يفعل ذلكَ يَلْقَ أثاماً يُضاعَفْ له العَذابُ يومَ القيـامَـة ويَخْلُدْ فيـه مُهـانـا» . . فانّ الهـاء في «فيـه» تمدّ مدَّ صلة للتعّبير عن انغماس هذا الآثم في النّار . . وهو تعبير صوتيٌّ إلقائيٌّ أريد به تجسيدُ المعنى العقابيّ الذي يستحقّه . . أمّا قواعد العروض فانّها تجيز المَدَّ في هذه الضَّمائر ان كان ما قبلها ساكناً دون استثناء . .

وممـا يلحق بالمـدّ الطَّبيعي مدٌّ يقـال له مدّ التَّمكـين وهـو ما يقـع عند تعاقب واوين أو يـاءين على هيئـة المدّ ووفق شروطه ـ وقد يلحق بعض ذلك بالمدود المنفصلة والعارضة[11] ـ

ومن ذلك في الياء «أفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوَّل» ومنه «يُحْيِيها الذي أنشأها أوَّل مَرَّة» ومثـل ذلـك «انَّ كِتـابَ الأبْـرار لفي عِلِّيِّـين» ومثله «واذا حُيِّيتُمْ بتَحِيَّة فَحَيُّوا بأحسنَ منها» . .

وفي الـواو «أفَمَنْ كانَ مُؤمنـاً كَمَن كانَ فاسقـاً لا يستـوُون» ومثله «فَأْوُوا الى الكَهفِ يَنْشُـرْ لكُم رَبُّكُم مِنْ رَحمَتِـه» ومثله «ليبـديَ لَهُما ما وُوري عنهـما مِنْ سَوآتِهما» ومثله «اذ تُصعِدونَ ولا تَلْوُون» . .

ولا يشترط التّشديد في الياء ولا في الواو ليكون ما بعده مَدّ تمكين على ماجاء في كثير من المصادر . . وفي الألفاظ العربيّة غير القرآنيّة تَعيِين وتزْيين وتبْيين

ومَغْنِيِّين وأنانِيِّين ومَنْسِيِّين ويَرعَوون ويرتَوون ومَدعُوُّون ومُكتوون . .

أمـا الشيـخ مكّي الجـريسي فانه مَثَّلَ لمدّ التّمكين ـ في كتابه «القول المفيد في علم التّجـويـد» ـ بنحـو «آمنـوا وعملوا» في الـواوين ، وبنحـو «في يَوْمَيْن» في الياءين . . وقال : «فيجب الفصل بين الواوين أو الياءين بمدّةٍ لطيفة بمقدار المدّ الطبيعي حذراً من الادغام أو الاسقاط» .

٢ ـ المدّ المتّصل .

سمّي متّصـلاً لاتصـال سبب المـدّ الذي هو الهمزة بحرف المدّ الذي هو أحد الحـروف الثّـلاثـة وهو في الأصل مَدٌّ طبيعيّ جاءت بعده همزةُ قَطْعٍ في ذات الكلمـة بحيث يصلح أن يتألف من حرف الهجـاء والمدّ والهمزة مقطع ثلاثيّ فيقـال مٰاءْ . . وبهـذا انقلب المـدّ الطّبيعي الى مَدٍّ من شكل آخر يقال له المدّ المتّصل وله غير ذلك من أسماء [١١] . .

ومن نماذج هذا المدّ سَماءٌ وماءٌ وبناءٌ ووضيءٌ ويجيء ونسيئةٌ ومشيئةٌ وسوءٌ وينوءُ ونُبوءَةٌ ونُشوءٌ و لُجوءٌ . . ويمدّ هذا المدّ ستّ حركات ومن نماذجه في التّنزيل العزيز: [١٢] ـ

«فانْ كُنَّ نساءاً فوق اثنتين فلَهُنَّ ثُلثَا ماتَرَك . . » النّساء ١١

انّ كلمة «نساء» اجتمع فيها الألف وهو حرف المدّ بالهمزة التي هي من بعض أسبـاب المـدّ . . أي ان ذلـك وقـع في كلمـة واحدة كسائر نماذج المدّ المتّصل المستشهد بها . .

«ما أفاءَ اللّهُ على رَسولِهِ مِنْ أهْلِ القُرى» . . الحشر ٧

«وأمّا السّائلَ فَلا تَنهَر» . . الضّحى

«قُلْ اللّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤتي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ، وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ، وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ انَّك على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ» . .
آل عمران ٢٦
«مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلكَ لا الى هؤُلاء ولا الى هؤلاء . . » النِّساء ١٤٣
«وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّم يَوْمَئِذٍ يَتذَكَّرُ الانْسانُ وأَنّى لَهُ الذِّكْرى» . . الفجر ٢٣
«فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجوهُ الذين كَفروا» . . ٢٧ الملك
«كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ في الأيّام الخالية» . . الحاقَّة ٢٤
«بلى مَنْ كَسبَ سَيِّئَةً وأحاطتْ بِهِ خَطيئَتُهُ فأولئك أصحابُ النّارِهُمْ فيها خالدون» . . البقرة ٨١
«انَّما النَّسيءُ زِيادةٌ في الكُفْرْ . . » التوبة ٣٧
«فَانْ طِبْنَ لكُمْ عَنْ شَيءٍ منه نَفْساً فَكُلوه هَنيئاً مَريئا» . . النّساء ٤
«ومَنْ يَكْسِبْ خَطيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَريئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتاناً وإِثْماً مُبينا» . .
النِّساء ١١٢
«ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْيَظلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَستَغفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غفوراً رَحيما» . .
النِّساء ١١٠
«إنِّي أُريدُ أَنْ تبوأَ باثمي واثمِك فَتَكونَ مِنْ أَصْحابِ النّار» . . المائدة ٢٩
«والمُطلَّقاتُ يَتربَّصْنَ بأنفسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُروء» . . البقرة ٢٢٨
«ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الذين أساءوا السُّوأى . . » الروم ١٠
فهذه نماذج قرآنيَّة مما جاءت فيه المدود المتَّصلة بحروفها الثَّلاثة . .

ويجب العلم أنَّ الهمزة اذا سبقت حرف المدّ فانَّما هو مدٌّ طبيعيّ لا غير مثل آدم، وإيلافهم، وأوذينا، واقرأوا، وتسميته بمدّ البَدَل لا حصيلة فيها عندنا ولا طائل . .

ويمـدّ المـدّ المُتّصـل ستّ حركات على وجه الوجوب . . يستوي في ذلك ماكـانت همزتُـه متحـركةً وما كانت همزتُه ساكنةً موقوفاً عليها . . لأنّ السَّبَبَ والحرفيَّة ما داما قد اجتمعا في المقطع المديّ أو اللفظ الواحد فلا عبرة بحالة السُّكون فهو هنا والحركة شيء واحد . .

٣ ـ المدّ المُنفصل . .

وهـو ذات المـدّ المتَّصـل غير أنَّ الهمـزة التي تلي حرف المدّ تكون في كلمة أخرى تَردُ تِلوَ الكلمة المختومة بحرف المدّ بحيث لاتصلح أن يتألَّف منها ومن حرف المـدّ مقطـعٌ ثُلاثي . . ففي «أتى أمْـرُ الله» لايقال «أتاءْ» وتوضيح ذلك اننـا في كلمـة «مـاءٍ» نلفظ مقطعين أولهما زوجي وهو لفظة «ما» والثاني الهمزة المنونـة فانْ لم تلفـظ منـونـةً كانت مقطعـاً فرديًا . . فاذا شئنا نطقنا المقطعين مقطعاً واحداً على هيئة مقطع ثلاثي فنقول «ماءْ» باسكان الهمزة والنُّطق بها مع ما قبلها مرَّة واحدة . . ولكنَّ هذا اذ يقع في المدود المُتَّصلة فانه لايقع مثله في المدود المُنفصلة لأنَّ الهمزة الآتية فيها بعد حرف المدّ لاتكون مُؤهَّلةً للنُّطق بها مع الحـرف في مقطـع ثلاثي واحـد . . ففي «انّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَر» لاتنطق همزةُ «أعطيناك» ضمن المقطع الذي يسبقها وهو «نا» فلايقال «ناءْ» . . ولكن القــدمـاء عبرّ وا عن هذا المعنى بوجـود الهمـزة في كلمـة أخـرى على حين لايستعمل في الصَّوتيات مثل هذا المصطلح . .

والمـدّ المُنْفَصِـل جَوازيّ غير وجـوبيّ على أنَّ الجـواز يرتبـط هنا بفهم معاني النُّصـوص المقـروءة لأنّ الخيار والجوازيَّة ليست أمراً اعتباطياً وانّما يرتبط ذلك بما اذا كان القـارىء قد علم أنّ قَصْـرَ المـدّ أولى من اطـالتـه بمقتضى معاني مايقـرأ من النُّصـوص القـرآنيـة ، وما يليق لذلك من قَصْر ومدّ . . وفي كتاب «فنّ الالقاء» قال «أما أكثره وأطوله فهو في رأيي وفي رأي كثير من المتكلمين

في علوم الحروف انّها يتبع المعاني». . وهو يعني أكثر المدّ وأطوله . .
ويمدّ المنفصل من حركتين الى ستّ حركات على الشّرط الذي أسلفناه .
ومن نماذجه في التّنزيل -
«لا أقْسِمُ بهذا البَلَدِ». . البَلَد
«انّا أنْزَلْناه في لَيْلةِ القَدْرِ وما أدراك ما ليلةُ القَدْرِ». . القَدْر
«انّا أعطَيْناكَ الكَوْثَر». . الكَوْثَر
«وما أدْراكَ ما الحُطَمَة». . التّكاثُر
«وما أدراك ما القارعة». . القارعة
«لايَصْلاها إلاّ الأشْقى». . الليل ١٥
«وما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوه». . الحَشْر ٧
ومـا مَرَّ من النّصـوص يلاحـظ فيـه أنّ الهمـزة جاءت بعـد ألف المـدّ، وفي النّصوص التّالية ترى الهمزة آتيةً بعد واو المدّ . .
«وَبشِّر الذين آمنوا أنّ لَهُم قَدَمَ صِدْقٍ عِند رَبِّهم». . يونس ٢
«فَسَجَدوا الاّ إبْليس». . البقرة ٢٤
يلاحظ أنّ في هذا النّصّ مَدَّيْن الأول في دال سجدوا اذ جاءت بعده الهمزة أوّلَ «الاّ»، والثاني في ألف «الاّ» اذ جاءت بعده همزة «إبليس». .
«واتّقوا الله واعلَموا أنّكم مُلاقوه». . البقرة ٢٢٣
فانّ المـدّ كائنٌ في ميم اعلمـوا المـرتبطـة بواو المـدّ، وقـد جاءت بعـده همزة «أنّكم». . أمّا كلمة «اتّقوا» فلا مَدَّ فيها لأنّ الذي جاء بعد حرف المدّ الذي هو الـواو همزةُ وصـلٍ لاهمزة قَطْـع . . ولا شأن لهمزة الوصل في هذا الأمر . . لأنّ جذر المـدّ الـطّبيعيّ قد بات متخلفـاً بسبب همزة الـوصـل وبـذلـك لم يَعُدْ للمدّ المنفصل مكانٌ مكانه . .

وكما قلنا قَبْلاً ان من تفرعات المدّ المنفصل ما يسمّى بمدّ التّمكين مثل:
«فَأْوُوا الى الكهف».. الكهف ١٦
«وإنْ تَوَلَّوْا فاعلَموا أنَّ الله مَوْلاكُمْ نِعْمَ المَولى ونِعْمَ النَّصير..» الأنفال ٤٠
«فقالوا أَبَشَرٌ يَهدونَنا».. التَّغابن ٦
«وإذا رآك الذين كفروا إنْ يَتَّخِذونَكَ إلاّ هُزُواً».. الأنبياء ٣٦
«أَلَمْ تَعْلَموا أنَّ أباكُمْ قَدْ أخَذَ عليكُمْ مَوثِقاً مِنَ الله».. يوسف ٨٠
«قالوا أإنَّكَ لأَنْتَ يوسُف».. يوسف ٩٠
«قالوا انّا أُرسِلْنا الى قَومٍ مُجرمين».. الحجر ٥٨
ومن نماذج ما جاءت فيه الهمزةُ بعد الياء المدِّيَّة ـ
«فَلْيَعْبُدوا رَبَّ هذا البَيتِ الذي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جوع».. قُرَيْش
«إنّي أرى مالاتَرَوْنَ».. الأنفال ٤٨
«أنّي أخاف الله رَبَّ العالمين».. الحشر ١٦
«قالت يا أيُّها الملأُ أفتوني في أمري».. النَّمل ٣٢
«وأمَّهاتُكمُ اللاتي أَرْضَعْنَكُمْ».. النِّساء ٢٣
«قُلْ ما يَكونُ لي أن أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلقاءِ نَفْسي».. يونس ١٥
«ولَقَدْ كَرَّمنا بَنِي آدمَ».. [١٣] الاسراء ٧٠

ويلحق بالمدّ المنفصل ضربٌ من مدّ الصِّلة وهو أن تأتي بعد ضمير الصِّلة همزةُ قطع في كلمة ثانية ويكون حكمه في المدّ حكم المدّ المنفصل تماماً لأنه آتٍ على تقدير واوٍ أو ياءٍ محذوفتين في الكتابة ظاهرتين في اللفظ.. ومن دأب العروضيّين أنهم يكتبونهما خطّاً ويَزِنون بهما التَّفاعيل العروضيَّة ويعدّونهما مقاطع زوجية لا فردية..

ومن نماذج ذلك في الواو غير المرئيَّة أي غير الظّاهرة ولا المكتوبة..

«لايَأْكُلُهُ إلاّ الخاطِئون». . الحاقّة ٣٧
«يحسَبُ أنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ». . الهُمَزَة
«فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ ولا يوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ». . الفجر ٢٥
«فَإلَهُكُمْ إلَهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِموا». . الحجّ ٣٤
«وإنْ تَعاسَرْتُم فَسَتُرْضِعُ له أُخْرى». . الطّلاق ٦
ومن نماذج ذلك في الياء غير الظّاهرة ـ
«ومَنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لكم مِنْ أَنْفُسِكُم أَزْواجا». . الرّوم ٢١
«وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءاً فأخْرَجنْا بِهِ أزواجاً مِنْ نَباتٍ شَتّى». . طه ٥٣
«وما كانَ لَكُم أنْ تُؤذوا رسولَ الله ولا أنْ تَنْكِحوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعدِهِ أبدا». . الأحزاب ٥٣
«ومن آياته أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُراب». . الرُّوم ٢٠
«وإنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدةً». . المؤمنون ٥٢

ويشترط في هذا النّمط من مدّ الصِّلة الذي يمدّ ستّ حركات ما كان مشترطاً في مدّ الصِّلة الطَّبيعي الذي يُمدُّ حركتين أي أن لا يكون ما قبل هاء الضَّمير او هاء الصِّلة ساكناً . . مثل عليه واليه وعنه ومنه وفيه ونحو ذلك . . فلا تمدّ الهاء في النص التالي ـ لأنّ ما قبلها ساكن ـ «ولَوْ رَدُّوه الى الرّسولِ والي أولي الأمرِ مِنهُم». النّساء ٨٣. ومثل ذلك في آيات الفجر: ـ «فَأمّا الانْسانُ اذا ما ابْتلاهُ رَبُّه» فلايقع مدّ الصِّلة في هاءِ ابتلاهُ لذات العلّة . .

٤ ـ المدّ العارض . .

وهو مدٌّ يقع بسبب سكونٍ عارضٍ غير بنائي ، ولا يكون الاّ عند الوقف على المقطع الذي لابدّ أن يكون ثلاثيّا أي أن يكون من ثلاثة حروف،

ولابُـدَّ أن يكـون ذلك كذلك في ما جذره مدّ طبيعيّ يجيء بعده حرفٌ ساكن هو في الأصـل متحـرك جرى له السّكون من أجل الوقف عليه . . أما في الدّرج فلاوجود للمدّ العارض وانما يكون الأمر فيه للمدّ الطبيعيّ لا غير . .

والمـدّ العـارض مدٌّ اختيـاريٌّ مسمـوح فيـه الاختيار في مقادير المدّ وعدد حركـاتـه لمن يُحْسِن الوقوفات القرآنية، ويعلم ما يكون منها حقيقاً بالمدّ التّام ومـا يكـون منها حقيقاً بالقصر، وذاك بمقتضى طبيعة الألفاظ القرآنية المُتْلُوَّة وما يتحصَّل منها من المعاني التي يتلاءم معها أحدُ الأمرين من اطالة المدّ على وجهـه التّـام أوقصـره الى حدّ المدّ الطّبيعي . . والّا اختلّت المعاني عند عدم ادراك هذه القواعد . .

ومن نماذج المدّ العارض وهو يقع على جميع حروف المدّ : ـ
«إنَّهُ مِنْ سُليْمَانْ» . . النمل ٣٠
«بَل الذينَ كَفروا في عِزَّةٍ وشِقاقْ» . . ص ٢
«أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَها واحداً انَّ هذا لشَيءٌ عُجابْ . . » . . ـ ص ٥
«وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبابْ» . . البقرة ١٦٦
«انَّ رَبَّنَا لَغَفورٌ شَكورْ» . . فاطر ٣٤
«انَّ رُسُلَنا يَكتُبونَ ما تَمْكُرونْ» . . يونس ٢١
«ولكنِّي أراكُمْ قَوْماً تَجْهَلونْ» . . هود ٢٩
«وما كُنّا مُهْلكي القُرى الا وأهْلُها ظالمونْ» . . القَصَص ٥٩
«قال ومِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لايَنَالُ عَهْدي الظّالمينْ» . . البقرة ١٢٤
«الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالمينْ» . . الفاتحة

٥ ـ المدّ اللازم . .

هو المـدّ الـذي يكـون فيـه السّكـون الكـائن بعـد حرف المـدّ لازمـاً غير

عارض[14] . . أي انّه من جماعةِ سكون البناء، وهو كذلك قائم على جذر المد الطبيعي الذي يتطلب المواءمة بين حرف المد وحركة ما قبله . . وهو كذلك ممّا يقع في المقاطع الثلاثيّة المؤلفة من ثلاثة أحرف ويكون المَدى الزمنيّ لمدّه مستغرقاً ستَّ حركات . .[15]

وقد ذكروا للمدّ اللازم أكثر من اسم ومن ذلك أنهم سمّوه مدّ العَدْل . . .

ومن نماذج المدّ اللازم في التّنزيل العزيز: -

«وَوَجَدَكَ ضالاًّ فَهَدى» . . الضحى

فالمَدّ اللازم كائنٌ في المقطع الثّلاثي «ضالْ» لأنّ سكون اللام فيه سكونُ بناء . .

«لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ ولاجانّ» الرَّحمن ٥٦

المدّ هنا كائنٌ في المقطع الثّلاثي «جانّ» . . سواء وُقِفَ على النّون المشددة أم لم يوقف عليها . .

«قُلْ أَفَغَيْرَ اللّهِ تأمُرونّي أعْبُدُ أيُّها الجاهلون» . . الزُّمَر ٦٤

فالمقطع الصّوتي الثّلاثي «رونْ» هو الذي جرى عليه المدّ اللازم . .

«ولا الضالّين» . . الفاتحة

«ولا آمّينَ البَيْتَ الحرامَ» . . المائدة ٢

«فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِما جاءك مِنَ العِلْمْ . . » آل عمران ٦١

فالمدّ اللازم في المقطع الثّلاثي «حاجْ» . . .

«الحاقَّةُ، ما الحاقَّةُ، وما أدراكَ ما الحاقَّة» . . الحاقّة ١ و٢ و٣

«ذلكَ بأنَّهُم شاقُّوا اللّهَ ورَسُولَه» الأنفال ١٣

«لاتَجِدُ قَوْماً يُؤمنونَ بالله واليومِ الآخِرِ يُوادّون مَنْ حادَّ اللّهَ ورَسولَه» . . المجادلة: ٢٢

في كل من المقطعين الثُّلاثِيَّين «وادّ» و «حادّ» مدّ لازم . .
«انّا رادوّه اليكِ وجاعِلوه مِن المُرْسَلين . . » القصص ٧
المَدُّ اللازم كائن في المقطع الثّلاثي «رادّ» . . في رادوه . .
«آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ على الله تَفْتَر ون» . . يونس ٥٩
المقطع الثلاثي «آل» هو المدّ اللازم في الآية . .
«أتُحاجّونيّ في الله وقَدْ هَدانْ» . . الأنعام ٨٠
هنا مَدّانِ لازمانِ في تحاجّونّي أولاهما «حاجّ» والآخر «جونّ» . .
«فَاسْأَل العادِيّن» . . المؤمنون ١١٣
«والصّافّات صفاّ» . . الصّافّات ١
«وانا لَنَحْنُ الصّافّونَ وانّا لَنَحْنُ المُسَبِّحون» الصّافّات ١٦٥ و١٦٦
«مُدْهامَّتان» . . الرَّحمن ٦٤
«آلآن وقَدْ عَصيْتَ قَبْلَ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدين» . يونس ٩١
«فـاذا جاءت الطّـامَّة الكُبر ى . . يَوْمَ يَتَذَكرُ الانسانُ ماسعَى» . . النازعات الآية ٣٤ و٣٥

ويُـلْحَـق بالمـدّ الـلازم مافي أوائـل الـسُّـوَر الـقـرآنيـة المعـلومـة من فواتـح حَرْفيـة ـ ماكـان منهـا مشددّ السّكون ومخفّفه ـ أمّا المشدّدات فمن حقّها أن تُمَدَّ مَدّاً لازماً . . ومن ذلك اللام في «آلّمّ» وكذلك «آلمص» وتلفظ: «ألِفْ لاَمْ مِيمْ صَادْ» . .

وانّما عددنا ذلك من الملحقات بالمدّ اللازم لأنه لاوجود للسُّكون اللازم في بنية الكلمة من حيث كَوْنِها كلمة واحدة، وانّما حدث المدُّ اللازم فيها بسبب اتصال كلمتينْ بعضهما ببعض وليس هذا من عادة المدود اللازمة في الألفاظ . .

أما ما كان غير مشدد من هذه الحروف فلأنَّ السُّكون فيه سكون اَعْجازٍ وقد أخذ في ظاهر لفظه شكلَ البناء، لذا عددناه من الملحقات بالمدّ اللازم . . ومن ذلك ـ السِّينَ ـ في «يٓس ـ يَاسينْ ـ والقُرآن الحَكيم» ومثل ـ القاف ـ في « قٓ والقرآن المجيد» ومثل الصّاد في « صٓ والقرآنِ ذي الذِّكْر» وفي مثل « كهيعص» والنون في « نٓ والقَلَمِ وما يَسْطرون» . . ومثل اللام في « آلر تلك آياتُ الكتابِ المُبين» . . وتقرأ : ألِفْ لامْ رَا . . .

ومن طبيعة المدّ اللازم انه اذا اقترن به مدٌّ عارض صيرَّه في قوّته . . ففي الآية الكريمة «ولا الضّالّين» مَدّانِ أوّلُها لازم وآخرُ عارض، وقد علمنا من قبلُ أنّ العارض جوازيّ وأنه يمدّ على وجه الاختيار غير أنه باقترانه باللازم يكون مدُّه واجباً أي يجب أن يمدَّ ستَّ حركات كحال المدّ اللازم في مثل هذه الحالات، وهذا ما عَلَّمَنيهِ الشيخ عبد القادر عبد الرزاق الامام المقريء رحمه الله ـ مشافهةً في الثلاثينات ـ ولم اهتد اليه في الكتب ومن ذلك أيضاً «آلآنَ وقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» ففي الوقوف على نون «الآن» يكون لدينا مدّان أوّلها لازمٌ والآخر عارضٌ لأنّ الأصل في نون «الآنَ» الحركة . . فان سَكَّنّاها مُدَّت مَدّا عارضاً . . فلمّا كانت قد جاءت إثرَ مدٍّ لازم في كلمة واحدة بات مدّها واجباً غير جوازي ولا اختياري ومن ذلك «قُلْ أفَغَيْرَ الله تَأْمُرونّي أعْبُدُ أيُّها الجاهلون» فأن المدّ العارض في «ني» التي قبل «أعْبُدُ» يجب هنا مدّه وان كان عارضاً وذاك بسبب اقترانه بمدّ لازم سبقه . .

ويلحق بالعارض بعض صور مد التّمْكين مثل «لايَسْتَوون» و«انّ كتاب الأبرار لفي عِلِّيِّين» ومثله «وَما أدْراكَ ما عِلِّيُّون» . .

٦ ـ مدّ اللين . .

ويقع في المقطع الثّلاثي عند الوقوف عليه[١٦] . . اذا كان مسبوقاً بياءٍ أو واوٍ

مفتوح ما قبلهما مثل صَيْف ولَيْل وبَيْت وَشْيْ ونَوْم ويَوْم وخَوْف في الألفاظ الثّلاثيّة الحروف، فانْ لم تكن ثلاثيّة فلا محلّ لِلّين فيها مثل «أوَلَمْ يَرَوْا أنَّ الله الذي خلقَ السّماواتِ والأرض قادرٌ على انْ يَخْلقَ مِثْلهُمْ» فلا مدَّ لين - أو غيره - في «يَرَوْا». . وليس حرف الألف حرف لين الاّ بمعنى التسهيل في مثل قولهم سالَ في سَألَ و «ياجوج وماجوج» في «يأجوج ومأجوج» أما في مثل «قال» فليست الألف للين لأنها لم تكن بديل همزة . . واصطلاح التليين بمعنى التسهيل شائع في الكتب . .

ومن نماذج مدّ اللين في التّنزيل -

«لإيلافِ قُرَيْش إيلافهِمْ رِحْلَةَ الشّتاءِ والصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذا البيتِ الذي أطْعَمَهُمْ مِنْ جوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْف» . .

فانَّ مدَّ اللين كائن في كل من قريش والصّيف والبيت وخوف عند الوقوف على نهايات هذه الألفاظ والاّ امتنع مدّ اللين فيها . .

ولا يجوز مدّ اللين في غير حالة الوقوف فمن قرأ «حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْر» فتلبَّث في قراءة الخيط على هيئة مدّ اللين فقد خرج على القاعدة . . وكذلك اذا قرأ «فَلْيَعْبدُوا رَبَّ هذا البَيْتِ الذي أطْعَمَهُمْ مِنْ جوع» . . بمدّ البيت مدّ لين عند وصله بما بعده وفي غير حالة الوقوف عليه فقد أخطأ ولَحَنَ، فانّما يُمَدُّ مَدَّ لين ما كان من مثل هذه الألفاظ ساكناً موقوفاً عليه . .

وكثيراً ما يقع مدّ اللين لدى مُقْرئةِ المصريّين ومقلّدتهم في الدَّرج في قراءةِ مثل قوله تعالى «وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حاجزا» اذ يمدّون هنا كلمة «بَيْنَ» وكذلك كلمة «البحرين» مدّ لين . . ومثل ذلك: «قالَ ياليْتَ بَيْني وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرقَيْنِ فَبِئْسَ القَرين» فيمدّون «بيني» ومثلها «بَيْنك» و «المشرقَيْن» مَدَّ

لين ويطيلون فترة الانتقال من حرف الى حرف في «لَيْتَ» وفي الكلمات الأخريات المشار اليها آنفاً، وهو خطأ ظاهر ذريع . . ومدّ اللين يختلف عن سائر المدود الأخرى بكونه ليس من فئة المدّ الطّبيعي الذي يشترط في حروف مدّه أن يكون ما قبلها محركاً بحركة ملائمة لنوعيّة حروف المدّ . . وذاك أنَّ لمدّ اللين حرفين لا غير . . هما الواو والياء على أن يكون ما قبلهما مفتوحاً، وبذلك خرج مدّ اللين على قاعدة المدّ الطبيعي والمدود الأخرى . . التي قامت على جذره وعلى ذاتِ قاعدته . .

تعدّد المدود . .

هناك من أولع بتعداد ما طاب له من المدود كالذي سمّي بمدّ العِوَض، وهو أن يُقْلَبَ التنوين الى ألِفٍ في مثل «فَتىً» اذ زُعِمَ أنّهم قلبوا التنوين الى ألف فنطق اللفظ «فَتى» . . في حين أن الألِف في «فتى» وُجِدَتْ قبلَ وجود التنوين الذي كان نشوؤه هنا عن تخلف المدّ في الألف . . فالمدّ هنا أصيل أصالةً أدائيّة، فاذا رجعنا الى اللغة وجدنا الحرف آتياً من ياءٍ او واوٍ . . وبذا نعلم أنَّ الألف لاتنقلب عن تنوين، وعلى هذا كان مَدُّ العِوَض صفةً لغير موصوف . .

وما جاء في العربيّة من تعليل قولهم قفا نبك في مخاطبة الواحد بأن أصل الألف فيه نون التوكيد الخفيفة لايعني أنَّ ذلك قاعدة في صنع الألف من النّون فانّ ذلك تخريج لغويّ لا علاقة له بالصوتيّات . . ومثل ذلك في البعد عن التخريج الصوتي أن يقال في «ولا يَلْتامُ ما جرح اللسان» بأن أصل الألف في «يلتام» الهمزة اذ كان جذر الفعل هو «يَلْتَئِمُ» فنطق به «يَلْتَأَم» ثمّ صارت الهمزة ألفاً . .

على ان الشيخ الكندي السّيلاني أورد في كتابه «مَغْنَم الصِّبيان» أن هناك

من أوصل الممدود الى أربعة وثلاثين نوعاً . . قال: «إعْلَمْ أنَّ المدَّ اسم جنس تحته أنواع أنهاها بعضهم الى أربعة عشر نوعاً وبعضهم الى ستّة عشر وبعضهم الى أربعة وثلاثين نوعاً وعَبّرَ بعضهم عنها بالألقاب والذي أذكره في هذه الرسالة أحد وعشرون» . .

تخلّف المدّ الطَّبيعيّ . .

يتخلّف المدّ الطَّبيعّي في الألف والواو والياء في حالات معلومة فيما يلي بيانها . .

يتخلف الألف في لفظة «أنا» عند الدّرج ، وأمّا عند الوقف فانّه يثبت ولايتخلّف[١٧] . .

ولكنّه في الشِّعر يتبع ضرورات القواعد العَروضيّة فيتخلّف آونة، وآونة لايتخلف . .

ومن ذلك :

أَنَــا مَنْ أهــوى وَمَــنْ أهــوى أنا
نحــن روحــان حَلَلْنــا بَدَنــا

فانّ الألف في «أنــا» الأولى تخلف المدّ فيه ، ولكنّه لم يتخلّف المدّ فيه في الأخرى أي في «ومن أهْوى أنا» . .

وغالباً ما يبر ز المدّ في الألف دون تخلف في الشّعر، ومن نماذج ذلك :

قد علمــتْ سلمــى وجــاراتُهــا
ما قَطَّــرَ الــفــارسَ الآ أنــا

أيــا قادمــاً من سفــرة الهــجــر مَرحْــبــا
أنــا ذاكَ لا أســلوك ما هبَّــت الــصَّــبــا

أَنَـا للخطـوب اذا دعـتْ أقـرانَهـا
إذ لايـقـول: أنـا لها، الآ أنـا

من ذا أنـا حتّـى أقـوم بمـدحـه
بل أيـن شعـري من عُلُوّ مكـانـه

دنـيـاي بي وأنَـا بها ما بيـنـنـا
ـ وقـد امـتلأنـا ـ موضـعٌ للنّـاس

أي دَبْـذَبـا تَدَبْـذَبـي
أنـا عليّ المـغـربـي

شِبْـتُ أنـا والـتـحـى حبـيـبـي
وبـانَ عَنّي وبـنـتُ عنـه

ومنه*:

أنـا أبْـصَـرْتَ ـ صاح ـ الـشَـمْسَ تمشـي لَيْـلَةَ الجـمْـعَـة
من يكـون الـذي أذاع الهـوى أنْـتَ أم أنـا

وكـذلـك يتخلّف مدّ الألف اذا تلتـه همزة وصل. . ومن نماذج ذلك: «أهذا الـذي بَعَثَ الله رسـولا» فانّ المدّ الطبيعيّ في «هـذا» تخلّف للسّبب الآنف الذّكـر فصـار يلفـظ «ذَلْ» بدلاً من «ذا ألْ» الظـاهـر فيه مدّ المقطع الصّوتي المؤلف من الذال والألف. .

ويقع هذا التخلف في الألف الذي هو ضمير الفاعل في المثنّى مثل «فلَمّا ذاقَـا الشّجَـرَة» أي هُما ذاقـاها، فانّ الألف في «قا» من «ذاقا» تخلف فيه المدّ

* وهما لأبي نواس.

فصار يلفظ مقروناً بما بعد على هيئة حرف متحرك يرتبط به حرف ساكن اذ لفظناه «قَشْ» ولايضاح ذلك نكتبه كما يُنْطق مقطعياً « فَ لَمْ ما ذا قَشْ شَ جَ رَ ةَ» وبذلك تَبْدو صورة تخلف المدّ في ألف الشّجرة واضحة[١٨] . . الأعراف الآية الثّانية والعشرون . .

ومثل ذلك «فلَمّا أثْقَلَتْ دَعَوَا الله رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتنا صالِحاً لَنكونَنَّ مِنَ الشّاكرين» . . الأعراف ١٨٩

فانَّ الألف في «دَعَوَا» تخلَّف مَدُّه ولا اشتباهَ في ذلك لأنَّ النَّص ظاهر النِّسبة الى المثنّى . . ومثل ذلك : «وقيلَ ادْخُلا النّارَ مع الدّاخِلين»

أمـا النَّصُّ القـرآني «وقـالا الحَمْـدُ لله الـذي فَضَّلَنـا على كثيرٍ مِنْ عبادِهِ المؤمنـين» فانـه يحسن في «قـالا» السَّكت للمحافظة على ضمير الفاعل في الألف وازالة الايهام في فاعليّة الفعل فقد يظنّ أنه مفرد وان كان تمامُ النّصّ واضحـاً فيـه أن القول جارٍ على لسان داود وسليمان «ولقَدْ آتَيْنا داودَ وسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالا الحَمْدُ لله . . . » النّمل ١٥

ومثـل ذلـك من تخلف حكم المـدّ في المقـاطـع المـدّيّـة ممّا يوضحـه القـانون العروضي الذي يعدّ أشبه بصورة صوتيّة تكاد تكون مسموعة قول الراجز:

وطـالمـا ذاقـا الهـوى واكـتـويـا
يا قرّة الـعـين ويـاهمّي وَيـا

و«ذاقا الهوى» يلفظ المقطع المديّ فيه بلفظ «ذاق الهوى» بسبب تخلف المدّ فيه . .

ولجحدر (من الوافر) :

فقـالا الـدّارُ جامـعـةٌ قريـبـاً
فقـلـتُ بل انـتـما متـمـنّـيـانِ

«فقالا الدّار» تلفظ «فقالَ الدار» . . بسبب تخلف المدّ في ألف التثنية التي في «قالا» . .

وللسَّريّ الرفّاء (من الكامل) :

لم يَسْفحا فيه دَماً وكأنّما
رَشَحا الدِّماء أعاليا وأسافلا

الكلام في «رشحا الدماء» كلامٌ على الزّنج والرُّوم وقد سبق ايراد ذلك في بيت من القصيدة سابق . . ولكنّ «رَشَحا» تلفظ «رَشَحَ» بمثل صيغة المفرد دون المثنّى وذاك لتخلّف حكم المدّ في ألف التثنية . .

وله كذلك (من الطويل) :

لقد قصرت أيديهما عن مناله
زماناً ولكنْ صَيَّرا النَّهْبَ سُلَّما

فانّ «صَيَّرا» تقرأ «صَيَّرَ» لتخلف المدّ في ألف التثنية . .

وللأرجاني (من الطويل) :

خليليّ حُلاّ العقل للعيس وارحلا
فما أصفهان اليوم مثوى لعاقل

فانّه يلفظ «حُلَّ العقل» من جراء تخلف المد في ألف التثنية في فعل الأمر . .

وللكُمَيْتْ وقد عنى بالمسجدين البيت الحرام والمسجد النّبويّ . .

لكــم مَسْــجِـدَا الله المــزورانِ والحــصــى
لكــم قِبْــصُــهُ ما بَيْنَ أثْــرى وأقْــترا

فانّـه يلفـظ «مَسْجِدَ الله» بتخلف المدّ في ألف التثنية . .

ولَحسّان بن ثابت في أبي بكر الصّدّيق . (من البسيط) :

الـثّـانيَ اثـنـينِ في الـغـار المُنيف وقـد
طافَ الـعَـدُوُّ به اذ صَعَّـدا الجَـبَـلا

فانّ «صَعَّدا الجَبَلا» تلفظ «صَعَّدَ الجَبَلا» وعنى بهما الرّسول الأعظم صلوات الله عليه، وصاحبه أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه ولكنّ المَدَّ تخلف وفق قانون التّخلف في المدود . .

وانما استعنّا بالشعر لأنه شاهدٌ ظاهر الأهميّة في المطالب الصّوتيّة وليس هو في هذه الجوانب من جنس ما تنسحب عليه الضّرورات فهو ميزان سليم العيار والصّنجتين . .

وقد ذهب مؤلف «فنّ الألقاء» مذهباً خاصاً به في هذا الأمر اذ قال ـ ص ٨١ ـ «وفي رأينا أن نمدّ ألف التّثنية مدّاً خفيفاً بلباقةٍ ويُسْرٍ يوضح معنى التثنية ويستقيم معه النطق بهمزة الوصل التي هي همزة محذوفة فعلاً لاتنطق الاّ نطقاً خفيفاً» . .

وقد أشار مؤلف «القراءات واللهجات» ـ ص ١٥٥ ـ إلى أنّ هناك من أثبت الألف في قولهم «وله ثُلُثا المال» ومثلها «اِلْتَقَتْ حَلَقَتا البِطان» وقالوا إن هذا شاذّ لم يقرأ بمثله . .

وكان في العرب من ينطق بالألف على هيئة الهمزة يقلبه الى ذلك فيقول في حُبْلىٰ «حُبْلأْ» عند الوقوف على الكلمة فيتخلّف المدّ بذلك وهي لغة منقرضة . .

ويتخلّف المدّ في الألف اذا علق به التنوين مثل: «عَبُوساً قَمْطَرِيرا» . .[١٩]

ومن نماذج التّخلُّف في الواو والياء عند مجيء همزة وَصْلٍ بعدهما:
«ولاَ تَجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكُمْ» . . البَقرة ٢٢٤
«إنّا مُرْسِلُوا النّاقةِ فِتْنَةً لَهُمْ» . . القمر ٢٧

«لِمَنْ كانَ يَرْجوُ اللّهَ واليَوْمَ الآخِرَ» . . الأحزاب ٢١
«يَمْحُو اللّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ» . . الرَّعد ٣٩
«ولاتَقْتلُوا النَفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاّ بِالحَقِّ» . . الاسراء ٣٣
«كَمَثَلِ الذي اسْتَوْقَدَ نارا . . » البقرة ١٧
«يُؤْتي الحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ» . . البقرة ٢٦٩
«والمُقِيمي الصَّلاةِ» . . الحَجّ ٣٥

فانّ الـواوات هنـا والياءات ينعدم وجودها انعداماً تامّاً ويُكْتَفى منهما بالضَّمَّة والكَسْـرة لاغـير . . وكـذلـك القـول على الألِف فانّـه يُكْتَفىٰ ـ عن مدّه ـ بالفتحة التي تسبقه . .

ولعلّه يُرَدّ الى هذا تعليل كتابة ألفاظ في المصحف مجرّدة من حروف المدّ مثل :
«وما أنْتَ بِهادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ» . . الرُّوم ٥٣
«إلاّ مَنْ هُوَ صالِ الجَحيمِ» . . الصّافّات ١٦٣
«حتّى اذا أتَوْا على وادِ النّمْلِ» . . النّمل ١٨

فلقد حُذفت الياءات في الخَطّ القرآنيّ لأنّها محذوفةٌ في الأداء الصَّوْتي بسبب تخلُّف المدّ فيها . .

ومثل ذلك في ألِفات المدّ من نَحْو:
«يا أيُّهَ السّاحِرُ» ـ الزُّخْرُف ٤٩ . .
«سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّهَ الثّقَلانِ» الرحمن ٣١
«وتُوبُوا الى اللّهِ جَميعاً أيُّهَ المؤمنون» . . سورة النّور ٣١

وفي الواوات مثل :
«ويَمْحُ اللّهُ الباطِلَ» . . الشُّورىٰ ٢٤

«سَنَدْعُ الزَّبانِيَة» . . سورة القَلَم ١٨
«ويَدْعُ الانسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالخَيْرِ» . . الاسراء ١١
«وصالِحُ المؤمنين» . . التّحريم ٤ . .
والمراد «صالحوا المؤمنين» أي المؤمنون الصّالحون . . فكأنّما أريد بذلك التّنبيهُ على طريقة القراءة حين يتخلّف المدّ . .[١٩]

وهناك نوع من التّخلّف واردٌ مورد النّصّ على هذا الوجه، ومنه قوله تعالى «في جِفانٍ كالجَوابِ» والمراد بالجَواب - هنا - الجَوابي التي هي جمع جابِيَة . . وانّما كان النّصّ قد وَرَدَ بهذا الصّوت من أَجْل أن يكون الوقوفُ على اللفظ بالسُّكون لا بالمدّ، فيقال «كالجوابْ» باسكان الباء، ولا يقال «كالجوابي» بياء المدّ[٢٠] . . ومثل ذلك قوله تعالى : «لَكُمْ دينُكُمْ وليَ دِينْ» اذ لايوقف على النّون في «دين» بلفظ «ديني» وانما يوقف على النّون هناك بنونٍ ذات سكونٍ ظاهر عليها لاياءَ معه . . فالتخلّف هنا وَقَعَ في المدّ . .

ومثل ذلك «فَذَكِّرْ بالقُرْآن مَنْ يَخافُ وَعيدْ» فانّ الأصل فيها «وَعيدي» فتخلّف المدّ في أصل النّصّ فصارت «وَعيد» اذا وُقفَ عليها وُقفَ باسكان الدّال . . ومن ذلك «واسْتَمِعْ يَوْمَ ينادِ المُنادِ من مكانٍ بعيد . » فلا وجودَ لحالة المدّ في «يُنادِ» ولا «المُنادِ» في حين أنَّ مفهوم النَّصّ «يُنادي المُنادي» فذاك مما يقال فيه إنّه تَخَلَّفَ مَدُّه بحكم النَّصّ . .

ولايكون كل نصّ في هذا الباب صالحاً أن يستشهد به في التَّخلُّف مالم يكن نَصّاً موثوقاً بفصاحة قائله . .

ولايُعَدُّ من هذا قول الأَعْشىٰ :

ولقد شربتَ ثمانياً وثمانياً
وثمانَ عَشْرَةَ واثنتين وأَرْبَعا

فانّا نرجِّح قراءة «ثمانَ عَشْرَةَ» بفتح النُّون قياساً على ستَّ عَشْرَةَ وسَبْعَ عَشْرَةَ. فهو ليس من فصيلة ما تخلَّف فيه المدّ. . وان أوردوه بكسر النّون في ثمانِ عَشْرَةَ. .

هناك ألفات إطلاق تكتب أبداً في كلمات قرآنيّة معدودة وهي كما عرفنا من التّسمية لاتعرف في غير الوقف، ومن ذلك ما جاء من ألفاظ «ثمود» في القرآن الكريم في هود «ألا إنَّ ثمودَا كفروا ربَّهم» ٦٨ وفي الفرقان «وعاداً وثمودَا وأصحاب الرَّسّ» ٣٨ وفي العنكبوت «وعاداً وثمودَا وقد تبيَّن لكم من مساكنهم» ٣٨ وفي النّجم «وأنّه أهلك عاداً الأولى وثمودَا فما أبقى» ٥٠ و٥١ . . فهذه يوقف عليها بالألف وما سوى ذلك من ألفاظ ثمود يوقف عليها بالسكون لأن موقعها الضَّمّ او الكسر. . وذاك لأنَّ الألفاظ الأربعة في ثمود قرنت بالألف ولابدّ من غرض في هذا لانراه الاّ اذا وقف وقف عليه، ولانأخذ بما أورده القمحاوي في «البرهان» من هدر حكم الألف ألبتّة وصلاً ووقفاً،على أن الوصل في هذه المواقع خير من الوقف وأولى . .

وقد ذهب قوم من علماء الصَّوتيّات واللغة الى أنَّ حروف المدّ التي نحن في صددها لا تسبق بشيء من الحركات، فلا فتحةَ عندهم قبل الألف، ولاضَمَّة قبل الواو، ولا كسرة قبل الياء[٢١] وانّما يجد الحرف سبيله الى التحرّك المدّي بوجود حرف المدّ بعده حسب. .

وهذا قول لايصحّ لأنّ الألِفَ وأخَويه من حروف المدّ سواكن فمن أين يمنح السّاكن حرفاً ساكناً قبله شيئاً من حركة؟ . . وكيف يلتقي ساكنان فتكون لأحدهما حالة من حالات الحركة؟ ونحن نعلم أنَّ النُّطق بحرف ساكن يستوجب ربطه بحرف متحرك يسبقه[٢٢] . . ثم انّا اذا قلنا «إنَّ» فانّ النّون مفتوحة فاذا ألحقنا بها الألف لفظت «إنّا» فالفتحة إذَنْ حركة كائنة

على النّون لاينكر ذلك فيها . . واذا قلنا «كتابا» ـ بألف الاطلاق ـ فانّ الباء ممدودة بسبب التصاقها بالألف، فاذا قلنا «كتاباً» ـ بالتّنوين ـ تخلّف المدّ، فاذا تخلّف المدّ ولم تكن هناك حركة على الباء سابقة للألِف فمن أين ظهرت الحركة على الباء؟ . .

وهذا يَطّرِدُ في جميع الحروف المدّيّة، ففي الواو لو قلنا: «لا تَغْضِبوا رَبَّكُمْ» فانّ الباء مضمومة بالضّمّة، فاذا قلنا «لاتَغْضِبُوا الرَّبّ» فانّ الواو حُذفت بسبب تخلّف المدّ. . ولكن الضَّمَّة ظَلّت قائمةً في مكانها فلو أنّها كانت مُجْتَلَبَةً بسبب الواو ـ أي لو كانت تبدو مضمومةً من جَراء ارتباطها بالواو ـ لزالت بزواله . .

وفي الياء اذا قلنا «هذا وادي نَمْلٍ» ثم قلنا «هذا وادي النّمْل» فانّا نرى الدّال في الوادي ـ وهي تسبق الياء ـ قد جاءت مكسورة، وقد أخذت حالة المدّ بوجود الياء فلمّا أضيفت الى كلمة مسبوقة بهمزة وَصْل انتفى المدّ وبقيت الكسرة مما يَدُلُّ على أصالة الكسرة في هذا اللفظ . . على أنّ المفردة قد سمعت من دون ياء . . والصَّرفيّون والنُّحاة يُعربون قولنا: «لا تَرْمِ» بأنّ الفعل مجزوم وعلامة جزمه حذف الياء والكسرة قبلَها دليلٌ عليها . . فلو كانت الياء هي التي تصنع ما يظنّ به الحرف مكسوراً لما بقي لها من أثَرٍ بعد حذفها . .

ومثل ذلك القولُ لدى النّحاة والصَّرْفيين على كلّ فعلٍ معتلّ من نحو «لم يَسْعَ» فانّ الفعل تَمَّ جزمه بحذف الألف وبقاء الفتحة دليلاً عليه، لأنّ أصل الفعل «يَسْعى» والفتحة لكونها تلائم الألف أمكن لها أنْ تعايشه وتكون دليلاً عليه . .

وكذلك القولُ على الواو المدِّيّة فانّها تلائمها الضَّمَّة . . وقال النُّحاةُ في

هذا عنـد اعـراب قولنـا «لَمْ يَمْـحُ» : إنَّ علامة الجزم هي أنَّ الواو قد حذفت وبقيت الضَّمَّـة دليـلاً عليهـا . . إذْ إنَّ أصـل الفعل هو «يمحو» ولا يعقل أن لاتكـون هنـاك ضَمَّـةٌ قبـل الواو، بحيث اذا حذفنا الواو برزت الضَّمَّة التي زعمـوهـا غير موجـودة من قَبْـل . . وانَّـما كان يجب لو صَحَّ قولهم أن لايكون هناك بعد حذف الواو أثارةٌ من شيء يدلّ على وجود هذه الضَّمَّة . .

وقـال النُّحـاة في إعـراب «كَتَبـوا» انَّ الفعـل مبني على الضَّمّ لأنَّهم لاحظوا الضَّمَّة على باء كَتَبَ في «كَتَبُوا» . . فاذا نفينا أن تسبق الواو بضمّة كان علينا أن نقـولَ إنَّ الفعـل مبنيٌّ على الـواو السَّـاكنـة . . وهـذا كذلك لايدلّ على شكل الفعل ونهايته المضمومة . .

ومن الأدلّـة على وجـود الحـركـة على الحـرف الذي يسبق حرف المدّ أنَّا نقـول «بِئْسَ» ثمّ نسهّـل الهمـزة فنقلبهـا الى ياء فنقـول «بيس» .[٢٣] وكذلك نسهّل الهمزة في سُؤْل ، فنقول «سُول» فانَّ ذلك يدلّ على أنَّ الهمزة قبل تسهيلها قد سُبقت في «بِئْسَ» بالكسرة وفي «سُؤْل» بالضَّمَّة . . ونقول : «مُـومنـون» بتسهيـل الهمـزة في أصـل اللفظ الذي هو «مؤمنون» على نفس التَّعليل . . ولا صورة للتَّسهيل مع الألف، أمّا رأس وراس فلا تسهيل هناك . .

ومن ذلك أنّا نقول «أمّا» فندغم الميم الأولى في الميم الثّانية علماً بأنّ حالة الادغام هذه قد وقعت بين ميمٍ ساكنة وأخرى متحركة ـ وفق قانون الادغام في سائـر الحـروف ـ فلولا أن الميم الثّـانيـة متحـركـة في «مـا» لما وقـع هذا الادغـام، . وهـذا ينفي أن تكـون الميم الثّـانية ساكنة لأنّ الحرفين السّاكنين لايـدْغـمان ألْبَتّـة . . أمّا حركة الميم الثّانية فانها نشأت فور انفكاكها من حالة الادغام، وكان هذا الانفكاك قبل عُلوق الألف السّاكنة بها . .

ويـنـبـني علىٰ هذا أنّ المـيـم الـتي ألحـقـت بألـف المـدّ هي مفـتـوحـة . .

ومن ذلك ـ مما يقرب من التّسهيل أو هو فوقه ـ الهمزة المختَلَسة التي على واو اللؤم في قول الشّاعر:

وعـاذلـةٍ هَبَّـتْ بليـلٍ تلومـني
كأنّي اذا أنْـفَـقْـتُ مالي أضـيـمـهـا
دَعـيـني فانّ الجـودَ لن يُتْـلف الـفـتـى
ولـن يُخْلِدَ الـنّـفْسَ الـلئـيـمـةَ لُومُـهـا

فانّ الهمـزة هذه تكـاد تظهـر عنـد النُّطق بعض الظُّهـور فكيف يكـون حال الضَّمّة على اللام مع الواو أهي موجودة أم مفقودة؟ . .

إنّ الـلام يُنْطق بها في المقطـع الصَّوتيّ المزدوج قبل الحرف السّاكن الآتي بعدها سواء أكانَ حرفاً مَدِّيّاً أم كان حرفاً غير مدّيّ فكيف يتمُّ النُّطق باللّام مضمومة بدعوى أنَّ الضَّمَّة كانت من فِعْل الواو التي جاءت بعد اللام . . ؟ فانْ قيل كيف إذَنْ تَمَّ النُّطق باللام مضمومةً قبل ارتباط الضَّمَّة بها في حالة الضَّمّ؟ قلنا إنَّ ذلك وقع بحيث تركبت الضَّمَّة والحرف فصارتا شيئاً واحدا لفرط السُّرعة في ذلك الارتباط . . أمّا الواو فانّ في النُّطق به اشباعاً ظاهراً قد يستمرّ مع ذي النّفس الطَّويل ما يقرب من دقيقة زمنيّة ، فلا يمكن أن يكون ذلك كله سكوناً في سكون لاحركة في تضاعيفه لابَدْءاً ولا انتهاءا . .

ومن دلائل ذلك : «إنْ تَنْصُروا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ» فانّا نرى الرّاء في تنصروا قد ارتبطت بالـلام على هيئـةٍ تبـدو الضَّـمَّـة في مقطعهـا بارزة على الـرّاء وقـد اختفت الواو التي في «تَنْصُروا» فاذا لم تكن هناك ضَمَّةٌ أصيلة على الرّاء فمن

أين جاءت الضَّمَّة بعد انعدام النُّطق بالواو التي كانت ـ على حدّ قولهم ـ سبب حركتها . .

ومن ذلك أنّا نقول «سَأَلَ» بفتحة مشبعة على السّين ثم نقارن ذلك بقولنا «سَاءَلَ» فنجد الفرق كبيراً في النطق بهذين اللفظين في فتح الفم . .

ففي «سَأَلَ» أشبعنا فتحة السّين ولكنّ هذه الفتحة لم تتبدّل تسميتها ولم تَتَحَوَّلْ عن كونها فتحة لا غير . . وفي «سَاءَلَ» نجد بعد الفتحة غير المُشْبَعَة أَلِفاً . فان أَشْبَعْنا الفتحة أعيانا الاتيان بالألف بعدها لسبب انتهاج الفم بالفتحة المشبعة نهجاً لايتجانس والألف المدّيّة وبذلك يتعاسران . . فلو كانت الألف من جنس الفتحة أوكانت هي من جنس الألف لما وقع التفاوت بين الألف والفتحة المشبعة . .

ولو أعطينا الألف حكم الحركة لكان في مقطع «جا» أكثر من حركة، ولايتصوّر اجتماع حركتين على مقطع واحد . . لأنّ كل حركة مقطع مستقلّ المقطعيّة . . فنحن حين نقول «جا» بفتحة على الجيم وألف بعدها لانعطي الألف حقوق الحركات لأنّه ساكنٌ أبداً فليس من حقّه التّحكّم في تحريك الحروف ولكنّه وعاء لما يجري فيه من الأصوات المفتوحة لا على وجه إشباع الحركة ولكن على وجه المواءمة . .

وقالوا إنّ الفتحة ألف صغرى وانها نصف الألف وإن الألف فتحة طويلة . وهذا غير صحيح لأنّ الألف يمدّ بها الحرف فتطول مسافة مدّه وبهذا تكون الحركة في الفتحة ـ مثلا ـ أقلّ بكثير من خمس الألف أو سدسه أو عُشْره . . ومثل ذلك القول على سائر الحركات وحروف المدّ . . فان قالوا ان

الحركة تشبع قلنا إنها ان أُشبعت أمكن إشباعها على مستوى الفترة التي يقع بها المدّ مع حروفُ المدّ رغم عدم شرعية الاشباع في الحركة، ومعنى هذا أنه لاصورة نصفيّة بين الحركة وحرف المدّ . .

أمـا اشبـاع الحركة فانه يجري في وعاءٍ يختلف عن وعاء الحروف المدّيّة . . وقد قلنا إنَّ ذلك غير معترف به في المنطق الصحيح[٢٤] . .

ويجب التّنبُّـه الى أنّ إشبـاع الحركات قد لايتحقق له هذا المصطلح لأنَ حالـة الاشبـاع قد تكـون في غير الحـركـات كما لو قرأنا النّصّ القرآني: «قُمْ فَأَنْـذِرْ» فانّ علاقـة الهمـزة المفتـوحـة بالنّون السّاكنة في «أَنْذِرْ» ليست علاقةً قائمـةً على إشبـاع الحـركـة في فتحـة الهمزة بل إنّها قائمة على اشباع الغُنَّة الاشمامية في النّون السّاكنة الآتية قبل الذّال . .

ذلك لأنّ الحركة استنفدت غرضها بمجرد احتمالها عبء النُّون السّاكنة، أمّا الاستمرارية التي تلت ذلك فهي استمرارية الغُنَّة . .

ونعود فنناقش موضوع الحركة والحرف المدّيّ فانّا نرى الحركة شيئاً لايتأثر بجنس الحرف ان كان مفخّماً أو كان مرقّقاً، ولكنّا نرى الألف تتأثر بذلك كل التّأثُّـر فهي تلتقـط نكهة التّفخيم التي تكون من طبيعة حروف الاستعلاء في مثل قولنا: «نقاء ومَقام وسَخاء ونطاق ونضال ورُغاء» فلو كانت الألف حالةً من نمط حالات الحركة لما تأثَّرَت بشيء من خصائص الحروف لأنّه من شأن الحروف وحدها أن تتأثّر بالخصائص المشتركة فيما بينها . .

ولتوضيح ذلك نقول إنّا ننطق بالقاف مفخّماً مُسْتَعْلِياً في قافِ «الأَشْقىٰ»

من قولـه تعـالى : «لايَصْـلاهـا إلّا الأشْقىٰ» عنـد الوقوف على هذا الحرف فنرى الألف تصيب من هذا التفخيم نصيباً بيّنا . . فان واصلنا قراءة النَّصّ «إلّا الأشْقَى الذي كَذَّبَ وتَوَلّى» فاندمج قاف «الأشقى» بلام «الذي» فصار المقطـع الصَّـوتي على هيئـة «قَـلْ» في «الأشْقَى الْـ» . . لاحظنا التفخيم قد انكســرت شوكتـه أو كادت مما يدلّ على أنَّ الألف لاينشأ من الفتحـة ، فلو كان ناشئاً منها لتساوت حالة التفخيم فيهما . .

وهنـاك نقطـة أخـرى أوضح دلالةً على وجود حَركةٍ ما قبلَ الحرف المدّيّ وذاك أنّـا اذا نظـرنـا الى النَّصّ القـرآنيّ «أوْكالذي حَاجَّ ابراهيمَ في رَبِّه» فان الحاء على حَدِّ قولهم غير ذات حركة أي انها ساكنة وقد جاء بعدَها حرف مدّ هو كذلـك ساكن ثم جاء بعـد ذلـك حرف الجيم المشـدَّد بسبب سكونه . . فتـوالت في هذه الحـالـة ثلاثـة سواكن دون أن يتّكىء شيء منها على حرف متحـرّك . . فكيف جاز في لغـة العـرب تتـابـع ثلاثة سواكن دون أنْ يتكىء شيء منهـا على حرف متحـرك ، في حين أنَّ التَّخـريـج اللغـوي الذي يجعل الحاء في «حَاج» متحركة بالفتحة التي هي ملائمة لهوى حرف المدّ هو الذي يزيل الإشْكال . . اذ لايَصِحُّ القول إنَّ الحرف الذي يسبق حرف المدّ خالٍ من الحركة كائناً ما كان شكلها من فتحةٍ أو ضَمَّة أو كسرة . .

أمـا من جعـل حروف المـدّ في حكم الحـركـات التي هي الفتحة والضَّمَّة والكسرة فقد وهم في ذلك أشَدُّ الوهم[٢٥] . .

فانّا لو قلنا «قال» فلا يمكن أن يكون محلّ القاف من قال خالياً من حركة

لأنّه لايمكن النّطق به ساكناً قبل الألف بسبب أن الألف حرف ساكن أبدا . .

أمّا القول على السُّكون الجِبِليّ العالق بالقاف فانّ الأصل فيه أنّ السُّكون الجِبِلّي انما يقع مع الحركات فيضيع فيها لأنَّ الحركةَ شيء خفيّ كل الخفاء بحيث لايمكن التّفريق الزَّمني بين الحركة والحرف عند علوقها به، من أَجْلِ أنَّ الزَّمن الذي يجريان فيه تِباعاً زمنٌ ضيِّقٌ غاية الضِّيق . .

أمّا الألف وحرفا المدّ الآخران فانّ الحال فيها غير الحال في الحركات الخفيّة التّشخيص . . فالألف حرف ظاهر ذو شخصيّة معلومة مشعور بها وبوجودها بحيث تظهر ظهور الحرف عند الاندماج المدّيّ الملفوظ فيه كِلا الحرفين المكوّنين للمقطع الصَّوتيّ الزَّوجي المسموع . .

على أنَّ هناك فرقاً بين المدّ واشباع الحركة، فلو أنّا قلنا «زَمَنْ» باشباع فتحة الميم إشباعاً مُرَكَّزاً لما نَشأ من ذلك حرفُ الألِفِ أَلْبَتَّةَ، ولن تنقلب الكلمة بذلك الاشباع الى «زَمانٍ» أبدا . . ولو أشبعنا الكسرة في اللام من كلمة «مَلِك» فما نراها تؤول الى لفظ «مَليك» . . وكذلك لو أشبعنا الضَّمَّة في كلمة «عَجُز» فما نرى الضَّمَّة المشبعة قد باتت واواً فقيل «عَجوز» . .

فمن قال ان العرب أشبعت حركات ألفاظٍ فأنشأت ألفاظاً أخرى مثل دِرْهام وكلكال بدعوى أن الأصل فيهما درهَمٌ وكلكَلٌ فالجواب على ذلك أنَّ هذه الألفاظ وردت على هيئاتها دون أن يكون ماورد منها قد ورد بغير ألف فجعلوا له أَلِفاً أو كان قد ورد بألفٍ فخفَّفوا المَدَّ فيه . .

لذا يلزم التَّمْييز بين مدّ الحرف بسبب وجود حرف مدٍّ وراءه وبين اشباع حركةٍ ما ليكون لها شبه امتدادٍ دون أن يُعَدَّ ذلك ضرباً من المدّ أو شكلاً من أشكاله . .

انَّ الحـركـة المُشْبَعـة إنَّـما هي حركة سائبة لا طائل فيها ولا حَدٌّ يُعْرَفُ لها لأنَّهـا لاينشأ منهـا شيءٌ يُضـاهي المـدّ أو يحاكيـه . . وهي كذلك صوت غير معـترف به في شيء من التّـلاوة القـرآنيّة ولا في الكلام الفصيح الأصيل وانّما يقع من ذلك ما يقع في أغاني النّساء على وجه التّغَنُّج . . وقد يكون من هذا التّغنُّج ماسمّاه الشّاعر لحْناً في قوله ـ في صفة امرأةٍ وصفها ـ

منطق رائع وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

هذا ان لم يكن الشّـاعـر قد أراد أنّهـا تعمّي الحـديث تعميـةً وتخفي القصـد المقصـود به . . ولابُـدَّ من العلم بأنَّ الحـركـة لايكفي زمنُها للتّمويج الاّ عند إشباعها وليس اشباعها معترَفاً به إلاّ في ألفاظ العامّة ، وفي ألفاظ أناسٍ من أصحـاب صنـاعـة الغنـاء ممن يعنيهم التّطـريب دون الالتزام بقواعد البَيان العربيّ وأصوله الصّوتيّة وان كان يُباح لهم بعض ذلك ان لم يصل الى حدّ الاستبشاع[٣٦] . .

وقـد وهم الشيـخ الميهيّ في كتـابـه «فتـح الملك المتعـال» حين قال : فاذا أشبعتَ الحـركـة ـ يريـد الفتحـة ـ تصـوّرت منهـا الألِف ، وكذا اذا أشبعتَ الكسرة تصوّرت منها الياء ، واذا أشبعتَ الضّمّة تصوّرت منها الواو» . .

وهـو وَهْمٌ وَقَـعَ فيـه من القُـدامى «ابن جِنّي» حين قال : «انَّ الحـركـات أبعـاض الحـروف» وكـان الميهي قد نَقَـلَ قول من قال : «انـما اختصّت هذه الحـروف الثـلاثة بالمدّ ولم يكن المدّ في غيرها لأنَّ المدّ موجود فيها لأنها أنفاس قائمة في هواء الفم» . .

ومن ظَنَّ أنَّ الاستشهـاد ببعض ما نطقت به العـرب من الألفاظ التي تُمَدّ ولا تُمَدّ يقوم حُجّةً على نشوء الحروف من الحركات عند إشباعها ، فقد غابَ عنه أنَّ للعرب وَضْعَ الألفاظ على أكثر من هيئة لذا جاء قولهم دِرْهَمٌ ودِرْهام

وكَلْكَلٌ وكَلْكالٌ وزَمَنٌ وزَمانٌ ورَشَدٌ ورَشادٌ.. ولا شأن للمدّ الذي زُعِمَ أنّه ناشيء من إشباع الحركات بمثل ذلك..

وقد تكون الكلمة قد وُضِعَتْ أوّلاً بألف ثم وضعت بعدها الكلمة التي لا ألف فيها دون تقدير وجود علاقة بينهما..

وكذلك وقع في ذات الوهم الامام القسطلانيّ في كتابه «لطائف الاشارات» اذ قال: «ووزن الحركة بالتحقيق نصف الحرف المتولّد عنها ولذا سمّوا الفتحة الألفَ الصُّغرى والكسرة الياءَ الصُّغرى والضُّمّة الواوَ الصُّغرى»..

قلنا لاعبرة باطلاق هذه التّسْميات على ما أُطلقت عليه اذ لايكون من إطلاق اسم على شيء أن تَثْبُتَ له حقيقةٌ ابداً، مالم يثبت هو بحدّ ذاته سواء سمّي أم لم يُسَمّ.. وقد فصّلنا الكلام على هذا قريبا..

ومن هنا كان لابدّ من الاعتراف بأن حروف المدّ تسبق بحركات ملائمة لها لتكون هناك مطاوعة في الحرف لما يراد له من حالة المدّ..

غير أن الملاءمة بين الحركة وحرف المدّ لا دلالةَ فيها على أنّ الحركة من جنس المدّ فانّا نرانا نقول «طَيْرٌ» فيقع عندنا لينٌ في هذا اللفظ وكذلك هو كائن على المواءمة بين حركة الفتح التي على الطّاء وبين الياء السّاكنة سكوناً انسيابيّاً دون أن تكون هذه الفتحة من جنس الياء رغم التحامها في الحالة المدّيّة والمدّ كائن في ياء طَيْر وفي واو طَوْر ولم يدّع أحد في هذا شيئاً غير الذي قلناه... على أن الحركة انّها تتلاءم ويقع لها التّناغم وحرف المدّ على وجه الانتقال الانسيابيّ الى السُّكون.. أما الاشباع فيها فانّه لاينقلها الى شيء من السُّكون، فلو أشبعنا حركة الفتحة التي على الميم في «زَمَن» فانّها تظلّ حركة خالصة أي تظلّ فتحة لا غير، فان قلنا «زَمان» فانّ الفتحة التي على الميم مالم تكن مشبعة فسرعان ما تنتهي الى السُّكون الكائن في الألف

فتنصبّ فيـه، فان أشبعنـا الفتحـة استحـال الانتقال الى صوت الألف كل استحـالـة. . فانْ أصـررنا على هذه النُقلة ظهر النّشاز في ذلك بكل بشاعته بحيث يُعْلَم منـه أن سبيـل اشبـاع الفتحة غير سبيل النُطق بالألف. . وكل الذي ينشأ هنا هو مقطع زوجي أوله متحرك وثانيه ساكن، ولا نرى فرقاً بين هذا التركيب وبين قولنا «مَنْ» فانَّ المقطع الزَّوجيّ في مكانه هذا مؤلَّف من حرف متحرك وآخر ساكن كالذي مَرَّ في قولنا «ما». .

وهناك نقطة أخرى يمكن الاحتكام اليها في هذا الموضوع تلك هي أنَّا نقول «وُجوه» فنرى الواو قد تقبّلت الضَّمَّة فوقها[٢٧]، ويعني هذا أنَّ الواو حريّ بها أن تتقبَّـل الضَّمَّـة قبلها لأن الواو اذا كانت بمقام الحَركة فانّ الحركة لاتتكرر في مكـان واحـد. . ولا عبرة بما يكتبه الكُتّاب من ضَمَّتين وفتحتين وكسرتين على خواتيم الألفاظ عند تنوينها، فانَّ ذلك لادلالة فيه على تكرار الحركة، وماهو الاّ علامات ابتدعها أصحاب صناعة رَسْمِ القَلَمِ صَرْفاً للكُتّاب عن تكرار حرف النّون في المنوَّنات التي يكثر ورودها في الكلام. .

فلو كانت الـواو في حكم الضَمَّـة لما جاءت عليها ضَمَّة أخرى. . ولكان من العجب تأويل حال الواوين في «ووُرِيَ»[٢٨] اذ لايعلم أين موقع الواو وأين موقع الضَّمَّة، وأين موقع السُّكون. .

انَّ نطق الحروف المتحركة يتمّ وفق قاعدة تختلف عن قاعدة نطق الحروف السَّـاكنـة ففي السَّـاكنة يكون النُطق بقرع مخرج الحرف وفي المتحركة يكون النُطق بالانفصـام عن مخرج الحـرف فاذا قلنـا «مـا» فانّ القـاعدة هنا تكون قاعدة النُطق بالحرف المتحرّك وهذا يدلّ على أن الميم أخذت حركة الفتحة عند ارادة نطقها مقرونة بالألف. .

وعنـد ملاحظتنـا القـانـون العَـروضيّ فانّا وجدناهم يقولون في الفاصلة الصُغـرى إنّهـا ثلاث حركـات بعـدها سكون كقولنا في بيت قافيته (الجَبَلُ) فالـلام هنـا مشبعـة وكأنهـا مؤلفـة من لامٍ بعدها واو. . وبهذا تكون الجيم مفتـوحـة والبـاء مفتوحة واللام مضمومة وأما السّاكن فهو الواو بعد اللام. . وبهذا ظَهَرَ أنَّ اللام لم تعدم الحركة لأنَّ العَروضيِّين لاحظوا فيها ذلك، ولولا ماذهبـوا اليـه من وجـود الحـركة على الحرف المقرون بحرف مَدِّيّ لجعلوا في مثـل هذا اللفظ حركتين، ولقالوا إنَّ الفاصلة الصُغْرى حركتان فسكون. . ولكن كيف لهم أنْ يقـولـوا ذلـك وهم يرونهـا مؤلفـةً من سَبَبٍ ثَقيـل وآخـر خفيف. . والخفيف عندهم مقطع صوتي زوجيّ، والمقطع الزَّوْجيّ ما يكون مؤلفاً من حرفين أولهما متحرك والآخر ساكن. .

وفي اعـراب قولنـا «جـاءَ أَبي» نقول إنَّ ضَمَّة الفاعل مقدَّرة على ما قبل الياء وقد مَنَعَ من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة المناسبة التي هي الكسرة قبل كل ياءٍ مدِّيَّة. .

والـذين زعمـوا أنَّ إشبـاعَ الكسـرة ينتهي الى اليـاء بسبب هذا الاشباع يبرهنون بقولهم هذا على أن الياء مسبوقة بالكسرة وان لم يفطنوا الى ذلك. .

وقـال أهـل التَّصـريف في «قـال» ـ مثلا ـ: انّ أصلها «قَوَلَ» فاذ كانت الواو متحـركـة وقـد انفتح ما قبلها فانها قلبت الى ألف. . وعلى هذا فان الفتحة التي على القـاف والتي سبقت الـواو المنقلبة الى ألف ظلّت فتحة على ذات حالها ولم يقل أحد إنَّها زالت وحذفت من جراء قلب الواو الى ألف. .

وهنـاك مادّة تصلح للنقـاش في هذا الأمـر ـ وقد تكون الأخيرة ـ وذاك أنّا نعلم أنَّ الهمزة حرف قابل للحركة والسُّكون غير الانسيابيّ أي غير المدِّيّ،

فاذا قلنا «ء امَنَ» فانّا نعلم أنَّ الهمزة قد لابست الحركة التي هي الفتحة هنا، ولايمكن أن تلبث الهمزة من دون حركة الفتح هذه حتى يصل اليها الألف فتكون لها صورة في السَّمع . .

ويجدر العلم بأنَّ النّاطق بالهمزة - هذه - وهو يريد ان يجعلها تتّصل بالألف يلفظها على هيئة فيها استعداد ظاهر للعلوق بالألف . . فان أراد لها العلوق بالواو هَيَّأ الجَوَّ اللازم للعلوق بالواو . . وان اراد لها العلوق بالياء هَيَّأ لها الجَوَّ الملائم لذلك، مما يفهم منه أنَّ الهمزة لاتستجيب - هي وأيُّ حرف آخر - لحروف المدّ التي هي الألف والواو والياء مالم يكن فيها تَقَبُّل لذلك من طريق الحركات المعلومة . .

فانَّ حروف المدّ لاتستطيع التَّحكُّم في آلات النُّطق الفمويّة دون الاستعانة بالحركات التي تعدّ جِبِلِّيَّة العلاقة بالحروف خلافاً لحروف المدّ التي يكون وجودها في الصَّوتيّات وجوداً في المرحلة الثّانية . . لذا نُصِرُّ على أنَّ الحركات مستقلّة في أعمالها عن حروف المدّ . . وفي ما أوردناه في مناقشة ذلك كفاية . .

على أنا نرى فى المعاجم الموثوقة حروفَ المدّ مسبوقةً بالحركات، ومن ذلك في مختار الصّحاح: «فُرْطُوسة الخنزير بضم الفاء والطّاء أنفُه» . . باثبات الضَّمَّة على ما قبل الواو . . .

وجرى على ذلك في سائر الألفاظ ومنها «وَجَدَ مَطْلُوبَهُ يجده وُجُودا» و«وَجَبَ البيع وُجُوباً» وجُنوبُها ووُثُوبا والوُضُوءُ والوُعُول وفي ذوات الألف الأصوَات والوطَاء والوَغَى وأُذُنٌ واعية، وفي ذوات الياء الوَطيئة على فعيلة والوطيس: التّنّور . . وهانحن نجد المختار قد أثبت الحركات قبل حروف المدّ بما يشير الى أن ذلك مسألة مفروغ من الاعتراف بواقعها .

هوامش المدود وأحكامها

(١) ـ قال القسطلاني في «لطائف الاشارات لفنون القراءات» ـ ص١٨٧ ـ «وأما السّكون فنوعان حيٌّ وميّت، فالثاني الألف وأختاها لأنهن لاحيّز لهن ولا مقطع لهن محقّق، فان انفتح ما قبل الواو والياء فسكونهما حيٌّ لأخذ اللسان الياء، والشّفتين الواو كسائر الحروف» وقد مثّل له برمَيْتْ وعَفَوْت غير أن السُّكون فيهما سكون انسيابيّ أيضاً عند الوقف. . وأشار كذلك الى السّكون الميت والحيّ الشّيخ النوّري الصفاقسي في كتابه «تنبيه الغافلين». . وجاءت الاشارة اليهما في «حق التلاوة» من كتب المتأخرين. .

(٢) ذهب الشّيخ برهان الدّين بن وثيق الأندلسي في كتابه «الدّر المرصوف في مخارج الحروف» الى أحكام متباينة في اختصاصات حروف المدّ اذ قال ـ ص ٤ ـ «والممدودة ثلاثةٌ الياء المكسور ماقبلها، والواو المضموم ما قبلها، والألف، وهي حروف المدّ واللين وسمّيت بذلك لأنّ الصّوت يمتدّ بها بعد اخراجها من مواضعها، الاّ أن المدّ في الألف أكثر من الياء والواو، لاتّساع الصّوت بمخرج الألف». . وهو رأي غريب اذ لايتّضح الفرق المتوهَّم في المجالات المدّية بين هذه الحروف في شيء. . وهو قول كان ابن جني قد نوّه به في قوله «الاّ أن الألف أشدّ امتداداً وأوسع مخرجاً» وكان سيبويه قد قال ـ في صفة الألف ـ «اتسع لهواء الصّوت بمخرجه أشدّ من اتّساع مخرج الياء والواو» ـ ص ٣٢٤ «الدرّاسات اللهجيّة والصّوتية عند ابن جنّي» ولسنا نرى في هذه المواصفات ما يجعل حالة المدّ في الألف أكثر منها في الواو والياء عند القيام بمطاولة النَّفس والتّصويت بين المقاطع الصّوتيّة الممدودة بالألف والواو والياء. .

واتساع المخرج في الألف وضيقه في الواو لاينشأ منه البتّة أن يكون الامتداد في الألف أكثر من الامتداد في الواو أو الياء. . بل ان ضيق المخرج قد يكون أكثر إبطاءاً للمدّ في مجال مدّه، لأنّ الهواء المعدّ للجريان في مجراه المدّي العريض ينفد في وقت قريب قبل نفاد الهواء في المجرى الضيّق. .

وقد شاء الدكتور نعيم اليافي ـ في بعض مقولاته ـ أن يفسّر ذلك بقوله: «وساعةَ النُّطق به ـ حرف

الألف ـ ينفرج الفم أقصى ما يكون الانفراج» . .

ان انفراج الفم أقصى ما يكون الانفراج عند النُّطق بالألف لا واقعَ له ، وانَّ شيئاً من هذا اذا كان فانَّما يكون بقدرٍ ضئيلٍ عند حروف الاستعلاء المحركة بالفتحة والتي يليها حرف الألف ، ولايكون في غيرها ألبتَّة . .

وكان ابن الجزري قد ذكر في النَّشر أن الفتح ينقسم الى شديد ومتوسط فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف ، ولايجوز في القرآن بل هو معدوم في لغة العرب ، وانَّما يوجد في لفظ عجم الفرس ولاسيَّما أهل خراسان . . .

والغريب أنّ مصطلح المدّ استعمل لدى يحيى بن سلام البصري القيرواني من رجال القرن الثاني الهجري في معنى النَّبرة الصَّوتيّة الدَّالَّة على الاستفهام . . وكذلك استعمله ابن زمنين من رجال القرن الرّابع ، ولايعدّ ذلك اصطلاحاً متداولاً في علم الأصوات . . ـ النّشرة العلميّة للكلّيّة الزّيتونيّة «عام ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ» أطلعني عليها الكاتب البغدادي المتتبّع الأستاذ عبدالرزّاق الجزّار ـ . .

(٣) ـ الملاءمة لاتدل على أن الفتحة من جنس الألف أو أن الحركات أبعاض الحروف فانا نقول «طَيْر» بمدّ الطاء مع الياء مدّ لين . . فنرى هناك ملاءمة ظاهرة ولكن الفتحة ليست في ذاك من الياء البتَّة . .

(٤) ـ لو أشبعنا الفتحة في سين «حَسَن» فانها لاتتحصل منها ألف ألبتة وانما تظل الفتحة تطول دون أن تنحو نحو الألف بقليل أو كثير . . ومثل ذلك فتحة الميم في «زَمَن» فانها لن تنقلب عند اشباعها الى «زمان» . . ولا في شين «رَشَد» فتؤول الى «رَشاد» ولا في ميم «رَمَد» فتؤول الى «رماد» . . وكذلك القول على اشباع الكسرة في لام مَلِك فانها لن تنقلب الى «مليك» . . ولا في «عَلِم» لتصير الى عليم . .

ومثل ذلك اشباع الضمة في نون «جُنُب» فلن تنقلب الى «جنوب» . . وما يقال من أن مدّ الصلة ناشيء بسبب اشباع كسرة أو ضمّة لايصحّ منه شيء وانما هو حرف مقدّر ولكنهم أهملوا كتابته الاّ في خط العروضيين . . على انَّ مقولتهم هذه وردت في أمّهات كتب اللغة وصارت موضع احتجاج المحدثين . .

وانما يلاحظ أن هناك واواً وياءاً تبرزان عند المدّ في ضمير الصلة وما اليه دون أن يكون للاشباع شأن أو دور ما في تكوين حرف من حركة . .

فالحال هنا كالحال عند نظائرهما في المقولات العروضية التي تظهر فيها الحروف المقدرة بكل

وضـــوح . . وذاك لأنهـا حروف مدّ مقـدرة وليست حروفـاً طارئـة أومستـولـدة . . بل هي في الخـطّ العروضي مرئيّة ومثبتة . .

وتوضيح ذلك وتفصيل الكلام عليه آتٍ في الكلام على مدّ الصّلة . .

٥ ـ قد يقـع في شيْ من الشّعـر هدر المـدّ ، في الصلة والطّبيعي وهـو غيـر مقبول ألبتّةَ ـ ومن ذلك لشاعر معاصر ـ:

ضَحّوْا بأرواحهم كي يستعيدوا لنا . حقّاً وينتقموا من ظالمٍ جارا

فانه في «يستعيدوا» لَفَظَها بغير مَدّ اذ نطق بالمقطع الممدود وكأنه مقطع فرديّ مضموم لا «واوَ» فيه، وهو من نمطِ ما تغبن به المدود الواجبة المدّ . .

وقد وقع من هدر المدّ في الشعر القديم مالا يزكّيه القدم ولا يدفع عنه انه وقع لشاعر من فحولهم . . ومن نماذج ذلك وكان «سيبويه» وغيره قد أوردوه في غير مقام النقد ولا على جهة الاعتراض . .

قال ـ وهو للأعْشى ـ وقد هدر المدّ في هاء «له» الأولى : ـ

ومالَهُ من مجد تليد وماله من الريح فضلٌ لا الجنوب ولا الصّبا

ولمالك بن خريم الهَمْداني ـ وقد هدر المد في هاء «نفسه»:

فانْ يك غَثّاً أو سميناً فانّني سأجعل عينيه لنفسِهِ مقنعا .

ولحنظلة بن فاتك ـ وقد هدر المدّ في هاء «بعده» : ـ

فأيقن ان الخيل اذ تلتبس به يكن لفسيل النخل بعده ابر

وهدر المد شاعر في هؤلاء ـ اذ لم يمدّ الهاء في اللفظ ـ:

تجلّد لاتَقُلْ هَؤلاء هذا
بكى لما بكى أسفاً وعيّا

وهدر شاعرٌ مما أنشده ابن الأعرابي في هاء «انّه»:

وفي النصف من خوانّ وَدّ عدوُّنا بأنّه في أمعاء حوت لدى البحر .

وفي الرجز:

هَذّاً بـأفـواهِهَـا حـتـى تَأْبَيْهْ
٢١٢٢/ ٢١١٢/ ٣٢٢
مستفعلن مفتعلن مفتع لان

فانّه هدر مدّ «هـا» التي هي ضمير الغـائب، فنطق بهـا بفتحة لا ألف بعدها . . ـ أورده في اللسان حرف الزّاي في مفردة «زين» ـ

وقـد يكـون هدر المـدّ عند وجـوب المـدّ بسبب من التّغنّج الغنـائي كالـذي وقع لمُغَنٍّ غنّى قول الشاعر : ـ

أمّا القطاةُ فانّي سوف أنعتها نعتاً يوافق عندي بعض ما فيها

فهدر المدّ في «ما» فقال «بعض مَفيها» . . وتابعه مقرىء : «أمّا السفينةُ فكانت لِمَسَكينَ يعملونَ في البحر» بسينٍ غير ممدودة في مجرى الألف الذي بعدها . . وانّما اللفظ الملفوظ «مساكين» باثبات الألف وجوباً لأنه في أصل النص وصُلْبِه . .

ومن غريب هذا الهدر في المدّ وكلّها غريب قول أبي النّجم العِجْلِيّ :

جَزاه عَنّـا رَبُّـنـا رَبُّ طَهـا

ثُمّ جَزاه الـلّهُ عَنّـا اذ جزى

جنـات عَدْنٍ في الـعـلاليّ الـعُـلى

فلقد هدر المد في طاء «طَها» يريد «طه» اسم السّورة القرآنيّة التي تلفظ ممدودة المقطعين أي «طاها» . .

وعلمـاء التجـويـد على ما جاء في «عَرْف النّدّ» لايجيزون إسقاط المدّ وإعدامَه في مثل بِسْمِ اللّهْ والحَمْدِ لِلّهْ فقد نقل أبو العباس الهلالي عن الشيخ على الأجهوري في شرح المختصر ما نصّه : ولا بدّ في الجلالة من المدّ الطبيعي فانّ تاركه لاتجوز صلاته وكذلك الذّاكر لايكون ذاكراً بتركه» قلنا وكان هذا ولايزال جارياً على ألسنة العامة ، كما أنّه ورد في بعض قول الشعراء ومنه :

أقبلَ سيلٌ جاء من أمر اللّهْ يَحْرِدُ حرد الجَنّةِ المُغِلّة .

(٦) ـ عرف المغنـون باطـالـة المدّ فصار ذلك من بعض شأنهم واختصاصهم لذا ترك لهم ذلك . .

وقد أشار أبو النّجم العجلي الى هذه الخصيصّة في المغنين بقوله : ـ

يدعو كأنّ العقب من دعائه صوت مُغَنٍّ مَدّ في غنائه

وقال ابن الرومي في مغنّية :

مَدٌّ في شَأْوِ صوتها نَفَسٌ كافٍ كأنفاس عاشقيها مَديدُ .

(٧) ـ قدّر مؤلف «التجويد وعلوم القرآن» الحركتين بثانية واحدة . . وقال في ذلك «كما تقول واحد . . اثنين . . » . . وقال مؤلف «فنّ الالقاء» ـ ص ٨٠ ـ «وقد وضعوا له مقاييس لاتقلّ عن حركتين بالاصبع ينثني ثم يستقيم» . . وفي «حق التلاوة» جاء قول مؤلفه «قدّر بعضهم الحركتين بمقدار زمن نطق بب أو تت» . .

وقال مؤلّفوا «الفريد في علم التّجويد» ـ ص ٢٣ ـ «وقد حَدّد العلماء الحركة بقبض الاصبع أوبسطه» . . وجاء مثل ذلك في كتاب الشّيخ الطّائي الموسوم برسالة في قواعد التّلاوة ـ ص ١٠٤ ـ اذ قال «ومقداره أَلِفٌ ، والألِفُ حركتان ، والحركة مقدار قبض الاصبع أو بسطه» . .

وفي كتاب «تجويد القرآن العظيم» لابراهيم الحقيّ جاء قوله : «واذا وُجِدَ حرف المدّ دون سببه فهو مَدٌّ طَبيعيٌّ لا يُمَدُّ الاّ مقدار أَلِفٍ واحد وذلك مقدار زمان رَفْع الاصبع» . . قلنا ونراه واهماً . .

ونقل «فرج توفيق الوليد» في كتابه «قواعد التّلاوة وعلم التّجويد» ـ ص ٩٨ و ٩٩ ـ عن «التّجويد والأصوات» ـ ص ١١٧ ـ في تفسير الحركات ما نصّه : ـ «بمعنى أنّنا حين نقرأ ـ فَصَلَ طالوتُ ـ ونمدّ أَلِفَ طالوت حركتين فانّا نعطيها من الزّمن في النّطق مقدار ما ننطق به حرفين» . . قلنا وهذا قياس غريب . . وقال الشّيخ الكندي السّيلاني في «مَغْنَم الصّبيان» ـ ص ٢٦ ـ «ثمّ انّ هذه الألِفاتَ المذكورات قدرُ كل أَلِفٍ منها حركتان عربيّتان وكان مشائخنا يقدّرون ذلك تقريباً بحركات الأصابع أَيْ قبضاً فقط أو بَسْطاً فقط أو مَعاً وذلك يكون بحالة متوسّطة ليست بسرعة ولا بتأنٍّ . . ومن قال بأنّ أطول المدّ خمس ألفات فعنده مقدار كل أَلِفٍ حركة فتكون الجملة سِتُّ حركات لأنه يريد غير مافيه من المدّ الطّبيعي ، ومقداره عنده حركة فتنبّهْ لذلك لئلاّ تختلف عليكَ الأقوال» . . قلنا والأخذ بهذا التّفسير قد تضطرب عنده المقاييس ، لأنّ لكلّ مؤلّف اصطلاحه . .

ويجدر التّنبيه هنا الى أن قياس المدّ بالحركة لايعني حركة الفتحة ونحوها انّما يعني حركة الاصبع رفعاً وخفضاً . .

فانّا نعلم أن المدّ الطبيعي في (كا) يستوفي حقه المدّيّ بحركتين فان توقفنا في ذلك عند حركة واحدة أي برفع الاصبع دون خفضها في نطق (كا) وجدنا الفرق كبيراً بين هذا الصوت وبين قولنا (كَ) بكاف محركة بالفتحة ، وبهذا لاتكون حركة «كَ» ذات الحركة الواحدة مشابهة لنطقنا (كا) بحركة واحدة . .

كما أن الحركة من مثل الفتحة والكسرة حالة صوتيّة من جراء شدة ارتباطها بالحرف لاتتميّز بما يميز حدّها وحجمها ، لذا لايصحّ اتخاذها مقياساً تقاس به حروف المدّ حالة المدّ . .

وبهذا لايصحّ قياس (كَ) المفتوحة بـ (كا) الممدودة حركة واحدة لأنّ هذه مؤلفة من حرف ذي حركة

وألف مد ممدودة حركة واحدة . .

ولقد غنّى المغنّي المصري محمد عبدالوهاب «ياجارة الوادي طربتُ» فمدّ التّاء في «طربتُ» . . وقديماً عاب اسحاق الموصلي على ابراهيم بن المهدي اشباعه ضمّة التّاء في غنائه «ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّي» وقال هذا يشبه لفظ النّبط . .

(٨) - استعمل مؤلف كتاب «التجويد وعلوم القرآن» مصطلح الأسباب في معنى أدبي ذوقي اذ قال - ص ٣٣ - في الكلام على أسباب المدّ: «انها ضرورة صوتية لكي يظهر جمال الكلام» وهو استعمال يختلف عن الاستعمال الاصطلاحي المعروف عند الكلام على أسباب المدّ وحروفه . .

(٩) - وقع التّخلّف في بعض المدود الأصيلة لأسباب إلقائية ومن ذلك (فعسى ربّي أن يُؤتيَن خيراً من جنّتك) - الكهف ٤٠ - . . ويكون الوقوف على هذا الحرف بلفظ «أنْ يُؤْتيَنْ» . . والتّخلف في مدّ الصّلة في «يَرْضَهُ» من هذا الجنس . .

(١٠) - في المدود المنفصلة مثل «فَأْوُوا الى الكهف» وفي العارضة «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايَسْتَوون» - ومثل «والذي يُميتُني ثُمّ يُحْيينْ» .

(١١) - سمّاه بعضهم مَدُّ التّمكين بدعوى أنه جلب المدّ ليتمكّن به من تحقيق الهمزة وإخراجها من مخرجها، وهي تسمية لم تَرُجْ في سوق المصطلحات . .

(١٢) - قال في «تحفة المريد في علم التجويد» - ص ١٢ - «المد المُتّصل مقدار مدّه أربع ألفات ومدّه واجب» وقال القول نفسه مِنْ قَبْلُ علي ظريف الأعظمي في كتابه «دروس التجويد» اذ قال - ص ٦ - في الكلام على المدّ المتّصل: «ومدّه واجب لاتفاق القرّاء عليه، ومقداره أربع ألفات» . . وقال مؤلف «التّجويد وعلوم القرآن» في كلامه على المدّ المتّصل والمنفصل «اذا جاء بعد حرف المدّ همزٌ يلزمنا أن نزيد المدُّ قليلا لأن الهمزة تخرج من آخر الحلق فنجعل المدّ أربع حركات - بمقدار ما نقول واحد . اثنين . . ثلاثة . . أربعة . . - ويجوز أن نزيدها الى خمس أوست حركات . . »

(١٣) - يتخلّف هذا النّوع من المدود في مواقع قرآنيّة كثيرة حين تحذف الياءات في الكتابة القرآنيّة . ومن ذلك مثلاً: «ولولا إذْ دَخلْتَ جَنّتَكَ قُلْتَ ما شاء الله لاقُوّةَ إلاّ بالله إنْ تَرَنِ أنَا أقلَّ منكَ مالاً وَولَداً» . .

فانّ الياء اذ حُذفت في «تَرَني» فصارت «تَرَنِ» لم يبقَ ثَمّةَ مجالٌ للمدّ المنفصل على أيّ وجهٍ من وجوهه، أي لايكون قبل الهمزة حرف ياء بل تكون هناك كسرة لا غير، ولا شأن للكسرة بحكاية

المدّ منفصلاً أو طبيعيّاً . .

(١٤) - لايعدّ المدّ في العين من «كهيعص» مدّاً لازماً وان كان السكون فيه سكونا لازماً - بحيث لايباح لنا أن نحرّك النون التي في - عَيْنْ - للزوم سكونها الذي أشبه سكون البناء، فانّ المدّ فيها مدُّ لين إلّا أنه يعامَل معاملة اللازم من الناحية الوجوبيّة . .

(١٥) - لانماذج للمدّ اللازم بعد الياء في القرآن الكريم الّا في حالة الأخذ بالادغام الافتعالي في مثل «الرّحمن الرّحيمْ مالك يوم الدّين» فانا انْ سكّنّا الميم في الرحيم وواصلنا القراءة كان هناك نمطٌ من الادغام يقع قبله المدّ اللازم اليائي، وهو مذهب في القراءة نجد بمقتضاه نماذج غير قليلة من هذا الادغام مقروناً بالمدّ اللازم . . ولكن وجد في بعض التّسميات مدٌّ لازمٌ من هذا النّمط مثل اسم «أبي القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي» . . قال في القاموس : «ابن فِيرُّهْ بكسر الفاء وضمّ الرّاء المشدّدة ابو القاسم الشاطبي رحمه الله ومعناه الحديد بالمغربيّة» - ٣/ ٤١٨ و٤٧١ - . .

(١٦) - اذا كان المقطع الصّوتي صالحاً أن يوقف عليه وقع مدُّ اللين فيه، والّا فلا مَدّ لين هناك، اذ لامَدّ لين فيما لايصلح أن يوقف عليه من المقاطع من نحو« وما بَيْنَهما» فانَّ «بَيْنَ» في هذا اللفظ لايصلح عليها الوقف بأي حال من الأحوال لأنّها جزء من كلمة لاتكتمل بالوقوف عليه كما أنه لايقف الناطق بِلَفْظٍ عند منتصفه وقبل تمامه . . قال علي ظريف في «دروس التجويد» - ص ٩ - مانصّه :

«ولا يجوز المدّ اذا وُجِدَ بعد حرف اللين حرفٌ متحرّك مثل علَيْهِمْ ولَدَيْهِم والَيْهِمْ» . . وقد أراد أن يقول ما قلناه من عدم إمكان الوقوف على مثل هذه المقاطع لأنها ليست هي كلّ اللفظ المطلوب لفظه . .

(١٧) - في «مختار الصّحاح» في الكلام على «أنا» مانصه : «والألف الأخيرة انما هي لبيان الحركة في الوقف، فانْ توسطت الكلام سقطت الّا في لغةٍ رديئة - أنا سيف العشيرة فاعرفوني» . وفي اللسان حكم عليه بذات الحكم .

(١٨) - أخطأت فيروز المغنّية اللبنانيّة في عدم التّمسّك بالقاعدة في قولها «غَنَّيْت مَكّةَ أهْلَها الصِّيدا» بمدّ الألف في أهلها دون ملاحظة وجوب التخلف في مدّه . .

(١٩) - يقع للتّنوين أن يتخلّف أيضاً بعض التّخلّف، فلا يكتمل التّنوين فيه وانّما يأخذ شكلاً آخر بسبب اتّصال الهمزة الوصليّة به . . إذ إنّ النّون السّاكنة التي هي عِرْق التّنوين وجذره تصبح مكسورة منعاً لالتقاء السّاكنين . . ولكنّ شكل التّنوين يظلّ على ماهو عليه كتابيّاً . . ومن ذلك :

«لِمَ تَعِظونَ قوماً اللّهُ مُهلِكُهُم. . . » فانّ التّنوين على «قوماً» قد انقلب الى فتحةٍ واحدة اذ نطق بها «قَوْمَن الله» وبأسلوب كتابة المقاطع «قَوْمَ نِلْ لاهُ». . والآية في الأعراف ١٦٤ .

(٢٠) - إنّ النّصّ القـرآنيّ اذا اقتُبِسَ وَوَقَـعَ له التّضمين في كلامٍ شعـريّ ، نُطِقَ به على الوجه الموزون، ومن ذلـك مثـلاً «وجفـانٍ كالجَوابِ» فانّه لو وَرَدَ في بيتٍ لكان المَدُّ كائناً فيه ، فهو يُعامل معاملةَ مايكون مختوماً بياء مَدّيّة :

في جِفـانٍ كـالجَوابي وقُـدورٍ راسياتِ

(٢١) - قال الدكتور هادي النّهرـ مجلة آداب المستنصريّة - ٣ : ١٥٥» مانصّه : افترض اللغويّون العرب وجود حركة قبل أصوات العلّة أو الطويلة من جنسها فزعموا وجود فتحة قبل الألف في «قالَ» وكسـرة قبـل اليـاء في «يـرْمي» وهذا خطأ . . اهـ . . هكذا قال والخطأ كل الخطأ في ما قال . . فالأمر ليس افتراضيّاً بل هو كائن . .

(٢٢) - قال الميهيّ في «فتـح الملك المتعـال» - ص ٢٦ - في الكـلام على حروف المَـدّ مانصُّه : «وهذه الحروف حركاتها في غيرها» . .

(٢٣) - التّسهيل تصرُّف صوتيّ له مواقع في آي الذّكر الحكيم ولكنه يكتب فيه اللفظ على ذات واقعه في رَسم القلم أي تثبت فيه الهمزة ومن ذلك «قل أرَأيْتُم ما تَدْعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أمْ لهم شِرْكٌ في السّماواتِ إيْتوني بكِتابٍ من قَبْلِ هذا . . . » - الأحقاف من الاية الرابعة - . . فانّ وصـل القـارىء بين كلمـة السّـماوات وائتـوني نطق بالهمـزة في ائتوني وانْ فصل بينهما ساكتاً على السّماوات وبادئاً بائتوني فله تسهيل الهمزة فيها الى ياء والوصل أولى . .

وقـد جاء في ص ٤٠ من «حقّ التـلاوة» . . «انّ كلمـة «ائتـوا» تقـرأ «إيتـو» اذا ابتـدىء بها، ذلك لان القاعدة هي اذا التقت همزتان ثانيتهما ساكنة في كلمة واحدة تبدل الهمزة الثانية حرف علة من جنس حركة الهمزة الأولى» . .

(٢٤) - اشباع الحركة طبيعة أعجميّة تبدو ظاهرة البشاعة في المنطق العربيّ ، فمن قرأ «ألَمْ يَجِدْكَ يتيماً فَآوىٰ وَوَجَـدَكَ ضالاًّ فَهَـدىٰ» باشبـاع فتحـة الكـاف في يجـدكَ وفي وَجَدَكَ فانه سيرى مذاقَ البَشاعة في اشباع حركة الفتحة حيث أُشبعها . .

(وقد لاحظت عند طوافي بالبيت الحرام - معتمراً - أنّ الملبّين تبرز عندهم الرُّطانة الأعجميّة خلال التّلبية بشكل تَنْذعِرُ له الآذان اذ يلفظون ألفاظ التّلبية : «إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ والمُلْكَ لَكَ لاشريكَ لك

لبّيك» . . بفتحات مشبعة على دال الحمد وتاء النِّعمة وكاف المُلْك وكاف لَكَ لاشريك لك . .

ووقع اشباع الفتحة في تلحين النَّشيد الوطني العراقي إذ أَشْبَعَ الملحِّن الفتحة في دال الفعل الماضي «مَدَّ» وأشبع الكسرة في قاف «الأُفقِ» و«نون الفُراتينِ» اشباعاً باتت به هذه الألفاظ مستبشعة غاية الاستبشاع . وذاك في قول الشاعر:

وطن مدَّ على الأُفقِ جناحا
وكَسَا أَرْضَ الفراتين وشاحا

وقد نَصَّ علماء اللغة والتَّجويد على بُطلان اشباع الحركات . . ففي «عَرْف النَّدّ في حكم حذف المدّ» قال في منع اشباع الحركة قبلَ الألف: «ومن هذا المعنى أنَّ بعضهم يُفْرط إفْراطاً فاحشاً في الفتحة قبل الحرف الواقع قبل الواو والياء حتىّ يتولَّد عنها ألف فيقول في عليهم «عاليْهم» وفي عليكم «عالَيْكُمْ» وذلك حرام لايحلّ سماعه فضلاً عن القراءة فيه . . ونَقَلَ قول النَّوَوي في كتاب التِّبيان أن اشباع الحركة حتى يتولَّد منها الحروف حرامٌ يفَسِّق القارىء به ويأثم به المستمع» . .

وشاع مثل هذا على لسان مدرِّبي الرِّياضة والتَّمارين العسكريّة في مثل «اِسْتعِدّ» و«اسْترِحْ» اذ ترد التّاء مشبعةً غاية الاشباع قصد التَّركيز على الأمر والتَّهييء له، وليس هو من العربيّة في شيء . .

(٢٥) اللغة العربيّة مبناها ومعناها للدّكتور تمام حَسّان: «وحروف العلة هي الفتحة والكسرة والضَّمَّة ثم الألف والواو والياء التي للمدّ» . . وقال القرمادي في هامش ـ ص ١٩ ـ لكتاب «دروس في علم أصوات العربيّة لجان كانتينو» ما نصّه: «الألف في نظرنا ليست حرفا» . .

وفي التعقيب على رأي الكرميدي يبدو أنَّ المقطع الصَّوتي «جا» في نظره مقطعٌ فرديّ لازوجي، وبهذا لايكون ثَمَّةَ فرق بين المَقْطع (جَ) المفتوح والمقطع «جا» المنتهي بسكون . . وحينئذ يختلّ على العروضيِّين تقطيع الأشعار لأنّ السَّبب الخفيف بات في هذه الحالة مجرد حرفٍ أَصَمّ أومجرّد حرف نصفٍ ثُقيل . .

ونزيد على ذلك أنَّ الألِفَ حرفٌ مَرْئيٌّ لايستغنى عنه في رسم القلم المعاصر والا التَبَسَ على قارئه ما كتب به وبغيره من نحو قولنا «ذَهَبٌ وذَهابٌ» وهذا أمرٌ غير طبيعي، اذ تفقد فيه الدلالات دلالاتها .

(٢٦) يقع في الشّعر ما يستوجب اشباع الحركة اشباعاً يسيراً لاتَوَغُّل فيه كقوله ـ وقد أشبع حركة الفتحة على الكاف في كأنَّه ـ وهو معيب

فصَـوَّبتـه كأنّـهُ صوب غَيْـمـةٍ	على الأمْعَز الضـاحي اذا سيط أحضـرا
٢٢١ /٢١٢١ /٢٢١ /٢١٢١	٢٢١/ ٢٢٢١ /٢٢١ /٢١٢١
فعـولـن مفـاعـلن فعـولـن مفـاعلن	فعـولـن مفـاعيـلن فعـولـن مفـاعلن

ويكثـر هذا في الطـويـل حين وَضْع «مفاعلن» موضع «مفاعيلن» في تضاعيف البيت لا في ضربه، وبذلك يقع للكسرة أن تشبع في عين «مفاعلن» التي عوّض بها عن العين في مقطعها الزوجي مع اليـاء في مفـاعيلن . . وعلى هذا يكـون لفـظ الكـاف في «كَـأَنَّ» بفتحة مشبعة قليلاً لتوازن الحركة المشبعـة في عين «مفـاعلن» التي أصلهـا «مفاعيلن».

على أنَّ مثل هذا الاشباع معيب في الحقيقة لاسيّما اذا عجز الشّاعر عن إخفاء رطانةٍ تكون لديه عند اشباع الفتحة كالذي وَقَعَ لمهيار الدّيلمي في الكاف في قوله:

حبـيـبٌ الـيـكَ أن تُزَفَّ عَرائـسـي	عليـك تَهادى بين شادٍ ومُـنْـشِـدِ
٢٢١/ ٢١٢١/ ١٢١/ ٢١٢١	١٢١/ ٢٢٢١/ ٢٢١/ ٢١٢١
فعـولـن مفـاعـلن فعـول مفـاعلن	فعـول مفـاعيـلن فعـولـن مفـاعـلن

فالكاف المشبعة فيه الفتحة في «اليكَ» ظاهرة فيه الرَّطانة رغم ثبوت فصاحة الرجل . . ومن قبل وَقَعَ لامرىء القيس الشّاعر الجاهلي مثل هذا حين قال:

ويـومَ عقـرتُ للعَـذارى مطـيّـتي	فيـا عجـبـاً من كَورهـا المـتـحمّـل
١٢١/ ٢١٢١/ ٢٢١/ ٢١٢١	١٢١/ ٢٢٢١/ ١٢١/ ٢١٢١
فعـول مفـاعـلن فعـولـن مفـاعلن	فعـول مفـاعـيـلن فعـول مفـاعـلن

ولكنَّ النَّصَّ الشّعـريّ يقـرأ باشبـاع حركـة الضّمّة التي على التّاء ليستقيم الوزن فيكون ـ مفاعيلن ـ ٢٢٢١ لامفاعلن ـ ٢١٢١ ـ . . وهومعيب لاشفاعة فيه أنّه من مقولات شاعر جاهلي الاّ أن يقال ان التّغنّي فيـه كان يخفيـه . .

(٢٧) ـ تسمى هذه الضّمّة بضمّة التّمكين . .

(٢٨) ـ تسمّى حالـة المدّ هذه بمدّ التّمكين . . قال الشّيخ الجريسي «ومعنى التّمكين أنّه يجب على القـارىء أن يفصـل بين الـواوين أو اليـاءين بمـدّة لطيفـة بمقـدار المـدّ الطّبيعيّ حذراً من الادغـام أوالأسقاط وهومَعْنى قول أبي علي الأهوازي: المثلان اذا اجتمعا وكانا واوين قَبْلَ الأول منها ضمّة، أو ياءين قَبْلَ الأول منها كسرة فانّهم أجمعوا على أنّها يمدّان قليلاً أي طبيعيّاً ويُظْهران بلاتشديد ولا إفراط . .»

أحكام الميم السّاكنة

للميم السّاكنة ثلاث حالات هي الادغام والتّماسّ والاظهار. . وهناك حالة رابعة يرد الكلام عليها في باب ما سمّيناه بالاخفاء. .

الحالة الأولى: وهي حالة الادغام. .

وذاك حين تلتقي ميمٌ ساكنة بميمٍ متحركة في مقطعين صوتيّين متجاورين، وقد يكون ذلك كائناً في كلمتين كما يكون في كلمة واحدة. .

ففي الكلمة الواحدة: ـ

«فـأمّـا ثمـودُ فأُهْلِكـوا بِالطّـاغِيَة، وأمّا عادٌ فأُهلكوا بِريحٍ صَرْصَرٍ عاتِية». . الحاقّة ٥ و٦

«محَمَّدٌ رسولُ اللّهِ والذين مَعَهُ أشِدّاءُ على الكفّارِ رُحَماءُ بينَهُمْ». . الفتح ٢٩

وفي كلمتين: ـ

«لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ ومِنْ فَوْقِهِمْ غَواش». . الأعراف ٤١

«كم مِنْ فِئَةٍ قَليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بِإذْنِ الله». . البقرة ٢٤٩

ويكـون هذا الادغـام مصحـوبـاً بغُنَّةٍ مداها الزّمني أرْبَعُ حركات. . وهناك نوع من الميـمات تكـون مُجْتَلَبَـة اجتـلابـاً بسبب إقـلاب النّـون السّاكنة الى ميم. . ومن ذلك:

«وآتـوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الـذي آتـاكُمْ» فانّ «مِنْ مالِ الله» تُلْفَـظ «مِمْ مالِ الله». . فالادغام هنا ادغام ميمٍ مُجْتَلَبَةٍ بميمٍ أصيلة، وهي وان كانت مجتلَبَةً

فهي ميمٌ على أيّ حال، إلاّ أنها لاتُكْتب ميماً ولا تُحصىٰ في الميمات القرآنيّة بل تكتب نوناً وتُحصى في جماعة النُّونات القرآنيّة الواردة في القرآن الكريم . .
وكذلك يُعْلَمُ من شَكْلِ كتابتها نوناً أنّها نون وان سُمِعَتْ بلفظ الميم وصوته . .

وهنـاك ميمٌ مجتلَبـة نادرة الـوجـود في النُّصوص تلك هي الميم المنقلبة عن باء ساكنـة في مثـل قولـه تعـالى : «يابُنيَّ ارْكَبْ مَعَنا» . . فانّ الباء السّاكنة حين قُلبت الى ميم صَحَّ ادغامها في الميم المتحركة الأصيلة في «مَعَنا» وفي حالة ما نسمّيه بالادغام الافتعالي ويسمّيه أهل الصّناعة بالادغام الكبير يمكن قلب الباء السّاكنة الى ميم عند التقائها به في مثل النَّصّ القرآني ان وقع فيه هذا النوع من الادغام «تَبَّتْ يدا أبي لَهَب وتَبَّ ما أغنى عنه ماله . . . » فان الباء في «تَبَّ» تقلب الى ميم فتـدغم في ميم ما أغنى ، وذاك من نوادر ما يقـع في هذا الباب . .

أمّـا في كلام النـاس فانّ من قال «مَنْ لم يَذْهَبْ معي» فانّ البـاء السّـاكنـة في «يـذهب» تقلب الى ميم وفق هذه القـاعـدة الاقـلابيـة . . فيقـول : «مَنْ لَمْ يَذْهَمْ مَعي» . . وهذا على غير وجه الايجاب . .

الحالة الثّانية . . وهي حالة التّماسّ [1] . .

وذاك اذا جاءت بعـد الميم السّـاكنـة باء ـ موحّدة ـ فانّ الميم تكاد تلتصق بها وتُمـاسُّهـا، ويكـون ذلك مقروناً بغُنّة مداها الزّمني أربع حركات كما لو كانت مدغمةً بميم . . ومن ذلك : ـ

«إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ» . . العاديات ١١
«تَرْمِيهِمْ بِحِجارةٍ مِنْ سِجِّيل» . . الفيل
«قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ» . . الأنبياء ١١٢

«فَتَقَطَّعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرا» . . المؤمنون ٥٣

فانّ الميم التي قَبْــلَ البــاء تُعَـدُّ في حالـة تَماسّ . . والمصطلح الشّـائـع لدى المُجَوِّدينَ هو أَنَّهم يُسَمّون هذا بالاخفاء الشَّفَوي ، في حين لا إخفاءَ هنا اذ لاتختفي الميم في الباء لأنهما أشبه بخطّين متوازيين يتماسّان ولايتقاطعان[٢] . .

كما اننــا اذا راقبنـا النّطق بهذه الألفــاظ مقطعيّــا وجــدنــا أنّـا ننطق الميم السّاكنة ـ سواء أكانت مظهرة بلا غنّة أوذات غُنَّة ـ مجرَّدة من أيّ علاقة بالباء التي تليها، فاذا انتهينا من نطق هذه الميم انتقلنا الى نطق الباء فهما صوتان مستقلّان غيرِ متداخل أحدهما في الآخر. . والاخفاء الذي يزعمون يقتضي أن لايكونا الاّ صوتاً واحداً . . أما ما يفسّر به البعض الاخفاء اذ يرى أنّه ترجيف الميم السـاكنـة عنـد الاقتراب من الباء ترجيفاً خفيفاً فانه تصرف في الأصوات غير طبيعي ، اذ الباء كما علمنا حرف قلقلة منخنق السّكون لايمكن استخدامه في الارتجافات الصَّوتيّة وفق قوانين النّطق السّديدة . .

وهنـاك من نوافي الاخفـاء الميمي أنَّ الحـرف المخفى إنّما يأتي بعدَ الحرف المُـخْفي في حين أنَّهم يدَّعــون أَنَّ الميم أُخفيت فكيف أخفيت قبــلَ النُّطق بالباء وكان الأَوْلى ـ افتراضاً ـ أنْ تخفى الباء في الميم لا الميم في الباء . .

كذلــك لاتخفى الميم في البـاء لأن الميم حرف انسيـابيّ السُّكـون والبـاء حرف غير انسيـابيّ السُّكـون لأنَّـه حرف قلقلة . . والميم حرف أَغَنُّ طبيعته الغُنّة التي من شأنها الاستمراريَّة خلافاً للباء التي لا غُنَّةَ لها . .

وعلى فرض كون الميم ـ عنـد سكـونـه ـ حرفـاً يتقبَّل القلقلة المفتعلة فانّ ذلك يمنع اخفاءه في أيّ حرف يأتي بعده لاسيّما ان كان حرف قلقلة كالباء ، لأنَّ القلقلة حالة ذاتية لها ظروفها الخاصة كما أَنَّ مجالها الصوتي يحول دون أن يتشرّب بصوت غريب ، فلا إخفاء إذَنْ في الميم الساكنة ـ ونعني بهذا الاخفاء

ما أرادوه وفق مصطلحهم الـذي سميناه التّماسّ لا الاخفـاء، اذ للاخفـاء عندنا معنى غير ماعنوه. .

وقـد تكـون الميم مُجْتَلَبَـةً من جراء إقـلاب النّـون السّـاكنـة الى ميم عند ملاقاتها الباء مثل أنْباء وأنْبياء ويَنْبَغي ومثل «مِنْ بابٍ واحدٍ» فانّ هذه الميمات المُجْتَلَبَـة تنـزل كذلك عند حكم التّماسّ فتلفظ مصحوبةً بغُنَّة عند من يريد لها ذلـك، أيْ عنـد من يرى تعميم مثل هذه الحالة. . فانَّ حكم التّماسّ في التقـاءِ الميم السّـاكنـة بالبـاء حكمٌ غير إجمـاعيّ، وكـان العراقيّون القُدامى يُظْهـرون الميم السّـاكنة اذا التقت بالباء. . ومن غير العراقيّين من أشار الى وجوب الاظهار في الميم مع الباء. . ففي «الرِّعاية» انه اذا سكنت الميم وَجَبَ أنْ يُتَحَفَّـظ باظهـارهـا ساكنة عند لقائها باءاً أو فاءاً أو واوا. . وأكد صاحب «الـرِّعـاية» على وجوب بيان الميم السّاكنة سكوناً صريحاً دون أن يحدث فيها شيءٌ من حركة، يريد بذلك أن لاتقع عليها صفة الاخفاء الذي سميناه التّماس. .(٣)

الحالة الثالثة ـ وهي حالة الاظهار:

وذاكِ أن تلفـظ الميم السّـاكنـة مُظْهَرَةً عند التقائها ببقيّة حروف الهجاء البالغ عددهـا هنـا ستّة وعشرين حرفاً أي مابقي من الحروف باستثناء الميم والباء ـ أمـا الألف وهـو بقيـة حروف الهجاء التسعة والعشرين فأمره ظاهر. . وهناك من لم يَسْتَثْنِ إلاّ الميم وجعل الباء من حروف الاظهار الميمي. .

ومعنى الاظهـار ـ هذا ـ هو أن لايُقَلْقَـل الميم، ولا يُخَضْـرَمَ بشيء من الغُنَّـة والتّشـديـد، ولايجوز قلب السُّكون فيه الى حركة ولايجوز كذلك اشمام الميم رائحةَ حرفٍ ما. . وفيما يلي نماذج من إظهار الميم في جميع حالاته الاظهاريّة على حسب حروف الهجاء:

مع الهمزة:
«ومِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لايَعْلَمونَ الكِتابَ».. البقرة ٧٨
«فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ».. التّين
«واذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُه زادَتْهُمْ إيماناً».. الأنفال ٢
«والذين كَفَروا بَعْضُهُمْ أَوْلياءُ بَعْضٍ».. الأنفال ٧٣
«وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بإذْنِ اللّهِ».. الأنفال ٦٦
«مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُمْ أَصْحابُ الجَحيمِ».. التَّوبة ١١٣
مع التّاء:
«إنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا نَصيباً مِنَ النّارِ».. غافر ٤٧
«رجالٌ لاتُلْهيهِمْ تِجارةٌ ولابَيْعٌ عن ذِكْرِ اللّهِ».. النُّور ٣٧
«أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعون أو يَعْقِلون».. الفرقان ٤٤
«أَمْ تُريدونَ أَنْ تَسْأَلوا رسولَكُمْ كما سُئِلَ موسىٰ مِنْ قَبْلُ».. البَقَرة ١٠٨
«كَمْ تَرَكوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيون».. الدخان ٢٥
وقد اجتمعت الميم السّاكنة والتّاء في كلمة واحدة في مثل: -
«أولئك الذين امْتَحَنَ اللّهُ قلوبَهُمْ للتَّقْوى».. الحجرات ٣
«لا تَرىٰ فيها عِوَجاً ولا أَمْتا».. طه ١٠٧
«ذلكَ عيسى بنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقّ الذي فيه يَمْتَرون».. مَرْيَم ٣٤
مع الثّاء: -
«وَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ ثلاثَمِئَةٍ سِنينَ وازْدادُوا تِسْعا».. الكهف ٢٥
«فقالَ تَمَتَّعوا في دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيّام».. هود ٦٥
«وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالِحا».. القَصَص ٨٠
«عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَاسْتَبْرَق».. الانسان ٢١

ومما اجتمعت فيه الميم والثّاء في كلمة واحدة: -

«إذْ يقولُ أمْثَلُهُمْ طَرِيقةً إنْ لَبِثْتُمْ الاّ يَوْما».. طه ١٠٤

«وَضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثال».. ابراهيم ٤٥

مع الجيم: -

«جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهار».. البَيِّنَة ٨

«لايُقاتِلُونَكُمْ جَميعاً الاّ في قُرىً مُحَصَّنَةٍ أوْ مِنْ وراءِ جُدُرٍ».. الحَشْر ١٤..

«وما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لايأكلونَ الطَّعام».. الأنبياء ٨

«وإنّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلوا أصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ».. نوح ٧

«ونُفِخَ في الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعا».. الكهف ٩٩

ولم نجد في المصحف كلمة واحدة اجتمعت فيها الميم الساكنة والجيم.. ولكن ذلك وجد في العربية مثل زَمْجَر ويمجع وأمْجاد وسَمْج..

مع الحاء: -

«وفي أمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسّائِلِ وَالمَحْروم».. الذّاريات ١٩

«أوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِنا».. القصص ٥٧

«فاتَّخَذَتْ مِنْ دونِهِمْ حِجابا».. مريم ١٧

«أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصْحابَ الكَهْفِ وَالرَّقيم كانوا مِنْ آياتِنا عَجَبا». الكهف ٩

«ثُمَّ تكونُ عليهِمْ حَسْرة».. الأنفال ٣٦

واجتمعت الميم السّاكنة والحاء في كلمة واحدة.. مثل -

«يَمْحو اللّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِت».. الرَّعد ٣٩

«يَمْحَقُ اللّه الرِّبا ويُرْبي الصَّدَقات».. البقرة ٢٧٦

مع الخاء -

«وقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلونَ عليْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ». الزُّمَر ٧١

«أَمْ خُلِقوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الخالِقون».. الطور ٣٥
«لاتَتَّخِذوا بِطانَةً مِنْ دونِكُمْ لا يَأْلونَكُمْ خَبالا».. آل عمران ١١٨
«ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ».. البقرة ٥٤
«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاس».. آل عِمْران ١١٠
«إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ في قُلوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ».. الأنفال ٧٠
مع الدّال ـ
«فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إِلاّ فِرارا».. نوح ٦
«حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهم وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذابٌ شديد».. الشُّورى الآية ١٦
«وَلا تَتَّخِذوا أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ».. النّحل ٩٤
«لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَريم».. الأنفال ٤
«ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ اذا أَنْتُمْ تَخْرُجون».. الرّوم ٢٥
«سَأُريكُمْ دارَ الفاسِقين».. الأعراف ١٤٥
«عليهِمْ دائِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللّهُ عليهِمْ».. الفَتْح ٦
واجتمعت الميم السّاكنة والدّال في كلمة واحدة.. ومن ذلك ـ
«الحَمْدُ للّه رَبِّ العالمين».. الفاتحة
مع الذّال ـ
«خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّة».. المَعارج ٤٤
«والذين آمَنوا واتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ».. الطّور ٢١
«قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ اليكُمْ ذِكْرا».. الطّلاق ١٠
«يَوْمَ يُسْحَبُونَ في النّارِ على وُجوهِهِمْ ذوقوا مَسَّ سَقَر».. القَمَر ٤٨
«يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنوبَكُمْ».. الأحزاب ٧١

مع الرّاء ـ
«إنَّ الذين تَعْبدونَ مِنْ دون اللّهِ لايَمْلِكون لَكُمْ رِزْقا» . . العَنْكبوت ١٧
«جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنات» . . ابراهيم ٩
«وَلَمّا فَتَحوا مَتاعَهُمْ وَجَدوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ اليهم» . . يوسف ٦٥
«وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًا» . . مَرْيم ٦٢
«كما أَرْسَلْنا فيكُمْ رَسولاً مِنْكُمْ يَتْلو عليكُمْ آياتِنا» . . البَقَرة ١٥١
«إنّا أَرْسَلْنا عليهمْ ريحاً صَرْصَراً في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرّ» . . القَمَر ١٩
ومما اجتمعت فيه الميم السّاكنة والرّاء في كلمة واحدة ـ
«أتى أَمْرُ اللّه فلا تَسْتَعْجِلوه» . . النَّحل ـ الآية الأولى . .
«لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لفي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهون . .» الحِجْر ٧٢
«وأَنْهارٌ مِنْ خَمْر . .» محمّد ١٥
«وامْرَأَتُه قائِمَةٌ فَضَحِكَت .» . هود ٧١
مع الزّاء ـ
«أيُّكُمْ زادَتْه هذهِ إيمانا» . . التّوبة ١٢٤
«فَتَقَطَّعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرا» . . المؤمنون ٥٣
«وَلاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ الى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحياةِ الدُّنْيا» . . طَه ١٣١
«أتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصار» . . صَ ٦٣
«فأمّا الذين في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنْه» . . آل عمران ٧
مع السّين ـ
«قُلْ مَنْ ذا الذي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إنْ أرادَ بِكُمْ سُوءاً» . . الأحزاب ١٧
«وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبون» . . الرّوم ٣
«إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ» . . التوبة ٨٠

«فَما أغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ولا أبْصارُهُمْ ولا أفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيء». . الأحقاف الآية ٢٦
«بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقونَ ما بَخِلوا بِهِ يَوْمَ القِيامة». . آل عمران ١٨٠
«ولقد خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وما كُنّا عَنِ الخَلْقِ غافِلين». . المؤمنون ١٧
ومن نماذج ذلك في الكلمة الواحدة ـ
«والشَّمْسِ وَضُحاها». . الشَّمس ـ الآية الأولى . .
«فَسُبْحانَ الله حينَ تُمْسُونَ وحينَ تُصْبِحون». . الرُّوم ١٧
«فاذا الذي اسْتَنْصَرَه بِالأمْسِ يَسْتَصْرِخُه». . القصص ١٨
مع الشّين ـ
«وما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الذين زَعَمْتُمْ أنَّهُمْ فيكُمْ شُرَكاء». . الأنعام ٩٤
«لايَلِتْكُمْ مِن أعْمالِكُمْ شيئا». . الحُجُرات ١٤
«أذلك خَيْرٌ نُزُلاً أمْ شَجَرَةُ الزَّقّوم». . الصّافّات ٦٢
«وكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السّماواتِ لاتُغْني شَفاعَتُهُمْ شيئا». . النَّجم ٢٦
«فانْ كانوا أكْثَرَ مِنْ ذلك فَهُمْ شُرَكاءُ في الثُّلُث». . النِّساء ١٢
«إنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لاتُغْنِ عَني شفاعَتُهُمْ شَيْئا». . يٰس ٢٣
ومما ورد من ذلك في كلمة واحدة ـ
«قُلْ لَوْ كانَ في الأرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُون». . الاسراء ٩٥
«مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاج». . الدَّهْر (الانسان) ٢
ومع الصاد ـ
«والى ثَمودَ أخاهُمْ صالِحاً قالَ ياقَوْمِ اعْبُدوا اللّه». . هود ٦١
«فَانْ أعْرَضوا فَقُلْ أنْذَرْتُكُمْ صاعقةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وثَمود». . فُصِّلت ١٣
«وَلَوْ أنَّهُمْ صَبَروا حتّى تَخْرُجَ اليهِمْ لكانَ خَيْراً لَهُمْ». . الحُجُرات ٥

«إنْ كُنْتُمْ صادِقين».. البقرة ٢٣

مع الضّاد ـ

«قُلْ إنّي لا أمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا رَشَدا».. الجنّ ٢١

«قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إنْ أرادَ بِكُمْ ضَرّا.» الفتح ١١

ومن نماذج ذلك في الكلمة الواحدة ـ

«وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرون».. الحِجْر ٦٥

مع الطّاء ـ

«قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عليكُمْ طِبْتُمْ فادْخُلوها خالِدين».. الزُّمَر ٧٣

«فَبِظُلْمٍ مِنَ الذين هادوا حَرَّمْنا عليهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ».. النِّساء ١٦٠

«مُهْطِعينَ مُقْنِعي رؤوسِهِمْ لايَرْتَدُّ اليهِمْ طَرْفُهُمْ».. ابراهيم ٤٣

«فاضربْ لَهُمْ طَريقاً في البَحْرِ يَبَسا».. طه ٧٧

«لَمْ يكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ولا لِيَهْدِيَهُمْ طَريقا».. النِّساء ١٦٨

«إنّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالوتَ مَلِكا».. البقرة ٢٤٧

ومما كان من اجتماع الميم والطّاء في كلمة واحدة ـ

«فَلَمّا رَأوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ قالوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا».. الأحقاف ٢٤

«وَأمْطَرْنا عليهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجّيل».. الحجر ٧٤

مع الظّاء ـ

«لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ».. الزُّمَر ١٦

«وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوء».. الفتح ١٢

«لَهُمْ فيها أزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ونُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَليلا».. النِّساء ٥٧

«ثُمّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وأنْتُمْ ظالمون».. البقرة ٩٢

«ذلكَ بأنَّهم لايُصيبُهُمْ ظَمأٌ وَلا نَصَبٌ».. التَّوبة ١٢٠

«فَأَخَذَهُمُ الطّوفان وَهُمْ ظالِمون».. العنكبوت ١٤
«وَجَحَدوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّا».. النّمل ١٤
«ودانِيَةً عليهِمْ ظِلالُها».. الدّهر- الانسان - ١٤
مع العين -
«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ على بَعْض».. البقرة ٢٥٣
«ولاتَتَّبعوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنّه لَكُمْ عَدُوٌّ مبين».. البقرة ١٦٨
«لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ».. البقرة ٢٦٢
«وَلاأَنْتُمْ عابِدونَ ما أَعْبُدُ».. الكافرون
«الذين هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهون».. الماعون
«ولايَزيدُ الكافرينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاّ مَقْتا».. فاطر ٣٩
ومما جاء من ذلك في كلمة واحدة -
«يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ».. التغابن ٩
«أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصار».. يونس ٣١
«فَجَمَعْناهُمْ جَمْعا».. الكهف ٩٩
مع الغين -
«ولكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْراً فعليهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّه».. النَّحْل ١٠٦
«صراطَ الذين أَنْعَمْتَ عليهِمْ غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ».. فاتحة الكتاب
«وما زادوهُمْ غَيْرَ تَتْبيب».. هود ١٠١
«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتيكُمْ بِماءٍ مَعين».. المُلْك ٣٠
«لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ ومِنْ فَوْقِهِمْ غَواش».. الأعراف ٤١
«وعلى أَبْصارِهِمْ غِشاوة».. البقرة ٧
«أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عليكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدي».. طه ٨٦

«قاتِلوا الذين يَلونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ ولْيَجِدوا فيكُمْ غِلْظة» . . التّوبة ١٢٣
«فأثابكُمْ غَمّاً بِغَمّ» . . آل عمران ١٥٣
«ثُمَّ لايَكُنْ أمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمّة» . . يونس ٧١
«لاتَغْلوا في دينِكُمْ غَيْرَ الحَقّ» . . المائدة ٧٧

مع الفاء ـ

«يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ» . . الأنفال ٢٩
«فانْ تَوَلَّيْتُمْ فإنَّما على رَسولنا البَلاغُ المُبين» . . التّغابُن ١٢
«فما زِلْتُمْ في شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ به» . . غافر ٣٤
«فانْ لَمْ تَعْلَموا آباءَهُمْ فإخْوانُكُمْ في الدّين» . . الأحزاب ٥
«لقَدْ كانَ لَكُمْ في رسولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» . . الأحزاب ٢١

مع القاف ـ

«كأنّما أُغْشِيَتْ وُجوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْل مُظْلِما» . . يونس ٢٧
«وعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْف أتْرابٌ» . . صٓ ٥٢
«كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوحٍ وَأصْحابُ الرَّسّ وَثَمود» . . قٓ ١٢
«وَظَنَّ أهْلُها أنّهُمْ قادِرون عليها» . . يونس ٢٤
«يَسْألونَكَ ماذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُم الطَّيِّبات» . . المائدة ٤
«ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْواهِكُمْ» . . الأحزاب ٤
«أفَلا يَرَوْنَ أنْ لايَرْجِعُ اليهِمْ قَوْلا» . . طٰه ٨٩

مع الكاف ـ

«مَثَلُ الذين يُنْفِقونَ أمْوالَهُمُ ابتِغاءَ مَرْضاةِ اللّهِ وَتَثْبيتاً مِنْ أنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنّةٍ بِرَبْوة» . . البقرة ٢٦٥
«ذلك بأنّهُمْ كَذّبوا بآياتِنا وكانوا عَنها غافِلين» . . الأعراف ١٣٦

«وَقَوْمَ نوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانوا هُمْ أَظْلَمَ وأَطْغى». . النَّجم ٥٢
«سيقولونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ». . الكهف ٢٢
«يَوْمَ لايُغني عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شيئاً ولاهُمْ يُنْصَرون». . الطّور ٤٦
«وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فقالَ ماليَ لا أرى الهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبين». . النَّمل ٢٠
«انَّ الـذين كَفـروا وَمـاتـوا وَهُمْ كُفّـارٌ فَلَنْ يُقْبَـلَ مِنْ أَحَـدِهِمْ مِلءُ الأرضِ ذَهبًا». . آل عمران ٩١
ومما اجتمعت فيه الميم الساكنة والكاف في كلمة واحدة ـ
«وَإِذْيَمْكُرُ بِكَ الذين كَفروا» الأنفال ٣٠
«وَأَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فى الأرض» الرَّعد ١٧
مع اللام ـ
«حَتّى اذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسولا». . غافر ٣٤
«ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيتوبوا». . التوبة ١١٨
«وَرَدَّ اللّهُ الذين كَفَروا بغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالوا خَيرا». . الأحزاب ٢٥
«وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ». . ابراهيم ٧
ومما اجتمعت فيه الميم السّاكنة واللام في كلمة واحدة ـ
«حَمَلَتْ حَمْلاً خفيفا». . الأعراف ١٨٩
«وَأُمْلِي لَهُمْ إنَّ كَيْدي متين». . الأعراف ١٨٣
مع النّون ـ
«ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُموه مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنْزلون». . الواقعة ٦٩
«وَمَنْ يَعْمَلْ سوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَه ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفوراً رَحيما». . النساء ١١٠
«وَاتْلُ عَليهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما ولَمْ يُتَقَبَّلْ

من الآخَر..» المائدة ٢٧
«أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الذين كَفَروا مِنْ قَبْلُ فَذاقوا وَبالَ أَمْرِهِمْ».. التَّغابُن ٥
«وقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ الله قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالوتَ مَلِكاً».. البقرة ٢٤٧
ومما اجتمعت فيه الميم السّاكنة والنون في كلمة واحدة ـ
«أُولئك لَهُمُ الأَمْن».. الأنعام ٨٢
«وَيَمْنَعونَ الماعون».. الماعون ٧
مع الهاء ـ
«وإذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الذين كَفَروا لِلْحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ هذا سِحْرٌ مُبين».. الأحقاف ٧
«وَيُنْذِرونَكُمْ لِقاء يَوْمِكُمْ هذا».. الزُّمَر ٧١
«وَاصْبِرْ على ما يَقولون وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَميلا».. المُزَّمِّل ١٠
«إنَّهم فِتْيَةٌ آمَنوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدى».. الكهف ١٣
«والذين اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ».. محمّد ١٧
«لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواء».. ابراهيم ٤٣
ومما اجتمعت فيه الميم الساكنة والهاء في كلمة واحدة:
«ومن عَمِلَ صالحاً فلأنفسهم يَمْهَدون».. الروم ٤٤
«وَمَهَّدْتُ له تَمْهيدا».. المدّثر ١٤
«فَمَهِّلِ الكافرين أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدا».. الطارق ١٧
مع الواو ـ
«فَلا يَمْلِكونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْويلا».. الاسراء ٥٦
«وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَديارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها».. الأحزاب ٢٧
«وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيّين ميثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نوحٍ وابراهيمَ وموسى وعيسى

بْنِ مَرْيَم». . الأحزاب ٧
«إِذْ جاءوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ». . الأحزاب ١٠
. وبما اجتمعت فيه الميم السّاكنة والواو في كلمة واحدة ـ
«ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمْواتا». . آل عمران ١٦٩
مع الياء ـ
«وَلَقَدْ جاءكُمْ يوسفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّناتِ». . غافر ٣٤
«حَتّى اذا أَخَذْنا مُتْرَفيهِمْ بِالعَذاب اذا هُمْ يَجْأَرون». . المؤمنون ٦٤
«فَذَرْهُمْ يَخوضوا ويَلْعَبوا حتى يُلاقوا يومَهم الذي يوعدون». . المعارج ٤٢
«خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجونَ مِنَ الأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِر». . القمر ٧
«الذين هُمْ يُراءُونَ وَيَمْنَعُونَ الماعون». . الماعون
«فـاذا جاء الخَـوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرون اليكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كالذي يُغْشىٰ عَلَيْهِ مِنَ المَوْت». . الأحزاب ١٩
«وَأَنْـذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْـرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْـرُ وَهُمْ في غَفْلَةٍ وَهُمْ لايُـؤْمِنون». . مريم ٣٩
«لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنيه». . عَبَسَ ٣٧
«لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ». . الاخلاص

انّ قانـون الاظهـار الميمي لايُلْزَمُ به المقـرئـون وَحْدَهُمْ بل انّه يُلْزَمُ به كل متكلّم بلغة العرب ناطقٍ بلسانهم، فهو من الصَّوتيّات التي لاتَخُصُّ مُقْرِئاً دون مُغَنٍّ، أو مذيعـاً دون مُمَثّـلٍ، أو ناثراً دون شاعر. . أي انه لااستثناءَ لأحدٍ في هذا الباب. .

وقد اكتفينا بالنّماذج القرآنية في حالات الاظهار الميمي، على أنَّ مفردات العـربيّـة تزدحم بالنّـماذج الميميـة المُظْهَرَة مما يكون في الكلمة الواحدة وفي

الكلمتين حتى مالم يقَعْ له نموذجٌ في كتاب الله . .
ومن بعض ذلك مما اجتمعت فيه الميم السّاكنة وبعض الحروف في كلمة واحــدة وحُكْمُهــا في النُطق حكم الاظهـار «الشُّمْأل والأمْثـل والسُّمْـج والسَمْحْ والغَمْز واللّمْز وأمْصار وقُمصْان والسُّمْطْ واللَمْظَة والصَّمْع والصَّمْغ والعُمْق ويَمْقُت ولْمياء والجَمْهرة وأمْيَل .

هامش احكام الميم الساكنة ..

(١) - يسمّى الشيخ الأستاذ أحمد عادل كمال هذه الحالة بالادغام دأب الصّوتيّين المحدثين، فلقد قال في - ص ١٣١ - من كتابه «علوم القرآن» مانصُّه: «اذا أعقب الميم باء وميم تدغم الميم الأولى وتُغَنّ مثل «مُبْتَليكُمْ بِنَهَر. . فَهَزَموهُمْ باذنِ الله». .

فما مرّ عنده من هذه النُّصوص يعدّه نماذج لادغام الميم السّاكنة بالباء، وذلك ضمن نماذج لادغام الميم في الميم «إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنين» و«ويُعَلِّمُكُمْ مالَمْ تَكونوا تَعْلَمون». . والادغام لايكون الا فيما تماثل في الحرف، والميم غير الباء، والباء ليست مثل الميم. .

وفي «فتح الملك المتعال» في الكلام على هذه الحالة جاءت الاشارة الى قول قيلَ بادغامها مقرونةً هذه الاشارة بالاستغراب. .

(٢) - كتب اليَّ الدكتور ابراهيم السّامرائي العالم اللُّغوي العراقي في شأن هذه التّسمية - أي التّماس - وهو المصطلح الذي أطلقته على ما سمّاه المجوّدون من قبلُ بالاخفاء الشَّفَوي - قال الدكتور: «ومصطلح التّماس جميلٌ جدّاً ودقيقٌ في الوقت نفسه». . أمّا الدكتور التّهامي نُقْرة - نُكْرة - فانه كتب اليَّ في رسالته من تُونُس في هذا الصّدد قائلاً: «الصّحيح ما قلتم في الميم السّاكنة عند اتّصالها بالباء، ولكنَّ الغُنَّة هي التي توهم ذلك وهو خطأ كما ذكرت». .

(٣) - أورد في «فتح المَلكِ المُتعال» في الكلام على إخفاء الميم السّاكنة - أي ما سمّيناه بالتّماس - قوله «وقيل باظهارها وقيل بادغامها أيْ بلا غُنَّة، وهذان القولان غريبان لم يُقْرَأْ بهما». .

قال الشيخ جلال الحنفي: «وأمّا الاظهار فلا غرابة فيه فقد علمنا أنّه نهج منتهج، وانا لَنُرَجِّحُ في بعض الحالات الأَخْذَ بهذا الحكم في الميم التي تُماسُّها الباء ان كانت الميم ساكنةً وذلك لتخفيف عِبْء الغُنَن المتابعة على القارىء. . كما أن حالة الاظهار الميمي قد تكوَن أَلَذَّ مَذاقاً في السّمع لما فيها من تعجيل الانتقال من صوت الى صوت. . كالذي في قوله تعالى: فَهَزَمُوهُمْ بِإذْنِ الله» فانَّ الغُنَّة على الميم بسبب التقائها بالباء عند تطبيق قانون التّماسّ تشير الى شيءٍ من التَّلَبُّث، ولا تَلَبُّث عند الهزيمة الكاسحة، لذا يَحْسُنُ الاظهار في مثل هذه المواطن. .

وفي قوله تعالى . «وَتَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ» فالاظهار أولى ، لأنَّ مفهوم المباغتة يتطلب ذلك ويحقق المعنى فيه . .

أمّا في مثل قوله تعالى : «ولَئِن اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بعد الذي جاءَكَ مِن العِلْم» فانَّ الاظهار والتَّماسّ يَسْتَوِيان . . فانْ وَقَفَ على الميم ووَصَلَ الكلامَ بلا غُنَّة عَنَى ذلك التَّعْجيلَ في اتِّباع الأهواء . . وإنْ وُجِدت الغُنَّة على الميم لتماسّه بالباء في «بعد» دلّ على عمق ذلك الاتِّباع . . وبهذا كان التَّماسّ والاظهار سِيَّيْنْ . .

وفي القصيدة الخاقانيَّة التي تُعَدُّ من أوائل ما نُظِم من المتون في التَّجوْيد بالعراق - مات ناظمها سنة ٣٢٥ هـ - أخذ الخاقاني بترجيح حكم الاظهار في الميم عند جميع الحروف ، اذ كان ذلك مذهب مقرئة العراق - نشرت القصيدة مقرونةً بهوامش وشروح في مجلة المورد البغدادية ١٩٨٥ من قبل الأستاذ علي حسن البَوّاب . . -

وفي «حق التّلاوة» ان حالة التقاء الميم الساكنة بالباء يمنع فيها اطباق الشفتين وهذا يمنع حدوث الغنة لأن الهواء ينفذ من بينهما فلا يكون له نفوذ ثان من الخيشوم وتروح الشفتان من الارتجاف على مثل حال المقرور الذي يرعد من برد . . وفي المتن اكد على بقاء الغُنّه وفي - ص ١٢٤ - عدّ هذه الميم من الحروف الفرعية فتناقض القولان وتباعد الرأيان . .

ونحن لو نطقنا هذه الميم في الأنبياء وينبوع وأشباهها - بعد قلب النون الى ميم - لأضحكنا الأسماع باسقاطنا نظام النطق السليم للحرف العربي . .

أحكام النّون السّاكنة

للنّون السـاكنـة اربـع حالات . . وأخـرى خامسـة يرد الكـلام عليهـا في محلّه . . وفيما يلي تفصيل ذلك :

الحالة الأولى (الاظهار) :

وهو أن تلفظ النُّون السّاكنة حيثما كانت لفظاً يظهر فيه مذاقها الطَّبيعي دون أَنْ يَعْلَقَ به شيء من غُنَّةٍ أو إشْمام حرفٍ آخر او اقلاب أو قلقلة . . [٢] والنَّهي عن عُلوق الغُنّـة بالنُّـون المُظْهَـرَة في حالة الاظهار لايصطدم بكون النُّون في واقـع تركيبهـا الجِبِلّي حرفاً أَغَنَّ إذْ إنَّ النُّطْقَ بها مُظْهَرَةً يصعب على المصاب بانسـداد المنخـرين من زكـامٍ ونحـوه، ولكنَّ الـتركيـز على صوت الغُنَّةِ هو الـذي تتبـينَّ به حقيقتهـا في الاصطـلاح، ولا يستبين ذلك في حالة الاظهار استبانةً تامَّة ولاشبه تامَّة . .

ولا تكون النُّون ـ وكذلك التَّنْوين، ـ وهو في الحقيقة نون ساكنة ليس الاّ ـ في حالـة إظهـار، إلاّ اذا وُقِفَ عليهـا غير مُشَدَّدة[٣] . . أو كانت بعدها حروف يقـال لها حروف الحلق أو يقـال لها حروف الاظهـار النُّوني . . وكذلك تكون النُّون السّاكنة في حالة إظهار اذا جاءت بعدها واوٌ أو ياءٌ في كلمة واحدة مثل «بُنْيان وصِنْوان ودُنْيا» . . وفي الألفاظ غير القُرْآنِيَّة مثل أنْواع وتَنْوين وعُنْوان ويَنْـوي وأنْيـاب وغُنْيَـة ومُنْيَـة وأنْـواء وتَنْـويم وأنْـواط باسكان النُّونات فيهنَّ فلاتقلب النُّون في مثل هذه الألفاظ ولا تُغَنّ لأنّها لاتخرج عن صفة الاظهار[٤] . . .

أمّا حروفُ الحلق فهي الهمزة والهاء والحاء والخاء والعَيْن والغَيْن[٥] . . وانما أطلق عليها هذا الاسم لأنها تخرج من الحلق وهو ما يتصل بالحَنْجرة من الجهاز الصّوتي الفَمَوي . .

وفيما يلي نماذج قرآنية لحالات الاظهار النّوني -

مع الهمزة -

« يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخيهِ وَأُمِّهِ وَأَبيه » . . عَبَس ٣٤ و٣٥

«لايَتكَلَّمونَ إلاّ مَنْ أَذِنَ له الرَّحْمنُ وقال صَوابا» . . النَّبأ ٣٨

«فَأَمّا مَنْ أَعْطىٰ وَاتَّقىٰ وَصَدَّقَ بِالحُسْنىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ» . . الليل ٥ و٦ و٧

«فمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عليه حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ومنهمْ من خَسَفْنا بِهِ الأَرضَ ومنهمْ مَنْ أَغْرَقْنا» . . العنكبوت ٤٠

«وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا اليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحمَة» . . الرُّوم ٢١

ومن نماذج الاظهار النوني مع الهمزة في التنوين : -

«ما هذا بَشَراً إنْ هذا إلاّ مَلَكٌ كَريم » . . يوسف ٣١

«والذي أَخْرَجَ المَرْعىٰ فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى» . . الأَعْلىٰ ٤ و٥

«ولا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفورا» . . الدُّهر - الانسان - ٢٤

«والظّالِمينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَليما» . . الدّهر - الانسان - ٣١

«أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماء» . . النّازعات ٢٧

«وما يُكَذِّبُ بِهِ إلاّ كُلّ مُعْتَدٍ أثيم» . . المُطَفِّفين ١٢

« يا أَيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادِحٌ الى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيه» . . الانشِقاق ٦

«لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَريع» . . الغاشِيَة ٦

«تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَة». . الغاشية ٥
«وقال الذي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْويلِهِ فَأَرْسِلُون». . يُوسُف الآية ٤٥
«فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِه». . العنكبوت. . ٤٠
مع الهاء -
«أَمْ مَنْ جَعَلَ الأرضَ قَرارا وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهارا. . » النَّمل ٦١
«وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْه». الأنعام ٢٦
«لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنيه». . عَبَس ٣٧
«وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكوبُهُمْ ومنها يأْكُلُون». . يٓس ٧٢
«إِنْ هذا إِلاّ أَساطيرُ الأَوَّلين». . المؤمنون ٨٣
«إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ مُبين». . سَبَأ ٤٣
«وَأَمّا السّائِلَ فَلاتَنْهَرْ». . الضُّحى
«وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغي لَه إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وقُرْآنٌ مُبين». . يٓس ٦٩
«أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعا». . القَصَص ٧٨
«ما أَغْنى عَنْه مالُهُ وَما كَسَبْ». . اللهب
«بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقين». . الحُجُرات ١٧
«يوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا واسْتَغْفِري لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِن الخاطئين». . يوسف ٢٩
«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وِمِنْهاجا». . المائدة ٤٨
«ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنّي لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْب». . يوسف ٥٢
«قالوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ وإِنّا لفاعِلون». . يوسف ٦١

«أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ اليكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ إِنَّما يَتَذَكَّرُ اولوا الأَلْبابِ».. الرَّعد ١٩

«إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنتُمْ وآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بها مِنْ سُلطان».. النَّجم ٢٣

«فَانْهارَ بِهِ في نارِ جَهَنَّم».. التَّوبَة ١٠٩

«ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاّ مَلَكٌ كَريم».. يوسف ٣١

«أَفَمِنْ هذا الحَديثِ تَعْجَبون».. النَّجم ٥٩

«أَمْ مَنْ هذا الذي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَه».. المُلْك ٢١

«ومِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ لايُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بالمُفْسِدين». يونس الآية ٤٠

ومن نماذج الاظهار في التَّنوين مع الهاء ـ

«إِنْ أَرادَنِيَ اللّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَني بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِه».. الزُّمَر ٣٨

«وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلا».. الزُّمر ٢٩

«على شَفا جُرُفٍ هارٍ فانْهارَ بِهِ في نارِ جَهَنَّم».. التَّوبة.. ١٠٩

«وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ».. الرَّعْد ٧

«كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْن».. الرَّحمن ٢٩

«كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ الاّ وَجْهَه».. القَصَص ٨٨

«إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَك».. النِّساء ١٧٦

مع الحاء ـ

«فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ».. الكَوْثَر

«وَكانوا يَنْحِتونَ مِنَ الجِبالِ بُيوتاً آمِنين».. الحِجْر ٨٢

«ولما دَخلوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أبوهُمْ ما كانَ يُغْني عَنْهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيء» . . يوسف ٦٨

«وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرام» . . البقرة ١٤٩

«لَقَدْ عَلِمْتَ مالَنا في بَناتِكَ مِنْ حَقّ» . . هود ٧٩

«أَفَمَنْ حَقَّ عليهِ كَلِمَةُ العَذابِ أَفأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ في النّارِ» . . الزُّمَر ١٩

«وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» . . المائدة ٤٢

«ما يُريدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عليكُمْ مِنْ حَرَج» . . المائدة ٦

«فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْم» . . آل عِمران ٦١

«ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْء وما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْء» . . الأنعام ٥٢

ومن نماذج الاظهار النّوني مع الحاء في التّنوين -

«تَصْلى ناراً حامِيَة» . . الغاشية ٤

«إِنَّ لِلْمُتَّقينَ مَفازاً حَدائِقَ وأَعْنابا» . . النَّبأ ٣١ و٣٢

«إِنَّ اللّهَ كانَ عليماً حَكيما» . . الدَّهر ٣٠

«وما كانَ لَهُ عليهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها في شَكٍّ وَرَبُّكَ على كُلِّ شَيْء حَفيظ» . . سبأ ٢١

«مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً مُضاعَفَة» . . الحديد ١١

«رُخاءً حَيْثُ أَصاب» . . صّ ٣٦

«وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها» . . الحَجّ ٢

«فما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنيذ» . . هود ٦٩

«فاللّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمين» . . يوسف ٦٤

وفي الخاء ـ
«وأمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوى فإنَّ الجنَّةَ هِيَ المأوى» . .
النّازعات ٤٠
«وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْف» . . قُرَيْش
«أمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ وأنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءا» . . النمل ٦٠
«وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجا» . . الرّوم ٢١
وَما تُنْفِقوا مِنْ خَيْرٍ فَإنَّ اللّهَ بِهِ عَليم» . . البقرة ٢٧٣
«وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالملائِكَةُ مِنْ خيفَتِه» . . الرَّعد ١٣
«ومِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الأرض» . . العنكبوت ٤٠
«وَقالَ الذينَ كَفَروا لِلّذين آمَنوا اتَّبِعوا سَبيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وما هُمْ بِحامِلينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إنّهُمْ لَكاذِبون» . . العنكبوت ١٢
ومن نماذج الاظهار النوني مع الخاء في التّنوين ـ
«وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَة» . . الغاشية ٢
«إنّ اللّه كانَ لَطيفاً خَبيرا» . . الأحزاب ٣٤
«عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ» . . الدَّهر ـ الانسان ـ ٢١
«وَتَراهُمْ يُعْرَضونَ عَلَيها خاشِعينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ» . .
الشّورى ٤٥
«مُتَّكِئينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسان» . . الرَّحمن ٧٦
«كَأنَّهُمْ أعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَة» . . الحاقة ٧
وفي العين ـ
«فَاسْتَغاثَه الذي مِنْ شيعَتِهِ على الذي مِنْ عَدُوِّه» . . القَصص ١٥
«قل هل عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجوه لنا» . . الأنعام ١٤٨

«ألَمْ يَعْلموا أنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ».. التوبة ١٠٤
«خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُريكُمْ آياتي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ».. الأنبياء ٣٧
«فمالَكُمْ عَلَيهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدّونها».. الأحزاب ٤٩
«ولا يَنالون مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً الاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِح».. التّوبة ١٢٠
«وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَليظ».. هود ٥٨
«وَوَيْلٌ للكافرين مِنْ عَذابٍ شَديد».. ابراهيم ٢
«مالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِنْ يَتَّبِعونَ الاّ الظَّنَّ».. النّجم ٢٨
«فَمَنْ أبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها».. الأنعام ١٠٤
«ويَقولون هُوَ مِنْ عِنْدِ الله وما هُوَ مِنْ عِنْدِ الله».. آل عمران ٧٨
«نِعْمَةً مِنْ عِنْدنا كذلكَ نَجْزي مَنْ شَكَر».. القمر ٣٥
ومما اجتمع فيه العين والنّون السّاكنة في كلمة واحدة من الألفاظ القرآنيّة ـ:
«صُنْعَ اللّهِ الذي أتْقَنَ كُلَّ شيء».. النّمل ٨٨
«مَتاعاً لَكُمْ وَلأنْعامِكُمْ».. النّازعات ٣٣
«فَأولئكَ مَعَ الذين أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ».. النّساء ٦٩
ومن نماذج ماوقع في التّنوين من الإظهار النّوني مع حرف العين ـ:
«قالَ اِنَّما أوتيتُه على عِلْمٍ عِنْدي».. القَصص ٧٨
«اِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ».. الزُّخرف ٣
«اِنّا نخافُ، مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبوساً قَمْطَريرا».. الدَّهر ـ الانسان ـ ١٠
ألا يَظنُّ أولئك أنَّهُمْ مَبْعوثون لِيَوْمٍ عَظيم».. المُطَفِّفين ٤ و٥
«وُوُجوهٌ يَوْمَئِذٍ عليها غَبَرَةٌ».. عبس ٤٠
«أفْتِنا في سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجاف».. يوسف ٤٦
«وكان الله بكلِّ شيء عليما».. الفتح ٢٦

وفي حرف الغين ـ
«وَما مِنْ غائِبَةٍ في السَّماءِ والأرضِ إلاّ في كِتابٍ مُبين». . النَّمل ٧٥
«وَنَزَعْنا ما في صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إخْواناً على سُرُرٍ مُتَقابِلين». . الحِجْر ٤٧
«إنْ يَكُنْ غَنِيّاً أوْ فَقيراً فاللّهُ أوْلى بِهِما». . النِّساء ١٣٥
«كُلَّما أرادوا أنْ يَخْرُجوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعيدوا فيها». . الحَجّ ٢٢
«أوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ». . المائدة ١٠٦
«فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هٰهُنا حَميمٌ وَلا طَعامٌ إلاّ مِنْ غِسْلين». . الحاقّة ٣٥ و ٣٦
«واضْمُمْ يَدَكَ إلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ». . طٰه ٢٢
ومما وقع من الاظهار بهذا الحرف في التّنوين :ـ
«رَبَّنا أخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الذي كُنّا نَعْمَل». . فاطر ٣٧
«إنَّهُ كانَ حَليماً غَفورا». . فاطر ٤١
«أمْ لَهُمْ إلٰهٌ غَيْرُ اللّهِ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يُشْرِكون». . الطُّور ٤٣
«لاتَدْخُلوا بُيوتاً غَيْرَ بُيوتِكُمْ حَتّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أهْلِها». . النُّور ٢٧
«وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلِك». . آل عِمْران ١٥٩
«بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفور». . سَبَأ ١٥
«أنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ». . محمَّد ١٥
«عليها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِداد». . التَّحريم ٦
«إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِح». . هود ٤٦
«وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَليظ». . هود ٥٨
«وإنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ». . مُحَمَّد ٣٨
بهذا يتمّ الكلام على أحكام الاظهار في النّون السّاكنة والتّنوين . .

هوامش أحكام النّون السّاكنة (الاظهار)

(١) ـ قال الشّيخ محمد علي الضّبّاع في حواشيه على «فتح الأقفال للجمزوري» ـ ص ١٠ ـ «جعلها الجُعْبُريّ وغيره ثلاثة: فأسقط الاقلاب وأدخله في الاخفاء، وعليه فيكون الاخفاء معه قَلْبٌ أو لاقَلْبَ معه» . .

وفي «تعليم القارىء» للشّيخ البارودي ـ ولعلّه «البَازْدَوِيّ» ـ وقد طبع في تونس ١٢٩٤ هـ ـ ص ٢٧ ـ عَدُّ أحكامَ النّون خمسةً وذاك أنّه جعل الادغام ادغامين بغير غُنّةٍ وبغُنّة» . .

(٢) ـ قال الشّيخ الميهيّ في تعريف الاظهار ـ ص ٨ ـ من كتابه «فتح المَلِك المُتعال»: «وحقيقة الاظهار ـ ويعني به الاظهار النّونيّ ـ أن يُنْطَقَ بالنّون والتّنوين على حَدِّهما ثم يُنْطَقَ بحروف الاظهار من غير فَصْلٍ بينهما وبيان حقيقتهما من غير سكت شديد ولا قَطْعٍ مُسْرف مع إشباع حركة المُحَرَّك واخلاص سكون السّاكن بالاظهار . . وتجويد الاظهار اذا نطقتَ به أن تسكِّن النّون ثم تلفظ بالحروف ولاتقلقل النّون بحركةٍ من الحركات ولا تسكّنها بثِقلٍ ولا مَيْلٍ الى غُنّة ويكون سكونها بتَلَطُّف» . . وفي «دروس في علم أصوات العربية» لجان كانتينو ـ ترجمة الكرميدي ـ قال: «لاتنطق النّون نطقاً خالصاً وهو مايُسمّى بالاظهار ـ الّا اذا كانت قبل احدى الحروف السّتّة الآتية: الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين» . . وسمّاه مؤلف «علم التّجويد في تلاوة القرآن المجيد» بالاظهار الحلقيّ ـ لارتباط هذا النّوع من الاظهار بحروف الحَلْقِ السّتّة . . وفي «تجويد القرآن العظيم» لابراهيم الحَقّي وقد كُتبتْ نسخته سنة ١١٨٣ هـ ـ استعمل في تحديد ذلك مصطلح الاظهار والقطع، قال: «واذا دَخَلَتا ـ النّون والتّنوين ـ على أحد حروف الحلق أ هـ ع ح غ خ يُقْرآنِ بالاظهار والقطع عن هذه الحروف السّتّة مثل مَنْ آمَن . . .» وهو يعني انقطاع الصّلة الصّوتيّة بين الحرفين وانعدام التّأثّر والتّأثير بينهما، ولايعني وجوبَ التّوَقُّفِ على النّونات المُظْهرة، على أنّ التّوقُّف عليها لايعني تغيير صفة الاظهار فيها . .

وفي «اعانة المستفيد في علم التّجويد» قال ـ ص ١٨ ـ «اذا التقت النّون السّاكنة والتّنوين مع أحد حروف الحلق فيجب إظهارُ النّون أو التّنوين بكل وُضوحٍ وإخراجُ الحرف من الحلق تماماً» . .

وفي قصيدة أبي مزاحم البغدادي جاء قوله:

ولاتشدد النّونَ التي يُظْهِرونها ◦ كقولك «مِنْ خَيْلٍ» لدى سورة الحَشْرِ

فجعل صفة الاظهار في النون المُعْقَبَة بحرف حلق أن لايكون فيها تشديد أي تركيز على الغُنَّة، وكذلك جعل حكم التّنوين..

ولكنْ مؤلِّف «تحفة المريد في علم التَّجْويد» قال في تعريف الاظهار النّونيّ - ص ٢٥ -: «هو النُّطق بالنُّون السّاكنة أو التّنوين بقوَّة يسمع به نبرةٌ قويّةٌ بيِّنة وذاك اذا التقى التُّنوين أو النُّون السّاكنة مع حروف الاظهار السُّتَّة».. وهذا غريب اذ جعل حالة الاظهار في مثل حالة الادغام، ولم يَقُلْ مثل هذا أحدٌ غيره، وهو خطأٌ ووهمٌ كبير، ويبدو أنَّه فَسَّرَ الاظهار تفسيراً لُغَوِيّاً لا اصطلاحيّاً..

ملاحظة: في صدر هذا الهامش جاء قول الشيخ الميهي - مع إشباع حركة المحرك» وقد أراد به بيان الحركة وعدم اختلاسها..

(٣) - لو وَقَفَ القارىء على «إذَنْ» في النّصّ القرآني: «ولَوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قليلاً إذَنْ لأذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ وضِعْفَ المَماتِ...» فانّه يكون وقوفه على النُّون وقوفَ إظهار.. على أنَّ الوقوف على ماقبلها من النَّصّ وهو «شَيْئاً قليلا» ادقّ وأوفق.. أمّا قولهم بالوقوف على النُّون بهيئة ألِف فلا نراه، لأنَّ النُّون أصيلةٌ في موقعها الصَّوتيّ والخَطّيّ..

(٤) - قال الشَّيخ الضَّبّاع في حواشيه على «فتح الأقفال» للجمزوري - ص ١٤ -: «قوله - وعنوان - مَثَّل الشارح به، مع أنّه ليس من القرآن، إشارة الى عدم الفرق في هذا الحكم بين الكلمات القرآنيّة وغيرها».

(٥) - في التّجويد الواضح - ص ٢٥ - عُدَّت سَبعةً بعد ضَمّ الألِف اليها.. ولكنْ لاشأن للألف بحكاية الاظهار هذه لأنّه حرفٌ مَدّيّ..

أحكام النّون السّاكنة

الحالة الثّانية ـ الاقلاب . . .

وذاك أنّ النّـون السّـاكنـة اذا جاءت بعـدهـا باءٌ في كلمـة أوفي كلمتـين انقلبت ـ النّون ـ الى ميم . . ومن ذلك «الأنْبِياء» فانّها تلفظ بميمٍ بدلاً من النّون . . أي يقال «أمْبياء» ولكنّها لاتكتب ميماً بل يحافظ على كتابتها بالنّون . .

ومن نماذج ذلك في النُّصوص القرآنيّة : ـ

«ولَكِنْ كَرِهَ اللّهُ انْبعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ» . . التّوْبة ٤٦

«وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ مافيه مُزْدَجَر» . . القَمر ٤

«وَقَتْلِهِمُ الأنْبياءَ بِغَيْرِ حَقّ» . . النّساء ١٥٥

«مِنْ بَعْدِ أنْ نَزَغَ الشّيطانُ بَيْني وَبيْنَ إخْوَتي» . . يوسف ١٠٠

«إذْ انْبَعَثَ أشْقاها» . . الشّمس ١٢

«وما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغي له» . . يّس ٦٩

ويقع ذلك في التّنوين كذلك ، ومنه : ـ

«أإذا مِتْنا وَكُنّا تراباً ذلكَ رَجْعٌ بَعيد» . . قّ ٣

«ولكنْ كانَ في ضَلالٍ بَعيد» قّ ٢٧

فالنّصّ يقـرأ بسبب الاقـلاب «ضَـلالِمْ بَعيد» . . ومثله النّصّ السابق اذ يقرأ

رَجْعُمْ بَعيد» . .

ومن ذلـك «هُـوَ الـذي يُنَـزِّلُ على عَبْـدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ» ـ الحديد ٩ فانَها تقرأ «آياتِمْ بَيِّنات» . . ومما يعرض للنون من حالات الاقلاب أنّها تكون راءا عند اتصـالهـا بالـرّاء مثـل «قـالَ فَمَنْ رَبُّكُـما يامـوسى» ـ طه ٤٩ ـ فانهـا تقرأ «مَرْ رَبُّكُما» . . ومن نماذج ذلك في التّنوين «سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحيم» ـ يس ٥٨ ـ فانها تقرأ «مِرْ رَبِّرْ رَحيم» . .

وكـذلـك تقلب النّون السّاكنة الى لام عند اتّصالها باللام مثل «وَمَنْ لَسْتُمْ له برازقـين» . . فانهـا تلفـظ «وَمَـلْ لَسْتُمْ» . . وفي التّنـوين «وَيْـلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَة» . . فانّها تقرأ« وَيْلُلْ لِكُلِّ هُمَزَتِلْ لُمَزَة » . ولكنّها لاتكتب على هذه الهيئة وانـما تكتب وكـأنّهـا لا اِقـلابَ فيهـا . . وتقلب النّـون السّاكنة الى ميم عند اتصالها به مثل «وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نار» ـ فانّها تلفظ «مِمْ مارِجِمْ مِنْ نار» . .

ونموذج الاقلاب في التّنوين ظاهر في ذات النّصّ . .

غير أن هذه الحالة من الاقلاب لاتكون فيها يجتمع من النّون والميم في كلمة واحدة مثل «شاة زَنْماء» فانَّ النّون هنا ظاهرة في اللفظ لاتقلب الى ميم . . قال المـرعشي «ولا نعلم له مثـالاً في القـرآن» . . والكلام على ذلك مسهب مُفَصَّل في مبحث الاقلاب . .

وتقلب النّون السّاكنة الى ياءٍ عند اتّصالها بها مثل «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنْ الرِّيح» . فتلفظ «إِيْ يَشَأْ» بياءٍ مسموعة لاتكتب . .

«ومَنْ أَضَـلُّ مِمَّنْ يَدْعـو مِنْ دون الله مَنْ لايَسْتَجيبُ له الى يوم القيـامة» . . الأحقاف الآية الخامسة

«ولن يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ». . محمّد ٣٥
«وأنْ عَسَى أنْ يكونَ قد اقتربَ أَجَلُهُمْ». . الأعراف ١٨٥
وصـورة ذلـك في التّنـوين «سيجعـل الله بعـد عسرٍ يُسْرا» اذ تقرأ «عُسْرِنْ يُسْرا»
ومثله «وَلِيّاً يرِثُني» اذ تقرأ وَلِيّيْ يَرِثُني». .
وتقلب النّون السّاكنة كذلك الى واوٍ عند اتّصالها به في مثل «مِنْ وَليّ» فانها:
تلفظ: «مِوْ وَلِيّ». . ومثلها «مِنْ والٍ» اذ تلفظ «مِوْوال». .
وفي صورة التّنوين: «ولَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وأَبْقى». . طه ٧١ ومثلها «إنْ
أَنَا إلّا نذيرٌ وبشير». . الأعراف ١٨٨
والكلام على مباحث الاقلاب يَرِدُ في باب خاصّ به في الكتاب. .

هوامش أحكام النّون السّاكنة (الاقلاب)

(١) - تسمّى الحروف المنقلبة عن النّون السّاكنة كاللام والرّاء والميم والياء والواو وكل ما يقلب من الحروف حروفاً مُجْتَلَبَة، وذاك أنّها تلفظ دون أن تكتب. . كما أنّها لا تُحصى عند إحصاء أجناس الحروف الهجائيّة في التّنزيل إذ إنّ هناك - من الهواة - من يُحْصُون عَدَدَ المرّات التي يرد فيها حرفُ هجاءٍ مُعَيَّنٌ في كتاب الله . . فانّ مثل ذلك لا يتناول المُجْتَلَبَ من الحروف أي ما ينشأ منها بسبب الاقلاب . .

(٢) - المولعون باحصاء الحروف القرآنية كثيرون قال الدكتور احمد نصيّف الجنابي في بحث له في: «الايضاح في القراءات للأندرابيّ»: «ومن المباحث الطريفة جداً في كتاب الايضاح ما يتصل باحصاء سور القرآن وآياته بل وحروفه» . .

وأورد الدكتور حسين علي محفوظ في مقال له في الكلام على الذين يتلون القرآن الكريم أنهم «يعلمون ان سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة. وقد يحفظ بعضهم ان آياته (٦٦١٦) آية. وان حروفه (٣٢٣٦٧١) حرفاً وان كلماته (٧٧٩٣٤) كلمة وفي ذلك أقوال أخر لا طائل تحتها . . .»×

× - جريدة الثورة . . البغدادية العدد ٥٨٤٤ في ٢٢ ايار ١٩٨٦ (١٣ رمضان المبارك ١٤٠٦هـ-).

أحكام النّون السّاكنة

الحالة الثّالثة ـ الادغام . .

تدغم النّون السّاكنة في نونٍ متحركة ان جاءت بعدها في ذات الكلمة ، أوكانت كلّ منهما في طرف كلمة غير الأخرى . . ومن نماذج ذلك مما وقع الادغام فيه لدى كلمة واحدة ـ

«قُلْ أعوذُ بِرَبِّ النّاس

مَلِكِ النّاس .

اِلَهِ النّاس

مِنْ شَرِّ الوَسْواس الخَنّاس» . . النّاس

«يَحْسَبُ أنَّ مالَهُ أخْلَدَه» . . الهُمَزَة

«كلاّ لَيُنْبَذَنَّ فى الحُطَمَة» . . الهُمَزَة

«اِنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَر» . . الكوثر

«مَنّاع لِلْخَير» . . ق ٢٥

«فإمّا مَنّاً بَعْدُ وإمّا فِداءا» . . مُحَمَّد ٤

«وَجَعَلَ النَّهارَ نُشورا» . . الفُرْقان ٤٧

«لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاجانّ» . . الرَّحمن ٥٦

ومن ذلك في التقاء النّونين طرفي كلمتين ـ

«إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفة» . . التَّوبة ٦٦

«ما يَكونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا». . النّور ١٦
«نَتْلو عليكَ مِنْ نَبَإِ موسى وَفِرْعَوْن». . القَصَص ٣
«وكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثير». . آل عمران ١٤٦
«يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ مِنْ نار». . الرَّحمن ٣٥
«وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ». . البقرة ٢٧٠
وفي النَّماذج المنوَّنة ولاتقع الاّ في كلمة منوّنة مدغمة بأخرى ذات نون:
«ولو شِئْنا لَبَعَثْنا في كُل قَرْيَةٍ نَذيرا». . الفرقان ٥١
«وَالنَّخْلَ باسقاتٍ لها طَلْعٌ نَضيد». . قٓ ١٠
«اِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيّا». . مريم ٤١
«رَبَّنا أَخِّرْنا اِلى أَجَلٍ قَريبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُل». . ابراهيم ٤٤
«كُلّاً نُمِدُّ هؤُلاءِ وهؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّك». . الاسراء ٢٠
ان الادغام هنا يكون مقروناً بغُنَّةٍ أمدها أربع حركات لايجاوزها المقرئون أما المغنّون والمنشدون والمؤذنون فانَّ لهم تجاوزها الى ما لااستبشاع فيه. .

وهنـاك نوع مما يسميـه المجـوّدون بالادغـام ضمنَ حالات النُّون السّاكنة اذ يقولون انّ النُّون تدغم في الميم ويمثلون لذلك «وَآتوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الذي آتاكُمْ». . النّور ٣٣

والحقيقة أَنَّه لاإدغام بين النّون والميم، وانما هو ادغام ميم في ميم[1]. . وذاك أنّ النُّون السّاكنة عند اتِّصالها بالميم تُقْلَبُ الى ميم ثُمَّ يُدْغَمُ الميمان أحدهما في الآخر. . وقد أوردنا ذلك في الكلام على أحكام الميم وحالاته. . وسَيَرِدُ الكـلام على مبـاحث الادغام في باب خاص به. . وقالوا كذلك في مباحث أحكام النُّون إنَّها تُدْغَمُ في الرّاء. . والأَمر الظّاهر في هذا الوجه هو أَنَّ النّون لاتدغم في الرّاء أو اللام الاّ بعد انقلابها الى راءٍ أو لام. . وقد تركنا الكلام

على هذا الي بحثنا في أحكام الرّاء واللام اضافةً الى ايرادنا إيّاه في باب الاقلاب . .[٢]

إنَّ بقاء النّون مكتوبةً على ذات هيئتها رغم انقلابها الصّوتي هو الذي جعل القـوم ينظـرون الى النّـون نوناً مَهْما تغيرّت أوصافها . . في حين أنَّ الصَّوت المسموع هو الجانب الذي تدور عليه حكاية هذا العلم . .

أَوَلا يُلاحـظ أنَّ الصَّـوتيّات لاشأنَ لها بألف مقصورة وألف ممدودة؟؟ كما أنَّها لاشأنَ لها بِشَدَّة أو مَدَّة أو ما يُسَمّى بضمَّتين وفتحتين وكسرتين . . فانَّ هذه ليست إلاّ من مَطالب الخطّ ورسم القَلَم . . ومن قديمٍ انفردَ علمُ العَروض برسمٍ خاصٍّ به ، وذاك ظاهر الدَّلالة على التَّفاوت القائم بين مصطلحات العلوم وأدواتها . . فنحن نسمّي الحروف الثّلاثة التي هي الألف والواو والياء في علم النّحو بحروف العلة ، ولكنّا نسمّيها في علم التّجويد بحروف المدّ . . إذ إنّ لكلّ عِلْمٍ جانباً مُعَيَّناً يستخدمه في هذه الاستعمالات الحَرْفيّة[٣] . .

هوامش أحكام النّون السّاكنة (الادغام)

(١) ـ قال الأستاذ عبدالبديع صقر في كتابه «التّجويد وعلوم القرآن» ـ ص ٤٣ ـ على هامش الصّفحة: «بعد قلب النّون حرفاً مماثلا لما بعدها ان كان غير النّون من الأحرف المذكورة». . وكان قد أورد في المتن حروف ـ يرملون ـ التي جعلوها مدارَ حكم الادغام في كتبهم. . والعبرة في هذا أنّ صاحب الكتاب تَنَبَّهَ الى أنّ الادغام في هذه المواقع انّما وقع بعد قلب النّون ـ السّاكنة ـ الى مثل الحروف الكائنة هناك من لامٍ وراءٍ وياء وواوٍ وميم. .

ومعنى ذلك أنّ النّون فقدت شخصيّتها النّونيّة فصارت حرفاً آخر مماثلاً للحرف الذي يدغم فيه. . أيْ انّ الادغام لم يقع بين نونٍ وراءٍ أونونٍ ولام، بل وقع بين راءٍ مُجْتَلَبَة وراءٍ أصيلة، وبين لامٍ مجتلبة ولام أصيلة. . ومن الغريب أن يعلّل مؤلف «كيف تجوّد القرآن وترتّله ترتيلا» ـ ص ٣٦ ـ حكاية ادغام النّون في الرّاء واللّام والحروف الأخرى بقوله: «وسبب ادغام النّون السّاكنة مع هذه الحروف هو تقارب مخارجها في مقدّم الحلق». . وهوتعليل لاقيمة علميّة له. . فانّ سبب الادغام هوأن النّون تنقلب تلقائياً الى حرف مماثل للحرف الذي يليها وبذلك يقع للحرفين الادغام. اذ انّهما يبيتان حرفاً واحداً يلفظ مَرّتين بحكم الادغام.

(٢) ـ انّ حروف الادغام هي جميع حروف الهجاء باستثناء الألف، ولامعنى لتحديد الادغام بستّة حروف تجمع بكلمة «يرملون». . وقد فَصّلنا القول على ذلك في مباحث الادغام العامّة في هذا الكتاب. .

(٣) ـ حُدِّدت معالم حروف العلّة في كتاب «الفريد في فَنّ التّجويد» ـ ص ٣٢ و ٣٣ ـ بتحريك الواو والياء بأيّ حركة، ومثّلوا لها بقولهم: «ومثال حرفي العلّة «ويعلم» من قوله تعالى «ويَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها». . وهذا غريبٌ جدُّ غريب. .

واحصى الدّكتور تمّام حسّان في كتابه «اللغة العربيّة معناها ومبناها» حروف العلّة بقوله: «وحروف العلّة هي الفتحة والكسرة والضّمّة ثمّ الألف والواو والياء التي للمدّ. .» وهو احصاء يشيع في كتب المُحْدَثين، ولا نقرُّه. .

أحكام النّون السّاكنة

الحالة الرّابعة - الإشمام . .

وانّما يكون ذلك عند اتصال النّون السَّاكنة بأيٍّ من خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفاً هي التّاء والثّاء والجيم والدّال والذّال والزّاء والسّين والشّين والصّاد والضّاد والطّاء والظّاء والفاء والقاف والكاف . . وهي ذات الحروف التي تعرف لدى المجوِّدين والمُصَنِّفين في هذه الصِّناعة بحروف الإخفاء[1] . .

وانّما أطلقنا تسمية الإشمام على هذه الحالة لأنّا رأينا أنَّ النُّون السّاكنة تأخذ من رائحة هذه الحروف شميماً ملحوظاً في الأسماع ، وأنّها لتتأثّر بتلك الحروف تأثّراً ظاهراً وتُشْرَبُ مَذاقَها ، وهذا ناشئٌ من كونها تقترب من مخرجها ولا تبيت فيه[2] . . وبعبارةٍ أخرى انَّ النّون السّاكنة تتأثّر بالحرف الاشمامي الآتي بعدها ، وهي ماتبرح في حالتها السُّكونيّة من قبل أن تحتكّ بالحرف الذي تريد الالتقاء به في المقطع الثّاني . .

وهذا ظاهر في المذاق الاشمامي العالق بالنّون السّاكنة بمجرَّد سكونها ، فاذا انتهي منه تمَّ النّطق بالحرف الاشمامي الذي رشحته رائحته في النّون الى الأسماع قبل النُّطق به . .

أمّا حالة الاخفاء فانّها لاوجود لها هنا لذا كان المصطلح اعتباطيّاً وجديراً بالتَّصحيح ، رغم أنّه اشترك في استعماله علماء القراءة واللغة معا من دهر بعيد . .

وقد جاءت للاخفاء تعاريف شَتّى بعضها أشدّ ايغالاً في الغموض وبعضها أضعف ايغالاً فيه . . فانّ الذين قالوا انّ الاخفاء حالة بين الاظهار والادغام تركوا من يحاول فَهْمَ ذلك مُلْزَماً أن يعرف معنى الاظهار فاذا عرفه ذهب ليعرف معنى الادغام ليرى بعد ذلك حالة الاخفاء بينهما، وهذه البَيْنِيَّة - هي أيضاً - على حَرْفٍ من الغموض ليست له ظِلال . . وبهذا تعلّق تعريف الاخفاء على تعريف شيئين آخرين، وليس هذا سبيل التَعاريف العلميَّة . .

واذا عُدْنا الى الاظهار من أجل استجلاء الأمر في معنى الاخفاء وجدناهم أخفقوا في تعريفه اذ قالوا انه إخراج كل حرف من مخرجه من غير غُنَّة في الحرف المُظْهَر . . في حين أن الاظهار أَعَمُّ من أن يَقَعَ للنّون وحدها فانَّ اللام كذلك مما يقع له الاظهار وما هي من ذوات الغُنَّة في الراجح . . وانّما الاظهار هو النُطق بالحرف مُجَرَّداً من ان يكون موصوفاً بأيَّة صفة صوتيَّة أخرى أي أن لايُقَلْقَل ولا يُقْلَب ولا يُشَمَّ رائحة حرف آخر ولا تكون فيه غُنَّة . .

امّا الادغام . فقالوا إنَّه إدخال حرفٍ في حرف، وليس الأمر كذلك في الصَّوتيّات المسموعة، وبذلك ضاعت حقيقة الاخفاء على من أراد الاهتداء اليه، بسبب دَسِّه بين تعريفين آخرين . .

إنَّ البَيْنِيَّة المُتَّكأ عليها في تعريف الإخفاء بَيْنِيَّةٌ لا مُحَصَّلَ فيها من معنىً في حَيِّزها هذا . .

أمّا مؤلف «التّجويد وعلوم القرآن» السيد عبدالبديع السيّد صقر، فانّه قال في الاخفاء - ص ٤٧ - «هو نطق النّون السّاكنة أو التّنوين بشكل متوسّط بين الاظهار والادغام» فلم نَجِدْنا أدركنا في «الشَّكل المتوسّط» هذا مذاقاً

واضحاً للصَّـوت المطلوب أداؤه عنـد النُّطق بالنّـون السّـاكنـة مع الحروف المسمّاة عندهم بحروف الاخفاء . .

وفي كتـاب «فَنّ التَّجـويـد» لعـزّة عبيد الدعّاس ـ ص ٣٢ ـ جاء تعريف الاخفـاء بأنَّـه «وجـوب الغَنّ باخفـاء النّـون السّاكنة والتّنوين عندما يتلوهما حرفٌ من حروفه» . وقال مؤلف «فَنّ الإلقاء» في تعريفه ـ ص ٨٦ ـ «وهو أن يُخْفي الحرف مع بقاءِ مكانه واضحاً فلا يُخْفى إخفاءاً كاملاً كما في الادغام بل هو يُنْطق مع تخفيف نَبْرَته» . . قلنا هذا كلام لامفهوم له واذا كان له مفهوم فهـو مفهـوم مُخْتَـلٌّ مضطـرب قاصرٌ عن اثبات معنىً ما ، . لاسيما حين جعل الادغام اخفاءا . .

ورأينـا الشَّيـخ شمس الـدِّين الشّهـير بابن بلبـان الحنبـلي يقول في «بُغْية المستفيـد في علم التَّجـويد» : «إنَّه عبارة عن إخفاء النُّون السّاكنة أو التّنوين عند باقي حروف الهجاء بغُنَّة أَلْطَفَ من غُنَّة الادغام» . . فانَّ الرَّجل حاول تمييـز غُنَّـة ماسَمَّـوه بالاخفاء بصفةٍ ما ، ليكون مُتاحاً له تقريب الموضوع من الأفهـام ، وهــو غايــة ما تَهَيَّأ له ولغـيره إلاّ أنَّ الغُمـوض مازال يَلِفُّ هذه التَّعـريفـات لفَّـا لايشفُّ عن معنىً ملموس ، . فانَّ المفاضلة في اللُّطف بين غُنَّتين مفاضلة بين غامضين ، فلا يَصْلُح شيٌ من ذلك تعريفاً لشيء . .

وقـال «المـلا حسـين بن اسكَنـدر الحنفي» ـ المتـوفى سنـة ١٠٨٤ هـ ـ في رسـالتـه في التَّجـويد : «والاخفاء حالة بين الادغام والاظهار ولابُدَّ من الغُنَّة معـه ولا تشـديـد» . . وكأنَّـه حاول التَّمْييـز بين غنـة الادغـام وغُنَّـة ما سمّاه بالاخفاء . . غير أنَّ الغُموض ظَلَّ هُوَ هُوَ في مجال تعريف هذا الاخفاء الذي هو غير اخفاء[٣] . .

وانَّـما تَعَلَّقَ القـوم بحكـاية الإخفاء هذا التَّعَلُّق لأنَه يَتَّسِقُ وتسميةً أُخرى

سبقت لهم في النّون الساكنة هي تسمية الاظهار. . والشّيء الآخر هو أنّهم عند النّطق بالحرف الذي حكموا عليه بالاخفاء قد وجدوا أنّه يفقد شخصيّته النّونيَّة ويضيع في شيء آخر، ولذا أوصَوْا بعزل النّون في هذه الحالة عن مخرجها لتكون سائبة في جوف الفم، وقالوا بوجوب تجافي اللسان عن مخرجها[١] . . ولو علموا أنّ النّون تميل مَيْلا ظاهرا الى الحرف الذي يليها فتشَمّ منه شيئا لصحّحوا مواصفات هذه النّون، ولأدّى ذلك الى معرفة القارىء بالهيئة التي يجب أن يكون عليها جهازه الصّوتي للنّطق فيتحاشى ضَلال التّعبير الذي يقع فيه غالبيّة المُجوِّدين والقرّاء. . وفي «الوجيز» للشّيخ محمود سيبَوَيْه البدوي قال ـ في الكلام على النّون في حالة الاخفاء ـ إنّها تتحوَّل عن مخرجها الأصلي الى الخيشوم ـ ص ٩ ـ من نسخة «كُلِّيَّة الإمام الأعظم» . . والصَّحيح أنّ هذا التَّحَوُّل لاشأنَ له بالخيشوم، انّما كان دور الخيشوم كائناً من أجْل تجسيم الصُّورة الاشماميّة المسموعة بسبب اقترانها بالغُنَّة، كما أنّ الغُنَّة من صُلْب طبيعة النّون، والخيشوم هو مجال النّطق بها لأنّه يعجز عن ذلك اذا انْسَدَّ خيشومه، فالتّحَوُّل لامفهوم له هنا. .

والعِبرة في هذا الاستشهاد أنَّ الشّيخ صاحب «الوجيز» تَنَبَّهَ الى حالة التَّحَوُّل العارضة للنُّون السّاكنة، فحاول تعليل ذلك بما علّله به ارتجالاً . . ولو أنْعَمَ النَّظَر في الأمر لرَأى أنَّ النُّون اصطبغت بصبغة الحرف الاشمامي الآتي بعدها . .

وجاء في ذات «الوجيز» عند الكلام على الاخفاء ـ ص ١٨ ـ للاخفاء ثلاث مراتب أعْلىٰ عند الطّاء والدّال والتّاء، . وأدْنىٰ عند القاف والكاف، . وأوسط عند الحروف العَشَرَة الباقية» . . ولكنه لم يوضح حقيقة هذه المراتب وكيف يجري النّطق بها. . ثم قال «ويُسمّى هذا النوع من

الاخفاء اخفاءاً حقيقيّاً لانعدام ذات الحرف المُخْفىٰ وهو النّون السّاكنة والتّنوين» . . والواقع السّمعي أنّ النّون لاتنعدم لاسيّما عند الالتقاء بالتّاء والدّال، ـ ولا شأن للطّاء بهذه الحالة ـ . . بل تظلّ السّيادة للنّون بأجْلىٰ سلطانها الصّوتي الاّ قليلا . .

أمّا الشّيخ «الميهيّ» فانّه نَقَلَ في كتابه «فتح المَلك المتَعال» ما قاله النّوَيْريّ في شرحه إذْ قال في تحديد حال النّون عند الاخفاء ـ وهو ما نريد به الإشمام ـ: «مخرج التّنْوين والنّون السّاكنة مع حروف الاخفاء من الخيشوم فقط، ولاحَظَّ لهما في الفم لأنّه لاعَمَلَ للّسان فيهما كعمله مع ما يظهرانِ عنده أويدغمان فيه بغُنَّة» . .

والحقيقة أنَّ لِلّسان دوراً ظاهراً في كثير من جوانب الموضوع، كما أنَّ جهاز التّجويف الفَمَوي يؤدّي مهمّةً ملحوظة للنّاطقين عند اتّصال النّون بحروف الاخفاء التي نُسمّيها حروف الاشمام . . وليس الأمر على حدّ الوصف الذي وصفوه . . اللّهُمَّ الاّ في حالات معلومة كالنّون مع الكاف والقاف وحروف أخرىٰ معدودة . .

وغريبٌ أن يُعْزَلَ اللّسان عن أيِّ دورٍ صوتيٍّ في هذا الأمر وهو ذو دور فعّال وذو شأنٍ كبير في ذلك . . وها نحن أولاءِ لو نطقنا بالنّون السّاكنة المَتْلُوّة بالذّال نرانا وضعنا اللّسانَ عند حفافي مخرج الذّال مبتعدين بالنّون عن أصل مخرجها فاذا مَرَّ بها الهواء الجوفيُّ وجدنا صوتَ النّون السّاكنة مُشْرَباً رائحةَ الذّال، وذاك هو الاخفاء على حدّ تسميتهم وهو عندنا الاشمام . .

أما قول الشّيخ الميهيّ في كتابه: «لأنّ الاخفاء ما سُمِّيَ إخفاءاً الاّ لاخفاء النّون عند الحرف، وكيفيّته أن تجعلَ لسانك بعيداً عن مخرج النّون قليلا فيقع اخفاؤها . . .» فانّه قول غير مستقيم .

فلقد فات الشَّيخَ الميهيَّ أنَّ الاخفاء ليس فراراً بالنّون السّاكنة الى عالم مجهول، فلو كان الأمر على حدّ تعريف الشّيخ لما كانت هناك غُنَّةٌ ظاهرة، لأنَّ الفرار بالنّون من بيئتها الى غير ماتصل اليه من مخرج صوتيّ معيَّن يُبطل الغُنَّة ـ وقد قالوا إنّها كائنة في جسم النّون ـ فمن أين جاءت الغُنَّة إذنْ وهم عن مخرجها ابعدوها وعِلْمُ الصَّوتيّات يقرّر أنَّ واقع النُّونات السّاكنة في حالة ما سَمَّوه بالاخفاء أن تَميلَ هذه النُّونات الى جهة الحروف المنصوص عليها، وعددها المتَّفق عليه خمسة عَشَرَ حرفاً. . وهي ما أطلقنا عليه لَقَبَ الاشمام. . ويبدو أنَّ التَّسَيُّب في مواصفات النّون ـ هذه ـ عَرَّضَ كثيراً من المقرئين الى عدم الاجادة في النّطق بها في كثير من حالات هذا الباب. .

وقد رأينا القوم حاولوا التّوصُّل الى تحديد المعنى الذي تَحْتَجِنُهُ كلمة «الاخفاء» هذه ولكنّهم رغم ما حاموا حول الحومة لم يقعوا فيها فهذا هو النُّوري الصَّفاقسي يقول في «تنبيه الغافلين» ـ ص ١٠٣ـ : «اخفاء النّون السّاكنة والتّنوين عند هذه الحروف ليس على حدّ السَّواء بل يختلف على قدر القُرْب والبُعْد منها، فاخفاؤهما عند الجيم والشّين أقوى منه عند القاف والكاف» ويعني هذا أنَّ الشَّيخَ النُّوري أدرك أنَّ الحالة التي يبحث فيها انّما هي أكثر من حالة، وبلفظٍ آخر انّها تعبّر في بعض حروفها عن غير ما تعبّر به في حروف أخرى. . فلو تَوَسَّعَ في دراسة ذلك لَعَلِمَ أنَّ النُّون تنطبع عند كل حرف من حروفه بطابع ذلك الحرف. .

وهذا ما جعلنا نُرَجِّح مصطلح الاشمام على مصطلح الاخفاء لأنّه تتّضح به علاقة النّون بما يليها من تلك الحروف، وهذا أمر يتحقّق بأدنى قدرة سمعيّة[٦]. .

وللاشمام في مجال الاصطلاح والوضع أكثر من معنى، . وممن أُولِعَ باستعماله

«ابن جني» لغويّ القرن الرّابع الهجري، فلقد استعمله في أكثر من معنى منها أنّه يتعلّق بالحركات بحيث تَشَمُّ حركةُ الفتحةِ حركة الضّمّة مثل «قالَ» وهو يشير بذلك الى حالة التّفخيم التي تعلق بالقاف المقترنة بألِف المدّ، فانّها يُمال بها عند التّفخيم الى ما يُشْبه الضّمّ . .

والمعنى الآخر الذي استعمله بكثرة هو ما يكون في الحروف حين تُشِمُّ حرفاً رائحةَ حرفٍ آخر . .

فانّه قال في كتابه «سِرّ الصّناعة» - في الكلام على الصّاد -: «وانما تُقْلَبُ الصّاد زاياً أو تُشَمُّ رائحتَها اذا وقَعَتْ قبلَ الدّال» . .

واستعمل «ابن الطَّحّان» من مَواسِقَة القرن الخامس الهجري في كتابه «حاوي الفنون» مصطلح الاشمام في مسائل من العَزْف على العود . . وفي «دروس في علم أصوات العربيَّة لجان كانتينو» نراه يقول - ص ٣٧ - قوله: «ويبدو أيضاً أنَّ التّفخيم قد يدخل على الياء ويسمّى ذلك إشماما» . .

ونحن نطلق الاشمام على مايقع للنّون من التّأثّر بمذاقات حروفٍ معيَّنة . . وقد تَنَبَّه الى ذلك غير واحد من علماء الصَّوتيّات المُحْدَثين ومنهم الدّكتور ابراهيم أنيس في كتابه «الأصوات اللغويَّة» اذ قال: «إنّنا نلحظ مع ما يسمّونه بالاخفاء مَيْلَ النّون الى مخرج الصَّوت المجاور لها» وقال الدّكتور أحمد مختار عمر في كتابه «دراسة الصَّوت اللّغوي» - ص ٣٣٤ - في كلامه على النّون المُخْفاه: «.فهي تطول وتميل الى مخرج الصَّوت الذي بعدها مع الأصوات المبدوء بها الكلمات» . . وأورد قولهم «صِفْ ذا ثنا . . » أي حروف مايسمّى بالاخفاء . .

وجاء في كتاب «دروس في علم أصوات العربيّة لجان كانتينو» ترجمة

الكِرْميدي» ـ ص ٦٠ و ٦١ ـ مانصُّه: «واذا كانت النُّون متبوعةً بحرف من الحـروف الخمسـة عشـر الأخـرى أي القاف والكاف والجيم والشِّين والضّاد والصّـاد والـزّاي والسِّـين والظّـاء والذّال والثّاء والطّاء والدّال والتّاء والفاء في نفس الكلمـة أو في كلمتـين متتـاليتـين طرأت عليهـا درجة أولى في الابدال تسمّى اخفـاء وتسمّى هذه النّـون آنَ ذاك خفيفةً أو مُخْفاةً وخَفِيَّة وتصير مجرَّدَ غُنَّـةٍ في الخيشـوم لاعـلاج على الفم في النُّطق بها. ومـا الغُنَّـة في الحقيقـة ـ والتَّجويدُ التَّقليديُّ شاهد بذلك ـ الاّ نغمة خيشوميَّة وتَرَنُّم يقع باغلاق الفم فيبـدو أنَّ النّـون في هذا الحـال كانت تُبـدَّل تقـريبـاً في نفس الـوقتْ فيصير مخرجها مخرج الحرف الذي بعدها»[٧]..

في هذا الكلام على طوله وكثرة التَّخليط فيه تَنَبُّهٌ الى تأثُّر النُّون السّاكنة بالحرف الذي تقرب منه..

ولقد وجدنا في قدامى العلماء الصوتيين من تنبَّه الى هذا دون أن يتخذ له تسميـة، ففي ـ الـدّراسات الصَّوتيَّة ـ ص ٥١١ ـ جاءت الاشارة الى أنَّ عبـدالـوهـاب القرطبي المتوفّى سنة ٤٦٢ هـ قرَّر أنَّ مخرج النّون المخفاة يتّصل بمخارج الحروف التي تقع بعدها أيْ انَّ معتمد اللسان في الفم مع النّـون ينتقـل الى مخرج الحرف الذي تخفى عنده ولكنْ يظلّ صوت الغنة جارياً من الأنف...»

وصفة الاشمام عندنا أن تقترب النّون السّاكنة من مخرج الحرف الاشمامي وتعـانقـه حتّى تكـاد تكـون وإيّاه شيئاً واحدا[٧].. غير أنَّ ذلك يكون جليّاً ظاهـراً في بعض الحـالات وخفيّـاً في حالات أخـرى على نحو مايَرد الكلام عليه في تضاعيف الموضوع..

إنَّ الإشـمام يكـون أبـداً مصحوباً بغُنَّةٍ إشماميَّة تتفاوت أحوالها ومذاقاتها

بمقتضى طبائع حروف الإشمام التي صَنّفناها الى ثلاثة أصناف هي الاشمام الكُـلِّيُّ وحـروفه الثّاء والذّال والشّين والطّاء والظّاء والفاء والقاف والكاف . . والاشـمام الجـزئيُّ وحـروفه الجيم والزّاء والسّين والصّاد والضّاد . . والاشمام الخفيّ وحرفاه التّاء والدّال . . .

الاشمام الكليّ ونماذجه : ـ

يكون الاشمام هنا واضحاً بسيطرة رائحته على جوّ النّون السّاكنة سيطرة تامّةَ ملحـوظةً بحيث يستطيع السَّمْعُ أن يتكهّن بالحرف الاشماميّ الذي سيُنطَقُ به من خلال مَلامحـه الظّـاهـرة في النّون السّاكنة . . ومن نماذجه القرآنيّة ـ في الثّاء ـ :

«ولَوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ اليهِمْ شَيْئاً قَليلا . .» الاسراء ٧٤

«كُلوا مِنْ ثَمَرِهِ اذا أثْمَرَ وآتُوا حَقَّهُ يومَ حَصادِه . .» الأنعام ١٤١

«وما تَخْرُجُ مِنْ ثَمراتٍ من أكْمامِها . .» فُصِّلَتْ ٤٧

«فَأمّا مَنْ ثَقُلَتْ موازِينُه فَهُوَ في عِيشَةٍ راضِيَة . .» القارعة ٦ و٧

«إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقومُ أدْنىٰ مِنْ ثُلُثَي اللّيل . .» المُزَّمِّل ٢٠

ومن نماذج هذا الاشمام في التنوين :

«وأنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرات ماءاً ثجّاجا . .» النّبأ ١٤

«إنّا سنُلْقي عليك قولاً ثَقيلا» المُزَّمِّل ٥

«خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاث . :» الزُّمر ٦

«حتّى اذا أقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناه لِبَلَدٍ مَيِّت . .» الأعراف ٥٧

«هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وخَيْرٌ عُقْبا» . . الكهف ٤٤

«فَأماتَهُ اللّهُ مِئَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَه . .» البقرة ٢٥٩

ومن نماذج الاشمام الكليّ في الذّال ـ في الكلمة والكلمتين ـ :

«ومنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لك. . » البقرة ١٢٨
«فاستجاب لهم رَبُّهُمْ أَنِّي لاأُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ منكُمْ من ذَكَرٍ أوْأُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض. . » آل عمران ١٩٥
«بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرضون. . » الأنبياء ٤٢
«وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وهُمْ في غَفْلَةٍ وهمْ لا يُؤْمنون. . » مريم الآية ٣٩
«مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فيُضاعِفَهُ له أَضْعافاً كثيرة. . » البقرة الآية ٢٤٥
«وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وكانَ أَمْرُهُ فُرُطا». . الكهف الآية ٢٨
«فيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها». . النّازعات ٤٣
«رُسُلاً مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرين». . النِّساء ١٦٥
«وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إذِ القُلوبُ لَدى الحَناجِرِ كاظِمين». . غافر ١٨
«يا أَيُّها المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ». . المُدَّثِّر ١ و٢
وفي التّنوين ـ
«وَاللّه عَزيزٌ ذو انْتِقام». . المائدة ٩٥
«وآوَيْناهُما الى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ ومَعين». . المؤمنون ٥٠
«يَتيماً ذا مَقْرَبَةٍ أوْمِسْكيناً ذا مَتْرَبة». . البلد ١٥ و١٦
«سَيَصْلىٰ ناراً ذاتَ لَهَب». . اللّهب
«حَتّى اذا فَتَحْنـــا عليهِمْ بابـــاً ذا عَذابٍ شَديـــدٍ اذا هُمْ فيـه مُبْلِسـون». . المؤمنون ٧٧
«ثُمَّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سبعون ذراعاً فاسلكوه». . الحاقّة ٣٢

ومن نماذج الاشمام الكُليّ في الشّين ـ
«إنّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءاً فَجَعَلْناهُنَّ أبْكاراً عُرُباً أتْرابا».. الواقعة ٣٥ و٣٦
«إلاّ مَنْ شاءَ اللّه».. النّمل ٨٧
«فهَلْ أنْتمْ مُغْنونَ عَنّا مِنْ عَذابِ اللّهِ مِنْ شَيْء».. ابراهيم ٢١
وفي المنونّات ـ
«قُلْ لِلْمُخَلّفين مِنَ الأعرابِ سَتُدْعَوْن الى قوْمٍ أولي بَأسٍ شَديدٍ تُقاتِلونَهُمْ أوْ يُسْلمون».. الفتح ١٦
«ثُمَّ يأتي مِنْ بَعْدِ ذلك سَبْعٌ شِداد».. يوسف ٤٨
«لَوْ أنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوي الى رُكْنٍ شَديد».. هود ٨٠
«انَّ في ذلك لآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكور».. سَبأ ١٩
«وَزُلْزِلوا زِلزالاً شَديدا».. الأحزاب ١١
«إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أهْلِها مَكاناً شَرْقِيّا».. مريم ١٦
حرف الطاء..
«فَإنْ طَلّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْد».. البقرة ٢٣٠
«فانْطَلَقا حتّى اذا أتَيا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَها».. الكهف ٧٧
«لِنُرْسِلَ عليهِمْ حِجارةً مِنْ طينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفين».. الذّاريات الآيتان ٣٣ و٣٤
«وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَة».. الأنعام ٩٩
«وَعَهِدْنا الى ابراهيمَ واسماعيلَ أنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطّائِفينَ وَالعاكِفينَ وَالرُّكَّعِ السُّجود».. البقرة ١٢٥
«انْطَلِقوا الى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبون».. المُرْسَلات ٢٩
«لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق».. الانشقاق ١٩

«يَنْظُرون مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ».. الشّورى ٤٥
«ويافَوْمِ مَنْ يَنْصُرُني مِنَ اللهِ إنْ طَرَدْتُهُمْ».. هود ٣٠
وفي النَّماذج المنوَّنة ـ
«الذي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقا».. الملْك ٣
«أتَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغون».. الذّاريات ٥٣
«بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغين».. الصّافات ٣٠
«وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضيم».. الشُّعراء ١٤٨
«إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبْحاً طَويلا..» المُزَّمِّل ٧
«بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ورَبٌّ غَفور».. سَبَأ ١٥
«وَهوَ الذي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأكُلوا منه لَحْماً طَرِيّا».. النَّحل ١٤
«فَكُلوا مِمّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبا».. الأنفال ٦٩
«ألَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلمةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَة».. ابراهيم ٢٤
ومِن نَماذج الاشمام الكلِّي في الظّاء ـ
«أنْظُروا الى ثَمَرِهِ اذا أثْمَرَ وَيَنْعِه».. الأنعام ٩٩
«لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاّ مَنْ ظُلِم».. النِّساء ١٤٨
«وما لَهُمْ فيهِما مِنْ شِرْكٍ وما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهير».. سَبَأ ٢٢
«حينَ لا يَكُفّونَ عَنْ وُجوهِهِمُ النّارَ وَلا عَنْ ظُهورِهِمْ».. الأنبياء ٣٩
«وإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَني آدَمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِم
ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلى».. الأعراف ١٧٢
«فَلا جُناحَ عليهِما أنْ يَتَراجَعا إنْ ظَنّا أنْ يُقيما حُدودَ الله».. البقرة ٢٣٠
وفي النَّماذج المنوَّنة ـ
«فَلا تُمارِ فيهِمْ إلاّ مِراءً ظاهِرا».. الكهف ٢٢

«وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلا». . النّساء ٥٧
«وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا». . الإسراء ٨٨
«وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وبَيْنَ القُرى التي بارَكْنا فيها قُرىً ظاهِرة». . سَبَأ ١٨
وفي الاشمامات الفائيّة ـ
«وَانْ يُهْلِكون الاّ أَنْفُسَهُمْ وما يَشْعُرون». . الأنعام ٢٦
«وكَتَبْنا عليهِمْ فيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ والعَيْنَ بالعَيْنِ والأَنْفَ بِالأَنْفِ والأُذُنَ بالأُذُنِ والسِّنَّ بِالسِّنِّ والجُروحَ قِصاص». . المائدة ٤٥
«ذلك مِنْ فَضْلِ اللّه علينا وعلى النّاس». . يوسف ٣٨
«وَذَكِّرْ فَإنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المؤمنين». . الذّاريات ٥٥
«قُلْ لِمَنِ الأرضُ وَمَنْ فيها إنْ كُنْتُم تَعلمون». . المؤمنون ٨٤
وفي التنوين ـ
«وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً في قِرْطاسٍ فَلَمَسوه بِأَيديهِمْ». . الأنعام ٧
«أَلَمْ يَجِدْكَ يتيماً فآوى وَوَجَدَكَ ضالاًّ فَهَدى وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى». . الضحى ٦و٧ و٨
«وإنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فلا كاشِفَ له اِلاّ هو» الأنعام ١٧
«فان استَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغيَ نَفَقاً في الأرضِ أَوْسُلَّماً في السَّماء». . الأنعام ٣٥
وفي اشمامات القاف ـ
«لايَحْزُنْكَ الذين يُسارِعونَ في الكُفْرِ مِنَ الذين قالوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِنْ قُلوبُهُمْ». . المائدة ٤١
«قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ هل تَنْقِمونَ مِنّا اِلاّ أَنْ آمَنّا بِاللّهِ وما أُنْزِلَ الينا وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْل». . المائدة ٥٩
«وكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ التي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فلا ناصِرَ

لَهُمْ». . محمّد ١٣
«بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقلِبَ الرَّسولُ والمُؤْمِنون الى أَهْليهِمْ أبدا». . الفتح ١٢
«ما يَلْفِظَ مِنْ قَوْلٍ الاّ لَدَيْهِ رقيبُ عَتيد». . قٓ ١٨
«أَوَ لَمْ يَروا أَنّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها». . الرَّعْد ٤١
«أَوَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنّاهُمْ في الأرض». . الأنعام ٦
«سَرابيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ وَتَغْشى وجوهَهُمُ النّار». . ابراهيم ٥٠
«أَوَلَمْ تكونوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مالَكُمْ مِنْ زَوال». . ابراهيم ٤٤
«ما المَسيحُ بنُ مَرْيَمَ الاّ رسولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل». . المائدة ٧٥
وفي التّنوين ـ
«إِنّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَريبا». . النّبأ ٤٠
«وكان اللّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرا». . الأحزاب ٢٧
«يَوْماً عَبوساً قَمْطَريرا». . الدّهر ١٠
«كُلَّما رُزِقوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا مِنْ قَبل». . البقرة ٢٥
«قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرا». . الطّلاق ٣
«فانَّ اللّهَ كانَ عَفُوّاً قَديراً». . النّساء ١٤٩
«وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدير». . المائدة ١٢٠
«فَأَنْزَلَ السَّكينةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَريبا». . الفتح ١٨
وفي إشمامات الكاف ـ
«مَنْ كانَ يُريدُ الحَياةَ الدُّنْيا وزينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فيها وَهُمْ فيها لايُبْخَسون». . هود ١٥
«وَلكِنْ كانَ في ضَلالٍ بَعيد». . قٓ ٢٧
«فَمَنْ نَكَثَ فَانَّما يَنْكُثُ على نَفسه». . الفتح ١٠

«قالوا تِلْكَ إذَنْ كَرَّةٌ خاسِرة» . . النّازعات ١٢
«ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلّ الثَّمَرات» . . النّحل ٦٩
«وَمِنْ كُلِ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْن» . . الذّاريات ٤٩
«فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه وَكَفَّ أَيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ» . . الفتح ٢٠
«وفي المنوّنات من هذه النّماذج -
«أَلَمْ تَرَ كيف ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها في السَّماء» . . ابراهيم ٢٤
«واذا رَأَيْتَ ثَمَّ رأيتَ نَعيماً وَمُلْكاً كَبيرا» . . الدَّهر ٢٠
«إنَّها تَرْمي بِشَرَرٍ كالقَصْر» . . المُرْسَلات ٣٢
«وأصحابُ الأَيْكَةِ وقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ» . . قٓ ١٤
«وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرا» . . الدهر ١٥
«فَلْيَأْتِنا بِآيةٍ كما أُرْسِلَ الأوَّلون» . . الأنبياء ٥
«وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانت ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخرين» . . الأنبياء ١١
«إنَّ اللّهَ لايُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ كفور» . . الحجّ ٣٨
«لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَريم» . . الحجّ ٥٠
«فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظيم» . . الشُّعراء ٦٣
«فَأَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَريم» . . لُقْمان ١٠
«وما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلُّ خَتّارٍ كَفور» . . لقمان ٣٢
«وَأَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَريما» . . الأحزاب ٣١
«يا أَيُّها الذين آمَنوا اذْكُروا اللّه ذِكْراً كَثيرا» . . الأحزاب ٤١
«وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَريما» . . الأحزاب ٤٤
«ومَن يَظْلِمْ منكم نُذِقْهُ عذاباً كبيرا» الفرقان ١٩

الاشمامُ الجزئيُّ ونماذجُه . .

وتكـونَ الغُنَـةُ فيـه بَيْنَ بَيْنَ أي يظهر فيها من رائحة الحرف شيء دون الذي يظهر منها في الاشمام الكليّ لذا تبدو الغُنّة قريبةً من الغُنّة الصَّريحة[٨] . .

ومن نماذج ذلك في حرف الجيم ـ

«أمْ مَنْ جَعَلَ الأرضَ قرارا وَجَعَلَ خِلالَها أنْهارا» . . النّمل ٦١

«فلَمّا أنْ جاءَ البَشيرُ ألْقاهُ على وَجْهِهِ فارْتَدَّ بَصيرا» . . يوسف ٩٦

«إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنوا أنْ تُصيبوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصبحوا على ما فعَلْتُمْ نادِمين» . . الحُجُرات ٦

«هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذابٍ أليم» . . الصَّفّ ١٠

«ولْيَحْكُمْ أهْلُ الإنْجيلِ بِما أنْزَلَ اللّهُ فيه» . . المائدة ٤٧

وفي النّماذج المنوَّنة ـ

«إنَّهُ كانَ ظَلوماً جَهولا» . . الأحزاب ٧٢

«إنَّ فيها قَوْماً جَبّارينَ وَإنّا لَنْ نَدْخُلَها ماداموا فيها» . . المائدة ٢٢

«إنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ وَيأتِ بِخَلْقٍ جَديد» . . ابراهيم ١٩

«واتَّخَذَ قَوْمُ موسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِم عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوار» . . الأعراف الآية ١٤٨

«فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللّهُ المُسْتعَانُ على ما تَصِفون» . . يوسف ١٨

«فلَمّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فيما آتاهُما» . . الأعراف ١٩٠

وفي اشمامات الزّاي ـ

«أفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَنا» . . فاطر ٨

«قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكّاها» . . الشّمس ٩

«إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عليكَ القُرْآنَ تَنْزيلا» . . الدَّهر ٢٣

«وَمَنْ قالَ سَأُنزِلُ مِثْلَما أنْزَلَ اللّه» . . الأنعام ٩٣
«وَلا يَضرِبْنَ بأرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخفينَ مِنْ زينَتِهِنّ» . . النّور ٣١
«فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الجَنّةَ فَقَدْ فاز» . . آل عمران ١٨٥
«واذا أُنزِلَتْ سورَةٌ مُحْكَمَةٌ وذُكِرَ فيها القِتالُ رَأَيْتَ الذين في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرون اليكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عليهِ مِنَ المَوْت» . . محمّد ٢٠
«لآكِلونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقّوم» . . الواقعة ٥٢
«وفي المنوّنات ـ
«كَأَنّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتونة» . . النُّور ٣٥
«وَمِمّا يوقدونَ عليه في النّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه» . . الرَّعْد ١٧
«يوحي بَعْضُهُمْ الى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرورا» . . الأنعام ١١٢
«فَتُصْبِحَ صَعيداً زَلَقا» . . الكهف ٤٠
«لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّا» . . مريم ١٩
«وَنَحْشُرُ المُجْرِمين يَوْمَئِذٍ زُرْقا» . . طه ١٠٢
وفي الاشمامات السِّينيَّة ـ
«ولَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ» . . الزُّخرف ٩
«إِنْ تُبْدوا خَيْراً أَوْ تُخْفوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سوءٍ فانَّ اللّهَ كانَ عَفُوّاً قَديرا» . . النِّساء الآية ١٤٩
«هَلْ أتى عَلى الإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكورا» . . الدَّهر ـ الآية الأولى
«وَما أَنْسانِيهُ إِلّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَه» . . الكهف ٥٣
«تَرْميهِمْ بحِجارَةٍ مِنْ سِجّيل» . . الفيل
«يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلى السُّجودِ فَلا يَسْتَطيعون» . . نَ ٤٢

«مادَلَّهُمْ على مَوْتِهِ إلاّ دابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه. .» سبأ ١٤
ومما جاء من ذلك مُنوَّنا: ـ
«فتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً». . مريم ١٧
«وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُل». . الزُمرَ ٢٩
«مـاتَعْبـدُون مِنْ دونِهِ إلاّ أسْماءاً سَمَّيْتموها أنتُمْ وآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بها مِنْ سُلْطان». . يوسف ٤٠
«حتّى إذا أَقَلَّتْ سحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّت». . الأعراف ٥٧
وفي نماذج الاشمام مع الصّاد ـ
«وَلَمَنْ صَبرَ وَغَفرَ إنَّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الأُمور». . الشُورى ٤٣
«جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلونها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ». . الرَّعْد الآية ٢٣
«إنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبرْنا عليها». . الفرقان ٤٢
«وَأَنْزَلَ الذين ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصيهِمْ». . الأحزاب ٢٦
«فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُك». . البقرة ١٩٦
«إنْ تَنصُروا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ». . محمّد ٧
«فَوَيْلٌ لِلْمُصَلّين الذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهون». . الماعون
«خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالفَخّار». . الرَّحمن[٩] ١٤
وفي النّماذج المنوَّنة: ـ
«وجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّا». . الفَجْر ٢٢
«وَنَخيلٌ صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوان». . الرَّعْد ٤
«مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَديد». . ابراهيم ١٦
«فأَرْسَلْنا عليهِمْ ريحاً صَرْصَراً في أَيّامٍ نَحِساتٍ». . فُصِّلَتْ ١٦

وفي حرف الضّاد -
«وَما أنْتَ بِهادي العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ» . . النَّمل ٨١
«خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّة» . . الرّوم ٥٤
«مَن اهْتَدى فانَّما يَهْتَدي لِنَفْسِه وَمَنْ ضَلَّ فانَّما يَضِلُّ عليها» . . الاسراء ١٧
«وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وَكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرّ» . . المؤمنون ٧٥
وَلَقَدْ راوَدوه عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ» . . القَمَر ٣٧
«في سِدْرٍ مَخْضودٍ وَطَلْحٍ مَنْضود» . . الواقعة ٢٨ و ٢٩
«يَدْعو لَمَنْ ضَرُّهُ أقْرَبُ مِنْ نَفْعِه» . . الحجّ ١٣
وفي النَّماذج المنوَّنة : -
«مَنْ قَدَّمَ لنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً في النّار» . . صّ ٦١
«قالوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنّا قَوْماً ضالّين» . . المؤمنون ١٠٦
«تِلْكَ إذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزىٰ» . . النَّجم ٢٢
«والذين اتَّخَذوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وتَفْريقاً بَيْنَ المؤمنينَ وَإرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللّهَ ورَسولَه» . . التوبة ١٠٧
«وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرة» . . عَبَسَ ٣٨ و ٣٩
«وَكُلّاً ضَرَبْنا لَهُ الأمْثال» . . الفرقان ٣٩
«وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْري فانَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامَةِ أعْمى» . . طه ١٢٤
«واذا أُلْقوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبورا» . . الفرقان ١٣
«قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ولكِنْ لاتَعْلمون» . . الأعراف ٣٨
نماذج الاشمام الخفّي -
ويكون عند اتصال النّون الساكنة بالتّاء والدّال

حرف التّاء ـ

«ومَنْ تابَ وَعَمِلَ صالِحاً» . . الفرقان ٧١

«انّما أنتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» . . النّازعات ٤٥

«فَأعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلّىَ عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ اِلاّ الحَياةَ الدُّنْيا» . . النَّجم ٢٩

«وَانْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْراً عَظيماً» . . النِّساء ٤٠

«وَانْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبدلْ قَوْماً غيْرَكُمْ» . . محمَّد ٣٨

«فَلَمّا تَوَفَّيْتَني كُنْتَ أنْتَ الرَّقيبَ عليهم وَأنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهيد» . . المائدة الآية ١١٧

«اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فانَّهُمْ عِبادُكَ وَانْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَانَّكَ أنْتَ العَزيزُ الحَكيم» . . المائدة الآية ١١٨

«وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تأويلِ الأحاديث» . . يوسف ٢١

«وَلاتَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» . . المُدَّثر ٦

«فيمَ أنْتَ مِنْ ذِكْراها، الى رَبِّكَ مُنْتَهاها» . . النّازعات ٤٣ و ٤٤

وفي النّماذج المنوّنة ـ

«ولكنّي أراكُمْ قَوْماً تَجْهَلون» . . هود ٢٣

«وقالَ الآخرُ اِنّي أراني أحْمِلُ فَوْقَ رَأْسي خُبْزاً تأكُل الطَّيْرُ مِنْه» . . يوسف ٣٦

«وَما تُقَدِّموا لأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدوه عِنْدَ اللّهِ هُوَخَيْراً وأعْظَمَ أجْراً» . . المُزَّمِّل ٢٠

«فاذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى» . . طه ٢٠

«بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها» . . الرَّعد ٢

«مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ توصونَ بها أوْدَيْن» . . النِّساء ١٢

«مَنْ اِلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأتيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنونَ فيه» . . القَصص ٧٢

حرف الدّال ـ
«قُلْ إنّي لَنْ يُجيرَني مِنَ اللّهِ أحَدٌ وَلَنْ أجِدَ مِنْ دونِهِ مُلْتَحَدا» . . الجنّ ٢٢
«أنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً وما يَنْبَغي لِلرَّحْمنِ أنْ يَتَّخِذَ وَلَدا» . . مريم ٩١ و٩٢
«وَمَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا الى اللّهِ وعَمِلَ صالِحاً وقال إنَّني مِنَ المُسْلِمين» . . فُصِّلَتْ ٣٣
«وَتَجْعلونَ لَهُ أنْداداً» . . فُصِّلَتْ ٩
«وما عِنْدَ اللّه خَيْرٌ للأبْرار» . . آل عمران ١٩٨
«ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وما عِنْدَ اللّهِ باق» . . النّحل ٩٦
ومما جاء منوّنا ـ
«وإنَّ للذينَ ظَلَموا عَذاباً دونَ ذلك» . . الطّور ٤٧
«كَلّا اذا دُكَّتِ الأرضُ دَكّاً دَكّا» . . الفجر ٢١
«قُلْ إنَّني هَداني رَبّي الى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ ديناً قِيَماً مِلَّةَ ابراهيمَ حَنيفا» . . الأنعام ١٦١
«خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِب» . . الطّارق ٦ و٧
«وإذا مَسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّه» . . الزُّمَر ٨
«الزُّجاجَةُ كَأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيّ» . . النُّور ٣٥

وفي الاشمام الخفيّ تكون الغُنَّة شبهَ مكتملة . . اي انّها تكون غنّةً كأيِّ غنَّةٍ مكتملة ، وذلك لأنّها يكون لها بروز تامّ في المجال الصّوتي يغلب على رائحة الحرف الذي يقع به الاشمام وذاك لفرط دقّته فلا يبدو منه شيء الّا لِمَنْ كان ذا سَمْعٍ قويٍّ مُرْهَف . . ومن أجْل ذلك وُصِفَ هذا النوع من الاشمام بأنّه اشمامٌ خفيّ . . .

وفي «فَنّ الالقاء» لمؤلفه عبدالوارث عسر ـ ص ٨٨ ـ نراه يقول : «ولقد

لاحظتُ أنَّ بعض علماء التَّجـويـد يضيفون الى هذه الحروف حروف الدّال والطّـاء والتّـاء والضّـاد . . ولكنّني شعـرت بانّ نطق النّـون ظاهـرةً مع هذه الحروف أيْسَرُ من نطقها مُخْفاة، ولذلك لم أضُمَّها الى هذه المجموعة . . »

قلنـا انّ الـذي نراه في ذهـاب مؤلف «فنّ الالقـاء» هذا المذهب في شأن هذه الحروف هو أنَّ نسبة الاخفاء في الثّلاثة الأولى منها كانت هي السبب في ذلـك، إذ إنَّ شخصيَّـة النّـون السّـاكنة تكاد تبرز واضحة فلا يَظُنُّ ظانٌّ أنّ النُّون قد أُشِمَّتْ شيئاً من رائحة ما تلاها من الحروف باستثناء الطّاء فانّ ما فيهـا من طبيعـة طنينيّـة يجعلها أجْلىٰ تصويتاً وأظهر تأثيراً في النّون . . ولهذا عددنا الطّاء في جماعة حروف الاشمام الكُلّي . .

غير أنّ الـواقـع أنَّ النّـون قد أمْكَنَ لها ان تتكيَّف بالحـالة الاشمامية الملائمة لكـلّ حرفٍ من حروف الاشـمام الخفي تكَيُّفَهـا عنـد كلّ حرفٍ من حروف الاشمام الأخرى، على تفاوتٍ في المذاق السَّمعيّ لحالات الاشمام الثلاث . .

ولعلنـا نكـرِّر ماعسـانـا أوردنـاه من قبـل أنَّ صوت النُّون الآخذ برائحة الحـرف الآتي بعـده اذ تظهر عليه حالةٌ صوتيّة ليست مألوفةً فيه قَبْلَ ذلك ممّا سمَّينـاه بالاشـمام قد كان لنـا في شأنـه رأيٌ لم نشأ إثباته هو أنَّ النُّون السّاكنة التي تلفـظ قبـل الحـرف الاشـماميّ ببعض رائحـة هذا الحرف انّها تخرج من مخرج صوتيٍّ خاصّ، وإنّـما مَنَعَنـا أن نقـول هذا الخشيـةُ من أن تزيد مخارج الحـروف فتكـون للحـروف الصّادرة منها أسماءٌ وصورٌ كتابيَّة نرى العربيّة في غِنيً عنها . . ومثل هذه الحكاية قد لفتت نظر بعض قُدامَى العلماء فلقد نقل مؤلّف رسم المصحف تَنَبُّـهَ حمزة بن الحسن الأصفهـاني من علماء القـرن الـرابـع الهجـري الى حرف النّـون السّـاكنـة في كلمـة «مُنْـذِر» اذ بدا له أنَّ

الصوت صوت حرف صادرٍ من مخرج شبه مستقلٍّ عن مخرج النُّون المعروفة . .

بهذا يتمُّ الكلام على الاشمام، وقد فرغنا بذلك من الكلام على أحكام النّـون السّـاكنـة التي جعلنـاهـا هنا أربعة وأشرنا الى وجود حالة خامسة يرد الكلام عليها في باب الاخفاء وهو غير الاخفاء الذي صححنا تسميته بالاشمام . .

هوامش النّون السّاكنة (الاشمام)

(١) - سمّاها الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه «علوم القرآن» - ص ١٣٠ - حالة الاخفات، وسمّاها مؤلفوا «علم التّجويد في تلاوة القرآن المجيد» بالاخفاء الحقيقي . .

(٢) - مصطلح «تقريب حرف من مخرج حرف» مصطلح معروف عند رجال القراءات، فقد قال أبو شامة: «كان بعض أهل الأداء يقرّب الهمزة من مخرج الهاء» - نقله في «الوضع الجديد» ص ١٦٥ - . والتّقريب غير الابدال لأنّ الهمزة لاتبدل الى هاء، فقد قال النّوري في «تنبيه الغافلين» ما نصّه: «وبعض القاصرين يجعل همزة التّسهيل هاءاً خالصة وهولحن لاتَحِلُّ القراءة به» . . قلنا لكنّهم لم يفطنوا الى أنّ النّون تُقَرَّب من مخرج حروفٍ سمّوها حروف الاخفاء، والنّون حرف يتميّز بخصائص صوتيّة دقيقة . .

(٣) - في «هداية القاري الى تجويد كلام الباري» قال في الكلام على اخفاء النّون والتّنوين - هامش ص ١٧٠ -: «انّ ذاتهما تكاد تكون معدومة ولم يبق منهما الاّ الغُنَّة فقط كما يشهد بذلك النُّطقُ بنحو «مَنْشورا» و«ينبت» فنجد أن النّون من ينبت وان كانت مخفاة مع الغنّة الاّ أنّها ليست معدومةً بالكُلّيَّة كانعدام النّون في «مَنْشورا» بل هي مستورة بعض الشّيء ومن ثمّ اختلفت التّسمية في الاخفاء فتأمل اه» مؤلفه . . وكان قد قال في المتن في تعريف الاخفاء - ص ١٦٩ -: «الاصطلاح هو عبارة عن النُّطق بحرف ساكن عارٍ من التّشديد على صِفَةٍ بين الاظهار والادغام مع بقاء الغُنَّة في الحرف الأوّل وهو هنا النّون السّاكنة والتّنوين والميم السّاكنة في الاخفاء الشفويّ . .»

قلنا لو أنّهم قالوا «إنّ الاخفاء حالة بين الاظهار والاقلاب» لكان لذلك تحديد مقبول لأنّا اذا قلنا مَنْ ذَهب فنطقنا النّون مُظْهَرَةً أو نطقناها مُقْلَبَة الى ذال فانّ ذلك ظاهرٌ في الذّوق الصّوتي . . ولكنّ ماهيّة الصوت في النّون عند التقائها بحرف الذال مثلاً هي اشماميّة اشرابيّة لا اظهاريّة ولااقلابيّة . .

(٤) - قاله النّوري الصّفاقسي ونقله في «الوضع الجديد».

(٥) - من الغريب أن يقول مؤلف «أحكام تجويد القرآن» قوله - ص ١٧ من الهامش -: «ولم يكن للّسان عملٌ في اخفائهما اذ إنّهما يخرجان قبلَ الاخفاء من طرفه عند التصاقه بسقف الفكّ الأعلى، أما

في حالة الاخفاء فيبقى اللّسان مُعَلَّقاً بين الفكّين وتكون الغُنَّةُ التي تخرج من الخيشوم عوضاً عنهما اي عن النّون الساكنة . » اللّهُمّ انّ هذا كلام لا طائلَ فيه من عِلم . .

(٦) - يقول الأستاذ مُجْدي العُقَيْلي في كتابه «السَّماع عند العرب» - : «انّ الأذن العربية التي حباها اللّهُ حَسّاسِيَّةً دقيقةً يمكنها أن تميز بها فوارق اللفظ الأبجديّ العربيّ في خفّته وثقله مهما كان دقيقا» . . وبهذا تكون حكاية الاشمام في غاية الوضوح . .

(٧) - كتب اليَّ العالم العراقي المتخصّص بالصّوتيّات - الدّكتور أُدْوَرْ يوخَنّا برسالته المؤرخة في ١٨ / ٢ / ١٩٨٠ مانَصُّه : «انّ استعمالك لاصطلاح الاشمام عند وصفك لما يحدث بين النّون والذّال في - مَنْ ذا - استعمال دقيق فالنّون تبقى نوناً غير أنّها تنزلق في مخرجها أماماً لتقرب من مخرج الذّال وهو مايُكْسِبُها بعض صفة الذّال . . فالشّيء نفسه يحدث عندما تقع القاف بعد النّون السّاكنة فهي هنا تكسب مخرج القاف ففي قولنا - من قال - نرى أَسَلَةَ اللسان لاتتحرّك لتلمس اللِّثَة - وهومايقع في الحالات الاعتياديّة من أداء النّون - عوضاً عن ذلك وتحت تأثير القاف، نرى أنّ مؤخرة اللّسان هي التي تتحرّك باتّجاه الطَّبَق واللّهاة، محققةً صَوْتاً له وَقْعُ النّون المشوبة برائحة القاف . . الخ . .

وكَتَبَ اليَّ الدكتور احمد مختار عمر من مشاهير علماء الصّوتيّات برسالته المؤرخة في ١٨ / ٢ / ١٩٨٠ من الكُوَيتْ قائلاً : «التّسمية المقترحة معقولة وهي تُعطي المصطلح نوعاً من الوضوح لايتحقق بمصطلح الاخفاء» . .

وكتب اليَّ الدُّكتور ابراهيم السّامَرّائي العالم اللُّغويّ المشهور بتواليفه في العربيّة وفلسفتها وفي القراءات - في رسالته اليَّ قائلاً :

«وأنا أؤيّد ملاحظتكم في الاشمام - وفقكم الله - ذلك لأنّ مصطلح الاخفاء غامض لايترجم الحقيقة الصَّوْتيَّة» . .

(٨) - تَنَبَّهَ قوم ومنهم أبوالحسن علي بن محمد النّوري الصّفاقسي في كتابه «تنبيه الغافلين» الى وجود فرق ظاهر بين حالات الاخفاء في النّون السّاكنة فقال - ص ١٠٣ : « اخفاء النّون السّاكنة والتّنوين عند هذه الحروف ليس على حَدِّ السَّواء بل يختلف على قدر القُرب والبُعد فاخفاؤهما عند الجيم والشّين أقوى منه عند القاف والكاف . . »

ورغم أنّ هذا التحديد والتّفصيل يفتقر الى الدّقّة فانّ العبرة في اشارتنا الى ذلك تنصرف الى أنّ القوم حاولوا إعطاء صورة موضحة للاخفاء لما لاحظوه من تفاوت الصّوت الكائن في النّون السّاكنة عند كلّ حرف من حروف ماسمّوه بالاخفاء . .

وانْ لم يُقْدَرْ لهم التّوفيق في هذه المواصفات التّحديديّة اذ جعلوا تَأثُّر النّون السّاكنة بالجيم والشّين أقوى من تأثّرها بالقاف والكاف في حين أن القاف والكاف أقوى تأثيراً في النّون السّاكنة من الجيم وما كان من قبيله . . والكلام على هذا مفصل في الاشمام الكُلّيّ خاصّة . .

(٩) ـ لايقع الاشمام للنّون السّاكنة في «عَيْنْ» المجاورة لحرف الصّاد في النّصّ : «كهيعص» وذاك لأنّها تنطق هنا مُظْهَرَةً بسبب أنّها ملحقة بالمدّ اللازم وان كانت على هيئة مَدّ اللّين إذْ إنّ سكونها هنا لازم ، فانْ أُشِمَّت النّونُ رائحةَ الصّاد كان معنى ذلك جواز مَدّ اللّين في الدرج وهو غير جائزٍ بحالٍ من الأحوال . . أمّا «كهيعص» فانّ هذه الحروف تقرأ على الوجه التّالي : «كافْ هَا يَا عَيْنْ صَادْ» . .

ثُمّ انّ هذه حروف تقرأ مستقلّة المقاطع لدلالاتٍ خاصةٍ فيها . . ويشبه هذا تقريباً عدم تأثّر النّون السّاكنة بالواو اذ لم يقع بينهما اقلابٌ ولا ادغام في قوله تعالى : «نُونْ والقَلَمِ وما يَسْطُرون» . .

أحكام اللام

الـلام حرف تمويجي انسيـابي السكـون وان كان لا يجـوز تمويجه ولا تمكين الانسيـابيّـة منـه اذ إنّ قواعـد التجويد تحول دون ذلك . . وهو كذلك حرف خطّي المخرج غير أن تفخيمه وترقيقه في لام الجلالة انها ينشآن بفعل عضلية اللسان فعند تحدُّبه تفخمّ اللام وعند استوائه ترقق . . أما امكانية نطقه على اكثـر من صورة صوتيـة فانـه ناشيء من خطيّـة مخرجـه . . وكـذلـك لا تجوز القلقلة في اللام[1] اذ من النّاس من يجعل له عند الوقوف عليه بالسكون نبرةً كأنه يعبرّ بذلك عن حماسه في الكلام أو انه يظن أنّه يرسم لحرف اللام صورة جليّـة ، بما يفعـل . وكـذلك لا غنّة في اللام بحال من الاحوال فان اخترعت غنّة فانّها كاذبة وهذا مما اتخذناه مصطلحاً لهذه الحالة والاّ فانّ مايقع من ذلك ليس سوى تمويج صوتي وهو على أي صفة يوصف بها أو تسمية يسمّى بها أمر غير جائز . .

ومـا أورده ابـراهيم نجـا في «التجـويـد والأصـوات» من إمكـان إطالة اللام بدعـوى استغـراقـه وقتـاً أطـول من غيره ، لا أصل له في اللغة . . وقد نقله مؤلف «تربية الصوت وفنّ الالقاء» ـ ٥٢ ـ . .

والـلام مرقق في الغـالـب إلاّ ما يفخّم منـه في ألفـاظ الجـلالة وفق شروط محدّدة سيأتي القـول عليهـا بالتفصيـل . . ويقلب حرف الـلام عنـد اقترانه بالحـروف الشمسيّـة الى حرف شمسيّ ولا يقـع هذا الاّ في لامات التّعريف دون سواها . . ومن حالات الاقلاب التي تعرض للام الساكنة أن تقلب الى

راءٍ عنـد اقـترانهـا بالـرّاء «وَقُـلْ رَبِّ أَدْخِلْني مُدْخَـلَ صِدْقٍ وأَخْـرِجْني مُخْرَجَ صِدْق» فان الـلام السـاكنة في «وقُلْ» آلت الى راءٍ فيقال عند النطق بها «وَقُرْ رَبِّ» . . كما أنّ هنـاك لامـاتٍ مجتلبةً تنشأ من إقلاب النون الى لام «فَمَنْ لم يَجِدْ فصيامُ شهرين مُتَتابِعَينْ» فانّ النّون تقرأ هنا لاماً فيقال «فَمَلْ لَمْ يَجِدْ» . .

ولايجـوز اقـلاب الـلام الى نون بحال من الأحوال كمن يقرأ «بَلْ نَقْذِفُ بالحقّ على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» على هيئة «بن نقذف» . . وكذلك لايصـحّ ماجـرت عليه عادة العامة من قلب اللامات الى نونات في مثل «إنّا أنـزَلْنـاه» فيقولون «انّا أنْزَنّاه» ومثل «وجَعَلْنا» التي ينطقونها «وجَعَنّا» . . ومثل ذلك «أكَنّا» أي أكَلْنا . .

ولا تقلب اللام الى تاءٍ ألْبَتَّة كالذي يصنعه ناس حين يلفظون «هَلْ تَعْلَمُ له سَمِيّـاً» بلفـظ «هَتْ تَعْلَمُ» . . ولا تقلب الـلام الى سين كمن يقرأ النّصّ التالي «بَلْ سَوَّلَتْ لكمْ أنفسُكُمْ أمرا» بلفظ «بَسْ سَوَّلَتْ» ولا الى زاءٍ حيث يقلب اللفـظ القـرآني من «بَلْ زُيِّنَ لِلذين كَفَروا مَكْرُهُمْ» فيقال «بَزْزُيِّنَ» . . ولا الى ضاد كمن يلفظ النص التالي « بَلْ ضَلُّوا عنهم» بلفظ «بَضْ ضَلّوا» . .

وقـد جاء تفصيـل القـول على ما يجوز فيـه الاقـلاب ومـا لايجـوز فيه في موضعه من الكتاب . .

وتفخمّ اللام في لفظ الجلالة اذا كان ما قبلَها مفتوحاً أو مضموماً ولاعِبرة بالحال التي تكون عليها الهاء في لفظ الجلالة من ضَمٍّ أو خفض ومن نماذج ذلك :[٢] ـ

«وعَلى الله فَتَوَكّلوا إنْ كنتمْ مؤمنين» . . المائدة ٢٣

فاللام في لفظ الجلالة مفخمة لأنّها ارتبطت بحرف مفتوح هو حرف اللام في

«على» . . أما الهاء فهي مكسورة هنا ولاعبرة بذلك . .

«إنّ الله يَعْلَمُ وأنْتُمْ لاتعلمون» . . النّحل ٧٤

فاللام في لفظ الجلالة مفخمة لأنّ الحرف الذي قبلها ـ وهو النون ـ مفتوح . . أما هاء لفظ الجلالة فانها مفتوحة .

«وكان اللّهُ عليماً حكيما» . . الفتح ٤

فانّ اللام في لفظ الجلالة مفخمة لأنَّ ماقبلها مفتوح . . أمّا الهاء في لفظ الجلالة فانّها جاءت مضمومة . .

«هذا خَلْقُ اللّهِ فَأروني ماذا خَلَقَ الذين مِنْ دونِهِ» . . لقمان ١١

فاللام في لفظ الجلالة مفخمة لأنَّ ما قبلَها مضموم وهو حرف القاف في «خلق» أمّا الهاء في لفظ الجلالة فانها جاءت مكسورة . .

«ذلك يُخَوِّفُ اللّهُ بِهِ عِباده ياعِبادِ فاتّقونْ» . . الزُّمَر ١٦

فانَّ اللام في لفظ الجلالة مفخمة لأنَّ ماقبلها وهو حرف الفاء مضموم ، أمّا الهاء في لفظ الجلالة فقد جاءت مضمومة . .

«فاذْكُروا اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أوْ أَشَدَّ ذِكرا» . . البقرة ٢٠٠

فاللام في لفظ الجلالة مفخمة لأنّ ماقبلها مضموم وهو حرف الراء في «واذكروا» . . أما الهاء في لفظ الجلالة فمفتوحة . .

«ومَنْ أَوْفى بما عاهَدَ عليهُ اللّهَ[3]» . . الفتح ١٠

فانَّ اللام مفخمة لأنَّها سبقت بحرف مضموم هو الهاء في «عليهُ» . . وانما ضُمَّت الهاء في الضمير لتمكين لام الجلالة من أن تكون في حالة تفخيم . .

وترقّق لام الجلالة اذا كان ما قبلَها مكسورا . . ولا عبرة بالحال التي تكون عليها هاء لفظ الجلالة من كسر أو ضمٍّ أو فتح . . ومن نماذج ذلك . .

«قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبون» . . الأنعام ٩١ . .

فانّ اللام في لفظ الجلالة مرققة لأنَّ ماقبلها مكسور هو حرف اللام في «قُلْ» أما الهاء فقد جاءت مضمومة . .

«بَلْ اللّهَ فَاعْبُدْ وكُنْ من الشاكرين» . . الزُّمر ٦٦

اللام في لفظ الجلالة مرقّقة لأنَّ الحرف الذي جاء قبلها مكسور وهو «بَلْ» اذ كسرت اللام فيها لالتقاء الساكنين ولكن الهاء في لفظ الجلالة جاءت مفتوحة . .

«بِسم اللّهِ الرَّحمن الرَّحيم» . .

اللام رقّقت لأنَّ ما قبلها وهو حرف الميم في «بِسْمِ» مكسور . . أما الهاء فانّها جاءت مكسورة . .

ومن ألفاظ الجلالة المفخمة اللام مانجده في الآيات التالية أو في أبعاضها:

«وإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فسوف يُغْنيكُم اللّهُ مِنْ فَضْلِه» . . التَّوبة ٢٨

«إنّي أخافُ اللّهَ رَبَّ العالمين» . . الحشر ١٦

«يُريدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لكم ويَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الذين مِنْ قَبْلِكُمْ» . . النساء ٢٦

«رَحْمَةُ اللّهِ وبَركاتُهُ عليكُمْ أهْلَ البَيْت» . . هود ٧٣

«يَعْرفون نِعْمَةَ اللّهِ ثم يُنْكِرونَها» . . النّحل ٨٣

«أوَلَمْ يَرَوْا أنَّ اللّهَ الذي خَلَقَهُمْ هُوَ أشَدُّ منهمْ قُوَّة» . . فُصِّلَتْ ١٥

«صُنْعَ اللّهِ الذي أتْقَنَ كُلَّ شيء» . . النّمل ٨٨

«قُلْ أغَيْرَ اللّهِ أبْغي رَبّاً وهُوَ رَبُّ كُلِّ شيء» . . الانعام ١٦٤

ومن ألفاظ الجلالة المرقّقة مانراه في النُّصوص التالية:

«يَهْدي به اللّهُ مَن اتَّبَعَ رِضْوانَه سُبُلَ السَّلام» . . المائدة ١٦

«قلِ اللّهُ يَهْدي للحقّ» . . يونس ٣٥

«وَإنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَمُوا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزي اللّهِ». . التَّوبة ٣
«قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّه». . النساء ٧٨

وهنــاك شيء من كلام على اللام يرى في باب الحــروف الشمسيّــة والقمرية، وكذلك في باب الغنن وأنواعها، وفي مباحث الاقلاب أيضاً. . وتجري مجرى هذه اللام من تفخيم وترقيق اللام في «اللّهُمَّ» فهي مفخمة اذا كان ماقبلها مفتوحا أو مضموماً مثل «قالوُا اللّهُمَّ» وهي مرققة في «قُلْ اللّهُمَّ مالكَ المُلْك». . لأنَّ ما قبلها مكسور

أما «لُهُمَّ» وهي في معنى «اللّهُمَّ» فانّ اللام فيها مرققة أبداً، وقد سمعت في الشّعرِ القديم:

(لُهُمَّ ان المرء يمنع رحله فامنَعْ رحالَكْ)

هوامش أحكام اللّام

١ ـ وأما حكاية القلقلة التي نفيناها عن اللام فقد وجدنا الدكتور غانم قدّوري يقول في كتابه «الدراسات الصوتية عند علماء التجويد» ـ ص ٣٥٦ نسخة المناقشة ـ قوله:

«وجاء في بعض المصادر أن من العلماء من يعدّ اللام من حروف القلقلة وقد ذكر ذلك المرعشي وذكر أن بعضهم أضاف اليها الفاء لكن ذلك كلّه لحن حسب رأيه وذلك حيث قال وهي لازمة لحروف قطب جد وإحداثها في غيرها لحن كما حذّر في بعض الرسائل من قلقلة الفاء واللام في افواجاً وجعلنا وانما يقلقلهما من يقلقلهما حرصاً على اظهارهما وحذراً عن إدغامهما فيما بعدهما..».

والذي يتراءى لنا أنّ قدامى المصنفين اذ كانوا يدرسون الاصوات يعتمدون في وضع صفاتها على ماتسمعه آذانهم من نطق بعض المقرئين دون التحفظ في مسألة الاعتماد على من يستمعون اليهم فلقد يكونون في غير موقع الثقة والاطمئنان..

وما يزال هذا أصلاً في هذه الدّراسات فلقد صنع مثل ذلك مؤلف «التّجويد والأصوات» ـ ص ٤١ ـ قال: «ولذلك ندرس أصوات اللين حسب ماهو موجود في بلادنا وكما يتلوه مجيدوا القراءات عندنا في عصرنا لتيسّر تسجيل هذه الأصوات والحكم عليها الحكم الصّادق بناءاً على السّماع والتّسْجيل»..

في حين أن جماعة المقرئين لايعدّ معظمهم من العلماء الموثوق بدرايتهم في علم الأصوات واللغة والدين..

٢ ـ في دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر ـ ص ٢٦٨ ـ عَدَّ كلاًّ من اللام المفخّمة والمرقّقة حرفاً مستقلاً.. ولا نوافقه على ذلك..

٣ ـ «عاهد عليه» الضمير في عليه مضموم بالضمة..

أحكام الرّاء

الـرّاء حرف يتأرجـح على اللســان مالم يكن اللسان متمكنا من الوصول الى مخرجه ولمسه لمساً خاطفاً، وقد وُصِفَ هذا الحرف بالتّكرار وأنّه يُرْعَدُ به اللسان[1] . .

وهـو حرف أصيل في الحروف، وقد يجتلب بفعل الاقلاب كالذي في قوله تعـالى «قـال فَمَنْ رَبُّكـما يامـوسى» اذ قُلبت النّون هنا الى راءٍ فنطقت «فَمَرْ رَبُّكـما» فهي راءٌ مُجْتَلَبـة، كما انّ الـلام تقلب كذلك الى راء مجتلبة مثل قوله تعالى: «قال بَلْ رَبُّكُمْ». . فانّها تلفظ «بَرْ رَبُّكَمْ». .

والـرّاء حرف شمسيّ تنقلب لام التّعـريف عند الاقتران به الى راءٍ مثله ومن ذلـك «الـرَّحيم والـرَّسـول والرَّأي . . .». . وترد الرّاء حرفاً من حروف الاخفاء فلا ينطق بها الاّ مخفاةً عند تحقّق شروط الاخفاء وهو ما يسميه القوم بالـرَّوم . . وكـذلـك تعـدّ الـرّاء من حروف الادغـام الثّـمانية والعشرين أي حروف الهجاء كلّها ـ باستثناء الألف الذي هو التاسع والعشرون فيها ـ والمقصـود بأحكـام الـرّاء هنـا التّفخيم والتّرقيق . . فهي اذا كانت مضمومةً أومفتــوحـة كانت مُفَخَّمـة واذا كانت مكسـورة كانت مُرَقَّقَـةً . . فان كانت ساكنة نُظِرَ الى ما قَبْلَها، فان كان ما قبلَها مضموماً أو مفتوحاً كانت مفخمة واذا كان ما قبلها مكسوراً كانت مرقّقة[2] . .

فان كان ما قبلهــا ساكنــاً وهــو ليس حرفَ مدٍّ كان ذلــك من مبـاحث الاخفـاء . . فان كان حرفَ مدٍّ فان كان أِلفـاً أو واواً فُخِّمت الـرّاء، وان كان

ياءاً رققت. . وهذا حكم يطّرد في كلام العرب كله. . ونماذجه أكثر من أن تُحصى. .

نماذج الرّاءات المفخّمة بسبب الفتح:.

«وربُّك الغَفورُ ذو الرَّحْمَة لو يُؤاخِذهم بِما كسَبوا لَعَجَّلَ لهم العَذاب». . الكهف ٥٨

«ورَأى المُجْرمونَ النّارَ فظَنّوا أنَّهُمْ مُواقِعوها. .» الكهف ٥٣

«فمَكَثَ غيرَ بَعيدٍ فقالَ أحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ به». . النَّمْل ٢٢

«ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ اليك البَصَرُ خاسِئاً وهو حَسير. .» المُلْك ٤

« واذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. .» التَّكوير ١٠

«ثُمَّ أدْبَرَ واسْتَكْبَرَ. .» المُدَّثِّر ٢٢

«وامْرَأتُه حَمّالَةَ الحطَب. .» اللّهب

ومن نماذجها المفخّمة بسبب الضّمّ:

«رُبَما يَوَدُّ الذين كَفَروا لو كانوا مسلمين». . الحِجْر ٢

«يومَ يَنْظُرُ المرءُ ما قَدَّمَتْ يَداه ويقولُ الكافِرُ ياليتني كنتُ تُرابا». . عَمَّ. . نهاية السّورة

«هذا خَلْقُ اللهِ فأروني ماذا خَلَقَ الذين مِنْ دونه». . لقمان ١١

«وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالحا». . القصص ٨٠

ومن نماذجها بسبب الكسر ـ أي نماذج التّرْقيق فيها ـ:

«فَمَنْ يُرِدْ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للاسلام». . الأنعام ١٢٥

«بَلْ اللهَ فاعبُدْ وكُنْ من الشاكرين» الزُّمَر ٦٦

«الذين يأكلون الرِّبا لايقومون الّا كما يَقومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِن المَسّ». . البقرة ٢٧٥

«ما نَنْسَخْ من آيةٍ أوْنُنْسِها نَأْتِ بخيرٍ منها أوْمثلِها . . » البقرة ١٠٦
فانْ كانت الراءُ ساكنةً نُظِرَ الى ما قَبْلَها فانْ كان مضموماً أو مفتوحاً فُخِّمَتْ
ومن نماذج ذلك :
«ولاتَجْعَلوا اللّهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكُمْ» . . البقرة ٢٢٤
«واذا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا ولو كان ذا قُرْبىٰ» . . الانعام ١٥٢
«وآخَرون مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله» . . التوبة ١٠٦
ومن نماذج سكون الرّاء وانفتاح ما قبلها وحالة التفخيم فيها بسبب ذلك :
«ان يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه» . . آل عمران ١٤٠
«يامَرْيَمُ اقْنُتي لِرَبِّكِ» . . آل عمران ٤٢
«أولئك يَرْجون رَحْمَةَ اللّهِ واللّهُ غفورٌ رحيم» . . البقرة ٢١٨
أما اذا كانت الرّاءُ مكسوراً ما قبلَها فانها تُرَقّق ، ومن نماذج ذلك في التّنزيل
«إنَّ هؤلاء لَشِرْذِمَةٌ قَليلون . . » الشّعَراء ٥٤
«وفِرْعَوْنَ ذي الأَوْتاد . . » الفجر ١٠
«كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلا . . » الكهف ١٠٧
«لكلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجا . . » المائدة ٤٨
«لَها شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلوم . . » الشّعَراء ١٥٥
«غَيْرِ أولي الإرْبَة . . » النّور ٣١
«ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاس . . » لقمان ١٨
«فاصْبِرْ صَبْراً جَميلا . . » المَعارج ٥
«قُلْ إنِي أمِرْتُ أنْ أكونَ أوَّلَ مَنْ أَسْلَم . . » الأنعام ١٤
«فلا تَكُ في مِرْيَةٍ مِمّا يَعْبُدُ هؤلاءِ ما يَعْبدون إلّا كما يَعْبُدُ آباؤهُم . . » هود الآية ١٠٩

ويقع التخلف في تفخيم الرّاء السّاكنة وفي ترقيقها كذلك في حالة معيَّنة معلومة هي ما اذا جاءت بعد الرّاء السّاكنة المفخَّمة راءٌ مرقّقة مكسورة فانَّ التَّفخيم في الرّاء الأولى ينقلب الى ترقيق تَبَعاً للرّاء المكسورة المرقّقة . . وكذلك يقع التَّخَلُّف في ترقيق الرّاء السّاكنة المرقّقة فتنقلب الى حالة تفخيم، كما سيأتي الكلام على ذلك بالتّفصيل . .

ومن نماذج ما يتخلف فيه التفخيم : -

«الحُرُّ بِالحُرِّ . . » البَقَرة ١٧٨

فانَّ راءَ الحُرِّ الثّانية، لها في اللفظ مقطعان الأوَّل منهما مفخَّم بسبب كون الرّاء ساكنةً وما قبلَها مضمومٌ فلمّا تلتها راءٌ مكسورة مرقَّقة تخلَّف التّفخيم في السّاكنة وتَبِعَ حالة الرّاء المرقّقة . .

«وبُرِّزَتِ الجَحيمُ لِلغاوين . . » الشّعراء ٩١

«وحُرِّمَ ذلك على المُؤْمنين . . » النّور ٣

«ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نوح . . » الاسراء ٣

«كأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيّ . . » النّور ٣٥

«فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا الى ضُرٍّ مَسَّه . . » يونس ١٢

ومن ذلك ما يكون سببَ التّفخيم فيه كونُ الرّاءِ ساكنةً وما قبلها مفتوحٌ كقوله تعالى «وقَرِّي عَيْنا» . . فانّ الرّاء الأولى مفخمة بسبب سكونها وانفتاح ما قبلَها، أما الرّاء الثّانية فانّها مرقّقة بسبب كسرها، ولذا تخلّف التّفخيم في الرّاء الأولى وانقلب الى راءٍ مرقّقة تَبَعاً للرّاء المكسورة التي جاءت بعدها . .

ومن نماذج ذلك : -

«قالوا حَرِّقوهُ وَانْصُروا آلِهَتَكُمْ . . » الأنبياء ٦٨

«مِنْ شَرِّ ما خَلَقْ . . » الفلق

«وأحَلَّ اللّهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا» . . البقرة ٢٧٥
«وقالوا لاتَنْفِروا في الحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرّا» . . التَّوْبة ٨١
«ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ والبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أيدي النّاس» . . الرُّوم ٤١

وكـذلـك يعـرض للرّاء المُفَخّمة وَفْقَ شروط التّفخيم ما يؤدّي الى تخلّف التّفخيم فيها بعضَ التّخلّف، وذاك عند إمالةِ الرّاء المُفخّمة مثل «بِسْمِ اللّهِ مَجْرَيها» فانّ الرّاء فقدت مَذاقَ التّفخيم بسبب الامالة[1] . . ولذا منع سيبَوَيْهِ إمـالـةَ القـاف للمحافظة على تفخيمها الاستعلائي لئلاّ تسلخ منها الامالة التّفخيم فيبيت حرف القاف في حكم المُرَقّق في مثل هذا المكان . .

وأمّا نماذجُ ما يتخلّف فيه التّرقيق من الرّاءات السّاكنة المرقّقة فينقلب الى تفخيم فمنه النّصوص القرآنية الآتية : ـ

«ولكِنْ لا تُواعِدوهُنَّ سِرّا إلاّ أنْ تَقولوا قَوْلاً مَعروفا» . . البقرة ٢٣٥
فانّ الرّاء السّاكنة مرقّقة وقد جاءت بعدها راءٌ مُتَحَرِّكة بالفتحة فهي في هذه الحال مُفَخَّمة وبهذا تخلّف التّرْقيق في الرّاء السّاكنة تَبَعاً للمتحرِّكة المُفَخَّمة . .

«ليس البِرَّ أنْ تُوَلّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِب» . . البقرة ١٧٧
«فَفِرّوا الى اللّهِ إنّي لَكُمْ مِنْهُ نَذيرٌ مُبين» . . الذّاريات ٥٠
فانَّ الرّاء الأولى مُرَقَّقة بسبب كونها ساكنةً مكسوراً ما قبلها، ونظراً لأنَّ الرّاء التي بعدها متحرّكة بالضّمّ لذا وَقَعَ التَّخَلُّف في ترقيق الرّاء السّاكنة فصارت مُفَخّمة . .

«وكانوا يُصِرُّونَ على الحِنْثِ العظيم . .» الواقعة ٤٦
«كَمَثَلِ ريحٍ فيها صِرٌّ أصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ فأهْلَكَتْه» . .
آل عمران ١١٧

على أنّ الـرّاء في «صِـرٌّ» اذا وقف على «صـرّ» ساكنـةً ترقق وان كانت الـراء المدغمة فيها مرشّحة للضّمّ الذي يتخلف به التّرقيق . .

وهنـاك حالـة أخـرى للرّاء السّاكنة هي حالة وجود حرف استعلاءٍ بعدها وذاك أن تكـون الـرّاء ساكنـة مكسوراً ماقبلها ويكون بعدها حرف استعلاء فانّها تُفَخّم بتأثير حرف الاستعلاء عليها ومن نماذج ذلك : ـ

«ولَوْ نَزّلْنا عليك كِتاباً في قِرْطاسٍ فَلَمَسوُه بِأيْديهِمْ لَقالَ الذين كَفَروا إنْ هذا الآ سِحْرٌ مبين» . . الأنعام ٧

فانّ كلمة قرطاس مُفَخّمة الرّاء بسبب اتّصال الطّاء بها وهي أحد حروف الاستعـلاء . . ولـو كانت قافُ «قِـرْطاسٍ» مفتوحةً أو مضمومة كقولنا «قُرْطٌ» فانّ حرف الاستعلاء لا دور له هنا في التّفخيم إذ إنَّ التَّفخيم في هذه الحالة ينشأ بسبب انفتاح ما قَبْلَ الرّاء الساكنة أو انضمامه . .

أمّـا ومـا قبـل الـرّاء السّـاكنة مكسور فانَّ الأصْل في الرّاء السّاكنة ـ هنا ـ التّرقيق غير أنَّ حرف الاستعلاء حال دون ترقيقها فصارت مُفَخّمة . . على أنّه لاعبرة بحرف الاستعلاء إذا جاء في كلمة أخرى غير الكلمة ذات الرّاء المكسـور ماقبلَهـا ، ففي مثـل قولـه تعـالى : «فـاصْبِرْ صَبْراً جَميلا» لايكون لمجيء الصـاد بعـد الـرّاء السـاكنة في «فاصْبِرْ» شأن في تفخيم ولا ترقيق . . وانّما يكـون لحرف الاستعـلاء شأنـه في التّفخيم والـتّرقيق اذا كان جزءاً من ذات الكلمة التي تجمع بين الرّاء وحرف الاستعلاء . .

ومثـل ذلـك : «ولاتُصَعّـرْ خَدَّكَ للنّـاس» فانَّ الخـاء التي هي من حروف الاستعـلاء لادور لها هنـا لأنها جاءت في كلمة أخرى . . ومن ذلك : «وانْذِرْ قَومك» فالرّاء ظَلّت مُرَقّقة دون أنْ تَعْبأ بحرف استعلائي آتٍ بعدها لأنّه جاء في مقطع منفصل . .

ويبدو أنّ السّبب في تخلّف القاعدة في هذا المقام هو ما يصحُّ من التّوَقف بعد الانتهاء من نطق الكلمة الأولى . . في حين لايصحّ التّوقّف على بعض مقاطع الكلمة الواحدة لأنّ الكلمة الواحدة لا تجزّأ، أي لايوقف على أجزائها ولايصحّ انفكاك بعضها عن بعض . .

ومن ذلك ـ

«فلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طائِفَةٌ لِيَتفقّهوا في الدِّينِ وَلِيُنذِروا قوْمَهُمْ اذا رَجَعوا اليهِمْ» . . التّوبة ١٢٢

فانّ الرّاء في «فِرْقة» مفخّمة لنفس العلّة، أي لأنّ الرّاء السّاكنة المكسورَ ماقبلهَا تلاها حرف استعلاءٍ مفتوح . .

«وَالذين اتّخذوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وتَفْريقاً بَيْنَ المُؤْمنينَ وارْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللّهَ ورَسولَه» . . التّوبة ١٠٧

«إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصاد . . » الفجر ١٤

فان كان حرف الاستعلاء مكسوراً ففي هذه الحالة يجوز ترقيق الرّاء مثل ـ

«فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العظيم» . . (٥) الشّعراء ٦٣

أما حكم الرّاء بعد حروف المدّ فانّها تفخّم بعد الواو والألف اذا وُقِفَ عليها بالسُّكون . .

مثل : ـ

«مالنا لانَرى رجالاً كُنّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرارْ» . . صّ ٦٢

«أتّخَذْناهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصارْ»؟ صّ ٦٣

«سلامٌ عليكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدّارْ» . . الرَّعْد ٢٤

«إنَّ رَبَّنا لَغَفورٌ شَكورْ» . . فاطر ٣٤

«كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصْحابِ القُبورْ» . . المُمْتَحِنة ١٣

«وَالطّــورِ وكتــابٍ مَسْطــورٍ في رَقٍّ مَنْشــورٍ. وَالبَيْتِ الْمعْمــورْ. .»
الطّــور ١و٢و٣و٤
وترقّق الرّاء بعد ياءِ المدّ ومن نماذج ذلك: ـ
«يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلك حَشْرٌ علينا يَسيرْ». . قٓ ٤٤
«وَاللّهُ بِما تَعْملونَ خَبيرْ». . الحَديد ١٠
«مالَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ ومالَكُمْ مِنْ نَكيرْ». . الشّورى ٤٧

إنَّ الـتّرقيق والتّفخيم انّــما يكـونـان في الرّاء السّاكنة كما هو ظاهرٌ لأَنَّ المدَّ الـذي يسبقهـا لايـؤثـر فيها مالم يوقف عليها ساكنة فاذا حرّكت كان الحكم للحركة وحدها. .

وللرّاءِ حالتان في مدّ اللّين وذاك أنّها اذا جاءت بعد الياء كانت مرقّقة مثل ـ
«وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبيْنَ القُرى التي بارَكْنا فيها قُرىً ظاهِرَةً وقَدَّرْنا فيها السَّيْرْ». . سَبَأ ١٨
«لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمعين قالوا لاضَيْرْ». . الشعراء ٤٩ و٥٠
«وَلَقَدْ آتَيْنا داودَ مِنّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبي مَعَهُ وَالطَّيْرْ». . سبأ ١٠
«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعونَ إِلى الخَيْرْ». . آل عمران ١٠٤

أمّـا اذا جاءت بعـد الـواو ولا نمـوذَجَ لها في القرآن، ولكنها لها نماذج في كلام العـرب كقـولنـا على الفَوْرْ، ومن طَوْرٍ الى طَوْرْ، وهذا ماءٌ غَوْرْ، وكلٌ لَهُ في المَوْقِفِ دَوْرْ، ونَوْرْ ومَوْرْ وجَوْرْ وهَوْرْ، فانّها تكون في حالة تفخيم.[٦]

وذكـروا أنّ ما سُبِقَ من الـرّاءات السّـاكنة بكسرٍ عارض فانّه يفخّم ومثلوا له بالنّصّ التـالي «إرْجِـعْ الى رَبِّـكَ فَاسْـأَلْـه» ومثل «إرْجِعي الى رَبِّكَ راضِيَةً مَرْضِيَّة» ومثل «وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيرا». .[٧]

ولكن مؤلف «حقّ التّلاوة» عبر عن ذلك بقوله على حالات تفخيم الراء ص ٧٢ من الطبعة الثانية: «اذا جاءت ساكنة بعد همزة الوصل مطلقاً نحو «ارجعوا الى أبيكم، أم ارتابوا، لمن ارتضى». . وبذلك تجاوز مقولة السكون العارض. . على أن الاستشهاد بالنص «ارجعوا الى ابيكم» لاتعدّ الهمزة في ارجعوا همزة وصل وانما هي همزة قطع مستعارة مكانها.

وقد أعياهم أن يجدوا للكسر العارض عِلَةَ تحدّد حدوده وافاقه وأسبابه. . والذي عندنا أنَّ هذه الرّاءات تُرقّق وفق قانون التّرقيق في الرّاءات السّاكنة المسبوقة بكسر. . أما استشهادهم بمثل قوله تعالى «بِسْمِ اللّه الرَّحْمن الرَّحيم» في كون راءِ الرَّحمن وراءِ الرَّحيم مفخّمتين بسبب ما سمّوه بالكسر العارض فلا أصل له، وانَّما هو أنَّ التَّفخيم كائنٌ وفق القاعدة القائلة بتخلّف التَّفخيم والتَّرقيق في حالات معلومة هذه منها. . فانّ الرّاء السّاكنة اذا تلتها راءٌ متحرِّكة فاختلفتا في التَرقيق والتَّفخيم وجب توحيد ذلك بينهما والأمر في هذا للرّاء المتحرِّكة، أمّا السّاكنة فانَّها تكون تَبَعاً لها وان كانت قبلها. .

وفيما يتعلّق بالتَّرقيق والتَّفخيم فانَّه لايصحّ جعل الرّاءِ المرقّقة في حال من الذُّبول بحيث تفقد به وجودَها، كالذي جاء على لسان عبدالباسط عبدالصمد القارىء المصري عند تلاوته النصّ القرآني «فَذَكِّرْ اِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرْ». . وقد قال في النشر - ١/ ٢١٩ - «وَلْيُحْتَرَزْ حالَ ترقيقها من نحولها نحولاً يُذْهِبُ أَثَرَها وينقل لفظها عن مخرجها كما يعانيه بعض الغافلين». . وفيما يتعلّق بالتَّفخيم لايجوز طيُّ ظهر اللسان طيّاً عند النّطق بها وقد سمّى ابن الجزري هذه الحالة بالحَصْرَمَة ونهى عنها[1]. . ولا يصحُّ قلب الرّاء غَيْناً على عادةِ بعض اللهجات المحلّيَة العاميَّة. .

هوامش أحكام الرّاء

(١) وانّما يرتعد اللسان بالرّاء لأنّها مُهيّأةٌ جِبِلّياً للتّكرار الذي يجب الاحتراز منه عند النُّطق بالرّاءات السّواكن فلا يعلق بها شيء من تكرار. فان كانت الرّاءات مشدّدة وجب التمييز بينها وبين ما كان منها غير مشدَّد، وذلك في حالات الوقف بالسُّكون.. فقولنا «سِرْ أوّلاً تَسِرْ» غير قولنا «انّه لَسِرٌّ أيُّ سِرّ»..

والرّاء حرف خطّيّ المخرج لذا يكون مُفَخّماً ومُرَقّقاً كما أن خَطّيّة مخرجه تنتهي الى مجال إضافيّ يستعين به الألْثَغ على نطق هذا الحرف بما يفهم السّامع به أن الرّاء مرادة في اللفظ الملفوظ.. وغالب الناطقين بالرّاء يُرى نطقهم للرّاء آتياً من جهة هذا المجال على وجه التّسامح في النُّطق والتّخلُّص من ارتعاديّة هذا الحرف.. وهناك من يسمي المجال الأضافي بالذبذبة..

أما الذين تنقلب الرّاء لديهم الى غَيْن فانّ ذلك امّا أن يكون لغةً كالذي كان عليه كلام البغداديين قديماً، وإمّا أن يكون لُثْغَةً ثقيلة.. والحقيقة أنّ الرّاء من الحروف الصّعبة النّطق، فهي في حالة ترقيقها يكاد ينعدم فيها الارتعاد بل يمكن ان يجري فيها النفس جريانه في اللام السّاكنة على لسان العامّة من دون أن تظهر في الرّاء حالة التّكرار. اي انها وهي مرقّقة أقَلُّ ارتجافاً واضطراباً لأنّها يكون نطقها في حالة التّرقيق من أَسَلَة اللسان ولكون الأسَلة غير ذات مساحة تكفي للاهتزاز العريض فانها لايظهر عليها التّكرار ظهوره عند نطق الرّاء المفخّمة التي اذا فُخّمت اشتدّ تكرارها الاّ اذا فرّ اللسان عن صميم مخرجها الى المجال المضاف اليه ـ على ما أشرنا قبل يسير ـ وتضعف طاقة التّكرار بل تنعدم اذ يصبح صوت الرّاء المكرّر وكأنّه صوت انسيابيّ واحد غائص في المجال الصّوتي المنضاف الى مخرج الراء.. وذاك عند ضعف الضّغْط الهوائي لدى النّاطق.. وذاك انّ نطق الرّاء ساكنةً يكون بقرع مخرجها والانتفاض عنه من دون المكث فيه، فانْ نطق بها مُشدَّدة أيْ مدغمةً في نفسها وجب أن يقع ذلك بأقصى سرعة اذ لايمكن ان يسكن اللسان على مخرجها فيطمئنّ ساكناً وما قاله الجعبري وآخرون غيره من أن طريق السّلامة من التّكرار هو أن يلصق اللافظ

بالرّاء ظهر لسانه بأعلى فكّه لصقاً محكماً مرّةً واحدة، فانّ هذا الإحكام غير كائن في الواقع وانّما هو اللّمس اليسير. . الذي يشبه النّقر. .

(٢) ـ هنـاك من يرقّق الـرّاء التي حقّهـا التّفخيم في التّـلاوة فتبـدو غيـر ذات مذاق مقبول، وفي ترك التّفخيم والتّرقيق دون ضابط تعليمي تَسَيُّبٌ لهندسة اللفظ العربي، وارتكابٌ لمراكب الحَذْلَقَة في النُّطق الصّوتيّ الذي يجب أن يُعْصَمَ من ذلك.

(٣) ـ جَعَلَها في «البرهان في تجويد القرآن» مرقّقة بسبب وجود حرف استعلاء بعدها مُهْمِلاً حكم الكسرة في حالتها هذه، وغاضاً نظره عن كون حرف الاستعلاء الذي جاء بعدها آتياً في كلمة ثانية، اذ القـاعـدة المُقَعَّـدة في ذلـك ان لايـؤ بـه لحـرف الاستعـلاء الآتي بعـد الـرّاء في كلمـة أخرى وهذا مقول فيه ما يكفيه خلال الكلام على الرّاء وحروف الاستعلاء. .

(٤) الإمـالـة هي الميـل بالمقطـع ذي الألِف المَـدِّيّـة الى ما يشبـه الفتحـة وليس هومنهـا. . فانّ «مَجْـرَيْهـا» في الأصـل الصـوتي «مَجْـراها» فميل بالألف الى مايشبه الفتحة لأنّ الفتحةَ على الرّاء توجب تفخيمهـا وصـورة التّفخيم هنـا منعدمة كل الانعدام فهي ـ اي مَجْرَيْها ـ مرقّقة الرّاء مما يدلّ على أنّ الحركة هذه ليست فتحةً كأيِّ فتحةٍ أخرى. .

وكـذلـك اذا نطقنـا الـرّاء في مدّ اللّين اليائيّ ذي المقطع الثّلاثي الذي يصلح عنده الوقف فقلنا «رَيْبْ» فانّ الـرّاء فيـه مفخّمـة فان شئنـا نطقَ ذلـك على نحوما تكون الامالة فانّ الرّاء تكون مرقّقة ـ تلقائيّاً ـ وفتحتها ليست بديلا للألف. .

(٥) ماورد في لغة العرب من الرّاءات السّاكنة المكسور ماقبلَها، والمتبوعة بحرف استعلائيّ كثيرٌ، وكـلُّ أولئـك خاضـع في التّفخيم والتّـرقيق لهـذا القـانـون. . ومن هاتيـك الألفـاظ الحِـرْص بكسـر الحـاء والخِـرْص وهـذا الحـرف بمعنى الحلقـة من الـذهب والفضّـة. . والخِـرْقة والإرغام والضِّرْغام والعِرْض والعِرْق والغِرْقِيء والقِرْطالة ـ وهي البَردعة ـ والقِرْطِم وهو حَبُّ العُصْفُرْ، والمِرْط وهـو كسـاء من خزّ وصـوف، والمِـرْقـاة والمِرْقَم وهِرْقِلْ ـ في بعض ما ينطق به ـ . . وكل ما جاء من أحكام الرّاء الأدائيّة ساكنةً ومتحرّكة ـ جارياً فيه الحكم أومُتَخَلِّفا ـ ينطبق على جميع ألفاظ العرب، في سائر كلامهم. .

(٦) ـ ما جاء في القرآن الكريم من هذا الحرف جاء في حالة لايقع معها مَدُّ لين، ومن ذلك: «قُلْ أرَأيْتُمْ إنْ أصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْرا». . الملك ٣٠

(٧) ـ ظَنَّ القـومَ أنَّ الكسـرة ما قبـلَ راء «اِرْحَمْهُما» ناشئة عَرَضاً أيْ انَّ الباء في «رَبِّ ارْحمهما»

مكسورة كسرةً عارضة في حين أنّ ما قبلَ الرّاء في «ارحمهما» مكسورٌ وَفْقَ أحكام التّصريف في أفعال الأمر. . فانّنا نقول رَحِمَ يَرْحَمُ اِرْحَمْ بكسر ما قَبْلَ الرّاء السّاكنة في فِعْلِ الأمر. ورَجَعَ يَرْجِعُ اِرْجِعْ . . فمن هنا لم يكن كسرُ ما قَبْلَ الرّاء السّاكنة عارضاً في الأفعال الأمْرِيّة وانّما هو كسر بنائيّ، ولذا يقع ترقيق الرّاء في هذه المواقع لاتفخيمها.

ولم نجدهم قالوا إنّ الضّمّ الذي سَبَقَ الرّاء في «أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ» عارضٌ، وفي هذا دلالة على اعتباطيّة المصطلحات عندهم . . كذلك لم نجدهم قالوا إنّ الكسرة التي تسبق لامَ الجلالة عارضة في «قُلِ الله» اذ الأصل في لام «قُلْ» السّكون البنائيّ ثُمّ عَرَضت الكسرة مَنْعاً لالتقاء السّاكنين وهم قد اعتمدوا هذه الكسرة فرقّقوا لام الجلالة ولم يفخّموها . .

إنّ عُروض الكسر وغيره ـ عند عُروضه ـ لايُلْتَفت اليه اذا كان الصّوت الحرفيّ قائماً على قاعدة صوتيّةٍ مقرّره، لذا كانت كُلّ راء ساكنةٍ إثْرَ حرفٍ مكسور راءاً تستحقُّ التّرقيق لأنّ الذي يندسُّ في السّمع راء ساكنة مكسورٌ ما قبلَها مهما كان مَنْشأُ الكسرة، ومهما كانت صفتها . .

(٨) ـ أصل الحَضْرَمَة الشّدّة يقال «حَضْرَمَ قَوْسَه» اذا شَدَّ وَتَرَها، و «حضرم حَبْلَهُ» اذا أحْكَمَ فتله . . وجرى النّهيُ عن حصرمة الرّاء إذ إنّه يؤدّي الى المبالغة المُفْرطَة في تفخيمها، . كالذي يقع على لسان بعض المقرئين في النُّطق بلفظ «مَرْيَم وبَرْد» فانّ الرّاء ترد في هذه الحالة مبالغاً في تفخيمها مما لاتستسيغه الأُذن السليمة . .

الاخفاء

الاخفاء ـ وهناك مَنْ سَمّاه الاخفات ـ هو أن يُلْفَظ الحرف بصوت خافت لايكاد يسمعه السَّمع ، أو أن يُمالَ باللسان على مخرجه ـ أي مخرج الحرف نفسه ـ ميلاً يسيراً يفهم به أنَّ هناك حرفاً قد أُريدَ له أن يلفظ فلم يكن في وُسْع لافظه أن يصنع أكثر مما صَنَعَ من نطقه على وجه غير ظاهر ولا مسموع سماعاً تامّاً . .[1] وهناك شروط تحدِّد حكم الاخفاء وتُعَيِّن حروفه ، منها أن يكون الحرف الذي يراد له الاخفاء ساكناً سكون وَقْف ، وأن يكون سكونه هذا كائناً إِثْرَ حرف ساكن سكون بناء . . وأن يكون كذلك في خَواتيم الألفاظ ، وعند ارادة الوقوف عليها . .

ففي هذه الحالة يمكن للفتحة أو الضَّمَّة أو الكسرة التي تعيش مع الحرف الذي يسبق السُّكون أن تَمْتَصَّها مرة واحدة في مقطع ثلاثيّ الحروف . . فاذا قلنا «نَخْلْ» فانَّ النّون هي الحرف المتحرِّك الوحيد في هذا المقطع ، أمّا الخاء فانَّها ساكنة سكون بناء . . وأمّا اللام فانّها ساكنة سكون وقف بارادة النّاطق . . وكلا السُّكونين مُتَّكِىءٌ على حركة حرف النّون ، ويسمّى هذا بامتصاص السَّواكن[2] . .

أمّا الرَّوم الذي أشار اليه غيرُ واحد من المُصَنِّفين في معنى الإتيان ببعض الحركة ـ والذي سمّاه قومٌ بالاشمام ـ فليس من هذا الباب[3] . . وانَّ للرَّوم عندهم معاني شَتّى متناثرة فلقد أُطلق على المدّ في «ها أَنْتُمْ» لقب مدِّ الرَّوم وعُلِّلَ في «تحفة نُجباء العصر في أحكام النّون السّاكنة والتّنوين والمدّ والقصر»

لأبي يحيى زكـريّـا الأنصـاري القـاضي بأنّـه سمّي بذلـك لكونه يروم بالمدّ الهمز. . ومن معاني الرَّوم عندهم الإتيان ببعض الحركة التي يضعف صوتها لقصـر زمنهـا . . وقالوا إنّ الرَّوم يشارك الاختلاس في تبعيض الحركة ويخالفه في أنه لايكون في فتح ولا . . .

وقـال ابن الجـزريّ ـ ٢ / ١٢١ ـ : «وامّـا الرَّوم فهو عند القرّاء عبارة عن النّطق ببعض الحـركـة وقـال بعضهم هو تضعيف الصَّـوت بالحـركة بصوت خفيّ» . . غير أنّ الذي نحن في صدده لاصِلةَ له بهذه التّعاريف مِنْ قريب ولا من بعيد. . . والمراد بالتّضعيف ـ في قول ابن الجزري ـ الاضعاف لاالمضاعفة . .

ويقـع الاخفـاء في حروف ويمتنـع في حروف. . . اما الحروف التي يقع فيها فهي الزّاء واللام والضّاد والهاء والميم والنّون والواو والياء. . ويشترط في هذه الحروف أن لاتكون مشدَّدة. .

ويمتنع الاخفاء في حروف الحلق باستثناء الهاء، اي انّه لايقع في كلّ من الهمزة والحاء والخاء والعين والغين. . كما أنه يمتنع وقوعه في حروف الصَّفير التي هي الزّاء والسّين والصّاد . .

ولا يقــع الاخفـاء في حروف القلقلة وهي البـاء والجيم والـدّال والطّـاء والقـاف. . وكـذلـك لايقـع في ملحقاتها وتوابعها الأربعة أي التّاء والكاف والهمزة والعين. . والحرفان الأخيران هما من حروف الحلق في ذات الوقت. . ولا يقع في حروف الاستعلاء باستثناء الضاد . .

ولا يقـع الاخفـاء في حروف التّفشّي الخمسـة وهي الثّـاء والذّال والشّين والظّاء والفاء[1] . . كذلك يمتنع الاخفاء في المدود على اختلافها من عارضةٍ ولازمةٍ ولين وغير ذلك . .

وفيما يلي نماذج الاخفاء في حروفه: ـ

حرف الرّاء[*]: ـ

«وَالفَجْر، وليالٍ عَشْر، والشَفْعِ والوَتْر، واللَّيْلِ اذا يَسْرْ». . الفجر

«وما أدراك مالَيْلَةُ القَدْرْ». . القدر

«إنّها بَقَرَةٌ لافارِضٌ ولا بِكْرْ». . البقرة ٥٨

«عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرْ». . الدَّهر ٢١

«ولَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ قالوا هذا سِحْرْ». . الزُّخْرُف ٣٠

«إنّها تَرْمي بِشَرَرٍ كالقَصْر. كَأنّه جِمالَةٌ صُفْرْ». . المُرْسَلات ٣٢ و ٣٣

«وَما أنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرْ». . البقرة ٢٧٠

«ولسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرْ». . سَبَأ ١٢

«وَالعَصْرِ إنَّ الانْسانَ لَفي خُسْرْ». . العصر.

«وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأَمْرْ». . هود ٤٤

«أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرْ». . الزُّخْرُفُ ٥١

«والقُرْآنِ ذي الذِّكْرْ». . صَ ـ الآية الأولى

«وَمِنَ الجبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرْ». . فاطر ٢٧

«ثُمَّ جَعَلْناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرْ». . الجاثِيَة ١٨

«وما أَسْأَلُكُمْ عليهِ مِنْ أَجْرْ». . [٤] الشُّعَراء ١٠٩

«إنْ في صدورهم إلّاكِبرْ» غافر ٥٦

وفي حرف اللام

«وما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلْ». . هود ٢٧

«وبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلْ». . سَبَأ ١٩

«مايَعْبُدونَ إلّا كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلْ». . هود ١٠٩

«إنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ومَا هُوَ بِالهَزْلِ» . . الطّارق ١٣ و١٤
«جَعَلْنا لأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ» . . الكهف ٣٢
«حَتّى إذا أَتَوْا على وادِ النَّمْلِ» . . النمل ١٨
«وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْلِ» . . البقرة ٢٨٢
«لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وآباؤُنا مِنْ قَبْلُ» . . النَّمل ٦٨
«وإذا تَوَلّى سَعى في الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فيها وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ» . . البقرة ٢٠٥
«وَأَخْرِجوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ» . . البقرة ١٩١
«آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» . . يونس ٩١
«واذْكُرْ إِسْماعيلَ وَالْيَسَعَ وَذا الكِفْلِ» . . صٓ ٤٨
«وانْ يَسْتَغيثوا يُغاثوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ» . . الكهف ٢٩
وفي حرف الضّاد ـ
وغالباً مايكون ذلك في بعض وفي أرض . .
«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ» . . البقرة ٢٥٣
«قُــلْ أَرَأَيْـتُـمْ ما تَدْعــونَ مِنْ دونِ اللّهِ أَروني ماذا خَلَقُــوا مِنَ الأَرْضِ» . . الأحقاف ٤
«وَإِنَّ كَثيراً من الخُلَطاءِ لَيَبْغي بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ» . . [٧] صٓ ٢٤
حرف الهاء ـ
«فَأَمّا الذين في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنْه» . . آل عمران ٧
«ومَنْ يُطِعِ اللّهَ ورَسولَه وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتَّقْهِ» . . النّور ٥٢
«وإذا سَمِعوا اللَّغْوَ أَعْرَضوا عَنْه» . . القَصَص ٥٥
«قيلَ لها ادْخُلي الصَّرْحَ فَلَمّا رَأَتْه» . . النّمل ٤٤

«وَلَئِنْ أذقْناهُ رَحْمَةً مِنّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْه».. فُصّلت ٥٠٥
«فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْه».. النّصر ٣
«قالَ ارْجِعْ الى رَبِّكَ فاسْأَلْه».. يوسف ٥٠
حرف الميم ـ
«وَهَلْ أتاكَ نَبَأُ الخَصْم».. صّ ٢١
«إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ البُكْم».. الأنفال ٢٢
«الذين آمنوا وَلَمْ يَلْبِسوا إيمانَهُمْ بِظُلْم».. الأنعام ٨٢
«الاّ ما حَمَلَتْ ظُهورُهُما أوْ الحَوايا أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْم».. الأنعام ١٤٦
«وَلا تَقْفُ ما ليسَ لَكَ بِهِ عِلْم».. الإسراء ٣٦
«فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّن افْتَرى على الله كَذِباً لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْم».. الأنعام الآية ١٤٤
«وَزادَه بَسْطَةً في العِلْمِ وَالجِسْم».. البقرة ٢٤٧
حرف النّون ـ
«وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْن».. المؤمنون ٢٠
«الذين آمنوا وَلَمْ يَلْبِسوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ اولئك لَهُمُ الأمْن».. الأنعام ٨٢
«وللنساء نَصيبٌ مِمّا اكْتَسَبْن» النّساء ٣٢
«وما تكونُ في شأنٍ».. يونس ٦١
«جَزاؤهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتُ عَدْن».. البيِّنة ٨
«وَقَدْ أحْسَنَ بي إذْ أخْرَجَني مِنْ السِّجْن».. يوسف ١٠٠
«أفَرَأيْتُم الماءَ الذي تَشْرَبونَ أأنْتُمْ أنْزَلْتُموه مِنَ المُزْن».. الواقعة ٦٨ و٦٩
«لاتُخْرِجوهُنَّ مِنْ بُيوتِهِنَّ وَلايَخْرُجْن».. الطّلاق ١
«أولم يَرَوْا الى الطير فوقهم صافّاتٍ ويَقْبِضْنْ» الملك ١٩

«فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ» . . النّساء ١٢

وفي حرف الواو:

«وَما الحياةُ الدُّنْيا إلاّ لَعِبٌ وَلَهْو» . . الأنعام ٣٢

«وجاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْو» . . يوسف ١٠٠

«ويَسْألونَكَ ماذا يُنْفِقونَ قُلِ العَفْو» . . البقرة ٢١٩

حرف الياء ـ

«لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْي» . . المائدة ٤١

«فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْي» . . الصّافات ١٠٢

«أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدي العُمْي» . . الزُّخرف ٤٠

«وَيَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْي» . . النَّحل ٩٠

«وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ الاّ الذينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيْ» . . هود ٢٧

«قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ماظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ والإِثْمَ والبَغْي» . . . الأعراف ٣٣

«فما اسْتَيْسَرَ مِن الهَدْيْ» . . البقرة ١٩٦

نماذج مما لايقع فيه الاخفاء من حروف الحلق والصَّفير والقلقلة والتَّفشّي ـ

حروف الحَلْق ـ

«وَالأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فيها دِفْء»[٨] . . النَّحْل ٥

«إِنْ تَسْتَفْتِحوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْح» . . الأنفال ١٩

«وَأَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْع» . . الجنّ ٩

«وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ والأَرْضِ ذاتِ الصَّدْع» . . الطّارق ١١ و١٢

«وَهُوَ الذي أَنْشَأَ جَنّاتٍ مَعْروشاتٍ وَغَيْرَ مَعْروشاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْع . .» الأنعام ١٤١

«قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ». . المؤمنون ٨٦
«وَإمّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ». . فُصِّلَتْ ٣٦
«قالَ ذلك ماكُنّا نَبْغِ» الكهف ٦٤

حروف الصَّفيرِ - (٩)

«وَلَمّا وَقَعَ عليهِمُ الرِّجْز». . الأعراف ١٣٤
«وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طلوعِ الشَّمْسْ». . ق ٣٩
«فأَعْرِضوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْس». . التَّوبة ٩٥
«وقالَ الذين كفروا رَبَّنا أرِنا اللَّذَيْنِ أَضَلاّنا مِنَ الجِنِّ والانسْ». . فُصِّلَتْ الآية ٢٩

حروف القلقلة -

«سَنُلْقي في قُلوب الذين كَفَروا الرُّعْب». . آل عمران ١٥١
«إنَّ في ذلك لَذِكرىٰ لِمَنْ كانَ له قَلْب». . قٓ ٣٧
«لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدْ». . التَّغابن ١
«أنْ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَقَدِّرْ في السَّرْد». . سَبَأ ١١
«وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِك الخُلْد». . الأنبياء ٣٤
«إنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدي الى الرُّشْد». . الجِنّ ١ و٢
«الحُرُّ بِالحُرِّ والعَبْدُ بالعَبْد». . البقرة ١٧٨
«وَلاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولَةً الى عُنُقِكَ وَلاتَبْسُطْها كُلَّ البَسْط». . الاسراء ٢٩
«وكانَ في المَدينةِ تِسْعَةُ رَهْط». . النَّمل ٤٨
«وَأَوْفوا الكَيْلَ وَالميزانَ بِالقِسْط». . الأنعام ١٥٢
«قُلْ مَنْ حَرَّمَ زينَةَ اللّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْق». . الأعراف الآية ٣٢

«قُلْ سيروا في الأرض فانْظُروا كيفَ بَدَأ الخَلْقَ». . العنكبوت ٢٠
«وأَنْ تَسْتَقْسِموا بالأَزْلام ذلِكُمْ فِسْق». . المائدة ٣
«ولَقَدْ عَلِمْتُمُ الذين اعْتَدَوْا مِنْكُمْ في السَّبْت». . البقرة ٦٥
«لاشَريكَ له وبذلِكَ أُمِرْت». . الأنعام ١٩٣
«وتَرىٰ كَثيراً مِنْهُمْ يُسارِعونَ في الإثْمِ والعُدْوانِ وأَكْلِهِمُ السُّحْت». . المائدة الآية ٦٢
«سمّاعون لِلكَذِبِ أكّالونَ لِلسُّحْت». . المائدة ٤٢
«فَكَذّبوه فَنَجَّيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ في الفُلْك». . يونس ٧٣
«وكَأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ التي أخْرَجَتْك». . محمّد ١٣
«وما لَهُمْ فيهما مِنْ شِرْك». . سَبأ ٢٢
«قُلْ اللّهُمَّ مالِكَ المُلْك». . آل عِمْران ٢٦ [١٠]

حروف التَفَشّي ونماذج مما لايقع فيه الاخفاء منها: [١١]

انَّ حروف التَفَشّي هي الحروف التي يقع معها ـ عند النُطق بها ـ شيءٌ من النَفخ وانتشار الهواء خارج الفم أو في جوفه. . ولا يقع الاخفاء في هذه الحروف لوجود مانع الهواء الموصوف، . وهي الشّين والفاء والذّال والظّاء والثّاء. . وحدَّدها احمد فروخي بالشّين والفاء في كتابه «التّجويد الواضح». . وتَوَسَّعَ أُناس في تعدادها ففي ـ ص ١٥٥ ـ من «الوضع الجديد»: «ومما نُسب الى التَفَشّي الرّاء والصّاد والسّين والياء والتّاء والميم والضّاد فتلك سبعة أحرف غير الشّين. .»

والحقيقة أن هذه الحروف لاتَمُتُّ الى التَّفَشّي بأيَّة صلة.

ومن نماذج ذلك: ـ

«وقالَ الذين أُوتُوا العِلمَ والايمان لقد لَبِثْتُمْ في كتاب الله الى يَوْم البَعْثِ فهذا

يومُ البعث . . » الرُّوم ٥٦

«وترى الملائكةَ حافِّين مِنْ حَوْل العَرْش» . . الزُّمَر ٧٥

«والأنْفَ بالأنْف» . . المائدة ٤٥

«ومن النّاس من يَعْبُدُ الله على حَرْف . . » الحجّ ١١

أمّا في المشـدّدات من ميمٍ ونـونٍ وواوٍ وياء ، فانَ ههنا نماذج لما لايقع فيه الاخفاء بسبب التّشديد : ـ

«كُلّما أرادوا أنْ يَخْرجوا منها مِنْ غمّ» . . الحج ٢٢

«ولا يُبْدينَ زينتَهُنّ» . . النّور ٣١

«وقلْنا اهبِطوا بَعْضُكمْ لبعض عَدُوّ» . . البقرة ٣٦

«ومَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِج المَيِّتَ من الحَيّ . . » يونس ٣١

فانَّ الاخفـاء لايقـع في المُشَـدَّدات لأنَ في تكرار الحرف تركيزاً لشخصِيَّته فلا مجـال لاخفـائـه . . وهـو وانْ عُدَّ مقطعـاً زوجيّـاً في العـروض ـ بعض الأحيان ـ فانّه ثلاثيّ الأصل اذ إنَّ أصل نظائره «فنٌّ وصِلٌّ وهَمٌّ» فوقفَ عليه بالمقطع الثلاثي فظن أنّه زوجيّ بفعل الغنّة فيه . .

ومما يمتنع فيه الاخفاء بسبب كونِ الحرف مسبوقاً بمدّ كلمةَ نارْ ونورْ ولَيْلْ وسَيْلْ ونَوْم ونُجومْ وبيضْ ونون في بَنون . . ومثل ذلك قول الشّاعر :

يا ابـلي ماذامـه فَتَأبَـيْـهْ

ماءٌ رَواءٌ ونَـصِـيٌّ حَوْلَـيْـهْ

لأنَ مَدَّ اللينِ كان جزءاً من المقطع الثّلاثي . . وانّما يمتنع الاخفاء في المدّ بسبب أنَّ الاخفـاء حالـة انقطـاع عن الاستمـراريَّة ، والمدُّ هو الوصول الى غاية ولا غاية في الاخفاء ومن هنا لم تكن الممدودات مما تخفى فيها حروف الاخفاء . .

والاخفاء قانون صوتيٌّ لايجوز التّلاعب به. . وانّ من أكثر أخطاء النّاس فيـه أنّهم يتحكمـون في سكـون البنـاء الكائن قبلَ الحرف الأخير فيحرّكونه فيختلّ بذلك جوهر الاخفاء، اذ يقرأ قارئهم:

«اِنّا أَنْزَلْناه في لَيْلَةِ القَدِرْ» بكسر الدّال في «القَدْر». . وهذا ان جاز في الشعر وبعض كلام النّاس فانّه لايجوز عندنا في التّلاوة ولا في سائر ضروب الكلام الفصيح. .

وهناك من أطلق مصطلح الإشمام على الاخفاء ـ الذي نحن في صدده ـ من اهـل القـراءات واللغـة. . ولكن مصطلح الاخفـاء في هذا المقام أوْضح دلالـةً على المـراد وأهـدى سبيـلا. . وكـذلك هناك من سمّى هذا الاخفاء بالرَّوم وهي تسمية شائعة [١٢]

نتبّـه هنـا الى أن المـراد بالاخفـاء في موضـوعنـا هذا هو غير المراد بمصطلح الاخفاء في المصنفات الشائعة مما حسبوه من أحكام النون الساكنة فسمّيناه الاشـــمام. . أو ما حسبـوه من أحكـام الميم السـاكنـة فأطلقنـا عليه لقب الـتّــماس. .

هوامش الإخفاء

(١) - قال الشّيخ محمد مكّي نصر في «القول المفيد» - ص ١١٩ «اعلم أنّ الاخفاء على قسمين اخفاء الحركة واخفاء الحرف. . والأول بمعنى تبعيض الحرف كما في قوله - تعالى - «لاتأْمَنّا» ونحوه. . والثّاني على قسمين أحدهما تبعيض الحرف وستر ذاته في الجملة كما في الميم السّاكنة قبل الباء أصليّة أومقلوبة من النّون السّاكنة والتّنوين. . وثانيهما إعدام ذات الحرف بالكُلّيّة وإبقاء غُنّته كما في اخفاء النّون الساكنة والتّنوين عند الحروف الخمسة عشر المتقدّمة. .»

وهذا غير الذي نحن في صدده على أنّ عبارة الشّيخ نصر قاصرةٌ عن التّعبير عما أراد، أو عمّا يقرّب للأذهان فهمه. . وكُنّا سَمَّيْنا حالة الميم السّاكنة قبل الباء باسم التّماس. . وسَمَّينا حالة النّون السّاكنة مع الحروف الخَمْسَةَ عَشَرَ إشْماماً. .

والحرف لاتُعْدَم ذاته بالكُلّيّة مع بقاء غُنّته، فانّ التّنَبّهَ الى المذاق الاشمامي في النُّون السّاكنة مع الذّال والفاء وغيرهما يختلف عنه في النُّون السّاكنة مع التّاء والذّال، فالحرف - وهو النّون السّاكنة - مع هذين الحرفين لاتنعدم ذاته بل تطغى وتبرز سيطرتها على الحالة الإشماميّة لضعف ذلك في الذّال والتّاء. . فما أورده الشّيخ نصر لايعضده الواقع الصّوتي المعترف به. .

(٢) - اذا وقع الحرف الثّاني في المقطع الثّلاثي حرف قَلْقَلَة فانّ سكونه البنائي يتعرّض أحياناً لشيء من الاضطراب، ومن ذلك قولنا «نَقْرْ» اذ يتوهّم السّمع ان القاف حرّكت بالكسر وكذلك «نَقْلْ». . وكذلك ان كان الحرف الثّاني حرف صفير مثل «عَزْلْ». . أو كان حرف تَفَشّ مثل «نَشْرْ» وهذا يتطلّب التزام الدّقّة التّامة عند النطق بهذه الحروف وما كان من أشباهها. .

(٣) - قال الجزريّ في الجزريّة - ٢/ ١٢١ - «حكي عن الكوفيّين أنّهم يسمّون الاشمام رَوْماً والرّوم إشْماما. . .». .

(٤) - قال في «القول المفيد في علم التّجويد»: «والتّفشّي صفة للشّين وحدها عند الشّاطِبي ومع الفاء عند صاحب «درر الأفكار» ومع الثّاء المثلّثة عند صاحب «الرّعاية» ومع الضّاد المُعْجَمَة عند بعض العلماء. . .» ومنهم ابن جنّي فانّه قال في «سِرّ الصّناعة» - ١/ ٢٢٤ -: «وأمّا الضّاد فلأنّ

فيها طولاً وتَفَشّياً فلو أُدغمت في الطّاء لذهب ما فيها من التَّفَشّي فلم يجز ذلك». .

وقال في «التّجويد الواضح» في تعريف التَّفَشّي: «واصطلاحاً انتشار الصّوت في الفم عند النُّطق بالحرف وهو في حرفين: الشّين والفاء». . وانّما هو انتشار هواء هذه الحروف خارج الفم عند النُّطق بها. . وعِدَّتُها وفق ما أشرنا. .

٥ ـ الاخفاء في الرّاء هو أن لايقع اللسان على نفس مخرجها وانّما يدنو من جَوّ المخرج كقولنا نَشْرْ وصَفَرْ وسَنَرَ فانَّ اللسان لايلمسها تماماً ولكنّه يتردّد على مجالها، ولذلك تنعدم في مثل هذا النُّطق صفةُ التّكرار فيها. .

(٦) ـ انَّ حالة التّفخيم والتّرقيق في الرّاء المخفاة لايكون لها هنا وجود ظاهر وذاك بسبب كون الحرف المُفَخَّم أو المرقّق في وَضْعٍ لايَتّضح فيه هذا الأمر وان كان كائناً في تضاعيف اللفظ. . لذا كان الخلاف في تقدير ذلك خلافاً جائلاً في فراغ أو شبه فراغ. .

(٧) ـ من ألفاظ العرب بُغْض وخَفْض وعِرْض وفَرْض وقَبْض وقَرْض ومَحْض ونُحْض ونَفض ونَقض. .

(٨) ـ هناك من جعل الهمزة تخفى كحال سائر حروف الاخفاء فلقد قال الفَرّاء: «إنَّ الهمزة اذا سكن ماقَبْلَها حذفت من الكتاب وذلك لخفاء الهمزة اذا سكنت، فلمّا سكن ما قبلها ولم يقدروا على همزها في السَّكت كان سكوتهم كأنّه على الفاء». . وأورد ابن قُتَيْبَة في ـ أدب الكاتب ـ أنّه اذا كانت الهمزة آخر الكلمة وما قبلَها ساكن ـ يريد انها ساكنة هي أيضاً ـ حذفت في الرفع والخفض. .

وأورد سيبويه أنَّ هناك من قرأ «الخَبْء» بحذف الهمزة وأضاف: «وانّما حذفت الهمزة هُهُنا لأنك لم ترد أن تتمّ وأردت إخفاء الصّوت فلم يكن ليلتقي ساكن وحرف هذه قصّته كما لم يكن ليلتقي ساكنان». .

غير أنَّ الهمزة لكونها من توابع حروف القَلْقَلَة التي تتعرّض للسُّكون المُغْلَق لايقع لها الاخفاء، ولاعبرة بادّعاء نفي التقاء ساكنين. . أفلم يروا كيف التقى الساكنان في «عَرْشْ» السّاكنة الرّاء والشّين حين امتنع الاخفاء في هذه الشّين. .

وفي كتاب الألِفات لابن خالَوَيْه: «فان حلَّت الهمزة طرفاً وسُكِّن ما قبلها لم تصوَّر خطّاً وتثبت لفظاً وذلك نحو الجُزْء والخَبْء والدِّفْء لأنّها خفيت في الوقف فأسقطوها خطّاً» ـ مجلة المورد العراقيّة ١ : ٨٣ ، ١٩٨٢ ـ قلنا: هذا مذهب في رسم القلم لاشأن للأصوات به. . وقد قال الدّكتور علي حسين البَوّاب في ذلك: «إنّها قاعدة املائيّة تركت في

العربيّة». . على أنّه قد يكون من المتصوّر انّ ما خطّطوه للتعامل والهمزة المتطرّفة قد يكون ناشئاً من ردّ الفعل تجاه الذين يبالغون في قلقلة الهمزة قلقلةً مستبشعة غاية الاستبشاع ومن هؤلاء في أيامنا خلق كثير يصنعون بسائر حروف القلقلة وغيرها ما يَمجُّه الذوق من رطانة النّطق وما ترفض الاصغاء اليه أسماع السّامعين لذا جرى الميل الى اخفاء الهمزة في هاتيك الكلمات على غير قاعدة معروفة (والله أعلم). .

(٩) ـ من الألفاظ المختومة بحرف صفير في اللغة الحِرْز والخُبْز واللّكز والنّبْز والوَكْز. . والأَمْس والبَأْس والتُرْس والجَرْس والخُرْس والدّرْس والعُرْس والغَرْس والفُرْس والنّبْس. . والجِرْص والخَرْص والدّغص والرّقْص والشّقصْ والقُرْص والنّقْص والوَقْص. .

على أنّ امتناع وقوع الاخفاء في حروف الصفير الساكنة هذه لايعني أنّها تُمْنَح ذيلاً صوتيّاً بحيث يمكن إطالة النُّطق بها كالذي جاء في كتاب «تربية الصّوت وفنّ الالقاء» ـ ص ٥٢ ـ اذ أباح إطالة السّين في كلمة «أُسْكُتْ» وأجاز مثل ذلك في الزّاء والشّين والخاء والميم والنّون. .

فلا نرى ذلك يصلح أن يوصف بالاطالة لأنها ذيول صوتيّة ملازمة لهذه الحروف، والاطالة تعمُّد الزّيادة الزّمنيّة في النُّطق، ومثل هذا لا أصل له في العربيّة لأنّه يجرّ الى تشديد الحرف المخفّف دون أن يكون مشدّداً بالوضع اللُّغويّ. .

(١٠) ـ من ألفاظ العرب المختومة بحرف قلقلة : ـ في الباء ـ جَذْب وحَذْب وحَرْب ودَأْب وسِرْبْ وشِرْب وصَحْب وضَرْب وعَضْب وغَرْب وغَضْب وقُطْب ونَحْب ونَخْب ونَقْب ونَهْب ووَطْب. .

وفي التّاء ـ بغْت وسِرْت وقُلْت وقُمْت ومَقْت ونَبْت ونحْت ووَقْت. .

وفي الجيم ـ بُرْج وخَرْج ودُرْج وسَرْج وعِلْج ومَرْج ونَهْج وهَرْج. .

وفي الدّال ـ بَعْد وحِقْد ودَعْد ورَغْد وسَرْد وشَهْد وطَرْد وفَرْد وقَصْد ومَهْد ونَهْد ووجْد ووفْد. .

وفي الطّاء ـ خَرْط وسُخْط وسِقْط وسِمْط وشَرْط وغَمْط وقُرْط ومِرْط ونَفْط. .

وفي القاف ـ خَرْق وشَرْق وطَرْق وعِتْق وعِذْق وعِرْق وفَرْق وفِسْق ونُطْق. .

وفي الكاف ـ تَرْك وحَبْك وسِلْك وفَتْك وهَتْك وهُلْك. .

وفي العين ـ بِدْع ودَفْع ودَمْعْ وسَبْع وشَرْع وضَرْع وطَبْع ونَبْع والنّطع والوُسْع والهَمْع. .

وفي الهمزة ـ البَدْء والبُرْء والدِّفْء والرِّدْء والقُرْء والكُفْء والمَرْء والنَّشْء. .

(١١) ـ في الكلام على سكون التّفشّي في باب «السُّكون وأنواعه» أوردنا جَمْهَرَة من ألفاظ العرب

مما فيه حالة التَّفَشّي . .

(١٢) ـ فرّق في «اللسان» بين الاشمام والرَّوم قال: واشمام الحرف أن تُشِمَّه الضَّمَّة أو الكسرة وهو أقلّ من رَوْم الحركة لأنه لايُسْمَع وانّما يتبيَّن بحركة الشَّفة قال ولا يُعْتَدُّ بها لضعفها والحرف الذي فيه الاشمام ساكن أو كالسّاكن» . .

والحقيقة أنَّ معاني الاشمام شتّى، وما أشار اليه «اللسان» انّما تناول به غير الجانب الذي نحن في صدده . .

ملاحظة: موضوع الاخفاء ـ هذا ـ من دراساتنا الخاصة التي لاوجود لها في الكتب. . وقد نقل حروفه التي حددناها ونماذج الاخفاء فيها مؤلف «نظرات في علم التّجويد» ـ ص ١١٠ و١١١ ـ طبعة بيروت ١٩٨٠ . . دون التنويه بذلك . . ولقد يظنّ من يجهل الأمر أنّا نحن ناقلوا الاخفاء عنه . . ولكنّه أحسن صنعاً في أنه لم يشر الى حكم الاشمام في النّون السّاكنة وهو من تسمياتنا فدفع عنّا بذلك مظنّة اقتباس الاشمام منه كما فعل في الاخفاء وان كان عليه ضمن نظراته أن يشير الى ذلك ويورد المرجع والمصدر في كلتا حالتي التأييد والمخالفة، وتلك هي سنّة البحث العلمي المتفق عليه.

الادغام

حين يتكـرَّر الحـرف الـواحد في مقطعين صوتيَّين متجاوِرَيْن أولهما ساكنٌ وآخرهما متحرِّك فانَّ الحالة التي يوصف بها هذا التَّجاور هي حالة ادغام[1] . .

ومعنى الادغـام في الأداء الصَّوتي هو أن لايكـون بين المقطعـين الصَّـوتيَّين المتجـاورين على تلك الصِّفـة المـوصـوفـةِ سَكْتٌ ولا وَقْفٌ وانما يُجْتَهَدُ في أن يُنْطَقَ بهما على هيئةٍ فيها شيءٌ من الموالاة التّامَّة والتَّرابط الوثيق . . فاذا قلنا «مُحَمَّـد» فانّ المقطعـين المتجـاورين ـ وقـد تكـرَّرَ فيهما حرف الميم بعينه ـ انَّما يتـألَّفـان مِنْ «حَمْ» و «مَـدْ» ، وذلـك هو الادغـام ، فما يَصِحُّ أن يُنـادىٰ من يَتَسَمّى بهذا الاسم على هيئـةٍ متقطِّعـة بحيث يقـال له «يامُحَمْ» وبَعْدَ لأيٍ يقال له «مَدْ» فيكون مجموع ذلك الاسم الكامل «مُحَمَّدْ» . .[1]

فإنْ تَرْكَ أيّ فاصـلٍ زمنيّ بين المقطعـين يُخِلّ بأحكام الادغام كلّ إخلال . . فوق أنَّ ذلك ليس من الكلام السَّليم ولا من حسن الأَدَب في مخاطبة النّاس كائناً من كانوا . . أما من كان مَعْيوهاً بعاهةٍ تؤديّ بالحروف أن تتمزَّق على لسانه فذاك أمرٌ آخر . .

انَّ الاملائيين ـ أي أصحابَ صناعة الخطّ ورسم القلم ـ لم يكتبوا الحرف المُـدْغَم الاّ مَرَّةً واحـدة على أن تكـون فوقـه علامـةُ الشَّدَّة المعروفة التي هي على المثال التّالي «ـّ» . .[2]

وأمّـا العـروضيّـون فانّهم كتبوا الحرف الذي يقع عليه الادغام مكرَّراً أي

كتبوه مَرَّتين فقالوا «مُحْمَمَدْ» . . وفي إِسْتَقَلَّ قالوا «إِسْتَقَلْلَ» وفي «ذُرِّيَّة» قالوا «ذُرْرِيْيَة» فهم لايرون اللسان يرتفع مَرَّة واحدة عن الحرف المكرر . .

وأمّا الشّدَّة المُتَّخذة على الحرف المكرر فهي علامة قلميَّة لاصوتيَّة ، وربما وضعت اعتباطا على حروف غير مشدّدة كوضعهم ايّاها على لام الجلالة «الله» وما هي هنا الاّ من التّزيينات . . وليس الادغام ادخالَ حرفٍ في حرف حتى يكونا حرفاً واحداً يرتفع اللسان عنهما ارتفاعةً واحدة [1] وهو التّعريف الشّائع في كتب المصنّفين وان كان هناك من نفى من علماء الصّناعة ذلك كصاحب «النَّشْر» اذ قال «انَّه ليس بادخال حرف في حرف بل الصحيح أنَّ الحرفين ملفوظٌ بهما» نقله الشيخ الميهي الأحمدي في كتابه «فتح الملك المتعال بشرح تحفة الأطفال» . . وقال الدكتور «التّهامي نَقْرة» في رسالته اليَّ من تونس في الكلام على قولهم في تعريف الادغام انه ادخال حرف في حرف مماثل له بحيث يصبحان حرفاً واحدا قال: «الصّواب في التّعريف أن يقال بحيث يصبحانِ كأنّهما حرفٌ واحد لأنَّ التّوقّف على الحرف الأول المدغم لايجوز الاّ عند الغُنَّة» . .

والواقع أنَّ لغة التّعريف التي أُرِيدَ بها وصفُ الادغام كانت لغةً غير سليمة ولا دقيقة ، فانّهم لاحظوا أنّ اللسان في الحرف المكرَّر يقرع مخرج الحرف في المرّة الأولى ولا يرتفع عنه الاّ بنُطْقِهِ ثانية عند ارادة الناطق ذلك . .

ولا يفهم من هذا بحالٍ من الأحوال أنَّ اللسان يرتفع عن الحرف المكرر ارتفاعةً واحدة . . كذلك لايفهم من جميع صُوَرِ الادغام أنَّه ادخال حرف في حرف . . وكل ما هنالك أنَّهم أعوزهم التّعريف السّليم . .

وبعبارة أخرى انَّ الذين وصفوا الادغام بأنّه ادخال حرف في حرف بحيث يرتفع اللسان عنهما مَرَّةً واحدة أو ارتفاعةً واحدة قد لاحظوا أنَّ اللسان

حين يقـع على الحـرف السّاكن المدغم يظلّ مَنوطاً به حتى يُلْفَظَ ثانيةً وعليه في هذه المَـرَّة حركـةٌ من الحـركات، يَسْتَوي في ذلك أن يكون الحرف مقرونا بغُنَّة وأن لايكون مقروناً بها. . فانّ الحرف المدغم في نظيره إنّما يُنْطَقُ مَرَّتين وعلى مرحلتين صوتيَّتين متتابعتين وهذا ظاهر صوتيّا. . [5]

كما أنَّ تعـريفهم للادغـام بارتفـاعـة اللسـان ارتفاعةً واحدة ينطبق على حالات لا مكـانَ للادغـام فيهـا كاليـاءَيْنْ اللتين في قوله تعالى «لَقَدْ كان في يوسُفَ واخـوَتـهِ آياتٌ لِلسّائِلين» فانّ الياء المُحْتَجَنَة في «في» لايرتفع اللسان عنها الاّ لكي ينطق بالياء التي تحتجنها كلمةُ «يوسف» ولم يكن ذلك حالةً من حالات الادغام بالاجماع. . ومثل هذا: «الذي يُوَسْوِس». .

ومثلهـا في الـواو «قـالـوا وَهُمْ» فانّ استمـرارية وجود الواوين في فلك صوتي واحـد وهـو ما سمَّـوه بارتفـاعـة اللسـان ارتفاعة واحدة لم ينشأ منه شيء من الادغام المزعوم. .

وينبغي أن يلاحـظ كذلـك أنَّ الادغـام لايقع بين حرفين مختلفين الاّ من بعـد اقـلاب أحـدهما الى نظـيره بحيث يملك جميـع مواصفاته فانّ الحرفين اذا كانا حرفاً واحداً مكرَّرا غير أنّ أحدهما مفخم والآخر مرقق فانهما لايقع بينهما على هذه الحالة المتخالفة شيءٌ من ادغام، فان أريد ادغامهما وَجَبَ توحيد ذلـك فيهـما إمّـا ترقيقاً وإمّا تفخيما، ويعرف هذا بوضوح من مراجعة أحكام الرّاء في الكتاب. .

وانّما يقع هذا الاقلاب بين الحرفين اللذين يراد ادغامهما وفق قوانين الاقلاب الصَّوتيَّة المقرَّرة. . [6]

فلقـد أشـار الشيـخ محمود سيبويه البدوي في «الوجيز» الى ما يفهم منه عُسْر الادغـام عنـد اختـلافِ المخـرج وانعدامِ التّناسب أو قلّته. . ويقول الشّيخ

الميهي في «فتح الملك المتعال» قوله: «ولم يجب الادغام للتّباعد في المخرج والمخالفة في الجنسيّة حيث كانت النّون حرفاً أغنّ وكذلك التّنوين، والباء حرف غير أغنّ». . وقال الشّيخ الضّبّاع في حواشيه على «فتح الأقفال» للجمزوري: « والادغام انّما يسوّغه التّقارب» ـ ص ٢١ ـ وقال الشّيخ الميهي في «فتح الملك المتعال» ما نصّه: «انّ حقيقة الادغام أن ينقلب الحرف الأول من جنس الثّاني فيكمل التّشديد ولا يبقى للحرف ولا لصفاته أثر». . وقال أيضا ـ ص ١٠ ـ «انّ النّون السّاكنة والتّنوين اذا أدغما في النّون لم ينقلبا الى غيرهما واذا أدغما في الميم قُلِبا الى حرف أغنّ وهو الميم السّاكنة». . وقال الأستاذ داود العطار في كتابه «التّجويد وآداب التلاوة» ـ ص ٢٥ ـ: «اذا وقعت النّون قبل حرف الادغام قُلبت النّون حرفاً مماثلاً لما بعدها». .

وقال الدّكتور أحمد مختار عمر في كتابه «دراسة الصّوت اللّغوي» ـ ص ٣٣٤ ـ في الكلام على النّون الادغاميّة: «وهي تتحوّل الى صوتٍ مماثل للصّوت التّالي لها وذلك مع المتوسّطة التي يجمعها قولك «يرملون». . وكان في ـ ص ٣٣٢ ـ من ذات كتابه قد أوجب تحقيق المماثلة بين الصّوتين المراد ادغامهما ان لم يكونا متماثلين فعلا». . وفي ـ ص ٣٣٣ ـ قال في تفسير واقع الادغام مانصّه: «وعلى هذا فانّ الادغام يمكن أن يفهم على أنّه ازالة الحدود بين الصّوتين المدغمين وصهرهما معا». .

وقال الدّكتور التّهامي نقرة في رسالته الخطّيّة اليّ: «الادغام لايكون الاّ بعد القلب فالنّون تقلب ياءاً في قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ». .

وكان الشّيخ عبدالعزيز الأغطاشي قد فصّل الكلام على هذه المسألة في كتابه «تحفة الاخوان» وقد أوردنا ذلك في باب الاقلاب من هذا الكتاب. . اذ فيه نماذج الادغام النّاشئ بسبب الاقلاب في جميع حالات الادغام. .

وفي «القـول المفيـد في علم التّجـويـد» قال الشّيـخ مَكّي نصـر الجريسي في تفسير ارتفاعة اللسان ارتفاعةً واحدة: «وكيفيَّة ذلك أن تجعل الحرف الذي يراد ادغـامـه مثـل المدغم فيه فتجعل اللام في نحو«والشّمس»: شيناً، وفي نحـو«النّـار»: نونـاً. وفي «مَنْ يؤمن»: ياءاً وفي «مِنْ واق»: واواً. . فاذا حصـل المِثْـلان وجَبَ ادغـام الأول في الثّـاني حكـما جماعيّاً، وفائدته تخفيف اللّفظ لثقلِ عودة اللسان الى المخرج الأول أومقاربه فاختار العرب الادغام طلباً للخِفَّة لأنَّ النُّطْق بذلك أسهل من الاظهار كما يشهد به الحِسُّ والمشاهدة. . » . .

وقـال ثانيـة ـ نقـلا عن «اتحـاف البَشَـر» ـ «فـان كانا مثلين أسكن الأوَّل وأُدغم في الثّاني وان كانا غير مِثْلين قلب الثّاني ثم أدغم وارتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة من غير وقف على الأوَّل لأنَ الادغام لايكون الآ عند وصل الكلمة بالتّالية» . .

انّ عدد الحـــروف التي يقـع لها الادغـام يستغـرق جميـع حروف الهجـاء باستثنــاء الألِف، لأنَّ حرف الألِف في حالـة سكـون أبَـدِيّ فلا يتهيّأ له أن يكون متحرِّكاً ليقعِ الادغام بين ساكنه ومتحرِّكه . .

وقـد ألِفَ المصنِّفـون في مبـاحث التّجـويد حصر حروف الادغام في ستّة حروف جمعـوها بقولهم: «يرملون» . . وعَدَّ الشّيخ عبد المجيد الخطيب ثلاثة عشر حرفاً في كتابه «عُمْدة المُفيد وعُدَّة المَجيد في أصول التّجويد» ـ ص ٣٧ ـ اذ قال في ادغـام المتـماثلين «هما الحـرفان اللذان اتّحدا مخرجاً وصفةً عند ثلاثة عشـر حرفـاً اثنـان بغنّـة، الميم مع الميم، والنّـون مع النّون نحو«وَمالَهُمْ مِنْ ناصِرين» وأحد عشر حرفا بلا غنة نحو «فاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ» وقد عَدَّ هذه الحـروف كما يلي «البـاء والتّـاء والـدّال والـذّالَ والـرّاء والعين والفاء والكاف

واللام والهاء والواو» وجاء عليها بنماذج قرآنية . . وهو تحديد غريب . . [٨]

وقـال مؤلف «التجـويـد والأصـوات» ـ ص ١٠١ ـ اعتمـاداً على بعض المصادر «وقد أوضح القراء أن جميع الحروف يتحقق فيها الادغام عدا حروف الحلق، ويظهـر ان تلك الحـروف وهي الحلقيـة غيـر مستعـدة للفنـاء في غيرها . . ».

والـواقـع ما ذكـرنـاه في هذا الباب من ان الادغام يقع على جميع حروف الهجـاء ـ الا الألِف ـ [٩] ومن هذه الحـروف أربعـة تكـون مصحـوبـة بغنّـة ادغامية أمدها أربعُ حركات، والحروف الأربعة هذه هي الميم والنّون والواو والياء . . وبقيّة الحروف لا غُنّة في ادغاماتها . .

ومن نماذج الادغام في سائر حروفه :.

حرف الباء . . [١٠]

«وفاكِهَةً وَأَبًّا . . » عبس ٣١

«تَبَّتْ يَدا أَبي لَهَبٍ وَتَبَّ . . » اللهب ـ المسد ـ

«فَأَوحَى اليهِمْ أَنْ سَبِّحوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا . . » مريم ١١

«اِذْهَبْ بِكِتابي هذا فَأَلْقِهْ اِليهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ» . . النّمل ٢٨

«يُثَبِّتُ اللّهُ الـذين آمَنـوا بالقَـوْلِ الثّـابِتِ في الحيـاةِ الـدُّنْيـا وفي الآخِرة» . . ابراهيم ٢٧

وفيما يلي نماذج تاثيّة للادغام ـ

«قالَتْ يالَيْتَني مِتُّ قَبْلَ هذا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا» . . مريم ٢٣

«وَاتَّبِعْ ما يوحىٰ اِليك مِنْ رَبِّك» . . الأحزاب ٢

«فما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ» . . البقرة ١٦

«أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتّى» . . طه ٥٣

«وَاتَّخِذوا من مَقام ابراهيمَ مُصَلّى». . البقرة ١٢٥
«فأمّا مَنْ أعْطىٰ وَاتّقىٰ وَصَدَّقَ بالْحُسْنىٰ فسَنيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى». . الليل
«فآمَنوا فَمَتَّعْناهمْ الى حين». . . الصّافّات ١٤٨
«واذا قِيلَ لهُ اتّقِ اللّهَ أخذتْهُ العِزّةُ بالإثم». . البقرة ٢٠٦
«إنَّ المُتّقِينَ في ظِلالٍ وَعُيون». . المُرْسَلات ٤١
«وَأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتّكأً وآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكّينا». . يوسف ٣١
وفي حرف الثّاء -
«فكانَتْ هَباءاً مُنْبَثّا». . الواقعة ٦
«مالَكُمْ اذا قِيلَ لَكُمُ انْفِروا في سبيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأرض». . التّوبة ٣٨
«وَاذْكُروا إذْ كُنْتُمْ قَليلاً فَكَثَّرَكُمْ». . الأعراف ٨٦
«مِنْ بَقْلِها وقِثّائِها وفومِها وعَدَسِها وَبَصَلِها». . البقرة ٦١
«وبَثَّ منهما رِجالاً كثيراً وَنساءا». . النّساء الآية الأولى
ومن كلام الناس: «حَرَثَ الثّوْرُ الحَرْثَ» و «رَثَّ الثّوْبُ على لابِسِه». .
وفي الجيم -
«ماءاً ثَجّاجا». . النّبأ ١٤
«أيْنَما يُوَجِّهْه لايَأتِ بِخَير». . النّحل ٧٦
«يَوْمَ الحَجِّ الأكْبَر». . التّوبة ٣
«قال رَبِّ نَجِّني مِنَ القَوْمِ الظّالِمين». . القصص ٢١
«وَإنَّ الفُجّارَ لفي جَحيم». . الانفطار ١٤
«فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه». . الفتح ٢٠
«بَلْ لَجّوا في عُتُوٍّ وَنُفور». . الملك ٢١
اذا رُجَّت الأرضُ رَجّا». . الواقعة ٤

وفي ألفاظ اللّغة: رَجَّع وتَشَجَّع وماءٌ مَجٌّ ومما جاء لديهم منه بين كلمتين «حَجِّجْ جَدَّك» أي يَسِّر لجدّك الحجّ واذهب معه لأدائه. .

وفي الحاء ـ

«وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الذين آمَنوا ويَمْحَقَ الكافِرين». . آل عمران ١٤١

«وأُحْضِرت الأَنْفُسُ الشُّحَّ». . النِّساء ١٢٨

«قالوا إنَّما أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرين». . الشُّعراء ١٨٥

«فاذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حدادٍ أَشِحَّةً عَلى الخَيْرِ». . الأحزاب الآية ١٩

وفي كلام النّاس «أَصلِحْ حوضَ مائك» و«نَقِّحْ حديثك» و«رَجِّحْ حديث الحقِّ على حديث الباطل». .

وفي الخاء ـ

«فاذا جاءت الصّاخّة». . عَبَس ٣٣

«إنَّ أَجَلَ اللّهِ اذا جاءَ لأيُؤَخَّر». . نوح ٤

«سُبْحانَ الذي سَخَّرَ لَنا هذا». . الزُّخْرُف ١٣

«لَوْلا أَخَّرْتَني الى أَجَل قريبٍ فَأَصَّدَّقَ. .» المنافقون ١٠

ومن كلام النّاس: «إسْلَخْ خِرافَك». .

وفي الدّال ـ

«لاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنون باللّهِ واليوم الآخِرِ يُوادّون مَنْ حادَّ اللّهَ وَرَسولَه». . المجادلة ٥٢

«وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْديهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّا». . يّس ٩

«وَقَدْ دَخَلوا بِالكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجوا به». . المائدة ٦١

«يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدي مِنْ عَذابِ يَوْمِئذٍ بِبَنيه». . المعارج ١١

وفي الذّال ـ
«إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عليه» . . الأنبياء ٨٧
«فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذابَهُ أحَد» . . الفجر ٢٥
«قالَ رَبِّ انصُرْني بِما كَذَّبونْ» . . المؤمنون ٢٦
«والذّارياتِ ذَرْوا» . . الذاريات الآية الأولى
«وَأذِّنْ في النّاسِ بِالحَجِّ يَأتوكَ رِجالا . . .» الحجّ ٢٧
وفي الرّاء ـ
«فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأنْ لَمْ يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه» . . يونس ١٢
«مِنْ شَرِّ ماخَلَق» . . الفلق
«لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِه» . . القيامة ١٦
«ولَقَدْ مَنَنّا عليكَ مَرَّةً أُخْرى» . . طه ٣٧
«ذو مِرَّةٍ فاسْتَوىٰ وَهُوَ بالأُفُقِ الأعْلى» . . النَّجم ٦ و٧
«وكَرَّهَ اليكُمُ الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيان» . . الحُجُرات ٧
«واذكُرْ رَبَّك اذا نسيت» . . الكهف ٢٤
وفي الزّاء ـ
«وَللّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ولِلْمُؤمنين» . . المنافقون ٨
«إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عليكَ القُرْآنَ تَنْزيلا» . . الدَّهر ٢٣
«ألَمْ تَرَ أنّا أرْسَلْنا الشّياطينَ على الكافِرينَ تَؤُزُّهمُ أزّا» . . مريم ٨٣
«نَزّاعَةً لِلشَّوىٰ» . المَعارج ١٦
«إنَّ اللّه هُوَ الرَّزّاقُ ذو القُوَّةِ المَتين» . . الذّاريات ٥٨
«فاذا أنْزَلْنا عليها الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ» . . الحجّ ٥
ومن كلام الناس: «مِزْ زَيْنَ الأمور من شَيْنِها».

حرف السّين ـ
«وإذا مَسَّ الانسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أو قاعِداً أوْ قائِماً» . . يونس ١٢
«فَلَمّا أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الكُفْرَ قالَ مَنْ أنْصاري الى الله» . . آل عمران ٥٢
«وعاداً وثَمودَ وأَصْحابَ الرَسِّ وَقُروناً بَيْنَ ذلك كثيرا» . . الفرقان ٣٨
ومن كلام الناس «أرْسِ السَّفينةَ بِالمِرْساة» . .

وفي الشّين ـ
«وَأَهُشُّ بها على غَنَمي» . . طه ١٨
«وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهين هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَميم» . . نَ ١٠ و١١
«أوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ وَهُوَ في الخِصامِ غَيْرُ مُبين» . . الزُّخرف ١٨
ومن كلام الناس «تمشي الشهور كما تمشي الأيام» . .
وفي الحديث النبوي : «من غَشَّنا فليس منّا» . .

وفي الشّعر :
فقل للشّامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشّامتون كما لقينا

وفي الصّاد ـ
«وطَعاماً ذا غُصَّةٍ وعَذاباً أليما» . . المُزَّمِّل ١٣
«فَلَمّا جاءَهُ وَقَصَّ عَليه القَصَصَ قالَ لاتَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظّالِمين» . .
القَصَص ٢٥

«وَوَصّى بها ابراهيمُ بَنيه ويَعْقوب» . . البقرة ١٣٢
«أَفَلا يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ وحُصِّلَ ما في الصُّدور» . . العاديات
ومن كلام الناس «أوْصِ الصَّبيَّ بحسن التّصرُّف» . .

وفي الضّاد ـ
«ولايَحُضُّ على طَعام المِسْكين» . . الماعون
«واذا خَلَوْا عَضّوا عليكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظ» . . آل عمران ١١٩
«قُلْ لِلمؤمنين يَغُضّوا مِنْ أبْصارِهِمْ» . . النور ٣٠
«وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلك» . . آل عمران ١٥٩

ومن كلام الناس «فالغِشُّ لا يُرْضي الضَّمِيرَ الحَيّا» . .
وفي الطّاء ـ
«واذا العِشارُ عُطِّلَتْ» . . التكوير ٤
«وما كُنْتَ تَتْلو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كتابٍ وَلا تَخُطّهُ بِيَمينِك» . . العنكبوت ٤٨
«وادْخُلوا البابَ سُجَّداً وَقولوا حِطّة» . . البقرة ٥٨
ومن كلام الناس «لاتَخْلِط الطَّيِّبَ بالخبيث»
وفي الظّاء ـ
«ذلك وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ الله فَهُوَ خَيرٌ له عِنْدَ رَبِّه» . . الحجّ ٣٠
«ذلك وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّهِ فَانَّها مِنْ تَقْوى القُلوب» . . الحجّ ٣٢
«ولو كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلِك» . . آل عمران ١٥٩
وفي كلام النّاس: «عِظْ ظالماً فَلَرُبَّما وَعَظَتْهُ مَوْعِظَتُكْ» . .
وفي العين ـ
«وَلاتُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاس ولا تَمْشِ في الأرض مَرَحا» . . لقمان ١٨
«واذا الجَحيمُ سُعِّرَتْ» . . التكوير ١٢
«يَوْمَ يُدَعُّونَ الى نارِ جَهَنَّمَ دَعّا» . . الطّور ١٣
وفي الغين ـ
لم نجد في كتاب الله نموذجاً للغين في حالة الادغام . . الاّ ما أشار اليه

الشَّيخ محمـد مكي نصـر في كتابه «القول المفيد» اذ ذكر النَّصَّ القرآني «ومن يَبْتَغِ غَيْرَ الاسلام ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنه» ـ آل عمران ٢٥ ـ
وذاكَ عند اسكان الغين في يَبْتَغْ . . كأنَّه صَنَعَ ذلك على نِيَّة الوقف فكانت هنـاك غينٌ ساكنـة فَلَمّا تَلَتْهـا غينٌ متحـركـة وقع بذلك الادغام . . والتَّعليل الآخـر هو اللجـوء الى السّكـون الافتعـالي الذي تُنْشأ به ادغامات من نَمَط مانحن في صدده . .
وفي الألفـاظ العـربيّـة نجد غَيْناتٍ مدغمةً مثل قولهم «تَوَغَّلَ في البلاد» ومثل «رَغَّبَهُ تَرغيبا» و «صَغَّرَهُ فهو مُصَغَّر» وقالوا: «جُرْحٌ نَغّار» وقالوا: «نَغَّصَ اللّهُ عليهم العَيْش» . . و«تَنَغَّرَ»: اذا غلا جوفُـه غيظـاً وحِقْـدا وغَضَبا . . وقالوا «نَغَّرَ به تَنْغيرا» اذا صاح به . . و «غَيْمٌ نَغّارٌ» متحرِّك بعضُهُ في إثْرِ بعض . .
وفي حرف الفاء ـ
«يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَعَفُّف» . . البقرة ٢٧٣
«أُفٍّ لَكُمْ وَلما تَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللّه» الأنبياء ٦٧
«وَيْلٌ لِكُلِّ اَفّاكٍ أثيم» . . الجاثية ٧
«فَلَمّا تَوَفَّيْتَني كُنْتَ أَنْتَ الرَّقيبَ عليهم» . . المائدة ١١٧
ومن كلام الناس . . «اعرفْ فَضْلَ أهل الفضل»؛وفي الشِّعر:
لاتَـرْتَـشِـفْ فضـلَ كَأسٍ يومـاً لِغَـيْرِ حبـيـبِ
وفي القاف ـ
«وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْر» ... العَصْر
«وما أُريدُ أَنْ أَشُقَّ عليك» . . القَصَص ٢٧
«ذلكِ بِأَنَّهُمْ شاقُّوا اللّهَ ورَسوله» . . الأنفال ١٣
«وانَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ منْهُ الماء» . . البقرة ٧٤

ومن كلام الناس «أوثِقْ قلبَك بوَثاق اليقين» . .

وفي الكاف -

«أفي اللّهِ شكٌّ» . . ابراهيم ١٠

«وحُمِلَت الأرْضُ والجبالُ فدُكَّتا دَكَّةً واحِدة» الحاقّة ١٤

«مَكَّنّاهُمْ في الأرضِ مالَمْ نُمكِّنْ لَكُمْ» . . الأنعام ٦

«قالَ نَكِّروا لها عَرْشَها نَنْظُرْ أتَهْتَدي أمْ تكونُ منَ الذين لايَهْتَدون» . . النَّمل الآية ٤١

ومن كلام الناس «لاتحرِّكْ كَوامِنَ الأحقاد»

وفي اللام -

«كلاّ بَلْ لاتُكْرمونَ اليتيم» . . الفَجْر ١٧

«فَصَلِّ لِربِّكَ وانْحَرْ» . . الكَوْثَر

«قُلْ لا أجِدُ فيما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّماً على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلاّ أنْ يكونَ مَيْتَةً أوْدَماً مَسْفوحاً أوْ لَحْمَ خِنْزير» الأنعام ١٤٥

وفي الميم -

«لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ» . . الأعراف ٤١

«فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ومِنهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْه» . . النِّساء ٥٥

«وأمّا السّائِلَ فَلاتَنْهَرْ» . . الضُحى

«ثُمَّ لِتَبْلُغوا أَشُدَّكُمْ» . . الحجّ ٥

«هُوَ سَمّاكُمُ المُسْلمين مِنْ قَبْل» . . الحجّ ٧٨

«وَمِنَ الذين هادوا سَمّاعونَ لِلْكَذِب» . . المائدة ٤١

«عَمَّ يَتَساءَلون . . » النَّبأ - الآية الأولى

«أفأنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ» . . الزُّخْرُف ٤٠

وفي النّون ـ
«إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَة».. التّوْبة ٦٦
«إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَر».. الكوثر ـ الآية الأولى
«إن شانِئَكَ هُوَ الأبْتَر».. الكوثر
«وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءاً فأخْرَجْنا بِهِ أزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَى».. طه ٥٣
«نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاء وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليم».. يوسف ٧٦
وفي الهاء ـ
«أيْنَما يُوَجِّهْهُ لايَأتِ بخير».. النّحْل ٧٦
«وَمَهَّدْتُ له تَمْهيدا».. المُدَّثِّر ١٤
«فَمَهِّلِ الكافرينَ أمْهِلْهُمْ رُوَيْدا».. الطّارق ١٧
«وَهَبْ لنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهّاب».. آل عمران ٨
«فأنْتَ عَنْه تَلَهّى».. عَبَس ١٠
«فلَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ».. يوسف ٧٠
وفي الواو ـ
«فَدَمْدَمَ عليهم رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها».. الشّمس ١٤
«وَعَتَوْا عُتُوّاً كبيرا».. الفرقان ٢١
«إنَّ ابراهيمَ لأوّاهٌ حَليم».. التّوبة ١١٤
«وكذلك سَوَّلَتْ لي نَفْسي».. طه ٩٦
«مُسَوَّمَةً عند ربِّكَ للمسرفين».. الذّاريات ٣٤
«ولاتكونوا أوَّل كافرٍ به».. البقرة ٤١
«يا جبالُ أوِّبي مَعَه».. سبأ ١٠
وفي كلام الناس: تَحَوَّل وتجوَّل، وقوّال غير فعّال..

وفي الياء ـ

«إيّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعين» . . فاتحة الكتاب

«قالوا سُبْحانَكَ أنتَ وَلِيُّنا مِنْ دونِهِمْ بَلْ كانوا يَعْبُدونَ الجِنّ . .» سَبَأ ٤١

«يـا أيُّهـا الـذين آمَنـوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنـوا أنْ تُصيبـوا قَوْمـاً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمين» . . الحجرات ٦

«وَصِيَّةً لأزْواجِهِمْ مَتاعاً الى الحَوْلِ غَيْرَ إخْراج» . . البقرة ٢٤٠

ومن كلام الناس: «يَرْعاكَ اللّهُ: أيْ يَحْفظك»

ومن أجـل تخطّي الفـاصـل الـزّمنيّ بين المقـاطع الصَّوتيَّة التي ينطق بها تباعاً والتي هي ممّا يدخـل في مسـائـل الادغـام تضعف مواصفات بعض الحروف كحروف القلقلة في مثل النصّ التّالي «وَفاكِهَةً وَأبّا» وكحروف الصفير في مثل «تَؤُزُّهُمْ أزّا» وكحروف التفشّي مثل «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفين» . .

أمـا الغُنَن التي تقـع في الحـروف الأربعـة ـ الميم والنّـون والـواو والياء ـ فانّها ليست للفصـل بين الحـرفـين وان كان ذلـك يبـدو كذلـك في نظـر المتلفّـظ والسّـامـع . . وانّـها تكـون الغنن عمليّـة استمـراريَّة لتوكيد طبيعة الحرف، وليست عمليةَ انقطاعيَّةً عنه . .

ولـذلـك يجب ملاحظـة الغُنَن والحـرصُ عليها في الواوات والياءات لاثبات وجـود الحـرف المتكـرِّر في المقطعين المتجاورين اذ كان هذا التّجاور هو سبب الادغـام . . فانَّ عدم التّشـديـد يوهم أنّ هناك واواً واحدة أو ياءاً واحدة . .

وهـذا ما يقـع في كلام الجزائريين والمغاربة في قولهم: «الجمهوريَة الجزائِريَة» بياء تبدو كأنّها ياء واحدة غير مشدّدة . .

وهناك ضرب من الادغام يقع في حروف مُجْتَلَبة على النّحو التالي ـ

اليـاء المجتلبة النّاشئة عن قلب النّون اليها عند ملاقاتها الياء «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ

اِنِّي اِلَهٌ مِنْ دونِهِ فذلك نَجْزيهِ جَهَنَّم ـ الأنبياء ٢٩ ـ . . فانَّ النّون تقلب الى ياء ويكـون حكم هذه اليـاء المجتلبة كحكم الأصيلة من حيث الادغام .

وكذلك تقلب النّون الى واوٍ ثُمَّ تدغم فيه مثل «مِنْ والٍ» . .

وتقلب النـوّن الى راءٍ عنـد اتّصـالهـا بالـرّاءِ ثُمَّ تدغم الـرّاء المُجْتلبةَ في الرّاء الأصيلة مثل «قالَ ياقَوْمِ لَيْسَ بي ضَلالَةٌ وَلكِنِي رَسولٌ مِنْ رَبِّ العالَمين» . . الأعراف ٦١ ـ فانّ النوّن في «مِنْ» قلبت الى راء . .

وهذه مطالب توسَّعنا في الكلام عليها في مباحث الاقلاب . .

وقد أُولِعَ المؤلفون في صناعة التّجويد بايراد نوعين من الادغام أحدهما إدغام المتقـارِبَـيْنِ، والآخـر ادغام المتجانِسَيْنِ . . ولنا في ذلك رأيٌ غير ذلك . . فما جعلوه من المتقـاربَـيْنِ، وجـدنـا أنـه عملية اقلاب تؤ ول الى ادغام التّماثل المعـروف لديهم بهذا الاسم، ومن ذلـك «وَقُـلْ رَبِّ أَدْخِلْني مُدْخَـلَ صِدْقٍ وأَخْرِجني مُخْرَجَ صِدْق» ـ الاسراء ـ ٨٠ فانّ التّقارب هنا هو سبب الإقلاب لاسبب الإدغام .

امّا النَّصُّ القرآني «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ» فانّا قد نطقنا القاف فيه ضعيفاً مُخَفَّفا فسُمِعَ كأنّـه كافٌ في حين أن الكـاف ليس حرف استعـلاءٍ ولا فخامةَ فيه كالفخامة التي في القاف وان اشتركا في كونهما حرفي قلقلة . .

كما أنـا لم نَشِمَّ القـافَ رائحـةَ الكـاف لأنّ رائحـة القـاف أقـوى من رائحـة الكـاف . . لذا لا نرى ثمـة شيئـا من ادغام بين الحرفين . . لأنهما ليسا حرفاً واحـداً مكـرَّراً . . وبينهـما بُعْدٌ وقد قال الشيخ محمود سيبويه في الوجيز «وبين موضعي القاف والكاف بعد» وان كانا هَوِيَّيْن . . والضعف في نطق القاف في النصّ انـما كان على هيئـة أنـا لم ننطق به محرَّرا بمواصفاته الكاملة ولا قلبناه الى كاف ألبتة ولو قلبناه الى كاف لإتمام عملية الادغام لتغيرّ لفظ النّصّ . .

في حين أنّا عند نطقنا بالقاف أشعرنا السّمع بأنّ هناك معالم ظاهرةً للقاف في المقطع الملفوظ ولم يكن الكاف يوما ما يملك مثل رنين القاف ولا مثل صوته الفخم. . واذ كان القاف خطّيّ المخرج تأتّى له ذلك. .

ومن دأب القاف وغيره من حروف القلقلة السّواكن أن تنعدم بعض مواصفاتها فكان النّطق بالقاف مجرَّداً من بعض خصائص القلقلة كل التّجريد على نحو ما وقع للنّصّ القرآني «وفاكِهَةً وَأبّا» فلم يعرف في الباء الساكنة هنا أَثَرٌ تامّ للقلقلة المعروفة فيها، وان كانت القلقلة قد أصابت حقها الصَّوتي في الحرف السّاكن لأنّها لو لم تصب حقّها من القلقلة لما أمكن النّطق بالحرف ولبقي النّاطق به في سكون منخنق لامناص منه. .

غير أن النّطق بالقاف في «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ» بسبب تخفيفه واختلاسه كاد يزيغ عن مخرجه الى مخرج يتوسط بينه وبين الكاف. . والمخارج المنبثّة بين المخارج مسألة تتطلب الدِّراسة المستفيضة والتّمحيص الصوتيّ الدَّقيق. .

وهناك نوع من إدغام سَمَّوه بادغام المتجانِسَيْن وهوما نرى أنّ المقطعين المتجاورين يلفظ كُلٌّ منهما بذاتِ لفظه فانْ لُفِظا تِباعاً دون سَكْتٍ أو فاصلٍ زمنيّ تَوَهَّم السَّمع أنّ شيئاً من الاقلاب قد عرض لأحدهما. . ومن ذلك «إذْ ظَلَموا» فلقد يخيَّل للسَّمع أنّ الذّال قلبت الى ظاء، وانما جرى ذلك لما استوجبته المجانسة من هذا الظَّنّ. . ومثل ذلك «وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ» فانّ الدّال لفظت مستقلةً ولم تقلب الى تاءٍ ليقع ادغامها بالتّاء التي تلتها. . ومثل ذلك «واذا قيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسولُ اللّه» تبدو الراء ـ في يستغفر ـ معانقة للاّم ومدغمة فيه وليس الأمر كذلك. .

واذا قلنا «فآمَنَتْ طائِفَةٌ» فانّا لانقلب التّاء الى طاءٍ لأنّا لانملك اعطاء التّاء صفة الاستعلاء والاطباق وهي أي التّاء وان كانت من حروف القلقلة فانها

لاتبلغ مبلغ الطاء في ذلك ولا تجاريها لما بينهما من فَرْق الاستعلاء والاستفال. .

وكـذلـك القـول على النَّصّ القـرآني «قالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِه» [11]. . فانّ الطّـاء لم تقلب الى تاءٍ بل وقـع نطقهـا على وجـه الاختـلاس والتّخفيف ففقدت بذلك شيئاً من جَرْسها ممّا أدّى الى توهُّم اقلابها الى تاء. .

أمـا ابن بلبـان الحنبـلي مؤلف «بغيـة المستفيـد في علم التّجـويد» فقد قال: «وعَلَى القـارىء أن يبين اطبـاق الطّاء من نحو قوله تعالى أَحَطْتُ وبَسَطْتَ ونحـوهما لئـلاّ تشتبـه بالتّاء لكون الطّاء سابقةً للتّاء المجانسة لها بسبب اتّحاد المخـرج». . فلقـد وجدنا ابن بلبان الحنبلي يحاول صرف الاشتباه بين الطّاء والتّاء بالتّركيز على اطباقِيَّة الطّاء. .

ولا تقلب التّـاء الى دال في «قـالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْـوَتُكما فاسْتَقيما» وانّما يتراءى للسّمع أَنَّ التّاء قد أُشِمَّتْ رائحةَ الدّال أو انّها قلبت الى دال. . وكل الذي وقع في النُّطق ضعف القلقلة في التّاء ودقّة الاتصال بالدّال وان كان كلّ منهما في مقطـع مستقـلّ. . وليس ثَمَّـةَ ادغـامٌ كائناً ما كانت صفته. . ومثل ذلك يقـال «في يَلْهَثْ ذلـك» على أن الـوقـوف على «يَلْهَثْ» أغنـانـا عن تخريج العـلاقـة بين الحرفين. . وما سُمِّيَ بادغام المتجانسين عَدَّه أهل التّجويد من الادغامات الجوازِيَّة أي انّ هناك رأياً بانتفاء حالة الادغام فيها. . ومن ذلك ما أورده محقق «الوضع الجديد» في هامشه ـ ص ٢٠١ ـ اذ قال: «يعني انّ ادغـام الحـرف في مُقـاربه أمر جائز لا واجب» ولكن المحقق عَمَّم في حين أن بعض ما سمّـوه بالمتقـاربـين اذا تمَّ له الاقلاب وجب فيه الادغام مثل «وقُلْ رَبِّ» فان الـلام تقلب الى راء فتـدغم إحداهما في الأخرى. وذاك من مماثل الادغام لا من مقاربه. . .

ومثل ذلك ما قاله الدكتور ابراهيم محمد نجا في كتابه «التجويد والأصوات» اذ قال «واذا كان الحرفان المقتربان لاماً وراءاً كقوله تعالى «وقل ربِّ زدني علما» فانـه واجب الادغام» وقد فاته انه ادغام متماثلين بسبب قلب اللام الى راء .

هوامش الإدغـــــام

(١) ـ لايمنع هذا التّحديد في صفة الادغام أن يكون الحرف الثّاني ساكناً أيضاً فيكون الادغام قد وقع بين ساكن وساكن على شريطة أن يكون الأصلَ في السّاكن الثّاني الحركةُ مثل اسْتَقَلَّ المفتوحة اللام وقبلها لامٌ ساكنة . . فاذا قلنا استقلّ بلامٍ ساكنة قبلها لامٌ أخرى ساكنة ، فانَّ ذلك لايُخِلُّ بشخصيَّةِ الادغام رغم سكون حرفيه ، من حيث انَّ السّاكن الثّاني هو في الأصل متحرِّك . .

(٢) ـ الادغام عند التقاء حروفه في تضاعيف الكلمة واجب لايُفَكُّ ومن ذاك أمّا ولمّا ومُحَمَّد والأُمَّة واللُّمَّة والأَبُّ والحَبُّ والرَّبُّ وغير ذلك مما هو كثير ولكنه في التقاء حروفه بين نهايات الكلمات قد يصحّ فيه الفكُّ والتّخلُّف ، ومن ذلك : «يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم» فان الميم في «ألسنتهم» ساكنة والميم التي تلتها في «ماليس» متحركة والحالة الادغاميَّة كائنة هنا ولكنّها ليست على وجه الوجوب لأنَّ قارىء هذا النّص يمتلك حق الوقوف على «ألسنتهم» ويسكت على ذلك مختاراً ويستأنف القراءة دون وصلٍ ، فأن وَصَلَ وجب الادغام بسبب الوصل . .

(٣) ـ هناك حروف يقع لها الادغام غير أنّها تكتب مرّتين دون الاستعانة بالشّدة المألوفة في مثل هذه الحالات ومن ذلك «فَقَّهَهُ وَوَجَّهَهُمْ وَنَبَّهَهَا» ، وانّما صنعوا ذلك لأنَّ إحدى الهاءين من صلب اللفظ والأخرى ضمير . .

أما ما جاء من مكرّرات الحروف في كلمتين متجاورتين فشيء آخر غير ما نحن فيه ، اذ يكون الادغام هناك شبه اختياري . ، ومن ذلك لِلتَّلَّعْفَري :

مَرَّ الـزَّمـان عليهـا فَهْيَ تُخْبـر عَنْ
ما كان من آدمٍ قِدْمـاً وإبْـليس

(٤) ـ الارتفاعة الواحدة هذه غير متصوَّرة ولا مفهوم لها ، وذاكَ لأنَّ النُّطق بالحرف السّاكن يعتمد على تحرُّك فَمَويٍّ يختلف عنه في النُّطق بحرف متحرِّك . . اذ يكون النُّطق بالسّاكن مُتَحقِّقاً بالقَرْع والاصطكاك ، والنُّطق بالحرف المتحرِّك متحقِّقاً بالانتقال من موقع المخرج بعد الرُّكون اللّاصوتيّ

عليه. . وبذلك لاتكون الارتفاعة عنهما واحدة. . ومن كان قد قال ذلك فانّه واهم. .

(٥) ـ سبق أنْ أوضحنا ان النُطق بالحرف السّاكن يكون من طريق الاصطكاك والقُرْب والتَشَبُّث، أما النطق بالحرف متحرّكاً فيكون من طريق الانفكاك والبعد والانفلات، وبهذا لاتكون هنالك ارتفاعة واحدة في حالات الادغام التي تتكوّن من حالتي النُطق بالحرف ساكناً في مقطعه المتلوّ والنُطق به متحرّكاً في مقطعه التّالي له: اللّهُمّ الاّ أن يكونوا قد أرادوا النُطق بالحرف المُدْغَم دون فاصل زمنّي مفتعل فخانهم التعبير الدّقيق. .

(٦) ـ لا عبرة لما يقع من الادغام بين ميم مرقّقة وأخرى مُفَخّمة وبالعكس، وكذلك بين واوٍ مفخّمة وواوٍ مرقّقة وبين باء مُفَخّمة وأخرى مُرَقّقه، فانّ ذلك انما يقع بفعل المزاحفة في الحروف الشّفوية لسعة رُقعة النُطق بها وطبيعة التحرّك الشّفوي الذي يملك القدرة على مثل هذه التّصَرُّفات اللاقانونيّة أي التي لاتنبني على قاعدة صوتيّة معترف بها. .

(٧) ـ ومن لطيف ما قيل في صفة الألف قول الشّاعر:

سَلِّمْ على المولى البَهِيّ وصِفْ له
شوقي اليه وأنّني مملوكه
لكنْ نَحِلْتُ لبعده فكأنّني
أَلِفٌ وليس بِمُمْكِنٍ تحريكه

والغريب أن ابن جنّي يقول ما تلخيصه: «. . . ثُمّ زادَ على الألف أَلِفاً أُخرى توكيدا فلما التقت أَلِفانِ حرّك الأولى فانقلبت همزة». . وهو قول لامفهوم له، ولن تتحرّك الألف لأنها حرف مدّيٌّ لاغير. .

مع بالغ الاعتذار الى شيخنا علاّمة اللغة والتصريف بالعراق في القرن الرابع عشر الهجري. .

(٨) ـ من الغريب أن يقول الشّيخ الجريسي قوله: «ثم اعلَمْ أنّ الحروف الأُصول التّسعة والعشرين تنقسم بالنّسبة الى هذا الباب أربعة أقسام، قسم منها لايدغم في شيء وهو سبعة أحرف الهمزة والألف والخاء المُعْجَمَة والطّاء والظّاء والصّاد المُهْمَلَة والزّاي فالسّبعة بمعزل عن التّماثل الاّ الأربعةَ الأخيرة باعتبار الادغام فيها، والثّاني لايدغم الاّ في مثله وهو سِتّة أحرف الهاء والعَيْن والغَيْن والياء والفاء والواو، . والثّالث لايدغم الاّ في مُجانِسهِ أو مُقاربه لأنه لم يَلْقَ مِثْله وهو خمسة أحرف الجيم

والشّين والضّاد والدّال والذّال». والرابع يدغم في مِثْله ومُجانسه ومُقاربه وهو أَحَدَ عَشَرَ حرفاً الحاء المُهْمَلَة والقاف والكاف واللام والنُّون والرّاء والباء والتّاء والثّاء والسّين والميم. اه

قلنا هذه الأقسام لا مفهوم لها في الواقع.. وما عندنا من شواهد القرآن وكلام العرب يثبت وقوع الادغام في سائر الحروف عند تَحَقُّق شروط الادغام. إلّا حرف الألف..

(٩) - لايقع الادغام في الألف لأنّ الألف حرف ساكن أبداً وانّما يكون الادغام بين ساكن ومتحرّك واذ لاصورةَ للألف متحرّكة فلا ادغام بين أَلِفَين.. وما اورده في «الشّافية» من قول قائل: «فلمّا التقت أَلِفانِ حرِّكَ الاولى فانقلبت همزة» فانه غاية في الوهم اللّهُمَّ الا أن تكون عبارة التّقرير قد خانته..

(١٠) - لانماذج قرآنيّة للهمزة المُدْغَمة اللّهُمَّ الّا ما كان من نحو الآية الكريمة التي يعرض لها سكون الادغام فتقرأ ساكنة فاذا اتّصلت بهمزة متحرِّكة وَقَعَ عليها بذلك حكم الادغام مثل «وأَنْ لَوْ نشاء أَصَبْناهُمْ بِذُنوبِهِمْ».. وفي ألفاظ العرب من ذلك «رَأَّسَه» بتشديد الهمزة أي جعله رئيساً.. و«تَشأَّم» بتشديدها اي اتَّجه الى الشام أو صار شَامِيّاً.. و«بَأّار» بالتّشديد والمدّ لمن يحفر الآبار.. وقالوا «رَءّاس» بالتّشديد والمدّ لبائع الرؤوس - أي پاچه چي - وقالوا «لأّال» لبائع اللؤلؤ.. وجمعوا سائلاً على «سُؤّال».. وقالوا في المُسْئِر «سَأّار» وهو من يبقي في الكأس بقيَّةً لغيره.. وقالوا «تَوَأَّد» مثل اتَّأَدَ.. تَفَأَّلَ» من حسن الفأل.. وذلك غير قليل..

(١١) - ورد في بعض كلام العرب قلبهم التّاء طاءاً فقالوا «فَحَصْطُ برجلي» أي فحصت.. وقالوا «مِتْرَس ومِطْرَس».. ولاشأنَ لنا بهذا، فللقرآن لسانه الخاصّ به الذي تَمَّ به تصحيح كثير من أساليب كلامهم ولهجاتهم.. وجاء في الشّعر مما وقع فيه الادغام: «وفي كل حَيٍّ قد خَبَطُّ بنعمة» أراد خَبَطْتَ.. والنّصّ القرآني لم يقع فيه ذاك وانّما وَقَعَ فيه ما يشبه التّمازج بين هذه الأحرف في مخرج كائن بينهما وقد قال ابن جنّي - التّمام - اذ قال: «والتّاء أُخت الطّاء فكأنّهما لذلك حرف واحد» - ص ١٢٣ -..

الإقــــلاب

يقال في اللّغة قلبَ الشيءَ واقلبه بمعنى واحد.. وكثر استعمال هذا الحرف لدى علماء الأداء الصَّـوتي والتّجـويد، وهناك من يرى أن يقال لذلك إبْدال لا إقلاب..

والحقيقـة أنّ التّسْميـة اصطـلاحيّـة لا غير.. إذ إنّ الحـروف أصوات ثابتة تخرج من مخارجها المُعَيَّنة لها في الجِبِلّة الأولى، ولا يقع لحرف أنْ ينقلب الى حرف آخـر، ولكنـه الاصطـلاح الـذي قالـوا إنّـه لا مُشـاحّـة فيه.. ويقع الاقلاب في عدّة حروف على التّفصيل التالي: -

١ - تقلب لام التّعريف الى حرف شمسيّ من جنس الحرف الشّمسيّ الذي تدخل عليه قصدَ التّعريف، من نحو الألفاظ التّالية..

والتّـينِ والـزَّيْتـون.. فَلِأمِّـهِ الثّلثُ.. حينٌ مِنَ الـدَّهْر.. وأخافُ أنْ يأكُلَهُ الـذّئبُ.. قالـوا وَمـا الـرَّحْمنُ.. ويُـؤتـون الزَّكاةَ.. وما أكَلَ السَّبُع.. اذا الـشَّـمْسُ كُوِّرَتْ.. رِحْـلَةَ الـشـتـاءِ وَالـصَّيْفِ.. وَالضّحى واللّيْـلِ اذا سَجى.. أنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطّائِفين.. ما لِلظّالِمين مِنْ حَميمٍ وَلا شَفيع يُطاع.. إن اللّهَ فالِقُ الحَبِّ وَالنّوى..

فانـا نرى في «التّـين» تاءين، وفي «الثّلث» ثاءين، وفي السِّـين سينـين، وفي الشّـين شينـين.. وكـذلـك الحال في الألفاظ الأخرى.. وانّما تكرَّر الحرف الشّمسي فيهـا بسبب اقـلاب الـلام المعرِّفة الى حرف شمسّي ثانٍ أي الى ذات الحرف الكائن في اللّفظ..

ولايقع ذلك عند اتصال لام التّعريف بالحروف القمرية. . اذ لاتقلب هذه اللام الى حرف قمريّ عند اتّصالها به. .

انَّ الحـروف الشَّمْسِيَّـة ثلاثَـةَ عَشَرَ حرفاً هي التّاء والثّاء والدّال والذّال والرّاء والزّاء والسّين والشّين والصّاد والضّاد والطّاء والظّاء والنّون. .

أمـا الحـروف القمرية فهي خمسة عشر حرفاً فيما يلي تعدادها. . الهمزة والباء والجيم والحاء والخاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والواو والهاء والياء[1] . .

وأمّا حرف الألِف فلكونه ساكناً أبَداً فقد ابتعد أن يكون شمسياً أو قمرياً. . أي انّـه لاتـدخـل عليه أداة التعريف اذ إنَّه لاتشخَّص شخصيَّته الاّ بحرف من حروف الهجـاء يسبقـه. . ومن هنـا لم يكن لأداة التعريف شأنٌ به الاّ اذا أريد ذكر اسمه فيقال «الألف» وليس هذا من بعض شأننا في الموضوع. .

والـلام ليست حرفـاً شمسيّـاً وانّما هي حرف قمريّ، والدَّليل على ذلك أنَّ لام التّعريف عند اتّصالها بها لاتقلب الى لام، لأنها هي اللام بعينها. . وآية الحرف الشّمسي أن يَقْلِبَ لام التَّعريف الى حرف من جنسه، ولا يصحّ أن يقـال إنَّ لام التّعـريف قُلِبَتْ الى لام. . وقليـل في اللغـويين من ذهب الى قمريّة اللام وكان الحقّ معهم. .

ويقـال لهـذا الاقـلاب «الاقـلاب الشّمسي» وفي «تـربية الصَّوت وفنّ الالقاء» سمّي «الاخفـاء الشّمسيّ» وهي تسميـة غريبة. . فان الاخفاء إنّما يكون دون بديل أما مانحن في صدده فهو قائم على وجود بديل أي انّ لام التّعريف تتبدَّل فتكون مثل الحرف الشّمسي شكلاً وموضوعا. .

٢ ـ تقلب النـون السّـاكنـة الى راءٍ عنـد اتصـالهـا بها مثـل «قالَ فَمَنْ رَبُّكما ياموسى» فانهـا تلفـظ هنـا «فَمَرْ رَبُّكما» ومثل ذلك «تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ العالمين»

فانّها تقرأ «مِرْ رَبِّ العالَمين» أي انّ النّون تقلب الى راء . .

ومن نماذج الاقـلاب في التّنـوين «اِنَّ رَبّي لَغفـورٌ رَحيم» فانّهـا تلفظ «غفورُرْ رَحيم» وكـذلـك «قُـلْ سُبْحـان رَبّي هَلْ كُنْتُ الاّ بَشَـراً رَسـولا» فانّها تلفظ «بَشَرَرْ رَسولا» . .

٣ ـ تقلب النّـون السّـاكنـة الى لام عنـد اتّصالها بهذا الحرف . . ومن نماذج ذلـك «وَأَنْ لَو استَقـامـوا على الطّريقَةِ لأسْقَيْناهُمْ ماءاً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فيه» . . الجنّ ١٦ و١٧

فانَّ النّون تلفظ لاماً فتقرأ «وَألْ لَو استقاموا» . . وفي نون التّنوين «ماءاً غَدَقَلْ لِنَفْتِنَهُمْ فيه» . .

ومثـل «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيـامُ شَهْـرَيْنِ مُتَتـابِعَـيْنْ» فانَّ ذلك يقرأ «فَمَلْ لَمْ يَجِدْ» باقلاب النون الى لام . . ـ المُجادَلة ٤

٤ ـ تقلب النّون السّاكنة الى واوٍ عند اتّصالها به في مَقْطَعٍ منفصل . . ومن نماذج ذلك ـ

«مالَكَ مِنَ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصير» . . البقرة ١٢٠

«قالَ مَعاذَ اللّهِ أَنْ نَأْخُذَ اِلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَه» . . يوسف ٧٩

«أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُو لاقيه» . . القَصَص ٦١

«ما جَعَلَ الله مِنْ بَحيرةٍ ولا سائِبَةٍ ولا وَصيلَةٍ وَلاحام» . . المائدة ١٠٣

فالنّون والتّنوين في النّصوص المذكورة قد تَمَّ اقلابهما الى واو . .

والمـراد بالمقطـع المنفصـل هو أن لايكون المقطعان في كلمة واحدة، فانّهما ان كانـا في كلمـة واحـدة انتفى الاقـلاب وظلّت النّـون نونـاً مُظْهَرَة مثل قِنْوان وصِنْوان . . ومن ذلك ـ

«وفي الأرض قِطَـعٌ مُتَجـاوِراتٌ وجَنّـاتٌ مِنْ أَعْنـابٍ وزَرْعٌ ونَخيـلٌ صِنْوانٌ

وغَـيرْ صِنْـوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِـدٍ وَنُفَضَّلُ بَعْضَها على بَعْضٍ في الأُكُلِ». . الآية الرّابعة. .

«وَمِنَ النَخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ». الأنعام ٩٩

فانّ هذه النّونات لاتُقْلَب الى واوات بسبب اجتماعها في كلمة واحدة أي في مقطع متصل غير منفصل. .

وفي الألفـاظ غير القـرآنيـة «عُنْـوان وعَنْـوة ومِنْوال وأنّوار وأنواط وأنواع وأنواء واستنـوَقَ الجَمَـلُ والتّنّـوين والتّنـويـم والتّنويع والتّنويه والتّنويل والتّنوير ومن محدثات الألفاظ «التّنْويط» لكتابة الصّوت المتغنّى به كتابةً خاصة. .

فهذه لاتقلب نوناتها الى واوات. .

ويستثنى من حالـة الاقــلاب النّـونُ في «نّ وَالقَلَم وَمـا يَسْطُـرون» و«يّس* وَالقُرْآنِ الحَكيم» إذ إنّ النّون في هذين النّصّين مُظْهَرَةٌ غير مُقْلَبة الى واو. .

٥ ـ تقلب النّـون السّـاكنـة الى ياءٍ عنـد اتصالها بها في مقطع منفصل أي في كلمتين لا في كلمة واحدة. . ومن ذلك ـ

«ومن يُهـاجِرْ في سبيل الله يَجِدْ في الأَرضِ مُراغَماً كثيراً وسَعَة». . النّساء الآية المئة. .

«وإنْ يَتفرَّقا يُغْنِ اللّهُ كُلاّ مِنْ سَعَتِه». . النّساء ١٣٠

«وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إنّي إلَهٌ مِنْ دونِهِ فذلكَ نَجْزيهِ جَهَنَم». . الأنبياء ٢٩

«فَوَيْلٌ للذين كَفَروا مِنْ يَوْمِهِمُ الذي يوعَدون». . الذّاريات ٦٠

فانّ النّون في هذه النّصوص تقلب الى ياءٍ فيقال «وَمَيْ يَقُلْ» في «ومَنْ يقل» ويقال «وَايْ يَتفرَّقا» في «وَانْ يَتفرَّقا». .

قال مؤلف «التّجـويـد وآداب التّـلاوة» ـ ص ٢٦ ـ عند كلامه على الادغام

* ان «يّس» تلفـظ «يـاسينْ» بنـون ظاهـرة ساكنـة وصلاً ووقفاً. .

«يلاحظ أنّ الياء والرّاء والميم واللام والواو تفنى في النّون» . . غير انّ الواقع هو أنّ النّون لاتقترب من هذه الحروف ولا تفنى فيها وانما تنقلب الى أمثالها وعند ذلك يقع الادغام بين حروف متماثلة أي انّ ادغام «مَنْ يَعْمَلْ» ليس ادغامَ نونٍ في ياءٍ وانّما هو ادغامُ ياءٍ في ياءٍ لانقلاب النّون الى ياء . . وكان المؤلف نفسه قد قال ـ ص ٢٥ ـ «اذا وقعت النّون قبلَ حرف الادغام قُلِبتَ النّون حرفاً مماثلاً لما بعدها» . .

وقال الدكتور التّهامي نُقْرة في رسالته اليَّ ـ من تونس ـ : «الادغام لايكون الاّ بعد القلب فالنّون تقلب ياءاً في قوله تعالى فَمَنْ يَعْمَلْ ولذلك فلا معنى لقول من يقول حرف القلب واحد وهو الباء مع النّون» . .

ولكنَّ الشّيخ عبدالعزيز النَّقْشَبَنْدي الأغطاشي أورد هذه الحقيقة بوضوح تامّ في كتابه «تحفة الاخوان» اذ قال : ـ

«مثال ادغام النّون السّاكنة عند الرّاء نحو «مِنْ رَبِّهِمْ» بقلب النّون السّاكنة راءاً وادغامها في الرّاء . . ومثال ادغام النّون السّاكنة عند اللام نحو «مَنْ لَسْتُمْ» بقلبها لاماً وادغامها في اللام . . ومثال ادغام التّنوين عند الرّاء نحو «غفورٌ رَحيم» بقلب التّنوين الى راء . . ومثال ادغام التّنوين عند اللام نحو «جَميعٌ لَدَيْنا» بقلب التّنوين لاماً وادغامه في اللام . . ثم قال ـ «مثال ادغام النّون السّاكنة عند الياء بغُنَّة نحو «مَنْ يَفْعَلْ» بقلب النّون ياءاً وادغامها في الياء . . وعند الواو نحو «مِنْ وال» بقلب النّون السّاكنة واواً وادغامها في الواو . . وعند الميم نحو «مِنْ مَحيص» بقلب النّون السّاكنة ميماً وادغامها في الميم . . ثم قال : «ومثال ادغام التّنوين عند الياء بغُنَّة نحو «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِه» بقلب التّنوين ياءاً وادغامه في الياء . . وعند الواو نحو «مِنْ نَفْسٍ واحِدَة» بقلب التّنوين واواً وادغامه في الواو . . وعند الميم نحو «في لَوْح

محفوظ» بقلب التّنوين ميماً وادغامه في الميم» . .
وكـان «ابن خالَـوَيْـه» قد تَكَلَّمَ على الرّاء في الرَّحْمٰن الرَّحيم فقال: «شُدِّدت الرّاء فيهما لأنَّك قَلَبْتَ من اللام راءاً وأدْغَمْتَ الرّاءَ في الرّاء» . .
فان كانت النّون والياء في كلمة واحدة امتنع الاقلاب فيها وانتفى امره ونطِقَ بالنّون نوناً مظهَرَة ومن ذلك: -
«لايَزال بُنْيانُهُمُ الذي بَنَوْا ريبَةً في قُلوبِهِمْ» - التّوبة ١١٠ - . .
فانَّ النّون في بُنْيان لاتقلب الى ياء . .
«وَمَن النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ في الحياةِ الدُّنْيا» - البقرة ٢٠٤
فانَ النّـون في الـدُّنيـا لم تقلب الى ياء . . وانّـما امتنـع اقـلابهـا الى ياءٍ لأنّها وُجِدَت والياءَ في مقطعين غير منفصلين، أي في كلمة واحدة . .
وفي الألفاظ غير القرآنية «مُنْيَة وأنْياب وبِنْيَة وغُنْيَة وأنْيار - جمع نِير - والتَّنْييب - من نَيَّبَـه اذا أصـابـه بِنـابـه . . وَحنْيـاء: للمـرأة في ظهـرها احديداب . . والتَّنْييف - من نَيَّفَ فلانٌ على السَّبعين - والكُنْيَة والقُنْيَة . .
٦ - تقلب النّون السّاكنة الى ميم وذلك عند ملاقاتها إيّاه[٢] في مثل قوله تعالى:
«وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نار» فانَّ النّون في المقطع الصّوتي «مِنْ» في «مِنْ مارِجٍ» تقلب الى ميم . . وفي مثـل قولـه تعالى «وَآتوهُمْ مِنْ مالِ الله الذي آتاكُمْ» فانَّ النّون في «مِنْ مال» تكون «مِمْ مال» بحكم الاقلاب . . وذاك اذا لم يكن كلا الحرفين في كلمة واحدة . . فانْ كانا في كلمةٍ واحدة انعدم حكم الاقلاب مثل تَنْميق وتَنْمية وأنْمُلَة وأنْماط وَأنْماعَ وَأنْمازَ . . وقالوا: «شاةٌ زَنْماء» ومثل ذلك الأنْمُوذَج والغَنْم - ضدّ الغُرْم - ويَنْمو ويَنْمى ويَنْمَسِخ والأنْماس - جمع نِمْس - وقـالـوا «طَعـامٌ مَنْمول» اذا أصابه النّمل . . ورمى الصيد فأنْماه

خلاف رماه فأصماه.. وفي الحديث النّبوي «كُلْ ما أَصْمَيْتَ وَدَعْ ما أَنْمَيْت»..

ومن آيات التّنوين «وَلَقَدْ أَرْسَلْنا موسى بآياتِنا وسُلْطانٍ مُبينٍ الى فِرْعَوْنَ وَمَلأِهِ» فانّ التّنوين في «وسُلْطانٍ» ينقلب الى ميم فيقال «وسُلْطانِمْ مُبين»..

٧ ـ تُقْلَب النّون السّاكنة الى ميم عند التقائها بالباء[٣].. ومن ذلك في الكلمة الواحدة «فَعُمِّيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْباءُ» فالنّون في الأنباء تقلب الى ميم فيقال «أَمْباء» ولكن ذلك لايكتب في شيء من هذه الاقلابات[٤].. لأنّ الاقلاب يقع في اللفظ لا في بِنْيَة الكلمة ولا في نظام كتابتها الاّ ما وَقَعَ في كلمات معدودات مثل «عَمّا» فانّها في الأصل «عَنْ ما» ومثل «عَمَّ يَتَساءَلون» فانّها في الأصل «عَنْ ماذا»..

وممّا انقلب من النّونات الى ميمات بسبب الالتقاء بالباء ما تحتجنه النّماذج القرآنيّة التّالية: ـ

«وقَتْلِهِمُ الأَنْبياءَ بغَيرِ حَقّ..» النّساء ١٥٥

«حَتّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعا..» الاسراء ٩٠

«كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّة..» البقرة ٢٦١

«وإمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ اليهِمْ على سَواء..» الأنفال ٥٨

وما يقع من هذا الاقلاب في كلمتين نرى نماذجه في النّصوص التّالية ـ

«لِلّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْد..» الروم ٤

«قالوا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا..» يسٓ ٥٢

«لاتَدْخُلوا من بابٍ واحِد..» يوسف ٦٧

«مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصا..» النّحل ٦٦

ومن نماذج التّنوين المنقلب الى ميم لذات السبب: ـ

«وَنَبِّئْهُمْ أنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ. .» القمر ٢٨
«إنَّ اللّهَ بَصيرٌ بِالعِباد. .» غافر ٤٤
«إنَّ اللّهَ سَميعٌ بَصير. .» الحج ٧٥
«أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللّه. .» النور ٨
«وَأَخَذْنا الذين ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ بِما كانوا يَفْسُقون. .» الأعراف ١٦٥
٨ ـ تقلب اللام السّاكنة الى راءٍ عند اتصالها بها مثل «قُلْ رَبّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ». . ـ الكهف ٢٢ فانّه يُقْرأ «قُرْ رَبّي»
مثل «بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ اليه» فانّه يقرأ «بَرْ رَفَعَهُ» النّساء ١٥٨.
٩ ـ تقلب الباء الساكنة الى ميم عند ملاقاتها اياه مثل «ونادى نوحٌ ابنَهُ وكانَ في مَعْزِلٍ يابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا» فانها تقرأ «ارْكَمْ مَعَنا». . ـ هود ٤٢ ـ ومثل ذلك في كلام النّاس «من لم يذهبْ معي» فانَّ ذلك يلفظ: «مَلْ لَمْ يَذْهَمْ معي». .
وهذا الاقلاب جوازيٌّ في كلام العرب. .
١٠ ـ تقلب التّاء المربوطة الى هاءٍ عند الوقف، مثل: ـ
«ومُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراة. .» آل عمران ٥٠
«إلّا أَنْ تَتَّقوا مِنْهُمْ تُقاة. .» آل عمران ٢٨
«وأَقيموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاة. .» المُزَّمِّل ٢٠
فان هذه التّاءات تكتب تاءات منقوطة وتقرأ هاءات[٥]. .
ولا يقع ذلك في التّاءات المبسوطة التي تلفظ كما هي في جميع حالات الوقف مثل «وَلَقَدْ أَنْزَلْنا اليكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ» ـ النّور ٣٤ ـ ومثل «وأَسْقَيْناكُمْ ماءاً فُراتاً». .[٦] ـ المُرْسَلات ٢٧ ـ وهناك شبه تخلّف في قاعدة إقلاب النّون السّاكنة الى راءٍ في قوله تعالى «وقيلَ مَنْ راق» اذ تكون النّون في حالة إظهار بسبب السَّكْت الفاصل بين «مَنْ» وبين «راقٍ». . وانّما كان ذلك

كذلك لغرض ايضاح المعنى في التّعبير القرآنيّ ايضاحاً ظاهرا . .

وكذلك تتخلف القاعدة في قلب اللام الى راءٍ في قوله تعالى «كَلَّا بَلْ رانَ على قُلوبِهِمْ ما كانوا يَكْسِبون» لنفس السَّبب وهو السَّكت الفاصل بين «بَلْ» وبين «رانَ» . . ولنفس الغرض أيضا . . . والحقيقة أنّا رجَّحنا هنا إظهار الحرف ، من طريق قطع صلة الادغام بما بعده وان سمّينا ذلك تَخَلُّفاً على التسامح . .

والاقلابات كثيرة وقد تُوُسِّعَ فيها حتّى صار فريقٌ منها تتمثّل فيه السَّماجة بحيث أنكره علماء اللغة كلّ انكار ففي «سرّ الصناعة» لابن جني جاء قوله: «فأما قراءة أبي عمرو «يَنْشُرْ لَكُمْ» بادغام الرّاء في اللام فمدفوع عندنا وغير معروف عند أصحابنا انّما هو شيءٌ رواه القُرّاء ولا قُوّة له في القياس» ـ باب الرّاء ـ وكان أبو عمرو يقرأ ذلك بلفظ «يَغْفِلْ لَكُمْ» باقلاب الرّاء الى لام . .

ووجدنا في بعض أنماط الاقلاب ماهو انسياق في تّيار لَهَجاتٍ عاميَّة وطرائق تَعْبيريَّة منقرضة قَضَتْ عليها مِنْ قَبْلُ لغةُ القرآن ببيانها النَّقيّ الأصيل ، فَلَمْ تَعُدْ تُساوق ما أثبتناه للاقلاب من نماذج صحيحة طبيعية ذات عرق موغل في الفصاحة وهي التي سَلَفَ الكلام على تعدادها بعشرة أنواع في صدر هذا الموضوع . .

انَّ من الاقلابات الشّائعة على أَلْسِنَة العامَّة وبعض صغار المقرئة مانشير اليه هنا ومنه اقلابُهم الدّال الى جيم في قراءة النَّصّ القرآني «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ» ـ التّوبة ١٢٨ يقرأون ذلك «لَقَجْ جاءكم» . . واقلاب الدّال الى ذال في «وَلَقَدْ ذَرَأْنا لجَهَنَّمَ كثيراً مِنَ الجِنّ والإنْس» فهم يقرأونها «وَلَقَذْ ذَرَأْنا» بذالين اثنين[٧] . . الأعراف ١٧٩

والدّال الى شين مثل «قَدْ شَغَفَها حُبّا» يقرأونه «قَشْ شَغَفَها» بشينين . .

والدّال الى ضاد مثل: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا للنّاس في هذا القرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَل» اذ يقولـــون: «وَلَقَضْ ضَرَبْنا».. والى ظاءٍ مثل «فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه» يقرأون ذلك «فَقَظْ ظَلَمَ نفسه».. والى زاءٍ مثل «وَلَقَدْ زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا بمَصابيحَ» فيقال «وَلَقَزْ زَيَّنّا»..

والى سين مثل «قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ التي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وتَشْتَكي الى الله» يقرأونه «قَسْ سَمِعَ الله».. والى ثاءٍ مثل «وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَة» تقرأ «يُرِثْ ثَوابَ»..

ولابُدَّ مِنْ تنبّه القارىء الى طبائع الحروف وما بينها من علاقات يؤثّر بعضها على بعض تأثيراً غير سليم، فانَّ التّاء اذا جاءت بعد الجيم قلبتها الى جيم مُثَلَّثَة مثل «اِجْتَهَد» فالألسنة غير المتمكِّنة من النُّطق بفصيح الألفاظ تفعل ذلك.. ومثل ذلك ما اذا جاءت التّاء بعد الباء فانها كذلك تقلب الى باء مثلَّثة وهي باء أعجمية فتقول في «أَبْتَر» أَپْتَرْ.. وهناك من يقلب السِّين الى زاءٍ فيقول «مَزْجِد» في مَسْجِد.. وبعض النّاس يقلبون الهمزة الى عين اذا اتّصلت بها حاء أو عين مثل «عَحْمَدْ» و «عَعْظَمْ» في أَحْمَد وأَعْظَم..

ومن الاقلابات الجارية على أَلسنَةِ النّاس قلبُ التّاء المثنّاة الى ثاءٍ مثلَّثة مثل «كَذَّبَتْ ثَمودُ» فانّهم يلفظون ذلك «كَذَّبَثْ ثَمودُ» بثاءين.. وقلبُ التّاء الى جيم مثل «فاذا وَجَبَتْ جُنوبُها» يقرأونها «وَجَبَجْ جُنوبُها».. وقلبُها الى زاءٍ مثل «كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعيرا» يلفظونها «خَبَزْ زِدْناهم».. والى صادٍ مثل «حَصِرَتْ صُدورُهُمْ أَنْ يُقاتِلوكُمْ أَوْيُقاتِلوا قَوْمَهُمْ» فيقولون «حَصِرَصْ صُدورهم».. والى ظاء مثل «وكم قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانتْ ظالِمَة» فيقولون «كانَظْ ظالِمة».. والى سين مثل «واذا ماأُنْزِلَتْ سورةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ الى بَعْض» فانّهم يقرأونها «أُنزِلَسْ سورَة» ومِنْ أبشع الاقلابات قلب التّاء الى

ثاء في «قالَ كَمْ لبِثْتُمْ» اذ يقرأونها «لَبِتُّمْ» بتاءين . . ومن ذلك قلب الذّال الى تاء مثل «إذْ تبرّأَ الذينَ اتُّبِعُوا مِنَ الذين اتَّبعوا» فتكون «إتْ تبرّأ» . .

ومن اقـلابـاتهم قلب الذّال الى زاء مثل «وإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» الأنفال ـ ٤٨ فانّهم يلفظونها «وازْ زَيَّنَ» بزاءين . . ومنها قلب الذّال الى سين مثل «وَلَوْلا إذْ سَمِعْتُموه قُلْتُمْ ما يَكونُ لنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بهذا» ـ النّور ١٦ ـ فانهم يلفظونه «إسْ سَمِعْتُموه» بسينين . .

وكـذلـك قلب الـذّال الى صاد مثـل «وإذْ صَرَفْنـا اليـكَ نَفَـراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ» ـ فانّهم يلفظونه : «وإصْ صَرَفْنا» . .

ومن مُسْتَبْشَـع الاقـلابـات قلب الفاء الى باء مثل «إنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأرْض» . . ـ فتلفظ «نَخْسِبْ بهمُ الأرض» . . ومن ذلك قلب اللام الى تاء في مثل «بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَة» ـ فتكون «بَتْ تأْتيهم . . »

كما أنَّ لام بل اذا اتّصلت بالطّـاء قلبت الى طاء مثـل «بَـلْ طَبَـعَ اللّهُ عليها بِكُفْـرِهِمْ» . . يقـرأونها «بَطْ طَبَعَ الله» . . وكذلك اذا اتّصلت بظاء مثل «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسولُ والمؤمنون الى أهليهِمْ أَبداً» ـ الفتح ١٢ «فتقرأ «بَـظْ ظَنَنْتُمْ» . . وكـلّ ذلـك من المستبشعات . . ومن المستبشعات الاقلابيَّة قلب لام يفعـل الى ذال عنـد اتصـالها به مثل «وَمَنْ يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أثاما» ـ يقـرأون اللفـظ «يَفْعَـذْ ذلـك» . . وممـا يشيـع على أَلْسِنَة العامَّة من مسائل الاقـلاب قلب الـلام الى نون مثـل «إنّـا أَرْسَلْنـا نوحـاً الى قومـه» يلفظونه «أَرْسَنّـا» ومثله «إنّـا أنْـزَلْناهُ في لَيلَةِ القَدْر» يقرأونه «انا أَنْزَنّاه» ومثل ذلك «وما جَعَلْنا القِبْلَةَ التي كُنْتَ عليها» ـ يقرأونه «وما جَعَنّا» . . ويتابعهم على ذلك غير قليل من المنتمين الى الثّقافة الفصحى مسايرة عن جهل . .

والنّماذج الاقـلابيَّـة كثـيرة منها ما تتأذّى به الأذن وتستبشعه ، وقد يكون من

أسباب فريق منها اللُّثْغَة وضعفُ العبارة في كلامهم وعَدَمُ اجادة التَّلقي ومخالَطَةُ الأعاجم . . .

ولسنا في صَدَد الكلام على ما يقع على ألسنة الأعاجم من اقلابات غريبة لاسِيَّما جهلة القوم حين ينطقون بالألفاظ العربية برطانة ظاهرة . . فانَّ ذلك ليس من صدد هذا البحث . على أنَّ الاقلاب من بعض السُّبل الموصلة الى الادغام اذ إنَّه يجتلب الحروف الملائمة لذلك وهذا ملحوظ من تفاصيل ما عرض في هذا الفصل من النَّماذج الاقلابيّة المعترف بها كقلب النّون ـ مثلا ـ الى راءٍ عند اتصالها بالرّاء مثل «قال فَمَنْ رَبُّكما يا موسى» فانَّ قلب النّون الى راءٍ مهد لها سبيل الادغام بالرّاء . .

ويقال للرّاء المنقلبة عن النّون راءٌ مُجْتَلَبَة ولولا هذا الاجتلاب لما أمكن بحال من الأحوال ادغام النّون في الرّاء . . وهذا أمرٌ أوضحناه في باب الادغام . .

وقد أوردنا في مباحث السُّكون وأنواعه عند الكلام على السُّكون الادغاميّ أنماطاً مِن السُّكون الاعتباطي الذي أريد به ايجادُ حالاتٍ ادغاميَّة لبعض الحروف غير أنَّ ذلك أدّى الى نشوء أصواتٍ مستبشعة غاية الاستبشاع . .

وهنا نأتي بنماذج مستوفاة التفصيل من هذه الاقلابات التي نؤكّد أنها غير ذات ضرورةٍ ولاحاجةَ تدعو الى مثلها : ـ

قلبوا الحاء المتحرِّكة بعد اسكانها ـ اعتباطاً ـ الى عين ثم أدغموها بعين جاءت بعدها وذلك في قوله تعالى «فَمَنْ زُحْزحَ عَنِ النّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّة فَقَدْ فاز» آل عمران ١٨٥ فقالوا : «فَمَنْ زُحْزِعَّنِ النّار» . . وقلبوا التّاء المتحرِّكة الى ذال ساكنة لأنَّ ذالاً جاءت بعدها فأدغموهما في : «اِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلك ذِكْرى لِلذّاكِرين» هود ١١٤ فقالوا «انّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاذْ ذلك . . » وقلبوا الثّاء الى شينٍ في «فَكُلا مِنْ حَيْث شئتما» الأعراف

١٩ فقالوا «حَيشْ شتما» . . وقلبوا الثّاء المتحركة الى سين ساكنة في «وَورِثَ سُلَيْمانُ داود» فقالوا «وورِسْ سُلَيْمانُ . .» . . وقلبوا الثاء الى ضاد في «هَلْ أتاكَ حَديثُ ضَيْفِ إبْراهيم» الذّاريات ٢٤ فقالوا: «حديض ضَيْف» . .

وقلبوا التّاء المتحرّكة في «أَرْبَعَةِ شُهَداء» الى شين ساكنة ثُمَّ أدغموا الحرفين فقالوا «بِأرْبَعَشْ شُهَداء» ـ بِأرْبَعَشُّهَداء ـ في الآية الكريمة «ثُمَّ لَمْ يَأتوا بِأرْبَعَةِ شُهَداء» . . النّور ٤

وقلبوا التّاء المتحرّكة الى طاءٍ ساكنة لمجيء طاءٍ بعدها ثُمَّ أدغموهما فقالوا في قراءة النّص القرآني: «الذين آمنوا وعمِلوا الصّالِحاتِ طوبىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب» . . الرَّعد ٢٩ قالوا: «وعملوا الصالحاطْ طُوبى لهم» . . وقالوا «والعادِياضْ ضَبْحا» بقلب تاء العاديات الى ضاد وادغامها . . واصل النَّصّ: «والعادِياتِ ضَبْحا» . . والتَّعسُّف ظاهر في هذه الأنماط من الاقلابات . . وما حَدَّدناه من كونها عشرة في صدر هذا الموضوع هو الاطار الذي لامجال عندنا لتوسيعه . .

أما الاقلابات اللغوية المقررة في علم الصَّرف مثل قلب تاء الزيادة الى طاء في «مضطرب» التي أصلها «مضترب» وفي «مُطَّرد» التي أصلها «مُطْتَرِد» فانّ أمرها غير أمر الاقلابات الصَّوتيّة التي نغرض اليها في هذا الكتاب . .

ومن غريب لحن المثقفين ومستبشعه ـ في نطقهم وكتابتهم ـ أن يقولوا «مُضْطَرِد واضطراد ويضطرد» قياساً على مضطهد واضطهاد ومضطرب واضطراب، ولامجال للقياس على هذه الألفاظ التي يعدّ الضاد فيها حرفاً جذريّاً في اللفظ اذ أصله ضهد وضرب، وما نحن في شأن الكلام عليه هو

طرد بالطـاء ولاضـاد فيـه . . فلقد قالوا في طرد التي على فَعَل «اطْتَرَدَ» على افتعل وقلبوا التّاء الى طاء ثم أدغموا المجتلبة بطاء الفعل الأصيلة فقالوا «اِطَّرَدَ» . .

كما أنّـه ليس من الاقـلاب ماجـاء موضـوعاً على حرفين مثل عَضَّ وعَظَّ وضَجَّ وظَجَّ . . . ويتراءى لي أن بين اللفظين فرقاً في المعنى اذ يكون العضّ بالضادّ أشدّ منه بالظاء، وكذلك القول على الضجيج . .

وفي كتـاب «الأبـدال» لأبي الطيِّب اللُّغَـويّ الحلبيّ المتوفّى سنة ٣٥١ هـ جمهـرة عُظْميّ× من الألفـاظ اللغـويّـة الـواردة وَفْقَ بدائل الحروف كقولهم القِسْطاس والقُسْطان وصمدت وعمدت . . فما هي من مباحث الصّوتيّات وانّما هي من مباحث الوضع اللغويّ . .

× اذا أفرغت صيغ التّفضيل من محتواها صارت صفاتٍ يجوز فيها التّنكير . .

هوامش الإقلاب

(١) ـ جرى عَدُّها على هذا الوجه في «المنهج الصّوتي للبنية اللغويّة».

(٢) ـ قال في «فتح الملك المُتَعال» : «انّ النّون والتّنوين اذا أُدغما في النّون لم ينقلبا الى غيرهما واذا أُدغما في الميم قُلبا الى حرف أَغَنّ وهو الميم السّاكنة . .»

(٣) قال مؤلف «حقّ التّلاوة» ـ ص ١٠٣ ـ : «وحرف اقلاب النّون السّاكنة الوحيد هو الباء» . . فلقد ظَنَّ أَنَّ النّون لاتقلب الى شيء الا عند اقترانها بالباء . . وقال الأستاذ فرج توفيق الوليد «محاضرات في قواعد التّجويد والتّلاوة» ـ ص ٢٣ ـ في الكلام على اقلاب النّون: «حرفه الباء وحدها» . . وجاء في «رسالة في قواعد التّلاوة» للشيخ كمال الدين الطّائي قوله ـ ص ١١٩ ـ «وللاقلاب حرف واحد هو الباء» . . وعند كلام الأستاذ عبدالوارث عسر في كتابه «فنّ الالقاء» حين تكلم على الاقلاب ـ ص ٨٦ ـ قال : «وهو يَحْدُث بحرف واحد في الأبجديّة العربيّة . . وهو حرف النّون اذ ينقلب ميماً اذا جاء بعده حرف الباء المنقوطة التّحْتيَّة . . وما يجري على النّون يجري على التّنوين كما علمنا» . . قلنا وهو وَهْمٌ قديم وقع فيه مشاهير المؤلّفين في هذه الصّناعة . . فلقد قال النّوري الصّفاقسي من قبل في «تنبيه الغافلين» ـ ١٠١ ـ «وأما القلب فعند حرف واحد وهو الباء نحو انْبَعَث . . .» غير أن المؤرّخ المقرىء الشّيخ عبدالله الجرّاري قال في رسالته المُؤَرّخة في ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ ٣٠/ ١/ ١٩٨٠م من المغرب ـ بعد مناقشة حالات الاقلاب ـ وفي المغرب يسمّونه القَلْب ـ، «اذا علمنا هذا فالقلب لايختصّ بحرف الباء» . .

(٤) ـ كتب سيبويه الميم المُجْتَلَبَه ميماً ثابتة في شَمْباء التي أصلها شَنْباء . . اللسان ٢ : ٣٦٦ ـ

(٥) قد يتخلّف ذلك في التّاءات المربوطة اذا جاءت لغرض المشاكلة والمزاوجة . . كالذي جاء في عنوان كتاب للغزالي المتوفّى سنة ٨٦٢ هـ وهو «وسائل الحاجات وآداب المناجاة» . . أو اذا بُنِيَت التّاء المربوطة على السُّكون في الاسماء . .

(٦) ـ وقع في كلام العرب قلب التّاءات المبسوطة الى هاءات عند النُّطق بها ساكنة ـ لاحظ فصل التّاءات ـ

(٧) ـ أورد «الدكتور ابراهيم محمد نجا» في كتابه «التّجويد والاصوات» ـ ص ١٠٠ ـ نماذج لاقلابات رفضناها وهو يقرّها ومن ذاك قلب الدال الى ذال في «ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والانس» . . وقلب الثّاء الى تاء مثل «كم لَبتتم» . . وأورد ـ ص ١٠١ ـ أنموذجاً لاقلاب الدّال الى سين في «قد سمع الله» والدّال الى جيم في «اذ جاءوكم من فوقكم» . . . ومانراه في هذا انه من الاقلابات العاميّة . . وفي «تربية الصّوت» لسامي عبدالحميد أورد من نماذج الاقلاب إقلاب التّاء الى سين في مثل «وجاءت سيّارة» . ولانقرّه . .

القلقلة

القلقلة[1]: هي ما يقع لحروف معلومة تَمُرُّ بسكون مُغْلَقٍ فَيَتَأَتّى مِنْ ذلك أن تنفصم عن مخرجها ولها ذيول صوتيَّة مُتَوَهَّمَة محدودة الجرس وهناك من سمّى هذه الـذّيـول بالانفجـار الصّوتي، ومنهم مَنْ سَمّاها بالنَّبْرَة القَوِيّه.. ومنهم من وَصَفَ صوتها بأنّه شديد الوَقْع..

قال الشّيـخ عبـدالفتّـاح المرصفي في «هـدايـة القـاري الى تجويد كلام البـاري» - ص ٨٤ - في الكـلام على القلقلة ما نصُّـه: «وفي الاصطـلاح: اضطراب اللّسان بالحرف عند النُّطق به ساكناً حتى يُسْمَع له نبرةٌ قَوِيّة» ثم قال: «وسُمِّيتْ بذلـك لأنَّهـا حال سكونها تتقلقل عند خروجها حتى يسمع لها نَبْرَةٌ قويَّة أيْ صوتٌ عالٍ»..

وجـاء في «كيف نُجَـوِّد القـرآن ونُرَتِّله ترتيلا» - ص ١٩ -: «والمراد بها تحريك المَخْرَج والصّوت بعد انضغاطهما وانحباسهما وذلك أنّك تحبس الصّوت أوّلاً في المخـرج حتى ينضغـط فيـه انضغاطاً شديداً ثمّ تَفُكُّ المخرج فَكَّةً سريعَة فينطلق الصّوت محدثا نبرةً قويَّة وهَزَّةً في المخرج، هذه النَّبرة هي ما يُسَمّى بالقلقلة»..

وفي «اغـاثـة المستفيـد في علم التَّجـويـد» قال: «القلقلة وهي تحريـك الصّوت عند مخرج الحرف بشِدَّة حتى تسمع له نبرة قويّة»..

وكـان سيبـويـه قد أطلق على ذلك اسم «صُوَيْت» تعبيراً عن كونه شيئاً يسـيراً مما يدل على ان صوت الـقـلقلة الـذي صارت الآذان تسمعـه في

العصور المتأخرة انما هو لحن لم يقع فيه قدامى الناطقين بهذه الحروف. .

والأمر في الحقيقة لايتطلّب أن يكون حرف القلقلة لاينْطق به الاّ بمثل هذه الضجّة الجَلَنْبَلَقِيَّة الذَّريعة الصَّخَب. . فان كان بعض العرب شديد التَّصويت في نطق حروف القلقلة فانَّ بعض العرب لايصلح أن يُتَّخذ مقياساً لسائر العرب، وما أحسب أنَّ هذا البعض من العرب قد صَنَعَ مثل هذا فانَّ عندنا من الشِّعر ما يسقط به الوزن ويختلّ اذا نطق بحروف القلقلة فيه ذلك النُّطق المستبشع. . وكان ابن جنّي قد قال في «سِرّ الصِّناعة» في بعض كلامه على القلقلة اذ قال «لأنَّك لا تستطيع الوقوف عليها إلاّ بصوت وذلك لِشِدَّة الحَفْز والضَّغْط وذلك نحو اِلْحَقْ واذْهَبْ واخلطْ واخرُجْ، وبعض العرب أشَدُّ تصويتا» . . وكان سيبويه قد قال مثل ذلك في «الكتاب» . . على انَّ التَّصْويت المبالغ فيه لابُدَّ أن يكون من بعض اللهجات القبائليَّة.. أو أن يكون من طبيعة بعض التَّكوينات الفَمَويَّة التي يكون نطقها للحروف ذا غلظة، وكل ذلك في هذا الأمر ليس أصلاً يُنْحى اليه ويقاس عليه[٢].

فلقد قال ابن بلبان الحنبلي في كتابه «بغية المستفيد في علم التَّجويد» في تعريف القلقلة: «وحقيقة القلقلة إظهار نبرة لطيفة للصَّوْت حالة النُّطق بالحرف المقلقل» . . وكذلك قال «البقري» في «غُنْية الرّاغبين» إذ أورد رأي الذين قالوا إنَّ القلقلة نبرة لطيفة يأتي بها القارىء في الحرف المقلقل. . فهؤلاء وَصَفوا النَّبْرَة باللُّطْف لا بالشِّدَّة. .

وقال الشَّيخ برهان الدين بن وثيق الأندلسي في كتابه: «الدُّرّ المَرْصوف في مخارج الحروف» عند كلامه على القلقلة: «وسُمِّيَت بذلك لأنه اذا وقف عليها سُمِعَ لها صوت زائد لِشِدَّة ضَغْطها» . . وفي «بِداية الهداية» قال في تعريفها: «القلقلة وهي صوت كالنَّبْرَة يتبع الحرف عند الوقوف عليه دون

الوصل». .

وقــد وجــدت خير من عَرّف القلقلة على الــوجـه السّليم مؤلف «فَنّ الالقاء» اذ قال: «القلقلة ومعناها أنَّ اللّسان حين ينطبق في هذه الحروف مع سقف الفم أو عندما تنطبق الشّفتان في الباء لأبُدّ من ترجيعة توضح الحرف وبدون هذه التّرجيعة يختفي الحرف تماماً لأنّه ساكن مقطوع». . ـ ص٧٨

على أنّـا لانعـدم في المعـاني المعجميّة مايشير الى بعض جذور التّسمية فقد جاء في لسـان العـرب « التقلقـل: الخفّـة والاسراع، من الفَرَس القُلْقُل. . وقال أبو الهيثم «رَجُلٌ قُلْقُلٌ بُلْبُل اذا كان ظريفاً» وفيه قَلْقَل الشيء قَلْقَلَةً وقلقالاً ـ بتثليث القـاف الأولى فتقلقـل أي حركـه فتحـرك واضطـرب». . والقُلْقُـل والـقُـلاقِـل: الـخـفـيـف في الـسّـفـر الـمـعـوان فيهـا. . وعن الليث: القلقلة والتقلقـل قلّة الثّبـوت في المكـان، والمسـمار السّلس يتقلقـل في مكـانـه اذا قلق. . وهذه تعريفات لا اشارة فيها لحدوث أصـواتٍ صاخبـةٍ بسبب القلقلة. . ولكن ما جاء من التّعريفات مشيراً الى الأصـوات الشّـديدة كالذي في «لسان العرب» اذ قال: «وفي الحديث ونَفْسُه تَقَلْقَــلُ في صدره، أي تتحــرك بصــوت شديـد» ممـا يفهم منـه انـه تفسيـر بالرأي. . ومثله «والقلْقلة شدّة الصّياح، وقلقل أي صَوّت».

ونحن ننظـر الى هذه القضـايـا الصّـوتيّة نظرةً مُعْتَمَداً فيها على القياس والنّقاش المنطقي، ففيهما من الاصابة الحظّ الكبير. .

وهـا نحن أولاء لو قلنـا في مخاطبة شخص «إشْتَقْ» أمراً بالاشتياق فانَّ النُّطق بالقاف ـ وَفْقَ طريقة المجوِّدين الشّائعة لدى فريق منهم ـ سَيَسْتَوْلِدُ قافاً ثانيةً عليهـا مثـل الفتحـة. . فان قلنـا «اشْتَقّ» أمـراً بالاشتقـاق فسيكـون اللفظ عنـدهم هنـا مسـاويـاً لِلَّفـظ الأوَّل المؤلف من قاف واحدة وليس من قافين

كالذي في فعل الأمر المأخوذ من الاشتقاق . .

ويقع هذا في القلقلة رغم أنَّ علماء الصِّناعة صَنَّفوا النُّطق بها الى منازل فجعلوا للمُشَدَّد الموقوف عليه مثل «اشتَقّ» من الاشتقاق منزلةً دونها السّاكن الموقوف عليه مثل «اشتَقْ» من الاشتياق . .

غير أن التَّعامل في النُّطق بهذه الحروف المقلقلة على لسان النّاطقين بها شيءٌ واحد . . مما يدلُّ على أنَّ التَّمييز بين منازل هذه الحروف في حالاتها المتنوِّعة تمييز لا واقعَ له عند التَّطبيق . .

واذا كان تخفيف الحرف المُشَدَّد معروفاً في الكلام كقول الشّاعر «وقد عَلِمنّا ذاك عِلْماً غيرَ شَك» فانَّ تشديد الحرف المُخَفَّف غير مقبول أبدا . . ولذا كان من ينطق بلفظة «اشتَقْ» ـ أمراً من الاشتياق ـ على هيئة حرف مشدَّد بسبب ما يلجأ اليه من التَّركيز على التَّصويت في القلقلة مخطئاً أشدَّ الخطأ في هذا التَّصرُّف[3] . .

وبذلك يبرز بوضوح أنَّ الأمر من الاشتياق كان بقاف واحدة فصَيَّروه بقافين ثانيتهما مستولدة من الأولى . . ولاحَقَّ لأحَدٍ في ذلك . .

وانَّما تُحَلُّ عقدة الأمر بالنُّطق بالقاف على غير هيئة التَّشديد المُحْدِث لما سَمَّوه بالانفجار الصَّوتي أو النَّبرة القويَّة ، اذ ليس هناك انفجار شديد ولا نبرة قَوِيَّة وانَّما هناك ذيلٌ صوتيٌ طبيعيٌ غير مصطنع ولامُفْتَعَل افتعال مانراه لدى قوم يصنعونه فيبدو نَمَطاً من التَّصْخاب والتَّهْريج والجَعْجَعة المصحوبة بسَماجة ظاهرة الاستبشاع مما ينبغي أن يُنَزَّه كلام الله عن مثله عند تلاوته[4] . .

هذا واذا تَحَصَّنا هذا الأسلوب التَّهريجي ـ في القلقلة ـ بمقاييس العَروض وجدنا أنَّه اذا قيس بها عَلَّمَ على مواقع الاختلال في النَّصّ الشِّعري المقلقل

وَفْقَ الطَّريقة التَّهريجيَّة كالشَّاهد التالي:

حتَّـى اذا جَنَّ الظَّـلامُ واخـتـلطْ جاءوا بِمَـذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الـذِّئبَ قَطْ

٢١٢٢ /٢١٢٢ /٢١٢١ ٢١٢٢/ ٢١٢٢/ ٢١٢٢

مسـتـفـعـلن مسـتـفـعـلن مفاعلن مسـتـفـعلن مستفعلن مستفعلن

فلو نطقنـا بطـاءٍ «اختلط» مقرونة بطاءٍ أخرى مستولدة لكان الوزن قد اختلّ فصارت التفعيلة التي في عَروض البيت «مَفاعلاتن» - ٢٢١٢١ - في حين أنها «مفـاعلن» - ٢١٢١ - ولصـارت التفعيلة التي في الضَّـرْب أي الشَّطـر الثّاني «مستفعلاتن» - ٢٢١٢٢ -. . وبهذا يشرد الوزن عن ميزانه وينتبذ عن حدوده. .

وممـا يستـدلّ به على استحـالـة استيـلاد حرف متحرِّك من حرف ساكن يسبقـه أنّـا حين ننطق المقـاطع الصَّوتيَّة الثُّلاثيَّة نجد الحرف الثالث السَّاكن يضعف النُّطق فيــه وذاك أنّ الحــرف السّـاكن الـذي كان قبله استنفـد طاقـة النُّطق فلم يَدَّخِـرْ منهـا ما يعـين على نطق السّـاكن الآتي بعـده فبـات هذا السّاكن في حالة اخفاء ومنه ما كان من نحو قولنا حِلْمْ ولَحْنْ ونَحْلْ ولَهْوْ وسَعْيْ. .

انّ حروف القلقلة انّها تعرف كغيرها من الحروف بمعالمها الظّاهرة لأَوَّل وَهْلَة وذلـك بالقـرع على مخارجهـا لذا لايقـع التباسٌ في النُّطق بها، فالأذن تنتبـه لذلـك بحيث لايقـع اختلاف عليها بين الحروف اذا نُطقت على وجه الصِّحَّة. . ومن هنا كانت الشُّروط الموضوعة للنُّطق بحروف القلقلة شروطاً مُتَعَسِّفاً في وضعها، وليس الأَمر كذلك. .

وانّـما كانت القلقلة في هذه الحـروف لأنّهـا حروف ينحبس عنـدها الهواء فلايجـري. . واذا ظَلَّ الأمـر على هذه الحـال يظَـلُّ النُّطق بالحرف مُعَلَّقاً في

مخرجه، فكـان من السُّنَن الصَّـوتيَّـة أن ينفصم اللسـان عن مخرج الحـرف متراجعاً قليلاً فينشأ بهذا التَّراجع خفق من الصَّوت يسير مسموع في بعض الحالات، وغير مسموع في حالات أخرى. . وذاك هو القلقلة لا غير فمن شاء أن يحدث هذا الصَّوت على هيئة انفجار فقد أضاف الى أصل الحرف حرفاً آخر مُجْتَلَباً دون ضرورة. .

والغـريب أنَّ أصـل الحـرف ساكن فاستولدوا منه بهذه الطَّريقة حَرْفاً آخر متحـرِّكـاً فاتَّكَـأَ المتحرِّك على الساكن في حين أنَّ السَّاكن هو الذي يمكن له الاتِّكاء على المتحرِّك كما هو ملاحَظٌ في المقاطع الصَّوتيَّة الزَّوجيَّة. .

انَّ الصَّـوت الطَّبيعي للقلقلة هو ما حدَّدنـاه بحيث لا يُسْتَـوْلَدُ منه حرف جديد ولايميل السُّكون فيه ـ أي السُّكون الذي على الحرف المُقَلْقَل ـ الى حركـةٍ مهـما كانت من الخِفَّـة والاختلاس سواء أكان سكون القلقلة سكونَ بنـاءٍ أم كان سكـونَ وقف كما يفعل بعضُ مَنْ يلفظون «سُبْحانَ» اذ يلفظون البـاء فيهـا مضمـومـة[٥]. . ظنّـاً منهم أنَّ ذلك من طبيعة القلقلة ـ وهو حتماً بعض الظَّنّ المنهيّ عنه ـ. .

انَّ للقلقلة سكونين أحدهما السُّكون المُغْلَق المُنْخَنِق، والآخر هو السُّكون الذي تنفصم عنه القلقلة فيتمُّ بذلك الانتقالُ من حرفها السَّاكن الى حرف آخر يكون في تضاعيف الألفاظ والمقاطع الصَّوتيَّة. .

أمّـا حروف القلقلة من حيث العَـدَدِ[٦] فهي خمسـة تنضـاف اليهـا أربعة أخـرى لها مالهـا من مواصفـات انحبـاس النَّفَس في مخرجـه[٧]. . والحروف الخمسة هي الباء والجيم والدّال والطّاء والقاف. .

والحروف الأربعة الأخرى الملحقة بها هي الهمزة والتّاء والعين والكاف. .

ومسألـة هذه التَّـوابـع الملحقـة بحـروف القلقلة جاءت الاشارة اليها في

المصادر القديمة ففي «لطائف الاشارات لفنون القراءات» للقَسْطلاني ـ ت ٩٢٣ هـ ـ اذ كان قد قال ـ ص ٢٠٠ ـ: «وأضـاف بعضُهم اليهـا الهمـزة لما فيها من الجهر والشِّدَّة[٨] . . وأضاف اليها سيبويه التّاء . . وجعل المبّرد منها الكاف[٩]، لكنه جعلها دون القاف . . قال وهذه القلقلة بعضها أَشَدُّ من بعض . .[١٠]

ومن المحدثين الذين تَنَبَّهوا الى ذلك مؤلف «فَنّ الالقاء» فقد قال ـ ص ٧٨ ـ: «وأرى أن يضـاف الى هذه الحـروف الهمـزة والتّـاء والكـاف وذلـك عندما تأتي ساكنة في آخر كلمة عند الوقوف عليها، وذلك لأَنَّ هذه الحروف الثّـلاثـة في حالتهـا التي وصُفِتَ تضيـع نبرتُها أن لم يرجِّع بها اللّسان ترجيعة القلقلة لأنَّ النَّفَس منقطـع عنـدهـا وليس لها استمـرارٌ صوتيٌّ كما نلاحظ في بَقِيَّة الحروف وقد بَيَّنّا في المخارج أَنَّ الصَّوْت عندها مقطوع . . وكذلك ارى قلقلة كلّ حرف صوته مقطوع» . .

وفي «دراسـة الصَّـوت اللُّغَوي» عَدَّ الكاف انفجارياً، أي انّه مما يقلقل ـ ص ٢٧٢ ـ وكـذلـك عدّ الهمـزة انفجـاريَّـةً ـ ص ٢٧٣ ـ . ورأينـا مؤلف «دراسة الصَّوت اللُّغوي» ـ ص ٢٧٠ ـ يصف الضّاد بالانفجارية، ونراه في هذا يصـوّر الضّـاد على الطَّريقة التي ينطق بها من قبل بعض المجوِّدين دون أن يَتَنَبَّه الى أَنَّ هذه الطَّريقة غير طبيعيَّة وانّما هي مُتَكَلَّفَة مُفْتَعَلَة . . وكنت استنطقتُ الضّاد أحد أَئِمَّة القراءة في تونس فنطقه انفجارياً، الآ أنَّه سُرْعان ما اعتذر بان ذلك مما يقع للّسان أحياناً وليس هو بأصل . .

ومن النَّماذج القرآنية للقلقلة (سورة البرُوج البالغة اثنتين وعشرين آية):

والسَّماءِ ذاتِ البرُوج . .

واليَوْمِ المَوْعود . .

وشاهِدٍ ومَشْهود..
قُتِلَ أَصْحابُ الأُخدود..
النّار ذاتِ الوَقُود..
إذْ هُمْ عَلَيْها قُعود..
وهُمْ على ما يَفْعَلون بِالْمُؤْمِنين شُهود..
وما نَقَمُوا مِنْهُم إلاّ أَنْ يُؤمنوا بِاللّهِ العَزيز الحَميد..
الذي له مُلْكُ السَّماوات والأَرْضِ واللّهُ على كُلِّ شَيْءٍ شَهيد..
انَّ الـذين فَتَنُـوا المـؤمنـين والمـؤمنـاتِ ثُمَّ لم يَتـوبوا فلهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ ولهم عذابُ الحريق..
انَّ الـذين آمنـوا وَعَمِلوا الصّـالحـاتِ لهم جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحتِها الأنهارُ ذلك الفوزُ الكبير..
اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشديد..
اِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ ويُعيد..
وهو الغَفُورُ الودود..
ذو العَرْشِ المَجيدُ..
فَعّالٌ لِما يُريدُ..
هل أتاكَ حَديثُ الجُنودِ..
فِرْعَوْنَ وثَمودَ..
بَلِ الذينَ كَفروا فِي تَكْذيب..
واللهُ مِنْ ورائِهِمْ مُحيط..
بَل هُوَ قرآنٌ مَجيد..
في لَوْحٍ مَحفوظ..

فهنا من حروف القلقلة الباء والطّاء والقاف والدّال والجيم . . مستوفاةً في فواصل الآي القرآني المتتابعة ففي تلاوة هذه الآيات الكريمة لو نُطق بالقلقلة على وجهٍ من التّصويت الشّديد الذي يوصف بالصّوت الانفجاري لكان أثرُ ذلك في الأسماع أثراً لاتَهَشُّ له ولا ترتاح اليه . . ولانقلبت التّلاوةُ بمخارج حروف القلقلة فيها الى شيءٍ لا يليق أن يقرأ القرآنُ به مطلقا . والدّليل على أن صوت الحرف المقلقل ليس كما وصفوه بالصّوْت الانفجاري الشّديد هو وجود حروف القلقلة في تضاعيف المقاطع الصوتية التي لايوقف عليها من نحو قوله تعالى: «وفاكِهَةً وَأَبًّا» فانَّ الباء الأولى في «الأَبّ» باءٌ ذات قلقلة، لأنها ساكنةٌ سكونَ بناء ولكنّا نطقناها دون أن تكون مصحوبةً بالصّوت الانفجاري . . فلو انّها كان لابُدَّ من اقترانها عند النُّطْق بالصّوت الانفجاري ففيمَ نُطِقَت هنا بلا انفجار ولا نبرة قويّة؟[١] . .

الحقيقة أنَّ حرف الباء في «وَأَبًّا» نُطِقَ به مُقَلْقَلاً وكانت قلقلته طبيعية لم يقع لها التّكلُّف الذي يتكلفون في نطق هذا الحرف وأضرابه عند الوقف عليه . . تَعَسُّفاً منهم ومبالغةً في ابراز التّصويت المفتعل لا غير . .

ومن نماذج القلقلة في الحروف الأربعة المتّممة لحروف القلقلة : ـ

«قالتْ رُسُلُهم أَفِي اللّهِ شَكٌّ . . » ابراهيم ١٠

«ربَّنا واجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ . . » البقرة ١٢٨

«ولقد عَلِمْتُم الذين اعتَدَوْا منكُمْ في السَّبْتِ . . »[٢] البقرة ٦٥

«إنَّ ما توعدونَ لآت» . . الأنعام ١٣٤

«والأنعامَ خَلَقَها لكم فيها دِفْء . . » النّحل ٥

«أللّهُ خالقُ كُلِّ شيء . . » الزُّمَر ٦٢

«قُلْ مَنْ رَبُّ السماواتِ السَّبْعِ . . » المؤمنون ٨٦
«والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ . . والأرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ . . » الطّارق ١١ و١٢

ولايجوز في حروف القلقلة ـ وهُنَّ سواكن ـ أن يُنْحي بسكونها نَحْوَ الحركة كقــراءة من يحرِّكُ السُّكــون في باء «سُبْحــان» الى الضَمَّـة في قولـه تعـالى «سُبْحــانَ الــذي أَسْــرىٰ بعَبْــدِهِ لَيْـلاً من المَسْجـد الحَـرام الى المسجـد الأَقْصى» . . أو يحرِّكُ الباء في العَبْدِ الى الفتحة . . فانّ سكون هذه الأحرف سكون بناءٍ من نمط مالايقع التَّخَلُّف فيه[١٣] . .

أمّـا ما وُصِفَتْ به القلقلة من أَنَّهـا يمال بسكـونهـا الى الحـركة[١٤] . . فانه وصف لادِقَّةَ فيه لأنَّ ذلك يقلب المقطع الزَّوجيّ الواحد الى مقطعين اثنين ولايجـوز هذا، . وذاك أَنَّ المقـاطـع إمّـا زوجِيَّةٌ وإمّا فرديَّة ولا تتبادل المقاطع مواقـعهــا الاّ في حالات تَخَلُّفٍ مأذونٍ بها وليس ما نحن في صَدَدِه من بعض أجنـاس ما يُؤْذَن به منهـا . . ويمكن استيعـاب ذلك في مباحث السُّكون في الكتاب، . كما أَنَّ باب المضَعَّفات وسكونها يتناول أَمْرَ القلقلة بتفصيل آخر للمتوسِّعين . .

وقد ذكر في «تنبيه الغافلين» ـ ص ٣٨ ـ أَنَّ هناك من أَنكر القلقلة ممن ورد عليهم مِن العلماء فَرَدَّ عليه . . والذي نحسبه من أمر هذا الذي أنكر عليهم القلقلة أنَّـه استبشَـعَ شكلَهـا عنـدهم أوعنـد مقـرئي جيله، وانّما هو إنكار للمبـالغـة في صوت القلقلة وطـريقـة التَّعبير عنها بحيث تكون خارجة على آداب اللِّيـاقـة في التِّلاوة . . ولا نرى المراد إنكار قانون القلقلة في اللغة حين ينحبس النَّفَسُ عنـد خروجهـا انحبـاساً جِبِلِّيّاً فلا يُنْطق به الاّ بخَفْقٍ صوتي يَسيرٍ قد يُسْمع وقد لا يُسْمع[١٥] . .

وقَـد كتب اليَّ الـدّكتـور التّهامي نُقْرة في رسالة من تونس رَدّاً على رسالةٍ

كنتُ قد وجهتُها اليه من بغداد ومّا جاء في رسالته تلك: «ولكنَّ بعض المقرئينَ يبالغون في قلقلة بعض الحروف وهو ما يتنافى والذَّوقَ لأنَّ القلقلة في حرف الدّال مثلاً اذا بولغ فيها تبدو كأنها تَجَشُّؤ مثل «مجيد» وهو ما ينبغي أن يتحاشاه المقرىء في القلقلة ذات الصَّوْت الانفجاري» . .

أما تقسيم القلقلة الى صُغْرى وكُبْرى وغير ذلك فلا نُقِرهُ ولا نُقِرُّ هذا النَّمَط من المصطلحات لعدم وجود أثارةٍ من عِلْمٍ فيها . . لأنَّها تؤدّي الى تناقضٍ ظاهر فانّهم حين اشترطوا الجهر بالقلقلة تغاضوا عن ذلك في كثير من مواقع القلقلة مما أطلقوا عليه تسمية القلقلة الصغرى فلم يبق لديهم من شواهد القلقلة الاّ ماسمَّوه بالقلقلة الكبرى في حين أنَّ القلقلتين سيّان . .

ولانراهم صنعوا ذلك الاّ حين تَبَيَّنَ لهم فَشَلُ المصطلح بمواصفاته الغريبة حين أرادوا تطبيقه على جوانب كبيرة من القلقلة الكائنة في تضاعيف الألفاظ وفق ما افترضوه من الذُّيول الصَّوتيّة المبالَغ فيها . . .

قال الدكتور غانم قدوري في «الدراسات الصوتية» مانصه ـ ص ٣٦٠ نسخة المناقشة ـ «وورد في بعض كتب علم التجويد المتأخرة جدّاً تقسيم للقلقلة لم أجد له أي اشارة في كتب علم التجويد التي يشملها ميدان البحث، فاذا كان حرف القلقلة في آخر الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديدة جدا، وسمّيت قلقلة كبرى. واذا كان الحرف ساكناً وسط الكلمة كانت أخفّ وسمّيت قلقلة صغرى..»

أما نحن فانّا نرى القلقلة كائنةً في شتّى النَّماذج اللفظية مادامت حروفها ساكنة لأنَّها ان لم تقع فيها القلقلة فانَّ ذلك يعني أنها لم يُنْطَقْ بها، ولكنّها مادامت قد سُمِعَتْ، وفهمتَ الأسماعُ معانيها فانّها قد وَقَعَت لها وقائعُ القلقلَة حتماً، غير أنَّ وقائع القلقلة عندنا غيرُها عند الآخرين . .

هوامش القلقلة

١ ـ ذكر لها ابن بلبان الحنبلي في كتابه «بُغْية المستفيد في علم التَّجويد» تسميةً أخرى اذ قال: «القلقلة ويقـال لها لَقْلَقـة»، . ووردت مثـل هذه الاشـارة في «غُنْيـة الطّـالبين ومُنْية الرّاغبين» لمحمد بن قاسم البقري وغيرها من المصادر. .

(٢) ـ انَّ ما يُنْحى اليـه ويقـاس عليـه انّـما يكـون أو يجب أن يكون أصلاً مُجْمَعاً عليه ويجب كذلك أن يكون مما يخرج من البودقة بجوهره التّامّ. .

وحكـايـة القلقلة وصفـاتهـا لم تكن من المُسَلَّمات الصَّـوتيَّـة التي تصمد أمام النَّقد الالقائي وانّما هي ما تعـاورت عليـه أمـزجَةُ من يلفظ بهذه الحروف مُتَنَطِّعاً مُتَكَلِّفا، وليس التَّجويد بلَوْك الألفاظ ولا مضغ الحـروف كالـذي شكـا منه النُّقاد الاقرائيّون من عهد قديم. . وقد أنكر القلقلة المرطّنه غير واحد من القُـرّاء والأئمّـة عبر الأجيـال حتى أنّ الحـافـظ المـوصـلّي المُلّا عثمان قال يوماً في مخاطبة قارىء بالَغَ في القلقلة «لأيالگلك» ، ناعتـاً إيـاه بأنّـه لقلق تشبيهـاً لما فعله بصوت اللّقالق حين كانت اللقالق ترفع أصواتها في ليالي الصَّيف على أعالي القباب والمآذن في بغداد قديما. .

(٣) ـ يبـدو أن في المقـرئـين اوجهلتهم من يقلقـل مع الحركة فقد قال في «الوضع الجديد لفنّ المخارج والصِّفات مع ماوالاه من فَنّي المفاصل والتجويد» ـ ص ٢٥٠ ـ ما نَصُّه: «جرى على ألسنة كثير من العوامّ والجُهّال في قطرنا هذا ـ موريتانيا ـ تشديد حروف الشّدَّة العُرْفيَّة بالتّشديد التَّضعيفي مع أنّها في محلّ التَّخفيف فتراهم يشدّون باء المغضوب ويبالغون في ذلك، ويشدّون دال أشهد أنْ لا آله الا الله، ودال احمـد بالضّمّ ودال نعبـد في الفـاتحـة وهـذا أكثـر من أن يحصى فانتشأ لهم من ذلك تشديد الجيم الشّديدة حيث كانت نحو ياجوج وماجوج حتى نَشأ من ذلك استثقالها ولو نطقوا بها مخفَّفة كحالها لما استُثْقِلَتْ ولا استُبْشِعَت بل ولكانت من أحسن الحروف في الأذن وأخفّها على اللسان وأوْضحها في الجَنان». .

٤ ـ في «علم التَّجويد» جاء القول بأنّه لاضرورة للتّعبير عن القلقلة بصوتٍ صاخبٍ يصَكّ الأسماع. .

٥ ـ ما قاله الشّيخ ابراهيم الحَقّي في كتابه «تجويد القرآن العظيم» اذ قال: «أمّا حكمُ حروف القلقلة فتحريكها في مخارجها اذا كانت ساكنة سواء كان السُّكون لازماً أو عارضاً مثل الفَقْر والفِطْر والمَجْد، حَمَّالةَ الحَطَبْ، مِنْ مَسَدْ» . . لانراه يعني به الحركة التي هي من نحو الضَّمَّة والكسرة وانَّما اراد الزَحْزَحة وهو ما يقع للحروف المَعْنِيَّة . . وفي «غُنْية الطّالبين» جاء قوله: «وكان شيخنا يتوقف فيها ويميل الى أنَّ القلقلة منع الشّخص نفسه من تحريك الحرف» . .

٦ ـ «حيثُ» هنا تتضمّن معنى الجهة لذا جاء ما بعدها مكسوراً فقيل من حيثُ العَدَدِ أي من جهةِ تعدادِها ومقدارها، ولايصحُّ هنا أن يكون مابعد حيث مضموماً لضياع المعنى المقصود من تضمين الظّرف ايّاه . .

٧ ـ عَدَّ علماء الصّناعة ثمانيةَ حروف قالوا إنّها موصوفة بالشِّدَّة أيْ انَّ النَّفَسَ في نطقها ينحبس جريانهُ بالصّوت فيكاد ينغلق الصَّوْت عنده في مخرجه . . والحروف الثّمانية هي الهمزة والباء والتّاء والجيم والدّال والطّاء والقاف والكاف . .

وَفاتَهُمْ ايراد العَيْنْ في جماعة هذه الحروف اذ إنَّ هذا الحرف هو كذلك مشمول بمواصفاتها . . وقد عدُّوه في الحروف البَيْنِيَّة التي هي بين الرَّخاوة والشِّدَّة . .

والظّاهر لنا أنّه من الحروف التي يغلب عليها جانب الشِّدَّة، وهي صفة حروف القلقلة بالذّات، .

ولذا عَدَدْناهُنَّ تسعة حروف . . أربعة منهنَّ توابع أضفناهنَّ الى الحروف الخمسة المتّفق عليها لدى أصحاب هذه الصّناعة . .

٨ ـ في «دراسة الصّوت اللُّغوي» ـ ص ٢٧٠ ـ جاء وصف حالات القلقلة في الهمزة بظهورها كانفجار متبوع بفجوة سكوتيّة، وأحياناً يتبع الانفجار بضجيج منخفض، وفي حالات أخرى تظهر الهمزة كصوت انزلاق قصير . .

وقال صاحب «الوضع الجديد» ـ في كلامه على الهمزة ـ ص ١٥٥ ـ: «قلت وكأنَّ الهَتّ فيها قائم مقام القلقلة اذ هي مجهورة شديدة كحروف القلقلة» . .

٩ ـ قال في «الوَضْع الجديد» في الكلام على حروف القلقلة ـ ص ٢٥٠ ـ: «فهذا القسم في غاية القُوَّة وحروفه القاف والطّاء والجيم الشّديدة والدّال والباء ومجهور الكاف ويُسَمَّى هذا القسم مشدَّداً مقلقلا . .»

ولكن مؤلف «حقّ التّلاوة» زعم النفس في «كك» جاريا في حين أن النفس في «كك» محصور غير جار . .

وكذلك قال في الكلام على التاء بأنها حرف من أحرف الهمس وهو يعني أنها يجري فيها النفس عند النطق بها ساكنة، . ولا واقع لما قاله فالتاء الساكنة لا يجري فيها النفس انها ينحبس فيها انحباسه في سائر حروف القلقلة . .

١٠ ـ مَيَّزَ ابن دُرَيْد في الجمهرة بين التّاء والدّال من هذه النّاحية اذ قال ـ ١ : ٩ ـ «فَذُق التّاء والدّال فانّك تجد التّاء تنقطع بجَرْس قَوِيّ، وتجد الدّال تنقطع بجَرْس لَيِّن» . .

١١ ـ قال مؤلف «علم التّجويد في تلاوة القرآن المجيد» ـ ص ١٤ ـ : «واذا جاء آخر الكلمة حرف قلقلة وأعقبه حرفٌ مثلُه بطلت القلقلة وأُدْغِمَ الحرفان بحيث يصير ان حرفاً واحداً مُشَدَّدا مثل «اِضْرِبْ بِعَصاك» . . فتقرأ «اضْرِبِّعَصاك» . .

والحقيقة أنَّ القلقلة لا تبطل وأنّها الذي يبطل ماأَلْحَقوه بمعنى القلقلة من صفات لا أصل لها . .

١٢ ـ جعل مؤلف «علم التّجويد في تلاوة القرآن المجيد» النُّطق بالتّاء السّاكنة والكاف السّاكنة مُوجِباً لإلحاق كلٍّ من التّاء والكاف بهاءٍ ساكنة ومَثَّلَ لذلك بقوله : («والكاف والتّاء أَشَدُّ همساً من غيرهما لذلك يعقب همسها شبهُ هاءٍ ساكنة مثل «أَتَتْ» فتلفظ هكذا «أَتَتْهْ» و «تَبارَكْ» فتلفظ هكذا «تَبارَكْهْ»)

قلنا لا أصل لهذا الكلام الذي نحكم على قائله بأنه واهم . . وذاك أَنَّ الهاء لا تلحق بالتّاء اعتباطاً مالم تكن واردة في صلب النّصّ مثل «فَلَمّا رَأَتْهُ» وآنذاك تكون الهاء الصُّلبيَّة في حالة إخفاء . . وإلاّ استوى في النُّطق ماجاء بلفظ «أَتَتْ» وما جاء بلفظ «أَتَتْهْ» وهذا غير كائن . .

١٣ ـ تختلف الباء شيئاً من الاختلاف عن بقيّة حروف القلقلة فهي من ناحيةٍ ينحبس فيها النَّفَس كالقاف والطّاء والكاف وغيرها . . ولكنّها من ناحية أُخرى يجري فيها شيءٌ من النَّفَس عند عدم تمكين الشَّفتين من الانغلاق التّام فيبدو في سكونها وهي في هذه الحالة ـ شيءٌ من الانسيابيّة . . وفي الكلام على مخارج الحروف مايوضح مثل هذه الحالات . .

١٤ ـ قال في «القول المفيد في علم التّجويد» ـ ص ٥٢ نقلاً عن بعض الشُّيوخ : «وتجب المبالغة في القلقلة حتّى يسمع غيرك نَبْرَةً قويّةً عاليةً بحيث تُشْبِه الحركة أيْ حركةَ ما قبله وتتبع الحرفَ بعد سكونه» . . وغير واحد من المصنِّفين ظَنَّ هذا في سكونات القلقلة . . وقد ناقشنا ذلك وأَوْضحنا واقعَ القلقلة وصورتَها الصَّوتيَّة السَّليمة من الشَّوائب . .

١٥ ـ يُصِرُّ الشَّيخ محمد مكّي نصر الجريسي في كتابه «القول المفيد في علم التَّجويد» على إسماع الغير صوت القلقلة اذ قال:

«فلا تتأتّى القلقلة الآ بالجهر البالغ فمن اكتفى باسماع نفسه لم يسمع تعريف الجهر نفسه لأنّ أدنى الجهر إسماع غيره لا إسماع نفسه فمن أَسْمَعَ القلقلة نفسه فقط لايقال إنّه أتى بالقلقلة وانما يقال إنّه ترك القلقلة فهو لحن. . . .» . .

ولانرى ذلك مقياساً سديداً للتّعبير عن واقع القلقلة وتصوير شخصيّتها وابراز معالمها، وانّما المقياس في ذلك أن يميز السّمع حرفاً عن حرف فيعلم أنّ القارىء قرأ حرف القاف لا الفاء، وأنّه قرأ حرف الدّال لا الذّال. . وغاية السّماع هو التّمييز بين الحروف للتّوصّل الى التّمييز بين الألفاظ فلا تخفى على السّامع معاني ما يسمع، فاذا تبيَّنت الحروف فانّ معنى ذلك أنّها نُطقت نُطْقاً سليماً. . فمن قرأ القاف فعرف من سَمِعَه انها قاف فقد قَلْقَل لأنّه ان لم يُقَلْقِل فلا قاف هناك.

أما مشترطات المصنّفين في هذا الصّدد فانّها زائدة عن الحاجة كُلَّ الزّيادة وذاك أنّ القلقلة تسبق الحرف المقلقل لأنّها هي السّبيل الى النُّطق به، فاذا نَطَقَ به لسان النّاطق والتقطه سمع السّامع ففي ذلك دلالة على اجتياز الحرف منطقة انحباس الحرف ولايَتِمُّ اجتياز ذلك الآ باجتياز منطقة القلقلة. . أمّا الصَّوْت الذي يرافقه أويتبعه على تقدير الأسماع فانّه شيء متوَهَّم كالذي يقع لبعض حروف القلقلة في حالات الاخفاء من التَّحَرُّك رَغْمَ حالة السُّكون فيها كأنْ نقول «نَقْش» فنرى القاف وكأنّها كسرت. .

وكذلك يَعِنُّ هذا الأمر عند الانتقال من حرفٍ ذي تَفَشٍّ الى مثله كنَفْش، او الى حرفٍ صفير كَنَفْس فانا نرى الفاء السّاكنة مُتَوَهَّمَةً فيها الحركة. . والسّبب في ذلك وجود الصُّويت المتّصل بحرف التّفشّي فانّه يكون عازلاً ماقبله عما بعده، فيبدو وكأنّه حركة متحرّكة وانّما هي حركة مُتَوَهَّمَة. .

وتوكيد المصنّفين للتّابع الصّوتي في حروف القلقلة نشأ في تصوُّر معنى القلقلة بأنّها شيء من التّضجيج في حين أنّ معنى القلقلة هو التّحريك ولا يشترط في كل تحريك أن يكون معه صَخَبٌ وضَجَّة فقد يحرّك النّائم برفق فلا يكون هناك ما يسمع من صوت لذلك اذا لم يكن نائماً على فراش تقترن الحركة عليه بصوت. .

وعاد الشّيخ محمد مكّي نصر الجريسي فقال بعد ادّعاء اللّحْن في القراءة حين لايبالغ القارىء بالجهر في القلقلة: «ولا يحصل التّشديد بالمبالغة فيها لأنّ التّشديد يورث إلْبَاثَ الحرف مقدارَ الحرفين والقلقلة هي التّحريك لا الالباث» . .

والشّيخ هنا يعلن عن رفضه للمبالغة في التّشديد وهو كذلك يرفض التّلَبُّث على الحرف المقلقل

وهو غاية ما نقوله في هذا المعنى . .

١٦ ـ ويبدو أنّ في الذين قالوا هذا من فطن لهذا التّخليط فَنَبَّهَ عليه كالذي في «إعانة المستفيد في علم التّجويد» اذ قال: «وتحصل القلقلة اذا وقعتْ احدى هذه الحروف ساكنةً في وسط الكلمة أو في آخرها مثل يَدْخلون، يجْعلون، قل هو اللّهُ أَحَدْ، يوم التّلاقْ» . . فجعل ماسمّوه بالقلقلة الصُّغرى في حكم ما سمّوه بالقلقلة الكبرى . . وهذا يعني أن لامفهوم لصغرى وكبرى في عالم القلقلة . .

أمّا ما جاء في مقدمة مواهب الرحمن في تفسير القرآن من قوله على القلقلة: . . . فالصغرى منها ما سكنت سكوناً أصليّاً كما في يَقْطعون ويطْمعون ويَجْعلون ويَدْعون ولَتُبْلَوُنَّ فهذه الأحرف تقلقل أي تظهر وتكشف مطلقا فيظهر فيها صوت صافٍ كاف . . .»

فغريب بعيد عن الواقع الصّوتي كما أنّه لم يقل به غير قائله . . وفيه لدى تطبيقه إفسادٌ للعبارة العربيّة وإخلال بموازينها الالقائيّة وذاك بما ينشأ به من هدر هندسة التركيب المقطعيّ الذي تتألف على قانونه الكلمات . .

١٧ ـ في الكلام على السُّكون وأنواعه ـ من هذا الكتاب ـ يرد ذكر سكون المضَعَّفات وفيه شيءٌ من بعض مسائل القلقلة فليراجعَ ابتغاء التّوسُّع في دراسة الموضوع . .

السُّكون أنواعه ومواقعه

السُّكون معروف وهو غير الحركة أوهو فراغُ مكانِ الحرف من حركة يَسْتَقِرُّ فيها. . وللسُّكون أهمِّيَّةٌ عُظْمىٰ في تطييب الجَرْس الصَّوتي في الأسماع ووضع حَدٍّ لنهايات الألفاظ والجُمَل وحالات الوُقوف. . فلولا السُّكون لكان الكلام حركات يتبع بعضها بعضاً على سَنَنٍ واحد وَوَتيرةٍ واحدة مملَّةٍ للنَّفس مُزْعجة للذَّوق منهكة للسَّمع ، . ولاستحال الوصول من هذه الطريق الى الأنغام والألحان وقَرْض الشِّعر[1] . . ولانعدمت الضَّمائر وصِيَغُ الأفعال والاشتقاق ولما كان ثَمَّة من الكلام الا صيغة الفعل الماضي الثُّلاثي للغائب المذكر المفرد لا غير وبعض صيغ الأسماء المتتابعة الحركات بحيث يجب أن يوقف على هؤلاء جميعاً بالحركة دون السُّكون لافتراض انعدامه في الكلام. .

انَّ صياغة الكلام في مثل هذا الإملاق الصَّوتي ستكون صياغةً ساذجةً كُلَّ السَّذاجة وركيكة كُلَّ الرَّكاكة. . وليست في الدُّنيا لُغَةٌ تعتمد على الحركات وحدها فانَّ ذلك لن يجعلها لغةً محترمة ذات ثروةٍ لَفْظِيَّةٍ تكفيها أَمْرَ التَّعبير عن حاجات المتكلمين بها حتى لو كانوا أطفالاً غير ذوي حاجات كثيرة. .

ولذا كان للسُّكون شأنٌ تكوينيٌّ ظاهر في العبارة ودَخَلٌ كبيرٌ في تقويم الألسنة واساغة الكلام في المسامع وإلباسِهِ لَبوسَ اللَّحْن المُحَبَّب الى النُّفوس. . ويضاف الى هذا أكثر من دور للسُّكون في أوصاف الحروف

وتعلقاتها ومواقعها في الكلام . .

والسُّكـون إمّـا انسيابيٌّ وامّا غير انسيابّي[٢] . وكُلٌّ منهما ينخرط في سلكه أكثر من نوع من أنواع السُّكون سيأتي الكلام عليها قريبا . .

فمن الانسيابيّ سكون المدود القائمة على جذر المدّ الطَّبيعي من عارض ولازم ومُتَّصـل ومنفصـل . . وهـو سكون لايعرف له في رَسْم القَلَم وجود أي انّه لايكتب على الواو في مثل رَسول وخَجول وعُلوم ورُسوم ولا على الياء في مثـل سَليم وجَليـل وعَـزيـز ولا على الألف في قال وقـام ، غير أنَّ ياءات مَدّ اللين وواواتـه يصـحّ إثبات السُّكون عليها عند ارادة الدِّقَّة في التَّمْييز بين مدّ اللين والمدّ العارض مثل «عِينْ» فانّها تكون من فصيلة المدّ العارض اذا كانت بكسر العين وسكون النّون . . فان كانت بفتح العَيْن وسكون النّون فهي مَدُّ لين . .

انّ حرف اللين وان كان انسيـابيّ السُّكـون فهو في الحقيقة ملفوظ كحال الـواو واليـاء غير المدِّيَّتين ، لذا كانت انسيابيَّة السُّكون فيه حقيقةٌ أن توصف بأنّها انْسِيابيَّة بَيْنَ بَيْنَ في حين أنَّ الواو والياء المدِّيَّتين في الطَّبيعي وجماعته غير ملفـوظتـين . . وكـذلـك تُعَدُّ جميع الغُنَن على اختلافها من فصيلة السُّكون الانسيـابيّ . . أمـا السُّكـون غير الانسيـابي فمنـه سكـون القلقلة وسكون الاخفاء وغير ذلك . .

وهنـاك أنـواع من السُّكـون لها مذاقـاتها الصَّوتيَّة الخاصَّة ومنها السُّكون المُضْمَت والسُّكـون الجِبِلِّي وسكون الهاءات الموقوف عليها وغير ذلك وسترد الاشارة الى جميع أنواع السُّكون في تضاعيف البحث ومُفَصَّل القول عليه . .

هذا ولايقـع السُّكـون الاّ في المقاطع الزَّوجيَّة لأنَّ الحرف الساكن يتّكىء

في ظهـور شخصيَّتِـهِ على حرف متحـرِّك يسبقه، اذ لايمكن النُّطق بالحرف ساكنـاً دون ربطـه بحـرف آخـر متحرِّك يسبقه . . وهذا باستثناء السكونات المُخْتَلَسَة كما سيرد الكلام قريبا . .

وفيما يلي تعداد أنواع السُّكون وبيان موقع كلٍّ منها، في كلام العرب وفي التَّنزيل العزيز . .

١ ـ سكون البِناء . .

وهو ما يقع في المقطع الصَّوتيِّ من حرف وُجِدَ فيه ساكناً منذ وضعه، أي منذ ظَهَرَ على هيئته في مفردات اللغة[٣] . . وهو قسمان : ـ

القسم الأوَّل

مالايقـع التخلف فيـه بحـال من الأحـوال كالحاء في مِحْراب وصَحْراء وأَحْمد ومَحْمـود ومُحْتَـوى ومَحْيـا واحْسـان . . والسِّين في يَسْأل ويَسْمع وإسْراء وأَسْماء واسْتهـزاء وأَسْـوَد واسْكـان . . والصَّـاد في النَّصْـر وفي مِصْبـاح وفي مَصْرف واصْـلاح . . والـرَّاء في يَرْجـو وفي صَرْح وأَرْض وارْسـاء . . والدَّال في يَدْعو ويَـدْفَـع ومَـدْرسـة ومُـدْيَـة وادْمـان . . وكـالعَيْن في المَعْدِن والمَعْرفة والمِعْراج والمَعْـروف والـرَّعْـد واعْـلان . . وكالباء في سُبْحان والعِبْرة والقِبْلَة ويَضْرِبْن ويَسْتَبْقي ومُسْتَبْصِـرين وقِسْ على ذلـك كُلَّ حرف ساكن في أصـل كلمـة مستقِلَّة بحـروفهـا . . وقـد نَصَّت المعـاجم على ألفـاظ حذرت من تحريـك بعض حروفهـا، ومن ذلـك في «مختـار الصِّحاح» قال : «ومَطْلَبٌ وَعْرٌ ولاتَقُلْ وَعِر» . . وقد أثبت الأولى باسكان العين والثَّانية بكسرها . .

انَّ الحـروف السَّـواكن المُسْتَشْهَـدة في الكلمات الآنفة الذِّكر تَظَلُّ سواكن من دون أن ينتقـل سكـونها الى حركة لأيِّ سبب من الأسباب . . وذاك لأنَّ هذه الألفـاظ بُنِيَتْ على هيئـة اختلط فيهـا السكـون بالحركة غير أنَّ ما كان

منها ساكناً معلوم، وما كان منها متحرِّكاً معلوم أيضاً. . فلو نَطَقَ ناطقٌ بكلمة «ضَرَبْتَ» السّاكنة الباء فَحَرَّك باءها فانَّ وزن الفعل يختلّ اختلالاً ظاهراً. . ولو نَطَقَ ناطق بكلمة «سُبْحان» ذات الباء السّاكنة فحرَّك باءَها فالذي صنع هو أنّه صَيَّرَ من المقطع الصَّوتي الواحد مقطعين صوتيِّين، وهذا غير صحيح لأنَّ المقطع الصَّوتي الواحد لايَتَمَزَّق الى مقطعين على وجه الاعتباط والتَّحَكُّم الكيفيّ. .

وقد علمنا أنَّ السُّكون ذودورٍ مُهِمٌّ في الجَرْس الصَّوتي تزول به وحشة الحركات الرَّتيبة اذا تكرَّرت في الألفاظ. . فانْ نحن قلبنا السّاكن الى متحرِّك فانّا نسعى الى تقويض القاعدة التي قام عليها كلام المتكلِّمين. . وربما تَغَيَّرَ المعنى تَغَيُّراً كُلِّيّاً فمن قرأ «تَدْعون» - السّاكنة الدّال - بتحريك الدّال فصارت «تَدَعون» فقد تَغَيَّرَ القصد المقصود في تَدْعون التي بمعنى تنادون الى تَدَعون التي بمعنى تتركون وتنبذون -، والفرق بين اللفظين كبير شكلاً وموضوعاً. .

انَّ التَّخَلُّص من الحركات المتتابعة كان من بعض الأسباب الجِبِلِّيَّة في نشوء السُّكون وفي ظهوره، فاذا استَخْفَفْنا بالسُّكون فقلبناه الى حركات فما الذي صنعناه اذنْ؟؟.

انَّ قلب السُّكون الى حركة لايقع ان وَقَعَ الاّ وَفْقَ مقاييس وقواعد مقرَّرة لها حكمها في الأصوات اللغويَّه. . وهو في هذا القسم الذي هو أَحَدُ قِسْمي البناء لا مجال لتخَلُّفه وقلبه الى حركة ألْبَتَّة. .

والقسم الثّاني من قسمي سكون البناء ما يفقد بنائيَّته لِسَبب ما فيتخلَّف فيؤول الى متحرِّك بحركة ظاهرة. . وهويقع في الحروف المَبْنِيَّة والضّمائر والأفعال الأمْرِيَّة وعدد من مبنيّات الأسماء. . ومن نماذج ذلك:

«بَلْ اللّهَ فَاعْبُدْ وكُنْ من الشّاكرين» . . الزُّمَر ٦٦
فانّ «بَلْ» حرف مبنيٌّ على السُّكون غير أنَّ سكونه تَخَلَّف فانقلب الى حركة الكسر . .
«بَلْ الذين كَفَروا في عِزَّةٍ وشِقاق» . . صّ الآية ٢
وحكم «بل» في تخلُّف السُّكون البنائي هنا كحكم التي سبقتها، وانّما تَخَلَّف السُّكون فآل الى كسرة لا تِّصاله بلفظٍ مبدوءٍ بهمزة وصل . .
«اِنْ الحُكْمُ الاّ لِلّهِ يَقُصُّ الحَقَّ وهو خَيْرُ الفاصلين» . . الأنعام ٥٧
فانّ «اِنْ» النّـافيـة مَبْنِيَّة على السُّكون ولكن سكونها تَخَلَّف لذات السُّبب . .
«وَلَوْاتَّبَعَ الحَقُّ أهْواءَ هُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ ومَنْ فيهنّ» . . المؤمنون الآية ٧١
فلقـد تخلَّف السُّكـون في واو «لَـوْ» المبنيَّـة على السُّكون فصارت كسرة، كما تخلَّف السُّكون الذي على تاء التَّأنيث السّاكنة في فسدت فآلَ الى كسرة . .
«قَدْ افْتَرَيْنا على اللّهِ كَذِباً اِنْ عُدْنا في مِلَّتِكُمْ» . . الأعراف ٨٩
تخلُّف السُّكون في «قَدْ» المبنيَّة على السُّكون . .
«ولا يَشْفَعونَ اِلاّ لِمَنْ اِرْتَضىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفقون» . . الأنبياء ٢٨
فانَّ نون «مَنْ» المـوصـولـة قد تَخَلَّف فيهـا السُّكـون . . بسبب ارتباطه بلفظ مبدوء بهمزة وصل، فان كانت الهمزةُ همزةَ قَطْعٍ فلا يتخلَّف السُّكون بسببها.
«مِنَ الجِنَّةِ والنّاس» . . فانَّ نون «مِنْ» الجارَّة صار سكونها البنائي حركة . . [٤]
ومن ذلـك «إذْ» فانَّ سكـونهـا البنـائيّ يتخلَّف في مثل النَّصَ التّالي: «إذِ الأَغْـلالُ في أعنـاقهم» . . وفي مثل «بَعْدَئذٍ» فانَّ التَّخلُّف فيها هنا اختياري ولكنّه مرجَّح وكذلك في يومئذٍ وحينئذٍ وعندئذٍ فانَّ الأصل في ذالها

السُّكون . .

ومن ذلـك «إذَنْ» فهي مبنيَّة على السُّكـون ولكنَّـه سكون يقبل التَّخَلُّف في مثل : «إذَنِ الأَمْرُ كما قالوا» يرد ذلك في كلام الناس . .

ومن نماذج وقوع التَّخَلُّف في السُّكون البنائيّ في الأفعال الأمريَّة : -

«فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصيبَهُمْ فِتْنة» . . النّور ٦٣

فانَّ الـرّاء في المضـارع المجـزوم وهـو «يَحْـذَرْ» في حكم السُّكون البنائيّ لأن إسكانها جرى بتأثير لام الأمر على الفعل وقد تخلَّف السُّكون فيها . .

ومن نماذج تَخَلُّف السُّكون في أفعال الأمر:

«وقُلِ الحَقُّ من رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ ومَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» . . الكهف ٢٩

«وذَرِ الذين اتَّخذوا دينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً» . . الأنعام ٧٠

«واسألِ القَرْيَةَ التي كُنّا فيها» . . يوسف ٨٢

ويقـع التخلّف في سكـون الأفعـال الأمـريّـة بمقتضى أحكام الوزن الشّعريّ وقوانين القوافي في مثل قول امرئ القيس:

تقـول وقـد مال الـغـبـيـط بنـا معـاً
عقـرتَ بعـيـري يا امـرأ الـقـيـس فانـزلِ

ومنه في قول طَرَفة:

وقـوفـاً بهـا صَحْـبي عَليّ مَطِـيَّـهـم
يقـولـون لاتَـهْـلِكْ أسـىً وتَـجَـلَّـدِ

اذ تخلّف السُّكون في انزلْ وتجلّدْ . .

وفي الضمائر: -

«ألَكُمُ الذَّكَرُ وله الأُنثى» . . النَّجم ٢١

لقد تخلَّف السُّكون في ميم الضَّمير «لَكُمْ» فصار ضَمَّة . .

«لَهُمُ البُشْرى في الحياة الدُّنْيا وفي الآخرة» . . يونس ٦٤
بضمّ الميم في الضّمير وهو في الأصل مبنيٌّ على السُّكون . .
«قالتِ الأعراب آمَنّا قُلْ لَمْ تؤْمِنوا» . . الحجرات ١٤
فلقد تخلّف السُّكون في تاء التّأنيث السّاكنة رغم أنّه صفة ثابتة لها ، . فصار سكونها كسرة . على أنها ليست من مجموعة الضّمائر وان أوردناها فيها .
ومن تخلف السكون مايقع في هذه التاء ، بمقتضى الموازين الشعرية ومنه قول كُثَيِّر :

لكالمرتجي ظلّ الغمامة بعدما
تَفَيَّأ منها للمَقيل اضمَحَلَّتِ

وهناك نمط من تخلُّف السُّكون في المَبْنِيّات يكون اختيارياً ووَفْقَ حالات خاصة من حالات الضّمائر المَبْنِيَّة . . فهو لايكون الاّ في ياءِ الضَّمير العائد لمتكلِّم ومن نماذجه وأشراطه :
١ ـ عند ارتباط هاء السَّكت بها أي بياء ضمير المتكلِّم مثل «يالَيْتَني لَمْ أُوتَ كتابِيَهْ ولم أَدْرِ ما حِسابِيَهْ» ـ الحاقّة ٢٥ و٢٦ ـ . .
فانّ الياء ضمير مبنيٌّ على السُّكون ، ولكنّها تحرَّكت الى الفتح لامكان إلحاق هاء السَّكت بها . . على أنَّ هاء السَّكت لايشترط لتحقُّق سكونها الوقوف عليها فانّها ساكنة أبداً ، وقد قالوا «لِمَهْ فَعَلْتَ»؟ والاّ كان سكونها سكون وقف كسكون الوقف في لَكِنَّهْ التي أصل لفظها لَكِنَّهُ . .
٢ ـ عند ارتباط أَلِف الاطلاق بها . . وهو يكثر في الشِّعر في مثل قول مالك بن الرَّيب :

خذاني فَجُرّاني بِبُرْدي اليكُما
فقد كُنْتُ قَبْلَ اليوم صَعْباً قِيادِيا

فانّ الأَصل في «قياديا» أن يقال «قِيادي» بياء مبنيّة على السُّكون لأنّها من الضّمائر. .

٣ ـ للأغراض الجَماليَّة والبَيانيَّة. . ولكن هذا لايُوكَلُ مثلُه الى الذَّوق والطَّبع والتَّصـرُّف الشَّخْصي في الآي القـرآنيّ، وانّـما يرد مُتَخَلِّفَ السُّكون في نصٍّ منصوص، كما في النُّصوص القرآنيَّة التّالية: ـ

«وما لِيَ لا أَعْبُدُ الذي فَطَرَني واليه تُرْجَعون». . يّس ٢٢

فانَّ السُّكون في «مالِيَ» تخلَّف ففُتِحت الياء. . أمّا «فَطَرَني» فانَّ ياء ضميرها لم يتخلَّف سكونها

«فما آتانِيَ اللّهُ خيرٌ مما آتاكُمْ» النَّمل ٣٦

فاليـاء في «آتـانِي» متخلِّفـة السُّكون وبذلك فُتِحَتْ، وحصيلة ذلك أنَّ لفظ الجلالة جاء مُفَخَّم اللام لأنَّ ما قبله مفتوح. . ولو لم يتخلَّف السُّكون لكان لفظ الجَلالة مرقَّق اللام لأنَّ ما قبله مكسور. والمراد بما قبله هنا النّون لأنَّ الياء تخلَّف المدُّ فيها. .

«ومـا كان لِيَ عليكُمْ من سُلْطـانٍ الاّ أَنْ دَعَـوْتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لي فلا تَلومـوني ولُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنا بمُصْرِخِكُمْ وما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ». . ابراهيم ٢٢

فانَّ الياء في «لِيَ» تخلَّف سكونها لكنّه لم يتخلَّف في «لي» الثّانية، ولا في ياء «تلوموني». .

«قال رَبِّيَ الذي يُحْيي ويُميت» تخلَّف السُّكون في ياء رَبّي للتّباهي بالانتهاء الى الرَّبّ في معرض تحدّي جبّار طائش. .

«قل يا عباديَ الذين أَسْرَفوا على أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطوا من رَحْمَةِ الله. .» الزُّمَر الآية ٥٣

فانَّ اليـاء في «عِبـادِيَ» تخلف فيهـا السُّكـون ففُتحت. . وفي هذا التَّخلُّف

إعطاء صورةٍ لطيفة لدقّة الانتساب الى الخالق العظيم . .
«قُلْ هاتوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وذِكْرُ مَنْ قَبْلي» . . الأنبياء ٢٤
تخلُّف السُّكـون في ياء «مَعِيَ» ولم يتخلَّف في يَاء «قَبْـلي» . . وفي تخَلُّفـه في ياء «مَعِيَ» رَوْنَقٌ وتألُّق يشير الى حُسْنِ مذاق المَعِيَّة في النَّصّ القرآني . . أمّا ياء «قَبْلي» فلم يتخلّف فيها السُّكون لأنَّ القَبْلِيَّة مسألة ماضية محْكِيَّة بعيدة عن المعنى الذي تمثّله كلمة «معي» . .
«انَّ هذا أخي له تِسْعٌ وتسعون نَعْجَةً ولِيَ نَعْجَةٌ واحدة فقال أكْفِلْنِيها وعَزَّني في الخِطاب» . . صٓ ٢٣
فانَّ السُّكون تخلف في «لِيَ» ولم يتخلَّف في «عَزَّني» لِلُطْف المعنى في التَّمَلُّك في «لِيَ» وخشونته في عَزَّني التي تعني معنى الاشتطاط في التَّعامل . .
«قل أرأَيْتُم إنْ أهْلَكَنِيَ اللّهُ ومَنْ مَعِيَ أوْ رَحِمَنا»[4] . . المُلك ٢٨
تخلُّف السُّكون في ياء «أهْلَكَنِيَ» وياء «مَعِيَ» لأنَّ لفظة الجلالة كان ملائماً في نطـقـهـا تفـخـيـمُ الـلام دون ترقـيـقـه . وأمّا «قُلْ» فَظَلَّ لامُها على سكونه البنائِيّ لأنَّ الهمزة التي جاءت بعده همزة قَطْعٍ لاهمزة وَصْل[5] . .
وتخلُّف السُّكون في معيَ تَأتّى منه انعدام المدّ المنفصل فيها، ولووقع لكان منافياً لواقع المعنى الذي لايصحّ التَّغنّي به فانه لايُتَلَمَّظ بالمكاره . .
وقد يقع هذا التَّخلف بسبب وزن الشِّعر كقول القائل :
«مــالِيَ في صُدورِهمْ مِنْ مَوْدَدَة» فانَّ استقــامــة الـوزن اقتضى التَّخَلُّف في سكون الياء وليس ذاك هنا بحكم الاختيار . .
ومن الأنماط اللَّفظيَّة لتخَلُّف السُّكون البنائيّ ما يقع للحرف المبنيّ قبل نون التَّثنيـة عنـد حذفها مثل «مَرَرْتُ بِوَلَدَيِ الرّاعي» فانّ «وَلَدَيْ» كان أصلها .

«وَلَدَيْنِ» فالياء ساكنة فلمّا حذفت النّون تخلّف سكون الياء فَكُسِرَت . .

وهناك نوع من تَخَلُّف السُّكون يكون اعتباطِيّاً كمن يقرأ النّصَّ القرآنيّ: «واذا رأيتهم تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وانْ يقولوا تَسْمَعْ لقولهم كأَنَّهمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَة. . . » بلفظ «واذا رَأَيْتَهُمُ تُعْجبك اَجْسَامُهُمُ وان يقولوا تَسْمَعْ لقولِهِمُ كأَنَّهُمُ خُشُبٌ مُسَنَّدة. . . » وهـذا غير مايقع من تَخَلُّف السُّكون في ميم «آذَيْتُمونا» وفي «أَطْعَمْتُمُوهُمْ» اذ التَّخَلُّف في سكون نظائر هذين المثالين تخلُّف اعتياديّ لا اعتباطيّ، وهو هنا من مطالب علم الصَّرْف لاعلم الصَّوت . .

ولكنَّ ما كان من هذا القبيل من تخلّف السّكون انّما يقع في الضّمائر الشّعريّة وَفْقَ مقتضى الوزن كالذي في قول الشّاعر:

فحسبكُمُ هذا التّفاوتُ بيننا
فكلّ إناء بالذي فيه ينضح

وفي غير ذلك نعدّ التخلّف فيه حذلقةً كقول القائل «زرتكُمُ فلم أجدْكُمُ» وهو يريد أن يقول: «زرتكُمْ فلم أجدكُمْ» . .

وآونـةً يقع التَّخَلُّف في سكون البناء في مكان ولا يقع في مكان اخر . . ففي الشّعر وفي سائر كلام الناس يتخلُّف سكون البناء في بكر وعمر وعند الوقف فيقال بَكِر بكسر الكاف وعَمُرْ بضمّ الميم مع الوقوف على اللفظين بالاسكان . .

وقد قال ابن جِنّي في «سِرّ الصّناعة» ـ «والوقف من مواضع التّغيير ألا ترى أنَّ من قال من العرب في الوقف هذا بكُر بضمّ الكاف ومررت ببكِر بكسر الكاف فنقل الضَّمَّة والكسرة الى الكاف في الوقف فانّه اذا وَصَلَ أجرى الأمرَ على حقيقته فقال: هذا بكر ومررت ببكر. . »

قلنـا انَّ هذا النَّمَـط من تخلُّف السُّكـون لايقـع في كتـاب الله فلا يقـال «وحَففْنـاهُما بِنَخِـل» ـ بكسـر الخاء نقلاً لكسر اللام فيها ولا بفتح الخاء على مذهب العـامَّـة في ذلـك اذ لفظـوا الكلمة بهيئة نَخَلْ. كما لايقال «والفجِرْ» بكسر الجيم . . ولايقال «وليالٍ عَشِرْ» بكسر الشّين . . ومن هذا «ولّما جاءَهمُ الحَقُّ قالـوا هذا سِحْـرٌ» ـ الـزُّخْرفُ ٣٠ ـ فانَّ الحاء لاتكسر فلا يقال: «قالوا هذا سِحِـرْ» بكسـر الحاء . . على مذهب عامَّة الناس في لهجاتهم العامّيَّة . . ومثـل ذلـك «إنَّ موعِـدَهم الصُّبْـح» ـ هود ٨١ ـ فلا يضمُّ حرف البـاء في اللفظ . . نقلاً للضَّمَّة من الحاء الى الباء وهو مذهب العوامّ . .

كذلـك لايقـال في قولـه تعالى «وسَبِّحْ بحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طلوع الشَّمْس» ـ قَ الآية ٣٩ بكسر الميم في لفظة الشّمْس بحيث تقرأ «قبل طلوع الشَّمِسْ» . . ولايقـال «والطَّيِّـباتِ من الرِّزِقْ» ـ الأعراف ٣٢ ـ بكسر الزّاء . . ولا «وَقَذَفَ في قُلُوبِهِم الرُّعُبْ» ـ الأحزاب ٢٦ ـ بضَمّ العين تَبَعاً للرّاء . . ولا «وَأَخْرِجْني مُخْرَجَ صِدِقْ» بكسـر الـدّال ـ الاسـراء ٨٠ ـ تَبَعـاً للصّـاد عنـد العامّة وتَبَعاً لأصْلِ حركةِ القاف عند بعض العرب في حالة السُّكون . .

ولا يقرأ قوله تعالى «إنّا أنزلناه في ليلة القدِر» بكسر الدّال[٣] . .

ولئن جاز ذلك في الشّعر كقول القائل ـ

فارسَـيْ خَيْـلٍ اذا ما أمْسَـكَـتْ   رَبَّـةُ الـبـيـت بأطـراف الـسِّـتِرْ

وكقول الآخر:

أرَتْـنِيَ حِجْـلاً على ساقِـهـا   فَهَشَّ الـفُـؤادُ لذاك الحِـجِـلْ

فلا يجوز الذَّهاب الى مثل هذا المذهب في نطق ألفاظ التنزيل العزيز. . وانّما يكثر هذا النَّمط من التَّخلُّف في الشعر انسياقاً وراء حكم الوزن وقواعد القافية . .

ويقع التَّخَلُّف ـ كذلك ـ في سكون لام التّعريف وهو سكون بناء اذا جاءت بعده همزةُ وَصْلٍ مثل «بِئْسَ الإِسْمُ الفُسوقُ بَعْدَ الايمان» . . . ـ الحُجُرات ١١ ـ فانَّ لامَ الاسم كُسِرَتْ فكانت مع السِّين مقطعاً واحدا . . وهذا مستفيضٌ في الكلام فقد قالوا «إنَّ الإِسْتغفار من الذُّنوب عهدٌ بالكَفِّ عنَ اقْترافِها» . . وهو يقع في الخماسيّات والسّداسيّات من الأفعال . . .

وهناك نوع من تخلّف السُّكون الوهميّ في ماسمّوه بالاشمام ـ وهو غير ما نعنيه في أحكام النون الساكنة ـ قال الدّكتور ابراهيم محمد نجا في كتابه «التّجويد والأصوات» ـ ص ٤٥ و٤٦ ـ « . . . ويظهر أنّ وُضوح الاستدارة للشّفتين هو الذي حَمَلَ مُجيدي القراءات على الحكم على الواو بأنّها تخرج من الشّفتين، ولكنّ المتأمِّل تبدو له حقيقةُ مخرجها بأنّه من أقصى اللّسان حين يقترب من أقصى الحنك، الاّ أنّ استدارة الشّفتين كما هو واضح من النّاطق حملت الباحثين من القرّاء على إثبات نوع الواو بأنّه من الشّفتين وليس كذلك كما وضح، . كما أنّ تلك الاستدارة جعلت أصحاب القراءات حين تحدَّثوا عن الاشمام اشاروا الى إمكان الدّلالة على الضَّمّة بحركة الشّفتين، فحين يقرأ المتعلم على قارىء في مصر قول الله تعالى : «رَبِّ إنّي لِما أَنْزَلْتَ اليَّ من خيرٍ فقيرْ» ـ وحركة الرّاء ضمّة لأنها خبر إنَّ . . ولكنها سكنت للوقف ـ . . وكذلك قوله جلّ ثناؤه : «انّ الله سميعٌ بصيرْ» فحركة الرّاء وان كانت ساكنة للوقف الاّ أنّها مضمومة لوقوعها موقع الخبر لأنَّ ، الاّ أنَّ القارىء لاينطق بالضمّ لأنَّ الكلمة موقوف عليها، ولكنّ القارىء يشير الى وجودِ الضَّمّة في هذا الموضع باستدارة شفتيه لِيُشْعِرَ معلّمه أنهّ يدرك هذه الكلمة وأنّها مضمومة رغم الوقوف عليها بالسّكون، لأنّ تلك الضَّمّة تظهر حال القراءة بوصل الكلمة الموقوف عليها بما بعدها، ولذلك يقول القرّاء عن هذا اللون من القراءة ـ وهو

الاشمام ـ بأنّه يدركه البصير دون الأعمى لأنّه يُرى ولايسمع ولذلك لايمكن أن يُراعي الاشمـام في القـراءة، ولا يعوَّل عليه الاّ اذا تحقق في القارىء الإبصار ليتمكّن من محاكاة تلك الصّورة التي يتعلّمها من أستاذه، وكذلك الأستاذ على هذا الوضع ليمكن تعليمه تلامذته النُطق الصَّحيح للاشمام على هذا الوضع، ومن هنـا لايمكن أن يتحقّق الكلام في الاشمام، ولاتعدّ صورته واضحة بارزة الاّ اذا كان القـارئ والسّـامـع مبصـرَيْن ليتلو القارئ قراءته بصورته الواضحة، ويـتـعـرف الـسّـامـع على الـوضـع الـذي تُدُووِلَ وعُـرف . . » انتهى. قلنا انّ ما أفاض فيه المصنِّفون في التّجويد من حكاية هذا النّمط من الاشمام الذي لا أصل له في كلام العرب: لاضرورة تقتضيه ولايمكن أن يفكر المتكلم بحركةِ المقطع الصّوتي عند نطقه ساكناً لأنه بتسكينه ألغى حركته فصار السّكون هو المعمول به دون الحركة الملغاة . .

والتّجـويـد علمُ أصـواتٍ تُسْمَـع وليس هوعلمَ رؤ ىً تراهـا العين، لذا عددنـا مازعموه مَن الميل بما كان من نحوراء «خبيرْ» السّاكنة نحو الضّمّة تخلّفاً وهمياً للسّكون، وهو عندنا أقبح أنواع التّخلف في السّكون ان عُدَّ ذلك تخلّفاً فيه . .

٢ ـ السّكون الخَفِيّ وهو سكون الوصل في همزة الوَصْل . .

هذا السُّكـون كائن أبـداً في همزة الـوَصْـل لا يُلاحـظ الاّ عند اتّصالها بلفظ قبلهـا، اذ تَفنى هي وسكـونهـا فيُشْعَـرُ به عنـد فَقْـدِه وليس عند وجوده فانّه لاوجـودَ له في المقطـع وقـد سَبَقَ القـول في تعريف السُّكون أنّه لايقع الاّ في المقـاطـع الـزّوجيَّـة، وليس هذا السُّكون ـ وأنواع أخرى منه سنُشير الِيها في تضاعيف البحث ـ ضَرْباً من السُّكون الموصوف بزوجِيَّة المقطع ولابثُلاثِيَّته . .

غير أنَّ همزة الوصل اذا كانت في بدء الكلام فانّها تلفظ متحرِّكة لاسكون عليها ويكون شأنها وكأنّها همزة قَطْع من غير أن تَتَمَتَّع بامتيازاتِ همزة القطع في شيء . .

ولكنَّ السُّكون في همزة الوصل يتخلَّف في استعمال ياء النِّداء في مخاطبة الباري عَزَّ وجَلَّ فيقال: «ياألله» . . على أنَّ هذا التَّخَلُّف لايقع في مخاطبة الباري بلفظ «ياأللّهُمَّ» . بل تظلُّ همزة الوصل ساكنة في هذه الحالة سكونها الدِّيمومي الصّامت . . وفي الشِّعر العربي :

إني اذا ما حَدَثٌ أَلَمّا أقولُ يَااللّهُمَّ يَااللّهُمّا

على أنَّ هذا السُّكون لايوصف بالانسيابيَّة ولا بغير الانسيابيّة لأنَّه سكون غير مسموع بسبب انعدام الحرف السّاكن أصلاً وخفائه الكُلِّيِّ في المقاطع الصَّوتيَّة . .

ان سكون همزة الوصل في الأفعال يخرج على القانون الصَّرفي بفعل مايسبقها من حركات الألفاظ التي ترتبط بها مثل «ولَوْ أنّا كتبنا عليهم أن اقْتُلوا أنفسكم أواخرُجُوا من دياركم» . . فانّ صيغة كل من «اقتلوا» وكذلك «اخرجوا» تنبني على أن يكون المدخلُ الى الفعل فيها بضمّ أوّله ، كما لو قلتَ «أُقْتُل» و«أُخْرُج» فلمّا حُرِّكَ ما قبلَ ذلك بالكسر في مثل «أنِ اقتُلوا» سقط عن مكانها الضّمّ الذي كان أصلاً في نظائرها بحكم القانون الصَّرفي . .

أما قطع همزة الوصل في «التفات» في بيت للبُحتُري :

يهاب الإلتفات وقد تهيّا لِلَحْظَةِ طَرْفِه طَرَفُ السِّنان

فسببه تداعي همزَتَيْ وصل ، فحوفظ على همزة الوصل في أداة التّعريف وأُجري قطعها في «التفات» . . وهذا من ضرورات إقامة الوزن . . أما مايرد

من ذلـك في النّثـر فيكـون لفظـه على نحو مانلفظ في «أريد الاكتفاء» فنقول: «أريدُ لِكْتِفاءَ» بكسر لام التّعريف وذلك بنقل الكسرة في «اكتفاء» الى هذه اللام. أي همزة إكتفاء الأولى. . .

٣ ـ سكون التّنوين. .

رغم أنَّ التّنـوين يظهـر على هيئـة حركتين متكرّرتين فانّه لاعلاقة له بالحركة بتـاتـاً. . وانّما هو نونٌ ساكنة تلفظ ولا تكتب الاّ عند العروضيّين. . فانّا اذا قلنا «كِتابٌ» بضَمَّتين على الباء فانّما نقول «كِتابُنْ» بنون ساكنة لا أثر للضَّمَّتين عليها. أمّا الباء في الكتاب فتظلُّ بضَمَّةٍ واحدة لا غير. يستوي في ذلك أن تكون مُنَوَّنَةً وغير مُنَوَّنة. . واستعمال أكثر من فتحة وضَمّة وكسرة على الحروف حالة التّنوين انّما هو من مسائل أهل صناعة الخَطّ ولا دَخَلَ له في الالقاء الصّوتي[٨]. .

ومن هنـا كانت جميـع حالات النّـون السّـاكنـة من إظهـار وإشـام وإقلاب مُنْسَحِبَـةً على جميـع حالات التّنـوين لايميـز مائـز بينهما في شيء. . غير أنَّ أسلوب الخطّـاطـين في رسم الحـركتـين على ماهو مُنَوَّن من الألفاظ يُعَدُّ من الأسـاليب اللّطيفـة في رسم ذلك، ولو كتبت حالات التّنوين بنون ساكنة لما أعْفى ذلك الكاتبَ من أن يَضَعَ احدى الحركات عليها ليُعْرَف كيف يكون لفظهـا فهـل انَّ ما قبل هذه النّون السّاكنة مفتوح أو مضموم أو مكسور؟ كما أنَّ الاكثـار من كتـابـة النّون بهيئتها وربّما كان ذلك عشرات المرّات في السَّطر الـواحـد يشـوِّه منظـر السُّطـور المكتـوبـة ويـؤذي الذَّوق كالذي هو واقع في الكتابات العروضيَّة الشّائعة في الكتب. .[٩]

وسكـون التَّنـوين من السُّكـونـات البنـائيَّة التي يقع لها التَّخلُّف، . ومن ذلـك مافي النَّصّ القـرآني: «ونُخْـرِجُ له يَوْمَ القِيامةِ كِتاباً يَلْقاهُ منشوراً، اقْرأْ

كِتـابَـك». . فانّ حالـة التّنـوين في «مَنْشـوراً» تُلْغى ويتخَلّف السُّكون فيها فيقـرأ النَّصّ على هيئـة: «مَنْ شُورَنِقْ رَأْ» بفتـح الـرّاء التي يعدّ مقطعها هنا مقطعـاً فرديّـاً بعـد أن كان مقطعاً زوجيّاً اذ كانت الرّاء وهي في حالة التّنوين ذات مقطع ثنائيّ وكان ظاهرها الصّوتي على هيئة «رَنْ» في «مَنْشوراً». .

وتُصبح نون التّنوين السّاكنة نوناً مكسورة مرتبطة بالقاف التي في «اِقْرَأْ» بعد غياب همزة الوصل غياباً نهائيّاً. . وممّا يُسْتفاد منه في هذا اللّفظ أنّ التنوين هو نون ساكنة تلفظ ولا تكتب وذاك على وجه الحقيقة لا التّقدير، فلوكان الأمر تقديراً لما ظهرت النّون عند انعدام شكل التّنوين. .

ومثل ذلك النَّصّ القرآني التّالي: «لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْمُعَذِّبُهُمْ عذاباً شَديدا» فانّ التّنوين في «قَوْماً» يتخلّف فيه سكونُ التّنوين فيرد ملفوظاً على الهيئـة التّـاليـة: «قَـوْمَ نِلْ لاهُ». . ومن ذلـك النَّصُّ التالي: «سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الذين كَذَّبوا بآياتِنا». . فانّ التّنوين على «مَثَلاً» تخلف فيه سكون نون التّنوين فصار السُّكون حركة واحدة وبات يلفظ على الوجه التّالي «مَ ثَ لَ نِلْ قَوْمُلْ لَ ذِي نَ». .

على أنّ بعض سكـون التّنـوين ينعـدم عند الوقف في الاسماء المنقوصة مثل قاضٍ حين تكـون قاضْ. . وفي الاسـماء المقصـورة مثـل فَتىً حين تلفـظ «فَتى». . وفي مثل «أُمَّةٍ» حين نقف عليها فنقول أُمَّةْ فتنقلب التّاء المقصورة الى هاء. .

٤ ـ سكـون الغُنّـة في النّـون الصّـريحـة. . وهـوسكون انسيابيّ مُتّصل غير منقطـع الاّ بما تحدِّده قواعـد الأداء من المـدَى الزّمنيّ الذي لايجوز تجاوزه الى أبْعَدَ مما يحدِّد له من هذه الغُنَن. . مثل: «وأنّا مِنّا الصّالحون ومِنّا دون ذلك» ومثل «قُلْ أعوذُ بَربِّ النّاس مَلِكِ النّاس اِلَهِ النّاس». .

والمراد بالنّون الصّريحة النُّونُ التي لايَعْلَق بها شيءٌ من إشْمامٍ أوإقلاب. .

٥ ـ سكون الاشمام. .

والمراد بالاشمام هنا ما يُسمّى بالاخفاء ـ في التّعريف الشّائع في أحكام النّون السّاكنة ـ وهو سكون تختلف مذاقاته بين حالة وأخرى من الحالات الاشماميّة كما أنّه لايكاد يبدو أنّه سكون حرفٍ بعينه، وانّما هو سكونُ حرفٍ مُشَمٍّ رائحةَ حرف آخر. . والسُّكون كائنٌ من هذا الوجه على المجال الاشمامي بين النّون وحرف الاشمام فاذا قلت: «مَنْ فَعَلَ» فانّ السُّكون لايقع على النّون ولا على الفاء وانّما يقع بَيْنَ بَيْنَ. . وكذلك اذا قلت: «مَنْ ذا الذي» فانّ سكون الاشمام لايقع لا على النّون ولا على الذّال وانّما يقع على حالة الاشمام النّاشئة بسبب اتّصال النّون السّاكنة بحرف الاشمام. .

٦ ـ سكون الاخفاء. .

وهو سكون يقع على حرف لايكاد يَبين بوضوح وجَلاء مثل «وحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ» ومثل: «وجاءَ بِكُمْ من البَدْوِ» ومثل: «أولئك لَهُمُ الأَمْنُ» على نحو ما جاء في مباحث الاخفاء في هذا الكتاب. .

٧ ـ سكون الغُنَّة في الميم في حالتي الادغام والتّماسّ. .

وهو سكون تكون فيه الغُنَّة صريحة لايخالطها شيء من الاشمام ونحوه. . مثل: «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهاد» في الادغام. . أمّا في التّماس فمثل: «انَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يومئذٍ لَخَبير». .

٨ ـ سكون الاظهار. .

وهو سكون تظهر به النّون دون غُنَّةٍ، أوتَلَبُّثٍ في النُّطق، أونَبْرَةٍ أوزوائِدَ صوتيّة، أو إثْقالِ لسان. . وهو كائنٌ في النّون السّاكنة عند التقائها بشيء

من حروف الحلق، وكذلك عند النُّطق بها ساكنةً في ختام مقطع ثلاثيّ نونيٍ مثل «يَعْلَمونْ» ومثل «ربّ العالمينْ». . ومثل «واضرِبوا منهُمْ كُلَّ بَنانْ» وكذلك في مقطع زوجيٍّ نونيّ مثل «يَمَنْ» و«سُنَنْ» و«مِنَنْ». . وفي مثل «أَيْقِنْ» و«اذا نَطَقْتَ فَأَبِنْ». .

وهو كذلك كائن في الميم السّاكنة عند التقائها بها سوى الميم باجماع القُرّاء واللُّغويّين. . وعند التقائها بالباء على خلاف، وقد رَجَّحَ قوم أن تكون الميم السّاكنة في حالة التقائها بالباء مُظْهَرَةً لا مُخْفاة. . وكان هذا دَأْبَ مُقْرِئة العراق قبلَ بضعة عصور. .

وكذلك يقع سكون الاظهار في جميع الحروف السّواكن باستثناء حروف التَفَشّي والصَّفير والقلقلة. . ومن ذلك كذلك سكون اللام السّاكنة في خواتيم الألفاظ فانّه سكون إظهار لايجوز إشابَتُه بذيلٍ صوتيٍّ او قلقلة أوغُنَّة كاذبة وغير ذلك. .

وقد بلغ الحذر بفريق من اللُّغويّين من أجل منع التّمويج اللاميّ أن وصفوا حرف اللام بأنّه لايجري فيه النَّفَس وفي جمهرة هؤلاء ابن جِني. .

٩ ـ سكون النَّحْنَحَة. .

وهو سكون الحاء السّاكنة. . ويعدّ من السُّكونات الانسيابيّة. . والظّاهر في أمر نُشوئه أنّ الذَّبْذَبات الصّوتيّة التي تصحب هذا الحرف عند سكونه «لاتنتج عن الأوتار الصّوتية بل عن احتكاك الهواء بالمناطق التي تعلو هذه الأوتار وبذلك لاتكون هذه الذّبذبات وَتَرِيَّة». . وقد سمّى الخليل بن أحمد هذه النحنحة في الحاء بالبُحّة «لولاَ بحّة في الحاء لأشبهت العين في اللفظ. .»

١٠ ـ سكون الشّخير والغَرْغَرة

ويقع الأوّل في حرف الخاء والثّاني في حرف الغين وكلاهما انسيابيّ. . وفي

القاموس في الكلام على الغين «وينبغي أن لايُغَرْغَرَ بها فَيُفْرَطَ ولايُهْمَلَ تحقيق مخرجها فتخفى بل يُنَعَّمَ بيانُها ويُخَلَّص» . .

وكذلك يقال على الخاء فانّها وان كانت شخيريّة فلا يجوز تمكين الشّخير فيها من الظهور كالذي يسمع من تلاوة بعض المقرئة وانّما يجب تحاشيه . .

١١ ـ سكون الوَقْف . .

وهو مايكون من السُّكون البَديهِيّ عند الوقوف على كلمةٍ ما اذ يكون الوقوف عليها عادةً بالسُّكون . . مثل قوله تعالى : «ولاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولةً الى عُنُقِكْ» عند ارادة الوقوف على الكاف في يدك أو في عنقك . .

ويقع سكون الوقف لما كان من الألفاظ مبنِيّاً على الحركات مثل : «ماأَغْنَى عنه مالُهُ وما كَسَبْ» . . فانَّ الباء في «كَسَبَ» مبنِيَّة على الفتح لأنَّ الفعل كائنٌ على هذا الأساس . . ولم يَحُلْ بناؤه على الفتح دون علوق السُّكون به . . ومثل ذلك الوقوف على : «عليها تِسْعَةَ عَشَرْ» فانَّ تسعة عشر مبنيَّة على الفتح ، ولكنّ سكون الوقف كان أقوى من الحركة المبنِيَّة . . ومثل ذلك في كلام العرب :

اذا قالت حَذامْ فَصَدِّقوها
فانَّ القولَ ما قالتْ حذام

فانَّ «حَذامِ» المبنيَّةَ على الكسر يوقَفُ عليها بالسُّكون المُسَمّى سكونَ الانشاد . . وبذلك وجدنا السُّكون يتخطىّ حركةَ البناء في كثير من الألفاظ المبنيَّة على الحركات . .

ومثل ذلك أنْ تقف على المُناديٰ المبنيِّ على الضَّمّ بالسُّكون فتقول «ياأَحْمَدْ» باسكان الدّال وأنت تعلم أنَّ الدّال هنا مبنِيَّةٌ على الضَّمّ بسبب النِّداء . . على أنَّ الوقوف على الدّال في أحمد مضمومةً لايُمْنع منه الواقفُ

عليه بالضَّمّ . .

ومثل ذلك الوقوف بالسُّكون على الضَّمائر المبنيَّة على الحركات كقوله تعالى : «واجعَلْنا مُسْلِمَيْن لَكَ ومن ذُرِّيَّتنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكْ» . . ومثل ذلك : «ويُطْعمون الطَّعام على حُبِّهْ» ومثل ذلك «ومِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهْ» وكذلك «يُدْخِلُ مَنْ يشاء في رَحْمَتِهْ» . .

١٢ ـ السُّكون الارتعاديّ . . وهو سكون الرّاء فانَّها تَظَلُّ ترتجف وتُرْعَدُ عند استمرار علوق اللسان بها ساكنة مالم يُمْسِكْها النّاطق عن حالة الارتجاف المستمر . .

وكذلك يعرض للفاء الكائنة على مَمَرِّ النُّون السّاكنة في حالة إشمام هذه النُّونِ رائحةَ الفاء ، فانَّها لو ضَعُفَ تَمَكُّنُ النّاطق بهذه النّون من إمْساكِ الشَّفَة على الهيئة التي يقع بها الاشمام لطال ارتعاد الفاء وارتجافها على الشَّفَة . . ومثال ذلك «مَنْ فَعَلَ» فانَّ النّون تلفظ مُشَمَّةً رائحةَ الفاء لفرط علوقها بها وميلها الى مخرجها . . فانْ ضَعُفَ استقرار الأَسنان على الشَّفَةِ وقع ذلك وان اشتَدَّ ضغطُ الأَسْنان عليها اضطرب أمر الاشمام فلم يقع على وجهه الصَّحيح وانَّما كان مُجَرَّدَ غُنَّةٍ جرداء لادلالة فيها على شيء . .

١٣ ـ السُّكون التَّمويجي . . ويقع في اللام التي يكون فيها اهتزاز مستمر في النُّطقِ بحيث يصحُّ وصفه بأنَّه غُنَّةٌ كاذبة ، وهذه صفةٌ قائمةٌ في هذا الحرف غير أنَّها لايعترف بها في الأَداء وانَّما يوصي من يلفظ هذا الحرف أنْ يَعِيَ ذلك وأنْ يَتحاشى الانجرافَ في تيّار هذه التَّمْويجات والارتجافات التي ينساق اليها اللِّسان عن غير وَعْي . .

ويكثر مثل هذا اللحن الأدائيّ لدى المؤذِّنين اضافة الى فريق من المقرئين . . على أنَّ هناك من سَوَّغ هذه التَّمْويجات في اللام بدعوى أنَّ الغُنَّة

تقــع فيــه، وربــما أبــاح هؤلاء الــغُـنَّــة في الــرّاء أيــضــاً . .

وانّ كون الحــرف يقــع فيــه مثـلُ هذا في الطّبيعـة لايستلزم إقـراره في حكم القواعد والأصول الأدائيَّة، والاّ غَلَبَ على الألفاظ الفصيحة أن تلفظ على ذات الهيئة التي تلفظها العامَّة[11] . .

١٤ ـ سكون التَّخفيف . .

ويقـع في حروف من شأنهـا التَّشـديد مثل الضّادّ فانَّ حرف الدّال فيه مشدَّد ولكنّه غالباً ما يلفظ بسكون واحد . . ومثل ذلك «أفّ» فانّه بالتّشديد ولكنه يلفـظ أحيـانـاً مخَفَّفـا بسكون واحد وطرحٍ للمقطع الثّاني في الكلمة . .

وهويكثر في كلام النّاس ابتغاء التّخفيف والابتعاد عن التَّكَلُّف في مذاهبهم التّعبيريّة وفي الشّعر منه كثير من بعضه :

صدفٌ أبــيض نَقــي ذو بهاء ورَوْنَــقِ

ومثله :

حتــى اذا مالم أجــد غير الــسَّــري

كنــت امــرءاً من مالــك بن جَعْــفَــرِ

فانَ ياء «السَّري» مشدَّده في أصل لفظها فخففت هنا تخفيف الياء المشدَّدة في «نَقِيّ» . . ومثله : «وقـد عَلِمْنـا ذاك عِلْماً غير شَك» دون تشـديـد الكاف في «الشكّ» تخفيفا . . ومن ذلك :

أغَــرٌ اذا دَجَــت الحــادثــات

جَلا لَيْــلَهُــنَّ بليــلٍ أغَــرّ

ففي الشِّعر لايكون للتَّشديد في أغَرّ الكائنة في ضرب البيت مكان في الوزن العـروضي، وانـما ينظـر اليهـا مقطعـاً صوتيّاً ثنائياً غير ثلاثي وهوما يقال له

السَّبب في المصطلح العَـروضي، . وان كان ذلـك في حقيقـة الحـال مقطعاً ثلاثيّاً ذا راءين اثنتين بحكم تشديد الرّاء . . وانّما صنع العروضيّون هذا لأنَّ النُّطق بالمشّدد يفقد فيه التّشديد . .

غير أن التَّخفيف في بعض حالات التَّشديدْ يكون مستقبحاً غير مرضيٍّ كالذي جاء في قول شاعر:

والحــمــد للّهِ وصَــلّى رَبّـــي
على الــنَّــبــي وآلــه والــصَّـحْـب

فانَّه خَفَّف الشَدَّة التي على ياء النَّبِيّ في تضاعيف الكلام وعند الدَّرج، وانّما يُقْبَل مثل ذلك في الضّروب والأعاريض المصَرَّعة . . وقد ألف ناظموا المتون التَّخفيف في النَّبيّ . .

ومن أنـواع سكـون التَّخفيف: السُّكـون الذي تلغى به بعض الحالات الإعرابيَّة في الواو والياء عند النصب بأدوات النَّصْب . .

كقول الشّاعر:

ويكاد من شبه العذارى فيه أن تبدو نهوده[١٢]

فانَّ الاصـل في «تبـدو» أن تكـون على واو الفعـل فتحـة ولكنّهـا أهملت بالسُّكون على الواو: ومثله:

حتّـــى اذا الـليــل تدانـى واشــتَرَكْ وآنَ أن يأتـي المُـحِـبُّ المُنْهَـتِـكْ

وهذا غير خاص بالشّعر فانه مُتَسامَح به في الكلام المنثور أيضاً . .

وقـد أشـار ابن جنّي الى وجـود ذلـك في اليـاءات أكثر منه في الواوات . .

ومن بعض أنماط سكون التخفيف ما قاله في «لسان العرب» عند الكلام على الثّيـاب القِطْـريَّـة قال: «وأحسبهم نسبـوا هذه الثّيـاب اليهـا ـ قَطَر ـ فخفّفوا وكسروا القاف للنسبة وقالوا قِطْري والأصل قَطَري كما قالوا فِخْذي

لِفَخِذ . . »

وأحسِبُ منه النَّهْر باسكان الهاء ولعلّ أصله وهو منطوق به مستعمل ـ النَّهَر ـ فسكّنوها تخفيفاً وتقليصاً لعدّة المقاطع . . ومثل ذلك السُّدُس والثُّلُث فانّهما ثلاثة مقاطع مضمومة المقطع الثّاني فقالوا سُدْس وثُلْث، كما قالوا العُسُر بضمّ السّين ثم سكّنوها فقالوا العُسْر فباتت المقاطع الثّلاثة مقطعين تخفيفا . .

وفي «مختار الصّحاح» ـ مادة عُسُر ـ أطلق التّخفيف على سكون ما كان في مثل كلمة العُسُر اذ تلفظ على هيئة عُسْر . . قال ـ رواية ـ «كلّ اسم على ثلاثة أحرف أوّله مضموم وأوسطه ساكن فمن العرب من يخفّفه ومنهم من يثقّله مثل عُسْر وعُسُر ورُحْم ورُحُم وحُلْم وحُلُم . . ومثل ذلك حُمْر وحُمُر ورُبْع ورُبُع . . »

ومن سكون التّخفيف اسكان لام الأمر في مثل «وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْل» ـ في آية الدَّين بالبقرة ـ فانّ الأصل في هذه اللام الكسر[١٣] . . ومنه على مافي «مختار الصّحاح» أنّ لَيْسَ أصلها لَيِسَ بكسر الياء فسكّنت استثقالاً ـ أي استثقالاً للكسر في الياء ـ وفي القاموس «فسكّنت تخفيفا» . . وفي اللسان: «الأواقيّ بتشديد الياء وان شئت خففت» . . واطلاق لقب نون التوكيد الخفيفة على ما يقع للمضارع من مثل قوله تعالى: «ولَيَكونَنْ من الصّاغرين» هو من هذا الباب أيضاً . .

١٥ ـ السُّكون الجِبِلِّي في الحروف . . انّ الحروف يُنْطق بها ساكنةً في الجِبِلَّة ثُمَّ تَتَّخذ لها الحركات المطلوبة من ضَمَّة وفتحة وكسرة . . وذاك في بدء النُّطْق بالحرف اذ انّا نَنْطق الحرف مُجَرَّدا من الحركة ثُمَّ نُبرز الحركة التي نريدها عليه اذ لاتكون الحركة قبل الحرف ولامعه .

ولكن سكون الحرف هذا لايظهر ولا يلاحظ لفرط السُّرعة الزَّمَنِيَّة الخارقة عند النُّطق به متحركًا ومن هنا جاءت التَّسْمِيَة[١١] . .

فاذا قلنـا «كَتَبَ» بثـلاث فَتَحـاتٍ على الحروف الثَّلاثة ففي الواقع أنّا لفظنا كُلًّا منها ساكناً ثم وضعنا عليه الفتحة . . وكذلك الحال في سائر مانلفظ من حروف محرَّكة بأيَّة حركة من الحركات . .

وقد تبدو للسّكون الجِبِلِّي صورةٌ ما في بعض الحروف الهجائية التي تنتمي الى حروف النَّفـخ كالفـاء والشّـين فنحن حين نقـول ـ مثـلًا ـ «نَفَخَ» نجد الفاءَ معزولة عن الفتحة بعازل مكوَّن على هيئة نفخ من هواءٍ يكون عالقاً بالفاءِ قبل ارتباط الفتحة بها وقبل استتباب هذه الفتحة في مكانها من الفاء المفتوحة . .

وهـو نفـخٌ من شأنـه أن يَعْلَقَ بالفـاءِ السـاكنة أبداً فاذ اِنَّه ظَهَرَ على الفاء مع الحركة دلَّ على أن الحرف نُطِقَ به ساكناً ثُمَّ حُرِّك . .

على أنّا لانفتقر في هذه الدعوى الى أدلَّة وبراهين، فانَّها قد تَمَّ القول عليها بوسـائـل ظاهـرة الـبرهان والقوّة . . وكان الشيخ أبو الفتح عثمان بن جِنِّي قد عالج هذه النقطة في كتابه «سِرّ الصّناعة» بكلام مستفيض . .

١٦ ـ سكون اللَّحْن . .

وهو سكون من يغطّي لَحْناً عنده في الألفاظ حين يجهل كيف تكون خواتيمها من رفـعٍ ونصبٍ وجـرّ . . كمن يقـول : «مُحَمَّدْ يَذْهَبْ الى السُّوقْ كُلْ يوم» فيسكّن الدّال من «محمَّد» لأنه لايعلم أنَّه مبتدأ يرفع بالضَّمَّة، ويسكّن الباء في «يذهب» لأنَّه لايدري ما حال هذا الفعل أهو مرفوع أم منصوب . . وهذا اللحن مُتَفَشٍّ بين من يجهلون قواعـد الإعراب ومواقعَ الألفاظ في الجُمَل، . فما تجدُ مُتَكَلِّمهُمْ يميـز عنـد الكـلام بين ما حَقُّـه الرَّفع وما حقُّه الخفض . .

وربّما حسبوا في التّسكين ما ينمّ عن مهارة خاصّة تخفى بها عيوب الإعراب . . وكذلك يُعَدُّ من سكون اللحن الوقوف على التّاءات المربوطة بلفظ التّاء، وانّما يوقَف عليها بلفظ الهاء . . فمن قال القُضاةْ والرُّواةْ والعُتاةْ والغُزاةْ والهُواةْ والحُواةْ بتاءات ملفوظة عند الوقوف على هذه الألفاظ فقد وقع في اللحن . . وفضيحةُ الجهل في هذا لايكتمها السُّكون لأنّه لايَدُلُّ على براعة ولا على مهارة . . ومن سكون اللّحن هدر أحكام العوامل الإعرابيّة في تضاعيف الكلام مثل قول من يقول «في تَمامْ أَلسّاعة العاشرة» فيسكن الميم في تمام، ويبدأ النُّطق بالسّاعة بلفظ أَلسّاعة بفتح الهمزة في أداة التّعريف وكأنّها همزة قطع ومن مثل ذلك «وهذا أَلبَرْنامَجْ» و «تَجَدَّدتْ أَلاستفسارات» و«نُحَيِّي أَلمشاهدين» و«مُمَثِّلي ألأجنحة» و«لمقاتلي أَلجَيْش» و«الغذاءُ قَبْلَ أَلدَّواء» و«مِنْ أَلمسَلْسَل» و«لأَلاتّحاد» و«يلاحقُهُ أَلخِزْي» و«مُتَمَنِّين لكم أَلصِّحّة» و«في مقدمتها أَلقضيّة» . . و«صيدليّةْ أَلبصرة» . . و«خلالْ أَلأيّام» الى عشرات الجمل التي يقع فيها المذيعون متعمدّين قلبَ همزة الوصل الى همزة قطع . . ومن سكون اللّحن اسكان الثالث والرّابع حتى التّاسع من قولنا «الثّالثَ عَشَرَ فانّه مبنيٌّ على الفتح . . واللحّن فيه يكون بصيغة الثّالثْ عَشَر والرّابعْ عَشَر . .

وهي اخطاء من نمط ما أَلِفَه العوامّ في لغتهم . .

١٧ ـ سكون الضّرورة في الشّعر.

يستوجب الشّعر من أَجْلِ إقامة الوزن ان تسكّن حروف فيه وتحرَّك حروف . . وانّا اذ نعترف بهذا السُّكون فانّا نرى كذلك أنّ بعض انماطه مستقبحة مرذولة ونصَّ في القاموس على سكون بهذه التّسْمية اذ قال: «والتُّخَمة كهُمَزَة الدّاء يُصيبك منه وتسكن خاؤه في الشّعر» . . فجعل

للشِّعر سلطاناً في التَّحَكُّم بالسُّكون والحركات وهو ما يقال له الضَّرورة في مصطلح المُصَنِّفين في الضَّرورات الشِّعريَّة. . ومن ذلك قول الشَّاعر:

تَلْتَبِهِمُ الوَسْقَ مشدوداً أَشِظَّتُه
كأنَّما وَجْهُها قد طُلْيَ بالقارِ

فالأصل «طُلِيَ» بضمّ الطّاء وكسر اللام بصيغة الفعل المجهول، فسكن اللام للضَّرورة وهي هنا من غرائب الضَّرورات ومُسْتَقْبَحاتها. .

ومن سكونات الضَّرورة في الشِّعر قوله:

قد شبتُ قَبْلَ الشَّيْب من لِداتي
وذاك ما أَلْقىٰ من الأذاة
من زَوْجَةٍ كثيرة السَّنْبات

قال في اللِّسان: أراد السَّنَبات فخفف للضَّرورة. . ومثله لرُؤْبة:

أَبَتْ ذكرَ من عَوَّدْنَ أَحْشاءَ قلبه
خفوقاً ورَقْصات الهوى في المفاصل

فانَّه قال «رَقْصات» بسكون القاف والأصل الفتح لضرورة الشِّعر. . ومثل ذلك قول عمر بن قبيصة العبدي:

أبا مالكٍ لولا حواجز بيننا
وحُرْمَاتُ حَقٍّ لم تُهَتَّكْ ستورهُا

وانَّما هي حُرُمات. . ومن نماذج هذا السُّكون في الشعر:

وفي كُلِّ يومٍ يَدْعوانِ أَطِبَّةً
إِلَيَّ وما يَجْدون الاَّ هواهيا

فان «يَجِـدون» آلت الى «يَجْـدون» بجيم ساكنة . . للتخفيف من الوزن قاله في القاموس ـ المرتّب ـ (٤ ـ ٤٩٣) . .

ومثله للقطاميّ :

أَلَمْ يُجْزِ التَّـفـرق جنـدَ كِسْـرى
ونُـفْـخـوا في مدائـنهـم فطـاروا

أي «نُفِخُوا» . . ومن ذاك :

وحُمِّـلْتُ زَفْـراتِ الـضُّـحـىٰ فَأَطَـقْـتُـهـا
ومـالي بزَفْـراتِ الـعَـشِـيِّ يدانِ

فقـال «زَفْـرات» فسكنَّ الفـاء في زَفَرات والأصل فيها الحركة . . ومن سكون الضَّـرورة سكـون عَرَبـة . . قال في القاموس : «واضطرَّ الشّاعر الى تسكين رائها فقال :

وعَـرْبَـةُ أَرْضٌ ما يُحِلُّ حَرامَـهـا
مِنَ الـنّـاس الاّ الـلَّوْذعـيُّ الحُـلاحِـلُ

ومن ذلك للمتلمس :

ومـن كانَ ذا نَسْـبٍ كريـم ولم يكـن
له حَسَـبٌ كان الـلئيـم المُـذَمَّـما

اراد ذا نَسَبٍ . . ومثله :

لم يمـنـع الـنـاس مني ما أردت ومـا
أعطـيـهـمُ ماارادوا حُسْـنَ ذا أدبـا

أراد حَسُنَ ذا أدبا . . قال:

وعــهــدي به قد كُسْــيَ ثُمَّــة لم يزل
بدار يَزِيــدٍ طاعــمـا يتأجّـل

فلقد سكن سين «كُسِيَ» للوزن . .

على أنَ بعض الضـرورات الشّعـريـة يظهـر عليهـا القبـح بوضـوح كالذي استشهده القاموس وعدَّه ضرورة:

فروى عليٌّ عن رسـولٍ مثـل ما يرويــه يوسف عن عُمَـرْ ذي البأس

ومما أعدّه من هذا الباب واستقبحه إسكان العين في «مَعَ» كقول عنترة:

ولــو أرســلتُ رمـحـي مَعْ جبــانٍ
لكــان بهـيـبـتـي يلقـى السِّـبـاعـا

وهو كثير في الشعر القديم والمعاصر . .

وأحسب من هذا قولَ الشاعر:

(يـمـرُّون بالـدَّهْـنـا خِفـافـاً عِيـابُـهـم
ويَـرْجِـعْـنَ من دارَيْـنَ بُجْـرَ الـحـقـائـب)

إذ أرى أنَّ «يَرْجِعْنَ» في الأصـل «يَـرْجُعُـونَ» بسكون الجيم فحوَّلوه الى صيغة الفعل المقترن بنون النّسوة عن غيرِّ بيّنة . . .

أمـا من قال إنـه أطلق على القـوم هذه الصيغـة تحقيراً فبعيد مثل ذلك عن وصف هؤلاء بشيء فيه تحقيرٌ لهم اذا نظرنا الى النّظائر الشّعريّة القديمة التي لم تكن تعيب مكـاسب كهـذه المكاسب . . كذلك لم تكن النساء تصنع هذا ليشَبَّهوا بهنّ، وانما هو:

يمـرّون بالـدَّهـنـا خفـافـاً عيـابُـهـم
ويَـرْجُـعـونَ من داريـنَ بُجْـرَ الـحـقـائـب

١٨ ـ سكون الـتَّركيـز على الهاءات الموقوف عليها . . وهو سكون انسيابيٌّ ناقصٌ أي انـه بين الانسيـابيَّة وغير الانسيابيَّة ويصحّ وصفه بانّه سكون شبه انسيـابيّ ويقـع في الهـاء المشدَّدة عند الوقوف عليها في غير حالة الادغام . . فانّ اللافظ لها يصيبه البهر وانقطاع النَّفَس في أوَّل الشَّوط فلا يملك المضيَّ في انسيـابيَّتـه المحـدودة وان كان قويّ النَّفَس وطويله بسبب الفراغ من كَمِّيَّة الهواء الصَّوتي الصاعد من أعماق الصَّدر . . ومن ذلك :

بَكَـرَ الـعـواذلُ في الـصَّـبـوحِ يَلُمْـنَـني وألُـومُـهُـنَّـهْ
ويَـقُـلْنَ شَيْـبٌ قد علاك وقـد كَبِرْتَ فقـلـتُ إنَّـهْ

١٩ ـ السُّكون المهدور . .

هوسكـون على هاءٍ غير ظاهـرة في اللفـظ ولكنَّ الجَـرْس الصـوتيّ المتحرِّك قبلها يشير اليها، وغالب ما يقع ذلك في ألفاظ العامَّة عند الوقوف على هذه الهاء، كقولهم : «عِنْدَه» اي «عِنْدَهْ» وتعني «عِنْدَهُ» . . فانَّ هذه الهاء لاتلفظ البتَّة ولكن طريقة النُّطْق بالدّال المفتوحة قبلها تُشْعِر الأُذُنَ بوجودها في حالة سكـون ذي مذاق خاص . . وهـو في الواقع مهدور أوشبه مهدور لأنه يعرف بالحِسِّ دون السَّماع . .

٢٠ ـ سكون القلقلة . ــــ

ويكـون فيـه شيء من التَّـأرْجُـح الذي يجب الحذر فيه من الوقوع في الحركة كالذي نسمعه من بعض من يَتْلُونَ النَّصَّ القرآني ـ مثلا ـ : «سُبْحانَ الذي أسْرى بعَبْدِهِ ليلاً من المسجد الحَرام الى المَسْجِدِ الأقْصى» فيجعل الباء في «سُبْحـان» متحـرِّكـة بالضَّمَّـة عن قصد أوعن غير قصد . . فيجب تحاشي ذلـك والحـرص على السُّكـون حرصـاً تامّـاً لأنَّه ساكن وانَّما تكون القلقلة في الحـرف مَنْعـاً لتحـريكـه وهـو ساكن[١٥] . . وليست القلقلة سبيـلاً الى تحريك

الحرف. . هذا ولا يُعَدُّ سكون القلقلة من السّكونات الانسيابيّة بل هو غير انسيابيّ أبداً[١٦] . . والكلام على القلقلة جاء مُسْهَباً فيه عند ايراده في بابه من الكتاب. .

٢١ ـ السُّكون المُغْلَق أو المُنْخَنِق. . وهو مايقع من إسكان حرف القلقلة عند البدء بنطقه فانّه لايجري فيه النَّفَس فيكاد يحسّ النّاطق به باختناق مالم يحرِّك مواقع الحرف بحركة صوتيّة ارتجاعية يَبين بها الحرف المراد نطقه على هيئةٍ طبيعيَّة غير افتعاليَّة. . والحالة النّاشئة بسبب ذلك هي حالة سكون القلقلة. .

أما بدء النُّطق بها عند ملامسة مخارج حروفها فذاك هو السُّكون المنخنق الذي لا صورةَ له في السَّمع من جراء كونه ضَيِّقاً غاية الضّيق وهذا ينفي قول الدُّكتور احمد مختار عمر في كتابه «دراسة الصَّوْت اللُّغويّ» بأن يكون هناك صوت يسبق النُّطق بالحرف الانفجاري أي المقلقل[١٧] . . اذ ليس ثَمَّة صوت يوصف بالصَّوتيَّة بل هو انغلاق سكوني موغل في الصَّمت كل إيغال. . وأوضح دليل على ذلك أنّا حين نقرأ النَّصّ القرآنيّ: «وما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ من كتاب ولا تَخُطُّهُ بيَمينِك. . . » فانَّ لفظة «تَخُطُّه» حين نقول «خُطْ» ثُمَّ نقول إِثْرَ ذلك «طُ» نلاحظ أَنَّ صوت الطّاء الأولى ظَلَّ منكتماً رغم محاولتنا نُطْقَ هذا الحرف اذ لم يَجْرِ فيه النَّفَس ولاوَقَع له من حالة الارتجاع شيء وانَّما قَفَزَ من الطّاء السّاكنة الى الطّاء المتحرِّكة التي تلتها فلم تسمع الأولى أَلْبَتَّة لأنَّ ذلك لولم يقع لكنّا قد نطقنا الطّاء الأولى على وجه التَّعسُّف والقَسْر ولكانت عندنا في اللَّفظ ثلاث طاءات متعاقبات، . ومن هنا كانت التَّضْحِيَةُ بالطّاء الأولى أمراً طبيعِيّاً، لكنَّها دَلَّ على وجودها سكونها الانخناقي وانتهى كلُّ شيء. .

وانَّ هذا السُّكون انّـما يسبق سكـونَ القلقلة جِبِلّيّـا . . وقـد يقـع للبـاء أن لاتكون كذلك أحيانا.

٢٢ ـ سكون التَّفشّي . .

ويكـون فيـه شيءٌ من الجَـوَلان والاستـدامـة في التَّفشّي الـذي يلبث بعـد السُّكـون زَمَنـاً يسيـراً دون أن يكـون في ذلـك ما يشبـه القلقلة أويقـاربها فأنّهُ خطأ . . ومن ذلـك : «وَتَـرى المَـلائِكَـةَ حافِّـينَ مِنْ حَوْلِ العَـرْشْ» ومثله : «وَتَكونُ الجبالُ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشْ» فانَّ بَقاياً صوتيَّة من الشّين تعقب السُّكون رغم أنَّ السُّكون هنا قَفْلَةٌ للمقطع السّاكن . .

وهو يقع كذلك في الثّاء والذّال والظّاء والفاء، وقد أوردنا مثالَ الشّين فيه[١٨] . . ويسمّى ايضاً سكون النَّفث . .

٢٣ ـ سكون الصَّفير . .

وهـو سكـون يستمـر بعده صفيرُ الحرف شيئاً يسيراً كالذَّبذبات الطَّنينيَّة التي تكون مسموعةً في الأناء بعد الفراغ من قَرْعه . .

ومن ذلـــك : «اَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسْ» فانَّ السِّــين لاينقطـع صوتهـا بالسُّكـون والإمسـاك عن الكـلام ، بل يلبث أَمَـداً يسـيراً بعـد ذلـك . . وقد قالوا انَّ حقيقـة الصَّفـير أنّـه اللفظ الذي يخرج بقوّة مع الرِّيح من طرف اللِّسان أبداً مابينَ الثّنـايـا يُسْمَـعُ له حِسٌّ ظاهـر في السَّمـع . . وحـروف الصَّفير ثلاثة هي الزّاء والسِّين والصّاد . .

٢٤ ـ سكون النَّفخ . .

ويكون في الفاء وفي الثّاء أيضاً . .

على أنَّ خصيصـة النَّفـخ تظـلُّ ملازمـةً للفـاءِ حتّى في حالة الحركة ، . لأنَّ سكـونهـا الجِبِـلّيّ لايقـوى على كتمان هذه الصفة فيها . . ومن حروف النَّفخ

أيضـا ـ على درجـاتٍ متفـاوتة ـ التّاء واللام والهاء والكاف. . غير أن النّفخ يبدو عند النّطق بهذه الحروف مُحرّكَةً ـ وخاصة عند حركتها بالضّمّة ـ ويكون ذلك أكثر عند الواو. .

وكذلك القول على الفاء والثّاء المتحرّكتين. . فاذا كانت الحركة هي الضّمّة ظهر النفخ فيهما واضحاً فان كان مع الفاء ومع الثّاء واوٌ كان للنّفخ بروزٌ أكبر. .

٢٥ ـ السُّكون المَدِّيّ ـ وهو سكونُ حروف المدّ ـ

سكون المَدّ سكونٌ انسيابيّ يجري فيه الصّوت على مقدار ما لِنَفَس النّاطق به من قُوّة وتَمَكُّن. . ويكون السُّكون المَدّيّ في الألف والواو والياء (٩). .

وانسيـابيَّـة هذا السُّكون طبيعيةٌ فيه والاّ لامْتَنَعَ جَرَيانُ الصّوت فيه، وينبغي التّصريح عند الكلام على شروط حروف المدّ أن يكون السُّكون في حروفها انسيابيّاً. .

فان كان الحـرف ساكنـاً سكـونـاً غير انسيابيّ فلا يقع فيه شيءٌ من المدّ ألْبَتَّة لأنَّ السُّكـون آنـذاك سيكـون سكـوناً مُنْحَبِساً غير منطلق. . والكلام على حالات المدّ مُسْهَبٌ فيه في مكانه من الكتاب. .

٢٦ ـ السُّكون غير المَدِّيّ. .

وهـو سكـون غير انسيـابيّ ويكـون في الواو والياء غير المدِّيَّتين من نحو قولنا «قُـوَّة» و «نِيَّـة» فانَّ هذين الحـرفين هنا حرفا هجاءٍ وليسا حرفي مَدّ وانّما امتنع المدُّ فيهما لأنَّ سكونهما غير انسيابيّ. .

وأوضـح مثـال على السُّكون المَدّيّ «فُوهَة» وعلى غير المدِّيّ «فُوَّهَة» بتشديد الواو في هذه ولا تشديد في واوِ التي سبقتها ـ وقد يظنّ في السُّكون غير المدّي أنّه لايقع الاّ في الياءات والواوات التي يعرض لها الادغام. . ورغم أن هذا

هو الأصل فلقد وقعت في المعاجم ألفاظ فيها ياءات غير ادغاميّة وهي ساكنة سكوناً غير انسيابيّ ومن ذلك كلمة «بَيْسَرِيْ» ـ ترتيب القاموس المحيط ١/ ٢١٩ ـ وقال انها ساكنة الآخر. .

ومن ذلك مايقع عند النُّطق على وجه التّخفيف في مشدّدات الياءات كوقوفنا على «عَلِيّ» فانّه سكون غير انسيابيّ وان ماتَ فيه التّشديد الادغاميّ بسبب التّخفيف. أي أن نقف على الكلمة بياء غير مشدّدة. .

ومن نماذج السّكون غير الانسيابيّ في الياءات المشدّدة لفظةُ «فِيَّ» ـ أي فمي ـ في قول الشاعر: «هُما نَفَثا في فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِما». .

فهذا سكون غير انسيابيّ أي انّه ليس من فصيلة قولنا «في يَدي» فانَّ سكون الياء في لفظة «في» ـ هذه ـ سكون انسيابي وان جاءت بعدها ياءٌ أخرى هي ياء اليد. .

ومثل ذلك ما جاء في قول الحسين بن الضَّحّاك: ـ

كبَدي في هَواكِ أَسْقَمُ من أَنْ تَقَطَّعا
لم تدَعْ سَوْرَةُ الضّنا فِيَّ للسُّقْمِ مَوْضِعا

فانَّ «فِيَّ» المؤلفة من حرف الجرّ وضمير المتكلّم ليس السُّكون في يائها انسيابيّاً[٢٠]. .

٢٧ ـ سكون الانشاد. .

وهو اسكان الحرف في الدَّرج ويقع كثيراً عند قراءة البيتَ الشعريّ دون أن يُعَدَّ ذلك اخلالاً بالوزن العَروضيّ وان كان يبدو مُخِلّاً به ومتحكّما فيه. . وهو من السُّكونات التي تنبَّهَ اليها الأقدمون. .

وقد سماه «الدّماميني» في «العيون الغامزة» بتقييد الانشاد، وسمّاه قومٌ باختلاف النشيد. .

ومن ذلك مَثلا : ـ

أقولُ لها وقَدْ طارَتْ شَعاعاً مِنَ الأَبْطالِ وَيْحَكِ لن تراعي

٢١١٢١ / ٢٢٢١/ ٢٢١ ٢٢٢١/ ٢١١٢١ /٢٢١

مُفاعَلَتُنْ مفاعَلْ تن فعولن مفاعل تن مفاعلتن فعولن

فانّه بسكون الانشاد حين نسكّن لامَ الابطال يكون تقطيعه الظّاهر على الوزن التّالي : ـ

أقول لها وقد طارت شَعاعاً من الأبطالْ وَيْحكِ لن تُراعي

٣٢٢١/ ٢١١٢/ ٢٢١

مُفاعَلْ تانْ مُفْتَعِلُنْ فعولن

غير أنَّ العروضيِّين لايغيرُّون موازينهم في حالات سكون الانشاد ويظلّ الوزن الأول فيه هو هو. ومثل ذلك : ـ

متى تَصِلُ العطاشُ الى ارتواءٍ اذا احتاجَ البحارُ الى الركايا

٢١١٢١ /٢١١٢١/ ٢٢١ /٢٢٢١ /٢١١٢١ ٢٢١

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعل تن مفاعلتن فعولن

فانّه بسكون الانشاد أي باسكان العطاش وباسكان البحار في الدّرج والوصل ـ وليس عند الوقف على هذه الألفاظ ـ يكون هناك وزن مختلف تماماً عن الوزن المألوف في هذا البحر ولكنّه في الحقيقة لاحِسابَ له في العَروض وتَظَلُّ المقابلة رغم هذا التّباين والاختلال منظوراً فيها الى أصل الوزن وقاعدته. . وفيما يلي الاشارة الى الوزن المُتَوَهَّم بسبب الانشاد وسكونه :

متى تصلُ العطاشْ الى ارتواءٍ اذا احتاجَ البحارْ الى الركايا

/٢١١٢١ (٣١/ (٢١)/ ٢٢١ /٢٢٢١ (٣١/ ٢١)/ ٢٢١

مفاعلتن (فعالْ فَعِلْ) فعولن مفاعل تن (فعالْ فَعِلْ) فعولن

ومنه :

تَعَبٌ كُلُّها الحياة فما أَعْجَبُ الاّ مِنْ راغبٍ في ازدياد

/٢٢١١ /٢١٢١ ٢٢١١ /٢٢١١ /٢١٢٢ ٢٢١٢

فعلاتن مفاعلن فعلاتن فعلاتن مستفعلن فاعلاتن

وسكون الانشاد يكون في الحياة فيكون الوزن على الصَّورة التالية ولكن لايُعْتَدُّ بذلك عروضياً : ـ

تَعَبٌ كلها الحياةْ فما أعجب الاّ من راغبٍ في ازدياد

/٢٢١١ /٣١٢١ ٢٢١ /٢٢١١ /٢١٢٢ ٢٢١٢

فعلاتن مفاعلان فعولن فعلاتن مستفعلن فاعلاتن

ولايقع من سكون الانشاد في كتاب الله شيء الاّ في المداورة وتكرار المحفوظ قصد التَّخفيف ففي غير ذلك لايقع السُّكون في مثل «انَّ هذا لفي الصُّحف الأولى صُحُفِ ابراهيم وموسى» باسكان احد الحرفين الفاء في صحف والميم في ابراهيم . .

وذاك لأنَّ كتاب الله لاتستعمل فيه الضَّرورات العروضِيَّة ولكنَّه كما أسلفنا من الخصائص التي تتعلق بقراءة الشِّعر والتَّغنيّ به . . ولايقتصر سكون الانشاد على بحر دون بحر فانَّ البحور جميعاً يقع فيها هذا السُّكون لمن شاءه . . ففي الهَزَج : ـ

ألا يانخلةً في السَّفْح من أكناف جُرْجان

ألا انّى وايّاكِ بجرجان غريبانِ

يكون سكون الانشاد على الحاء من كلمة السَّفح أو الفاء من كلمة أكناف . وفي البيت الثَّاني يكون سكون الانشاد على «ايّاك» . .

وفي البسيط :

يارحمــةَ الله حُلِّي في مواطــنـنــا وجــاوريـنــا فدتــك الـنَّـفْس من جار

فانَّ سكون الانشاد يقع في لفظة الجلالة وفي كلمة النَّفس . .

وفي المتقارب : ـ

لكَ الله من وطنٍ سوقه يروجُ بها الزَّيف والاِحْتيالُ

فانَّ سكون الانشاد يقع في لفظة الجلالة وفي كلمة «الزَّيف» . .

ومن ذلك : ـ

فما طابَ من دونــه منــزل ولاراقَ الاّ به مَنْهَــلُ

فانَّ الانشاد يقع في طاب وفي راق . .

وفي المديد :

انَّما الذَّلْفاءُ ياقوتةُ أُخْرجَتْ من كيس دِهْقان

فالانشــاد يقــع في همزة الـذَّلفاء وفي سين الكيس . . ويلاحظ أنَّ سكون الانشــاد يقــع في اكثــر من لفــظ في الشَّطــر الـواحــد ، وهو أمرٌ خياريٌّ وليس بالقَسْري . . ولو كان قَسْريّاً لأُخضِعَ لقاعدة عروضيَّة معيَّنة . .

٢٨ ـ سكون الجَزْم . .

ومنه «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ولَمْ يكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد» فانَّ حرف الجزم هو الذي تأتّي به سكون اللفظ في الفِعل ولا جَزْمَ في غيره . .

والفرق بين سكون الوقف وسكون الجزم ملحوظ وبَيِّنٌ ، ومن ذلك وقوفنا على قول قائــل : «انَّ ذلـك لايكــونْ» ومثله : «انَّ ذلـك لن يكونْ» . . فهو وقـوف لاجـزم فيـه للفعـل ، اذ الجـزم يكـون بلفظ «يَكُنْ» وليس «يكون» ، وكـذلـك القـول على «لن يكـونْ» فانَّ الفعـل فيهـا منصوب ، أمّا السُّكون الذي على نهاية الفعل فهو سكون وقف لاشأن للاعراب به . .

٢٩ ـ سكون النصّ . .

وهـومـا يجب إسكـانه بمقتضى ورود النّصّ على هيئته من السُّكون دون أن يكـون هذا السُّكـون ناشئـاً بوجـود عاملٍ يُسَبِّبه من نحو أداة جزمٍ أو حالةٍ تقتضي الجزم، وإنّما هو النّصّ لا غير . . ومنه :

«فَـألْقِـهْ اليهم ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ» باسكـان الهـاء في «ألْقِـهْ» دَرْجاً ووَقْفا . . ومثل ذلـك : ـ وقفـاً ـ «لَكُمْ دينُكُمْ وليَ دِينْ» ومثله «يَـوْمَ التَّنادْ» و«الكبيرُ المُتَعالْ» فلا تقرأ ديني ولا التّنادي والمُتعالي . . لأنَّ ذلك جاءَ بهيئة السُّكون في النّصّ القـرآني وَقْفـا . . ومن هذا السُّكـون سكـون النُّـون في «عَـيْنْ» الـواردة في «كهيعص» فانَّ اسكـان النُّـون هذه لايبيـحُ عَدَّها مَدّاً لازما . وانّما هي مَدُّ لِينٍ لاغير . .

ومن سكون النَّصّ في التّنزيل : «قالوا يا أبانا مالَكَ لاتأْمَنّا على يوسُف» فلقد سكنت النّون دون عامـل من عوامـل الجـزم الموجبة لذلك، ويعني هذا أنَّ السُّكون جاء مَنْصوصاً عليه بالسُّكونيّة والاّ لكان سكونَ جزمٍ . .

ومن سكـون النَّصّ في التّنـزيـل أيضاً قوله تعالى «قال ما مَكَّنِي فيه رَبِّي خيرٌ فأعينوني بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْما» . . فانَّ النُّون في «مَكّن» قد سُكنت والفعل في مثل مكانه مبنيٌّ على الفتح لا على السُّكون .

فهـو هنـا سكـون نَصّ ساكن نَصّـاً . . أيْ انّـه يقـرأ بنصّـه دون تعقّب أسبـاب السُّكون . . وأصله «مَكّنَني» بنونين غير مدغمتين . .

ومن سكون النَّصّ في كلام العرب :

أبـالمـوتِ الـذي لاشَـكَّ انّي
مُلاقٍ لا أبـاك تُخَوِّفـيـنِيْ

فقد جاء الفعل المضارع «تخوِّفيني» مجزوماً بحذف النّون من دون جازم ظاهر

ولامُقَدَّر فهذا نَنْظُر اليه نظرتنا لما وقع عليه السُّكون بحكم النّصّ أي الرّواية المرويّة في نقله . . ومثل ذلك ومنه :

أبِـيـتُ أَسْـري وتَـبـيـتي تَدْلُـكـي
شَعْـرَكِ بالـعَـنْـبرِ والمِـسْـكِ الـذَّكـي

ومنه :

اذا ما غَدَوْنـا قال وِلْـدانُ حَيِّـنـا
تَعـالَـواْ الـى أن يأتِـنـا الـصَّـيْـدُ نَحْطـب

أورده في القاموس المرتّب ١ : ١٤٣ . . ونقل الدكتور محمدعوني عبدالرؤوف في «القافية والأصوات اللغوية» - ص ١٣٨ - :

انـكـمُ من بعـد أن تَزِلْـوا
عن نهـجـه وقـصـده تضـلُّوا

ونقل في اللسان :

قلت لبَـوّابٍ لديـه دارُهـا تَيـذَنْ فانّي حَمْؤُهـا وجـارهـا

وفي اللسان (١ : ٧٤٣) :

وذو الـنَّـحـبِ نُؤْمِـنْـه فيـقـضـي نذوره
لدى الـبـيض من نصـف الحنـين المقـدَّر

وجاء في أراجيزهم :

أنّحىٰ عَلَيَّ الـدَّهـرُ رِجْـلاً ويـدا
يُقْـسِـمُ لايـصـلحُ الّا أفْـسـدا
فيـصـلحُ الـيـومَ ويُفْسِـدْهُ غدا

فانه جزم الفعل «يفسده» دون جازم . . .

ولامرىء القيس:

اليومَ أشربْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ إثماً من الله ولا واغلِ

فهذا سكون نَصّيٌّ ورد فيه الفعل المضارع مجزوماً دون جازم.. والغريب ان أبا الحسن الرُمّاني النحوي - ٢٩٦ - ٣٨٤هـ علّل السكون في «أشربْ» بأنّ الشاعر أسكن الباء على التشبيه بقولهم في عضُد عضْد وفي فَهُوَ فَهْوَ.. (كتاب معاني الحروف للرّمّاني ص ٥٨)..

٣٠ - سكون الامالة:

الامالة تضجيع الألِف الى ما يشبه الفتحة أو انّها ادنى درجات الفتح بحيث يفقد الفتح فيها أثره في تفخيم الرّاء ومنه في كتاب الله مما يقرأ مُمالاً عندنا «وقال اركبوا فيها بِسْمِ اللهِ مَجْرَيْها ومُرْساها» فانَّ سكون الإمالة الذي على الياء له مَذاقٌ خاصٌ، وهو من نَمَط السُّكون الانسيابيّ الّا أنَّه لايقع فيه المدّ هنا.. ويلاحظ أنَّ الرّاء ضعف تفخيمها ويصحُّ أن يقال في ذلك انَّه تخلَّف فصار في مثل حال الرّاء المُرَقَّقة..

وذاك أنَّ الامالة تحرم الحرف المفخمَّ جانباً كبيراً من حقوق التفخيم..

ومن أجل ذلك منع سيبويه إمالةَ الألف بعد القاف في قال - مثلاً - لئلاّ تفقد القاف تفخيمها الاستعلائيّ بفعل الامالة التي من شأنها أن تصنع هذا بالمفَخَّمات..

٣١ - سكون اللِّين..

ويقع في الواو والياء عند مدِّ اللين مثل «لإِيلاف قُرَيْش» ومثل «وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْف».. وهو نمط من السُّكون الانسيابي..

٣٢ ـ السُّكون العارض[٣٢] . .

وهو سكون اراديّ يقع للحرف المُتَحرِّك الكائن وراء حرف المدّ عند ارادة الوقوف على هذا الحرف لينقلب من مَدٍّ طبيعيّ الى مَدٍّ عارض مثل: «انَّ اللّهَ مع الصّابرينْ» ـ ومثل «ومنهُمْ أُمِّيونَ لايَعْلمونَ الكِتابْ» وقد عرفنا ذلك عند دراسة المدود . .

٣٣ ـ السُّكون اللازم[٣٣]

وهو السُّكون الذي يقع به المدّ اللازم لأنّه سكون غير اراديّ ، وهو السُّكون الوحيد الذي يلتقي فيه السّاكنان على وجه ظاهر مثل: «فمن حَاجَّكَ فيه» ومثل «وما من دابَّة الاّ على الله رزقُها» ومثل «ووجدك ضالاًّ فَهَدى» و«قُلْ أَفغَيْرَ الله تأمُرُونِّي أَعْبُدُ أيُّها الجاهلون» . .

واذا عَرَضَ للسّكون اللازم أَنْ تَحَرَّكَ ظَلَّ مكانُ لزوم المدّ فيه على الوجه المقرَّر نافذاً غيرَ معطَّل ، من ذلك: «آلَمَ الله لا إلَهَ الاّ هو» قال أبو العبّاس ثعلب في قوله عَزَّ وجَلّ «آلَمَ الله»: حركة الميم ممّا اختلف الناس فيه فقال الفرّاء هو ترك همزة الألف من الله ثم وصله ، . وفي معاني القرآن له: «تركت همزة الألف من الله فصارت في الميم لسكونها» . . أيْ انّا نقرأ النَّصَّ «أَلِفْ لامْ ميمَ الله» أي « . . . مي مَلْ لاهُ» . . بمـدٍّ كامل في «ميم» وان حُرِّكَتْ بالفتح لأنّ الأصل في مدّها اللزوم . .

٣٤ ـ سكون المُجانسة . .

وهو سكون من شأنه ايجاد وحدة وتجانس صوتي بين الألفاظ ذوات الحركات الاعرابيّة المختلفة مثل «لَيْسَ في الإمْكانْ ، أَبْدَعُ ممّا كانْ» وهو من أقوال العرب ومن أمثالهم . . فانّ نون «كانَ» مفتوحة ونون الامكانِ

مكسـورة ـ هنـا ـ فجمـع بينهما السُّكون في طيب الجَرْس وتوافقه . . ومن ذلـك «يـا أبا عُمَيْرْ مافَعَلَ النُّغَيْرْ»؟ فانَّ أصل لفظه يا أباعُمَيْرٍ ما فعل النُّغَيْرُ؟ فساوى السُّكون بينهما . .

وفي القرآن الكريم من مثل هذا «فَنَظَرَ نَظْرَةً في النُّجومْ فقال إنِّي سقيمْ» فالنُّجـوم مكسـورة الميم وسقيم مضمـومة الميم . . ومثله : «وأرسل عليهم طيراً أبابيلْ ترميهمْ بحجارة من سِجِّيلْ» فان لام أبابيلِ مفتوحة ولام سجيل مكسورة فجمع السُّكون جمعاً واحدا بين نهايتي النَّصَّين . .

ومن ذلك في التَّنزيل العزيز من سورة الرَّعد. «واذا أرادَ الله بقومٍ سوءاً فلا مَرَدَّ له ومـا لَهُمْ من دونـه من والْ» وقـد تلتهـا الآيـة التَّـاليـة : «هو الذي يريكُمُ البَـرْقَ خوفـاً وطَمَعـاً ويُنْشِئُ السَّحـابَ الثِّقـالْ» فانَّ اللام في الآية الأولى مكسورة وهي في الآية الثَّانية مفتوحة . . ولكنَّ السُّكون جمع بينهما بسكون المجانسة . .

ومن سورة القمـر : «أَكُفَّـارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أولئكُمْ أَمْ لكُمْ بَراءةٌ في الـزُّبُـرْ أم يقولون نحن جميعٌ مُنْتَصِرْ. سيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلّون الدُّبُرْ» فانَّ خواتيم هذه الفـواصـل فيها المضموم والمكسور والمفتوح ولكنَّ سكون المجانسة عند الوقوف عليها جمع بينها جميعاً على حال واحدة من اللفظ . .

على أنَّ سكون المجانسة لايقع الا في المدود ولا يكون في غيرها . . فان قرأ القـارىء «ولاتَجْعَـلْ يَدَكَ مَغْلولةً الى عُنُقِكَ» بالوقوف على الكافين فانَّ السُّكـون هنـا لايكون سكون مجانسة اذ لاتتحقق المجانسة به بسبب التَّنافر بين حركة ما قبلَ الكاف في يدك وحركة ماقبل الكاف في عنقك . . ممـا سبَّب اختـلاف الجَـرْس بين الفتحـة في «يـدك». وبين الكسـرة في «عنقك» اي بين «دَكْ» وبين «قِكْ» . .

وفي «نقد الشّعر» قال ابو الفرج قُدامة بن جعفر تعليقاً على قول الشّاعر:

عذرت البُزْل لّما صاولَتْني ... فما بالي وبال ابن اللّبونْ
وماذا تبتغي الشُعراء منّي ... وقد جاوزت حَدّ الأربعينْ

قال: «فنونُ الأربعين مفتوحة ونون اللّبون مكسورة ولكنّه كأنّه وَقَفَ على القوافي فلم يحركها . . » وهو يريد ما أردناه من سكون المجانسة . .

ومن ذلك في امثالهم: «حال الجَريضْ دونَ القريضْ» فانّ الأصل في ذلك: حالَ الجريضُ دون القريضِ . .

٣٥ ـ السُّكون المُخْتَلَس . .

هو أن يُلْفَظ الحرف المتحرِّك مُبْتَلَعاً من حركته شيءٌ مثل «نَعَمْ» بفتحتين فسكون فانّ العين المتحرِّكة يمتلك الناطق أن يلفظها بجزءٍ من الحركة أي بما يسمّى بالتّسكين المُخْتَلَس[٢٤] فتبدو على حال بين السُّكون والحركة وقد فَصَّل ابن جِنّي الكلام على هذا في كتابه «سرّ الصِّناعة» . .

ولعلّ قولهم: لم يُحْرَمْ من فُصِدَ له تعاور على الصّاد فيه السُّكون والكسرة فكان السُّكون فيه سكوناً مختلساً . . وقد جاء على لسانهم بلفظ «مَنْ فُزْدَ له» بزاي مفخمة مُشَمَّةٍ رائحة الصّاد . .

وجعل ابن جِنّي من هذا الباب قوله عَزَّ اسمه: «مالك لاتَأْمَنّا على يوسف» وهو قول ردّ به على مذهب المجوِّدين والقرّاء الذين وصفوا ذلك بالاشمام وماهو به عنده[٢٥]: وانّما هو إضعاف اعتماد الحركة واخفاءٌ لها بضرب من التّخفيف . . وجعل من ذلك «إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ» فجعل نون نحن المضمومة شبه ساكنة فقال: «لابُدَّ من أن تكون النّون الأولى مُخْتَلَسة الضَّمَّة تخفيفاً وهي بِزِنَةِ المتحرِّكة فأما أن تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنة فخطأ، وقول القُرّاء إنّ هذا أو نحوه مُدْغَمٌ سَهْوٌ منهم وقصور عن ادراك حقيقة هذا

الأمر» . .

انَّ السُّكُون المختلس يكـاد يطمس على الحـركات رغم اختلاسه وهذا من دلائل غَلَبَة السُّكون على الحركة، والحركات تقوى وتضعف ومن مواقع ضعفهـا عُروض سكـون الاختـلاس لها مثـل «يـؤرّقني» التي تكلّم عليهـا سيبويه كثيرا . .

وفي العـاميـة تسمـع النّـاس يبـدأون لفظـة كتاب بكافٍ تشبه أن تكون ساكنـة، وانّـما هي متحـرِّكـةٌ حركـةً ضعيفـة بسبب ما احتكَّ بها من سكون الاختـلاس وانّـما وقـع لها هذا السُّكـون لأن الحركة كانت من التَّعَجُّل وفرط السُّرعـة بحيث أشْبَهَت السُّكـون المختلس . . واذ كنّـا عَلِمْنـا من قَبْـلُ أَنَّ السُّكون لايقع الاّ في المقاطع الزَّوجيَّة فانَّ السُّكون المختلس يقع في المقاطع الفرديَّة وهو في الواقع سكون وهميّ لأنَّ الحركة هي التي يكون الاعتماد عليها في التَّشخيص المقطعي . .

وهنـاك نوع من السُّكـون المختلس يلفـظ به الحـرف السّـاكن لفظـاً غير متكامل السُّكون على وجه من التَّخفيف فيبدو وكأنَّه قُلِبَ الى حرفٍ مُدْغم مثل «اِضْطَرَبْتُ» اذ يبدو لسامعه بلفظ «إطَّرَبْتُ» . .

ومن هذا السُّكـون سكـون التّاء في «وَدَّتْ طائفةٌ» و «فآمنتْ طائفة» ومثل ذلـك سكـون الطّـاء في «لَئِنْ بَسَطْتَ اليَّ يَدَكَ» فانَّ كُلًّا من تاء «وَدَّتْ» وطاء «بَسَطْتَ» قد لُفِـظَ بها ساكنـة سكـونـاً مختلسـاً فظنَّ من سمع ذلك أنَّ هناك حالة ادغام . .

ومثـل هذا «يَلْهَثْ ذلـك» فانَّ الثّـاء مُخْتَلَسَـة السُّكون أي انَّ سكونها نُطِقَ به ضعيفـا . . قال في «النَّشْـر» لابن الجَـزَري : «والثّـاء حرف ضعيف فاذا وقع ساكناً فَلْيُتَحَفَّظْ في بيانه لاسيَّما اذا أتى بعده حرف يقاربه، وقُرِىءَ بالاظهار

يلهث ذلك». . وبهذا يعلم أن ما سُمّيَ بادغام المتجانسين والمتقاربين لاأصل له واذ يكون الوقوف على «يلهثْ» هو الصحيح فالاستشهاد غير وارد. .

٣٦ ـ السُّكون الكاذب. .

وهو أنَّ بعض اللهجات المنقرضة كانت الألِف تُقْلَب فيها الى همزة وذلك عند الوقوف فيقال امرأةٌ حُبْلأ بدلاً من امرأة حُبْلى. . ويارَجُلأ بدلاً من يارجلا. . وهناك من أطلق على هذا النّوع من الهمزات السّاكنة مصطلح النَّبر. . وانّما سمَّيناه السُّكون الكاذب لأنّه أريد به أن يكون بديلاً عن سكون كائن في صلب اللفظ ولم يكن بديلاً عن حركة. . وفي «التَّهذيب»: وتهمز العرب لا اذا وقفوا عليها فتلفظ لأ. .

ومثل ذلك «يَضْرِبُهَأ». وجاء في الشِّعر «فخندفُ هَأمَةَ هذا العَألم». . وقالوا «بَأزٌ» أي بازٌ للطير المعروف. . وقالوا بدلاً من «قولا» «قَوْلأ». . وبَدَلاً من قولي بلفظ «قُولِئْ». . وأظنُّهم ارادوا بهذا النَّوع من الهمز التَّخلُّص من المدّ ولعلّ ذلك كان لمقاصد تعبيرية يراد بها تحديد المعنى المَعْنِيّ في اللفظ والتّركيز على شيء مما ينبيء عنه لحن القول وليس ذات اللفظ. .

ويبدو ثمّة فرق بين السُّكونين الكاذب وما وقع عليه الكذب من السُّكون الذي هو الأصل فقوله: فخندف هَأمَة هذا العَألم انّما كان الأصل فيه «فخندف هامة هذا العالم». . فان السُّكون في العالم وفي هامة كان انسيابياً فصار في العألم وفي الهأمة غير انسيابيّ. .

وليس من هذا النَّأي والنّاي فهما كلمتان موضوعتان لمعنيين متفاوتين فالنَّأي هو البعد والنّاي آلة موسيقيّة. .

٣٧ ـ السُّكون الحائر. .

وهو سكون ضمير لايُهْتَدىٰ الى القصد منه أهو في خطاب مذكّر أم هو في

خطـاب مؤنّث. . كقـولـك لمن يسمعـك فلا يدري من تخاطب: من كان عِنْدَكْ؟ باسكان الكاف ومثل وَجَدْتُكْ أهو بفتح ضمير الكاف أم بكسر هذا الضّمير. . ومن ذلـك «إنّـا رادّوه اليكْ» و «إنّما أنا رسول رَبِّكْ» لمن لم يسبق لسمعه التقاط ما قَبْلَ النّصّ وما بعده ولم يسبق له حفظه. . ومن كلام النّاس «طـابَ صبـاحُكْ» تسمعه فلا تدري هل المخاطب ذكر أم هو أنثى. . ومثله «آنَ أوانُكْ» و «هذا يومُكْ» و «أفٍّ لَكْ». .

٣٨ ـ سكـون الأعْجـاز. . أوسكون الأواخر. . وهوسكون الألفاظ المُطْلَقة اذا وردت فرادى في غير جملة أو كلام كقـولنـا «ألِفْ باءْ» وقـولنا «واحدْ اثنانْ عشرونْ ثلاثونْ» وقولنا: كتابْ بابْ سماءْ ليلْ. .

قال في «تنبيـه الغـافلين» مانصُّـه: «أسماء الحروف معربة اذ لاموجب لبنائها لكنّهـا اذا لم تَلِ العـوامـل فهي ساكنـة الأعجاز على الوقف كأسماء الأعداد وغيرها اذا خلت من العوامل». .

٣٩ ـ سكون المُضَعَّفات. .

وهو ما يكون من سكون الحرف المكرَّر المشَدَّد يوقف عليه بالسُّكون، أيْ انَّ الحـرف يتعـرَّض لسكـونين متعاقبين، ويقع ذلك في حروف القلقلة وغيرها ومنـه في التّنـزيـل «تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وتَبّ». . فانَّ هنـا سكونين أولهما على البـاء المـرتبطة بالتّاء وثانيهما السُّكونُ الكائن على الباء الأخرى التي ختمت بها الفاصلة القرآنيَّة. . وكلُّ ما كان مكرّراً من الحروف فوُقِفَ عليه نُطِقَ به ساكناً على هيئته. .

وهنـاك من يحسب النُّطق بالحـرف المكـرر السّـاكن قلقلة ان كان من حروف القلقلة، ولكنّـه ليس في الحقيقـة قلقلة بل هو النُّطق المجرَّد بالحرف. . ومَن هنـا كان من يقلقـل مُتَعَسِّفـاً في قلقلة حرف القلقلة المفـرد قد خرج به الى

حرف مُضَعَّف مكرّر . .

ومن بعض سكون المُضَعَّفات «وأَذِّنْ في النّاس بالحَجّ» فانَّ الجيم المشدَّدة نُطِقَ بحرفها المكرَّر ساكناً فَظَنَّتْ أناسٌ أنّه ذيلٌ صوتي لسكون حرفها الأول وما هو بذاك وانّما هو سكون الحرف الثّاني الذي لايمكن أن يُعَدَّ صَدىً للأوَّل بحال من الأحوال. . وان كان هناك بين الصَّوتين فرق ملحوظ . .

ومنه: «قالت رُسُلُهُمْ أفي الله شَكّ» فالسُّكون الذي على حرف الكاف الثّاني هو سكون من نمط ما نحن في صدده وليس سكون قلقلة للكاف الأوّل ولا صدى أو ذيلاً صوتيّاً له . .[٢٦] ومن نماذج سكون المُضَعَّفات:

«قال فما خَطْبُكَ يا سامِريّ» ومثله: «ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيّ» فانَّ الباء المشدَّدة وُقِفَ على حرفها المكرَّر بالسُّكون فلا بُدَّ من إبرازها وتمكين الغُنَّة فيها . . ومن ذلك «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عن ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولا جانّ» فانَّ النّون الثّانية جرى لها هذا السُّكون الذي أوْضَحَتْه غُنَّةُ الادغام ايضاحاً تامّاً أي انّه سكون غاصَ في غُنَّة الادغام لأنَّ غُنَّة الادغام تقع بين الحرفين على أنْ لايكون للحرف الثّاني دورٌ في شيء من ذلك وكل مهمَّة هذا الحرف هنا مهمّةٌ شكليّة تستوجب ظهور صوتٍ مُعَيَّنٍ مقرَّر[٢٧] وعند مقارنة هذا السُّكون بسكون الاظهار يبدو الفرق كبيراً بينهما فانَّ سكون الاظهار على خِفَّتِهِ مُتَمَكِّنٌ في النُّطق والسَّمع ولكنَّ سكون المضعَّفات فيه شيء من التَّكلُّف بسبب تتابع السُّكونين عليه . .

وهكذا فالفرق ظاهر بين قولنا «صِرْ» للأمر من الصَّيرورة وبين قولنا «صِرّ» للرّيح الشّديدة المعلومة فتلك براءٍ واحدة وهذه براءين تعاقب عليهما السُّكون . . فلا بُدَّ من التَّمييز بين الحرف السّاكن المكرَّر وبين الحرف السّاكن غير المكرَّر مالم يرد التَّخفيف . .

قال الباردوي التُونسي في كتابه «تعليم القاري» ـ طبع بمطبعة الدولة التُونسيَّة سنة ١٢٩٤هـ : «اعلم أنَّ الوقف علي المشدَّد فيه صعوبة على اللسان اذ فيه النُطق بساكنين غير منفصلين لأنَّ المشدَّد أوّله ساكن فاذا سكنْت الآخر صار اللسان يلفظ بساكنين غير منفصلين دفعة واحدة وهو في غاية الصُعوبة ولهذا لايُحْسِنُه كثير من النّاس فنجدهم اذا وقفوا على مثل وَليٍّ وخَفِيٍّ ونَبِيّ يقفون على لامٍ مكسورة أو فاءٍ مكسورة أو باءٍ مكسورة بعدها ياء ساكنة . .

واذا وقفوا على نحو مُسْتَمِرٍّ والحَقِّ والدَّوابُّ وصَوافُّ وجانٌ وغيرَ مُضارٍّ وقفوا على حرف ساكن من غير تشديد أو حَرَّكوه حركةً كاملةً مع التَّشديد فراراً مّما فيه من الثِّقَلِ وهذا كله خطأ لايجوز بل لابُدَّ من الوقوف على مثل هذا بالتَّشديد لأنَّ الحرف المشدَّد من حرفين فانَّ ترك التَّشديد تركُ لحرف من كلام الله»[٢٨] . .

٤٠ ـ سكون الاقلاب . .

ويكون في التّاءات المدوَّرة ـ المربوطة ـ اذا وُقِفَ عليها، وذاك انّما يوقف عليها بلفظ الهاء . . مثل : «ولَتَجِدَنَّهُمْ أحْرَصَ النّاس على حَياةْ» و«إلاّ أن تَتَّقُوا منهمْ تُقاةْ» و«فانْ تابوا وأَقاموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاةْ» . . فان هذه التّاءات تلفظ في حالة السّكون هاءات وان أُثْبِتَتْ عليها النُقطتان . . ـ

ولايكون ذلك في التّاءات المبسوطة مثل سُبات وميقات وبنات ورُفات وأُشتات ونحو ذلك وان كان في العربِ من وَقَفَ على التّاءات المبسوطة وقوفه على التّاءات المربوطة، وكذلك من وقف على التّاءات المربوطة وقوفه على المبسوطة دون قلبها الى هاء . .

٤١ ـ سكون الادغام الافتعالي . .

وهـو سكـون اعتبـاطيّ يؤتى به لايجـاد حالـة ادغام غير معتاد مثل «الرَّحْمٰنِ الرَّحيمْ مالكِ يومِ الدِّين» فقد سكِّنت ميم «الرَّحيم» في الدَّرج فأدغمت في ميم «مالك» في حين أنَّ ميم الرَّحيم حقّها الحركة عند الدَّرج وليس السُّكون . .

وفي هذه الحالة يقع مدٌّ لازمٌ في الرَّحيم وهو من ملحقات هذا المدّ . .

وبعض أنـواع الادغـام الافتعـالي يقـع فيه الادغام وحده دون شيء من المدّ غير المعتـاد . . ومنـه «ومن يَبْتَـغْ غَيْرَ الاسـلام دينـا» فانَّ اسكـان الغـين في «يبْتَـغِ » فتصـير «يبْتَـغْ» يؤهّل الغين للادغام في غين «غير» ومنه: أَوَلَمْ يَهْدِ للذين يَرِثـونَ الأرض من بعـد أهلهـا أنْ لو نَشَـاءْ أصبنـاهُمْ بذُنـوبِهِمْ» فان اسكـانَ همزة «نشـاء» مكّنتهـا من الادغـام في همزة «أصبناهم» ومثل ذلك: «وهو الذي في السَّماءْ إلٰه وفي الارض إلٰه» فانَّ همزة السَّماء حين سكِّنت أمكن لها الادغام في همزة إلٰه . . .

وانّما يكون ذلك مقبولاً في وقوع السُّكون حيث يمكن الوقوف على اللفظ فَيُعْدَل عنه . .

أمـا الادغـام بين راء «شهـر» وراء «رمضان» في «شهر رمضان» فانه يجرّ الى وقـوع سكـون الادغـام الافتعـالي على هذه الحالة، وهذا غير صحيح لأنـه يُسْقـط القيمَ الإعـرابيـة للألفـاظ اذ لايُعْلم أراء «شهـر» مفتـوحـة أم مضمـومـة، كمـا أنَـهُ يؤدّي الى ابتلاع راء «شَهْرْ» رَغْمَ زَعْم إدغامها في راء «رَمَضان» وقد قال علماء الأصوات في قراءة من قرأ ذلك انه استثناء لايرقى الى مستوى القاعدة العامّة . .

وكان النحاة قد رفضوا ذلك وأنكروا على من قرأ النَّصَّ بسكون الادغام الافتعـالي قراءتَـه هذه . . وانَّ زَعْمَ القـارىء أنّ ذلـك ممـا فعله الـرسـول

الأعظم صلى الله عليه وسلم زعمٌ لايملك إقامة الدليل على تحققه . فهو ادّعاءٌ غير مُتَيَقَّن . . والأصل الذي يتمّ الاعتماد عليه هو قوله تعالى «وأنْزَلْنا اليك الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنّاس ما نُزِّل اليهم» ـ سورة النّحل ٤٤ ـ ووصف الله كتابه بأنّه عربيٌّ غير ذي عِوَج يؤكّد أنّه منضبط الألفاظ وَفْقَ ما اطّرد من كلام العرب في أطُره اللغويّة . .

والتّبْيِيْنُ انّما يكون بإقامة ميزان النّحو في الكلام لِيُعْلَمَ الفاعلُ والمفعول والمبتدأ والخبر . . وهو ما وَقَفَ النُّحاة في مواجهته بقُوَّة ، فلا يصحّ الاستخفاف بموازين النّحو التي كان الاستقراء فيها دقيقاً وتامّاً لاناقصاً . .

وما زعمه قوم من أن النّبيّ تلا «شهر رمضان» باسكان الراء في «شهر» لادليل على وقوع الحاجة لمثله في ضرورات التعبير والأداء الصّوتيّ . . وزَعْمُ التواتر من قبل هذا وذاك مردود في هذه المواقع ، لأنَّ تلاوةً مثل هذه لامزيد فيها من المعاني في فِقْهٍ أو تشريع . .

ولايقع الادغام الافتعالي بين حرفين ليسا حرفا بعينه ، وان تقاربا أوتجانسا في مثل «أنْقَضَ ظَهْرَك» فانَّ اسكان الضّاد لايبيح الادغام بينها وبين الظّاء ، . وان ظُنَّ في السّمع شيء من ذلك . .

غير أنَّ هناك من تَعَسَّفَ في اقلاب حروف متحرِّكة ليتّخذ منها مجالاً ادغامياً لاتدعو اليه ضرورة من الضّرورات ولكنه الاعتباط المحض لاغير . . ومن بعض ذلك ـ والتّفصيل مثبت في باب الاقلاب من هذا الكتاب ـ :

«فَمَنْ زُحْزِحَ عن النّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فقد فاز» فانهم قَلَبوا حاء زحزح الثّانية ـ بعد اسكانها ـ الى عين ثُمَّ ادغموها في عين «عَنْ» فقالوا «زُحْزِعْ عَن النّار» وكان اللفظ الذي لفظوه : «زُحْزِعَّن النّار» . . ومن ذلك «من اللّهِ ذي المعارج

تعرج الملائكة والرّوح اليه» فقدَ سكّنوا جيم المعارج في الدَّرج ثم قلبوها الى تاءٍ ادغمــوهــا في تاء «تعــرج» فصــارت: «ذي المعـارتْ تَعْـرُج» أي «ذي المَعـارِتَعْـرُج» بتشـديـد التّـاء.. ومنه «ثُمَّ لم يأتوا بأرْبَعَةِ شهداء» فسكنوا تاء أربعة ثم قلبوها الى شين فقالوا «بأرْبَعَشْ شُهداء» وقرأوها «بأرْبَعَشُّهدَاء»

٤٢ ـ السُّكونَ على نِيَّة الوقف..

وهـو ما يقـع من السُّكـون حالةَ الدَّرج بسبب أنَّ المتكلّم أراد الوقف غير أنّه بعد أن أراده عَدَلَ عنه فاستَمَرَّ في كلامه فكان حاله حال من يريد أن يعربَه فيعجمُـه.. ومن نماذج ذلـك: «مـالِقَيْصرْ لقيصرْ وما للّهْ للّهْ» باسكان قيصر الأولى التي من حقِّها الحركةَ عند الدّرج، واسكان لفظ الجلالة الأولى التي من حَقِّها ـ كذلك ـ الحركةَ عند الدَّرج.. وهذه مقولة جارية مجرى الأمثال وهي من كلمات الانجيل..

ومن هذا تسكين الميم من «لِمْ» في قول الشّاعر:

يا أبــا الأسْـوَدِ لِمْ خلَّيْـتَـني لهمـومٍ طارقـاتٍ وذِكَـرْ

اذ قالوا انه سكَّن الميم في «لِمَ» إجراءاً للوصل مجرى الوقف..

ولا يجـوز السُّكـون في القـرآن على نيَّـة الـوقف عنـد التّـلاوة المجوَّدة أي المقروءة بالنَّغَم فان نوى القارىء الوَقْف وَقَف لأنَّ في ذلك اخلالاً بالقواعد الإعْـرابيَّـة التي هي موازين الكـلام.. فان قَرأ هَذَا وعلى وجه الدَّرج قصد الحفظ وضبطِه كأنْ يقرأ: «والذين يقولون رَبَّنا اصرفْ عَنّا عذابَ جَهَنَّمَ انَّ عذابها كان غَراما» باسكان الميم في جَهَنَّمْ على وجه الوقوف ثمَّ العدول عنه بمقتضى حالـة المـداورة في نطق الألفـاظ جاز ذلـك على أن لايكـون قصد

التّعليم والتّلقين والتّعبّد والتلاوة . . اذ سيأتي التّلقين به للمتعلّمين غير منضبط بالضّوابط النّحوية فيغيب على المتلقّن ماهو معرب وما هو مبنيّ . .

٤٣ ـ سكون التّفاعيل العروضيّة . . وهو مايعرض للتفعيلة العروضيّة من سكون يغيّر جَرْسِ الوزن كالسُّكون الواقع على تاء «مُتَفاعِلُنْ» ـ ٢١٢١١ ـ فتصير «مُتْ فاعِلُنْ» ـ ٢١٢٢ ـ ويقال لذلك في المصطلحات العروضيّة «الإضمار».

ومثل السُّكون الواقع على لام «مُفاعَلَتُنْ» ـ ٢١١٢١ ـ فتصير «مُفاعَلْ تُنْ» ـ ٢٢٢١ ـ وهو ما يقال له في مصطلح العروضيّين «العَصْب» . . فاذا قالوا «مَفاعِلْ» ـ ٢٢١ ـ باسكان اللام قيل لذلك «القَطْف» . . والى غير ذلك[٣٠] . .

ومن هذا الباب السُّكون الدّائم في نونات التّفاعيل فانّ كل ما كان هناك من نون فهي ساكنة مثل: فَعْ لن وفَعِلُنْ وفاعلاتُنْ وفعولن ومفتعلن وفاعلانْ وفعلاتن ومفاعلن وفعلتن . . كما أنَّ كُلَّ لام منعزلة داخل التفعيلة تعدّ ساكنة مثل مفاعَلْ تن ـ ٢٢٢١ ـ والتي هي تفعيلة بديلة لمفاعلتن ـ ٢١١٢١ ـ

وكلّ تاءٍ منفردة داخل التّفعيلة تكون ساكنة حتماً مثل مُتْ فاعلن ـ ٢١٢٢ ـ التي هي تفعيلة بديلة لمتفاعلن ـ ٢١٢١١ ـ أما التّاءات في نهاية التّفعيلة فهي محرّكة مثل: فاعلاتُ وفعلات فان أريد تسكينها استعيض عنها بفاعلانْ وفَعِلانْ ولايقال فاعلاتْ وفعلاتْ . .

كذلك كل عين منعزلة عما بعدها فهي ساكنة مثل فَعْ لُنْ ومفتعْ لَنْ وفَعْ لاتن . .

٤٤ ـ سكون الأطلاق . .

اذا قلنا «تَمَكَّنَ» فانَّ النّون في حالة حركة بالفتحة فاذا سكنّاها بسبب الوقف وغيره قلنا «تَمَكَّنْ» . . فان أضفنا اليها أَلِفَ الإطلاق قلنا «تَمَكَّنا» ـ ويكون

ذلـك في الضُّـروب الشِّعريَّة والأعاريض المُصَرَّعة ـ فانَّه سكون عرض للفظِ ختمت به حروفـه وان كانت النُّـون ما تبرح محرُكـةً بالفتحة ولكن يقال لهذا السُّكون سكون الاطلاق . . فان قيل «تَمَكّنا» ويراد بذلك الكلام على اثنين فليس هو بسكون الاطلاق، . ومثله «لم يَتَمَكَّنا» . .

والمـراد بسكـون الاطـلاق أنَّك لاتسكِّن الحرف بشيء من السُّكون وانَّما تضيف الى الحـرف ألف الاطـلاق فيتأتّى بذلك اختتامه بالسُّكون الذي هو سكون الاطلاق، . فانّك لاتريد الاّ أن تقول «تَمَكَّنَ» بنون مفتوحة أوساكنة «تَمَكَّنْ» . . فسـاقَـكَ الضَّـرْب الشِّعـري الى الانتقال من حركة الفتحة التي على النَّون أو السكون الذي عليها الى سكون لاحِقٍ لايقع للنّون المتحركة ان كانـت متـحـركـة ولا الـسَّـاكـنـة ان كانـت ساكـنـة ولكنَّـه يقـع على حرف الألف الآتي بعـد النـون، والألف ساكنـة أبـدا . . ولايكون سكون الاطلاق الاّ عند الوقف وأما عند الوصل فينعدم . . [٣١] وفي القـرآن الكـريم من ذاك «فعصى فرعـون الـرَّسـولا» . . في المُـزَّمِّـل ومثـل «قـواريرا» في الدَّهر عند الوقوف . . ومثل «وعاداً وثمودا» في غير الوصل . .

٤٥ ـ السّكون البَديل . .

ويقـع في هاءات السَّكْت . . فانَّـك ان قلت «هـذا كتـابي» فلقد نطقت ياء الضَّمـير ساكنـة على الحـالـة التي هي عليها اذ إنَّها مبنيَّة على السُّكون فان حَرَّكْتَها فقلت كتابِيَ بياء مفتوحة كان لك ذلك في الدَّرج لافي الوقف، فان شئت أن تقف دون أن تريـد النُّطق باليـاء على بنـائها السُّكوني أضفت هاء السَّكْت اليهـا ـ وهي هاء ساكنـة على البنـاء ـ قلتَ: «هذا كتابِيَهْ» . . ومن ذلك في التّنْزيل العزيز «ما أَغْنىٰ عَنّي مالِيَهْ هَلَكَ عَنّي سُلْطانِيَهْ» أي ما أغنى عنّي مالي، هَلَكَ عَنّي سُلْطاني . . فالذي كان هنا أنّا انتقلنا من الوقوف على

سكون أهملناه، الى الوقف على سكون حققْناه من طريق هاء السَّكت فهو سكونٌ بديل عن سكون . .

٤٦ ـ السُّكون الازدواجي . .

وهو من فصيلة المشاكلة في الألفاظ . . ومنه تسكين كلمة المَرَج ـ أي تسكين راء الكلمة ـ في حين أنها بالفتح والتَّحْريك . . وانَّما جرى تسكينها تَبَعاً لكَلمة الهَـرْج السَّاكنة الرَّاء . . قال في مختار الصّحاح «ومنه الهَرْجُ والمَرْج . . وتسكين المرج للازدواج» . .

٤٧ ـ السُّكـون المأذون به عن أَصْـلٍ متحـرِّك . . وهو سكون يقع على وجه الاختيار، أي انَّ لك تسكين ماهو متحرِّك . . قال في مختار الصِّحاح «ورجُلٌ قَوُول وقـومٌ قُوُلٌ مثـل صَبـور وصُبُر وان شئت سَكَّنت الواو» . . وفيه «ونِسْوَةٌ عُقُمٌ بضمَّتـين وقـد يسكَّن» وفيـه «النَّـاس في هذا الأمر شَرَعٌ أي سواء يحرَّك ويُسَكَّن» . . وفيـه «وأرض جُرُزٌ وجُـرْزٌ كعُسُر وعُسْر» . . وفيه «والجُرُف بضمِّ الـرّاء وسكـونها» وفيه «والقَدَر والقَدْر ايضاً ما يقدِّره الله من القضاء» . . وفيه «السَّحَنَـة : الهيئـة وقـد تُسَكَّن» . . ولايقـع هذا السُّكـون الاّ في ألفـاظ نَصّـوا على ورودهـا بلغتـين «التَّحـريـك والتسكـين» فيكون للنّاطق بها أن يسكِّـن . . ففـي مختـار الصِّحـاح «الشَّغْب بالتَّسكـين ولايقـال شَغَب بالتَّحـريـك» مما يفهم منـه أنَّ الأمْـرَ في هذه الصِّيَـغ ليس قيـاسيّاً . . و«جَزَرُ السِّباع : اللَّحم الذي تأكله ، يقال تركوهم جَزَراً بفتح الزّاي اذا قتلوهم . . » وقال في الجزور «والجمع جُزُرٌ بضَمَّتين» فنَصَّ على التَّحريك دون التَّسكين فلا اختيار هنا للسكون [٣١]

٤٨ ـ سكون التَّمييز وتصحيح الألفاظ . . ويمكن تسميته بسكون المعاني ، . وهـو ماكـان من نحو الدَّأْب باسكان الهمزة التي بعد الدال بمعنى العادة . .

فلقد ميز السكون هذا الحرف عن كلمة الدَّأب بفتح الهمزة، ولفظها هذا يعني الاستمرار. فلولا السُّكون هناك والحركة هنا لما تَميَّزَ لفظ عن لفظ، ومثل ذلك عَرْضٌ وعَرَضٌ.. وأَدْبٌ وأَدَب ورَكْبٌ وزَكَبٌ وحَرْبٌ وحَرَبٌ وحَمْلٌ وحَمَل وبَرْدٌ وبَرَدٌ وضَرْبٌ وضَرَب وسِرْبٌ وسَرَبٌ ونَفْسٌ ونَفَسٌ ووَهْمٌ ووَهَمٌ وجَرْسٌ وجَرَسٌ..

ومن ذلك النَّجْرُ وهو داء يصيب الابل والغنم وهو غير النَّجَر الذي يعني أن يشرب الانسانُ اللَّبَن الحامض من شدَّة الحرّ فلا يَرْوىٰ.. ومثله الرَّبْض وهو مكان مربض الغنم والرَّبَضُ وهو ما تَحَوّىٰ من مصارين البطن..

فهذه السكونات تحقق بها معنىً لم يَتَحقَّق بالذَّات مع الحركة اذ كانت للألفاظ المحركة الحروف معانٍ غير المعاني الكائنة في الألفاظ السَّواكن الحروف..

٤٩ ـ سكون التَّسْهيل..

وهو سكون تسامُحِيٌّ يقع فيه للهمزة التي على الألف والواو والياء أن تقلب الى مثل هذه الحروف ومن ذلك رَأْس فانا نقول كذلك راس وبهذا ينقلب السُّكون غير الانسيابي في همزة رأس الى سكون انسيابيّ بسبب الألف التي سهِّلت بها الهمزة.. ومثل ذلك «قد بَلَغْنا به المُنى والسُّولا» ولا يشترط في الهمزة قصدَ تسهيلها أن تكون ساكنة فقد تكون متحرِّكة فتسهَّل في مثل قوله:

«لِمَنْ جيرةٌ سيلوا النَّوالَ فلم يُنْطوا» أي سئلوا النَّوال فلم يعطوا..

٥٠ ـ السُّكون التَّميميّ.. وهو سكون ربيعة أيضا..

بعض الثُّلاثيّات يسكن حرفها الثَّاني بمقتضى لغات قبائليَّة معروفة اذ تسكِّن تميم سكون بناءٍ حرفَ الميم في حُمُر فتقول حُمْر، والرَّاء في فُرُش فتقول

نُرْش والباء في حُبُك فتقول حُبْك . .

ومن ذلك سكون الوقف على المفتوح الممدود مثل «ماهذا رجلاً» فانَّ تميماً تقرأها «ماهذا رَجُلْ» عند الوقوف ومنه قول الشّاعر:

أَبُنَيَّ لاتَظْلِمْ بمَكَّةَ لا الصَّغيرَ ولا الكبيرْ

وكذلك تفعل «ربيعة» اذ تقف على المنصوب بالسُّكون، وفي «الوضع الجديد» قال «ومع أنّ التَّجويد لم يترك فيه لذي كلام مقالَ شِدَّةُ اعتناء من قام بأمره من الرجال» أراد «مقالاً» وليس هذا من نمط سكون المجانسة ومن ذلك في الحديث النّبوي «كم اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم قال أَرْبَعْ» أي أَرْبَعاً على هذه اللغة . .

وفي شرح شافية ابن الحاجب نقل شعراً للأَعْشىٰ ميمون جاء فيه: «وآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ» قال على أنَّ أصله عُصُماً ووقف عليه في لغة ربيعة بالسُّكون فانّهم يجيزون تسكين المنصوب المُنَوَّن في الوقف . .

٥١ ـ سكون المتحرِّك الادغامي . .

الأصل في الادغام أن يكون بين حرف ساكن وآخر متحرِّك . . ولكن حين يسكَّن المتحرك يَظَلُّ الادغام قائماً على ذات الحالة، فاذا قلت «استَقَلَّ» فانَّ الادغام كائن في اللام واللام لأنَّ الأولى ساكنة والأخرى متحرِّكة . . ولكنّا اذا سَكَّنّا الثّانية لم تتغيّرْ صفة الادغام فيها فنقول «استَقَلّ» بتسكين اللام التي كانت متحرِّكة فنرى الادغام هو هو . .

٥٢ ـ سكون التَّفْويف . .

وهو سكون تَتَابع عليه الألفاظ في الشِّعر رغم جريانه والاسترسال فيه دون الوقوف عليه ـ وهو غير سكون الانشاد ـ ومنه لِسَلْم الخاسِر في الخليفة العباسي:

موسى المَطَرْ غيثٌ بَكَرْ ثم انْهَمَرْ ألْوى المِرَزْ
ثُمّ اعتَسَرْ، ثُمّ اتْسَرْ وكم قَدَرْ ثُمّ غَفَرْ

فهذه الألفاظ ساكنة الأواخر في غير الوقوف . .

ومثله ـ للقهستاني ـ:

فنعرتُ نعرة عاشقٍ قَمَرَ القَمَرْ، قَمَرَ القَمَرْ

ومنه:

سِرْ يا بَطَلْ، نَحْوَ الأمَلْ ولاتَكُنْ كَسْلانا

٥٢ ـ سكون المقصورات او سكون التَّعَذُّر . . ويقع في الألفاظ ذوات الألف مثل الفتى والنّدى ويرى ويهْوى فانّ اعراب هذه يكون بتقدير الحركة على السُّكون وقد كان التَّعَذُّر سبباً لعدم ظهور الحركة الاعرابيّة على الألف السّاكنة.

٥٤ ـ سكونُ المنقوصات أوسكون الثِّقَل . . ويكون في الألفاظ المنقوصة التي تقدَّر عليها الحركات بسبب الثِّقل الذي يمنع ظهورها مثل «جاء القاضي» فقد وجدوا الضَّمَّة ثقيلة في النُّطق فاتخذوا السُّكون بدلاً منها . .

ولكنه سمع ما هوغير ساكن من هذه الألفاظ في قول الشاعر الجاهلي:

هل الليالِيُ والأيّامُ عائدةٌ
اذ نحن فيها ولَيْلىٰ جيرةٌ خُلُطُ

٥٥ ـ سكون ضمير التَّثنية:

وهوعلى هيئة سكون الاطلاق الآ أنّه علامة اعرابية خلافاً لألف الاطلاق التي لاشأن لها في الاعراب . . ومن ذلك «المسافران قَدِمَا» فالألف هنا مبنيَّةٌ على السُّكون وهي في الإعراب «فاعل» محله الرَّفع أما أَلِفُ الاطلاق وقد مرَّ

القول عليها فمن نماذجها . .

مع السّلامة يامن سار مرتحلا
عَنّا وأهلاً وسهلاً بالذي قَدِمَا

فانَّ السُّكون على أَلِف «قَدِما» الاطلاقية غيره على ألف التّثنية الذي يحصى في جماعة الضّمائر حين نقول: «المسافران قَدِما» . .

٥٦ ـ سكون ياء التّأنيث الاعتباطي . .

ويكون في مثل قول القائل: «أَخَذْتيه» وهو لغة في «أَخَذْتِه» بكسر التّاء في مخاطبة الأنثى في حين أنَّ تاء الضّمير المكسورة كافية في الدّلالة على أنْثويّة الجهة المخاطَبة فلا حاجة اذن لاستعمال الياء ليقال «أخذتيه» الاّ لإقامة وزن أو استعمال لهجة من اللهجات لايُراد لها الاماتة . .

٥٧ ـ سكون النّقل والمزاحفة . .

وقد جرى الكلام عليه في تَخَلُّف السُّكون ـ أول مباحث السُّكون ـ وقد ذكروا أنَّ هناك من قرأ «والعَصْرِ» بلفظ: «والعَصِرْ» باسكان الرّاء وذلك نقلاً لكسرة الصّاد الى الرّاء، وهو مذهب العامَّة في نقل الحركات . .

٥٨ ـ سكون السّكت على لام التّعريف قبلَ الهمزة في مثل الأرض والأمر . . وهو سكون نسبوه الى حمزة أحد القُرّاء . .

٥٩ ـ سكون التّشديد الافتعاليّ . .

فسَّره في هامش « الوضع الجديد» بأنّه تشديد الحرف الموقوف عليه كقولهم: «هذا عُمَرّ» بتشديد الرّاء . . و«أعْطني أَبْيَضّ» بتشديد الضّاد . . قال وذكره سيبويه في الكتاب ـ ج ٢ ص ٢٨٣ ـ وابن الأنباري في ص ٣٩٠ من كتاب الايضاح . .

وفي الشّعر ما قريء على هذا الوجه ولايصحّ القياس عليه:

أرَتْـنـي حِجْـلاً على ساقِـهـا
فهشَّ الـفـؤادِ لذاك الـحِـجِـلّ

فقـلت ولـم أخْـفِ من صاحـبـي
ألا بِأبـي أصـلَ تلك الـرِّجِـلّ

ومنـه تشـديـد الـرّاء في «مُسْتَطَـرّ» في سورة القمر. وقد سمّاه مؤلف «الوضع الجـديـد» سكون التّضعيف.. ورجّحْنـا مصطلح التّشـديـد لظهـور مذاق الشّـدّة في الحـرف المُشَـدَّد[٣٣]. وللتّمييـز بين هذا السُّكـون وبـين ما سمّيناه سكـون المُضَعَّفات وقد مرَّ القول عليه ـ هو السُّكون الثّالث والثلاثون ـ..

٦٠ ـ السُّكون المانع من الامالة (لدى من يأخذون بالامالة في القراءة) هـو مثل عيسى بن مريم قال في «الوضع الجديد»: لايُمال ماكموسى الهُدى، وعيسى بن مريم لأجل السُّكون المتصل به..» وفي ـ ص ١٧٩ منه ـ قال: «وقد نصُّوا أنَّ التّنوين وكذلك السّاكن أيّاً كان يمنع الأمالة في حالة الوصل»..

٦١ ـ سكون القافية..

قال لبيد:

يتـمارى في الـذي قلت له ولـقـد يسـمـع قولي حَيَّـهَـلْ

قال في اللسـان «انّـما سكنّـه للقافية» اذ أصل لفظه «حَيَّ هَلاً».. وهذا غير السُّكون في الضّرورات الشّعريّة.

٦٢ ـ السُّكون على غير قياس..

في مختـار الصِّحـاح: «يقـال نعـوذ بالله من قَرَع الفِنـاء وصَفَـر الانـاء» وقـال «ثعلب»: نعوذ بالله من قَرْع الفِناء بالتّسكين على غير قياس.. اذ لفظ لفظ القَرَع المحركة قَرْعاً بتسكين الرّاء على غير قياس..

ومن هذا البـاب قولهم في النِّسبـة الى الحَـرّم جِرْميّ وجِرْمِيَّة . . فلقد سكنوا الـرّاء في الحَـرَم عنـد النِّسبـة اليه . . وان قال قوم انَّ النِّسبة هنا الى الحُرْمة . .

٦٣ ـ السُّكون الذي تباح حركته . .

قال في القـامـوس : «الرَّتْعَة ـ بسكون التّاء ـ الاتّساع في الخِصْب ويحرَّك» أي يلفظ الرَّتَعَة . . وفي «مختار الصِّحاح» نجد قوله : «وذهب دَمُه هَدْراً بسكون الدّال وفتحها اي باطلا ليس فيه قَوَد ولا عَقْل . . »

وفي «اللِّسـان» الكُفْء والكُفُءُ بسكـون الفـاء وضَمِّهـا وفي «القـاموس» : «الشَّغْبُ ويحـرَّك وقيـلَ لا» . . وفي مختـار الصحـاح «والنَّهْـر بسكـون الـهـاء وفـتـحـهـا» «فـيـه : «وقَـدْر الـشّـيء مبـلغـه» . قلت : وهو بسكون الدّال وفتحها ذكره في التَّهْذيب والمُجْمَل» .

وفي مختـار الصِّحـاح «قـوم شَجْعَـة وشَجَعة بفتحتين» . . و« جَرْزٌ وجَرَزٌ كنَهْر ونَهَر» . . وفيه «سُدْس الشَّيء بسكون الدال وضَمِّها . . وفيه : «وكذا السَّحْر بالفتح وجمعه سُحُور كَفَلْس وفُلُوس . وقد يحرَّك لمكان حرف الحَلْق فيه فيقال سَحْر وسَحَر كنَهْر ونَهَر» . . وفيه : «السُّحْت بسكون الحاء وضَمِّها : الحرام» . .

وسمَّى في مختـار الصحـاح حالة التَّسكين بعد الحركة بالتَّثقيل قال : «قال عيسى بن عمـر : كل اسم على ثلاثـة أحـرف أوَّلـه مضموم وأوسطهُ ساكن فمن العرب من يخفِّفه ومنهم من يُثَقِّله مثل عُسْر وعُسُر ورُحْم ورُحُم وحُلْم وحُلُم» . .

٦٤ ـ سكون القطع في الاضافة . . ويسمّى كذلك سكون الانتظار . .

وهـو سكـون يقـع بسبب قطـع الاضافة والغاء المضاف اليه ومنه في التَّنزيل العـزيـز عنـد الـوقـوف «فيقـولُ رَبّي أكْرَمَنْ» . ومنه «لكم دينكم وليَ دينْ» . .

وفي الشعر لامرىء القيس:

- أَحَنْظَلُ لَوْحاميتمُ وصَبَرْتُمُ   لأثْنَيْتُ خيراً صالحاً ولأَرْضانْ

أي ولأرضاني.. ومنه:

أَبْلغ النّعمان عنيّ مَأْلُكاً   أَنَّه قد طال حَبْسي وانتظارْ

أي «وانتظاري»..

ومنه للبيد:

انّ تقوى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ
وبِإذن الله ريثي وعَجَلْ

أيْ وعَجَلي..

٦٥ ـ السّكون بسبب كثرة الحركات..

في مختار الصِّحاح ـ في الكلام على عَشْر ـ «ومن العرب من يسكِّن العين لطول الاسم وكثرة حركاته فتقول أَحَدَ عْشَرَ وكذا الى تِسْعَةَ عْشَرَ الاّ اثني عشر فانَّ العين منه لاتسكَّن لسكون الألف والياء قبلها..

٦٦ ـ سكون أهل الحجاز في عَشْرة..

في مختار الصِّحاح ـ في الكلام على عَشْر ـ: «وتقول احدى عَشِرَةَ امرأةً بكسر الشِّين وان شئت سكَّنت الى تِسْعَ عَشْرة.. والكسرُ لأهل نجد والتَّسكين لأهل الحجاز..

٦٧ ـ السُّكون المستقبح..

قال الأصمعي تعقيباً على القول المنسوب لأعشى هَمْدان:

«مَنْ رَأى لي غُزَيِّلي أَرْبَحَ اللّهَ تجارتُه»

قال الأصمعي: «ياسبحان الله يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ويسكِّن الهاء ويرفع تجارته وهو منصوب»!!

٦٨ ـ سكون التَّثاقل . .

قال ابن جنّي في المحتسب : «ان العرب اذا أخبرت عن الشيء غير معتمدتِهِ ولامعتـزمـةٍ عليه أسرعت فيه ولم تَتَأنَّ على اللفظ المُعَبَّرِ به عنه ، وذلك كقوله قُلنا لها قفي فقالت قافْ . . معناه وقفت فاقتصر من جملة الكلمة على حرف منهـا تهاونـاً بالحـال وتثـاقـلاً عن الاجابة واعتماد المقال . . الى آخر ماذكره ـ أورده في شافية ابن الحاجب ـ . .

٦٩ ـ سكون التَّوَهُّم . .

اورد في شرح شافية ابن الحاجب :

قالـت سليـمـى اشـترْ لنـا دقـيـقـا
وهـات خبـز الـبرُّ أو سويـقـا

ثم قال : على أنَّ الشَّـاعـر سكَّن الـرَّاء وهي عين الفعل وكان حقُّها الكسرُ، كأنَّه تَوَهَّم أنها لام الفعل فسكَّن للأمر . .

ومثله :

فَاحْـذَرْ ولاتَـكْـتَرْ كَرِيّـاً أهـوجـا
عِلْجـاً اذا ساقَ بنـا عَفَـنـجَـجـا

٧٠ ـ السكون الممنوع :

قال ابن جِنّي في المحتسب عند توجيه قراءة «ياحَسْرَهْ ـ بقلب التّاء هاءا ـ على العِباد» : قال «قرأ جماعة «ياحَسْرَة» بالهاء ساكنة وفيه نظر لأنَّ قوله على العباد متعلق بها أو صفة لها وكلاهما لا يَحْسُن الوقوف عليه دونه . .

٧١ ـ سكون العوامّ . .

لاتعـرف العـوامُّ الحـالات الإعـرابيَّـة في كلامها ولذا يكثر لديها التَّحلُّل من

الحركات في ألفاظها فتسكّن الاسم والفعل والمثنّى والجمع. . فلا تعرف أن تقول: «مِثْلَما» وانّما تقول «مِثْلْ ما» ولاتعرف أن تقول «أَكَلْتُ أربعَ تُفّاحاتٍ» وانّما تقول «أكلتْ أَرْبَعْ تِفّاحاتْ» وكل ذلك عندهم شيء واحد في الفصل والوصل. .

٧٢ ـ سكون الفصل في الأتساع:

وهو سكون تجزئة الألفاظ القرآنية بمقتضى إحصاء الحروف في المصحف. .[٣٤]

قال في مجالس ثعلب ـ ص ٦٨ ـ «والتّسع الأوّل ينتهي الى بعض مائة وثلاث وأربعين من سورة آل عمران عند قوله تعالى «فقد رأيتموه وأ» وصارت «نْتُمْ تَنْظُرون». . من التّسع الثّاني. .

وفي ص ـ ٦٩ ـ قال «والتّسع الخامس ينتهي الى بعض ثمان وعشرين آية من سورة الحج عند «وأُحِلّت لكم الأ» وصارت «نْعامُ» من التّسع السادس. .

٧٣ ـ سكون التّقليل:

في مجالس ثعلب ـ ٢١١ ـ ماخلاصته: في «خَرِّبوا» أكثروا الخراب. . وفي «أَخْرَبوا» أراد قلّلوا الخراب. .

وهذا نوع من السُّكون على رفضنا أن يكون الشاهد فيه ما أورده أبوالعبّاس فانّ النّصّ القرآني «يُخْربون بُيوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار» لادلالة فيه على التقليل بل الدّلالة جدّ واضحة على غاية الخراب. .

٧٤ ـ السُّكون الشّبَحي. .

وهوسكون يقع في كلام العامة في بعض المقاطع الصوتيّة كالتّلفظ بقول شاعرعاميّ: «يِكْفي من الهَجِرْ مامَرّ عَلَيّه» فانه يقرأ كذلك بسكون الياء في

يكفي فيكون لفظه «يْكَفّي من الهَجر مامَرّ عَلَيْهْ» فالياء هنا ساكنة سكوناً شبحيّاً لأنّ مابعدها مقطع زوجيّ صالح للبدء بالنُطق والياء خارجة على المقطع وهامشيّة الشّأن فيه . .

ومثل ذلك «يْساعد . . تْروح . . تْنام» وكثيراً ما نطقوا بالنّون فى «ان شاالله»

شبحيّة السكون بعد حذف الهمزة منها . . ومثل ذلك «مْنِ اليوم» فكان السامع يسمع اللفظ مبدوءاً بـ «نِلْ يوم» وتكون الميم لشبحية سكونها وكأنها غير ملفوظة ..

فكأن المقاطع التي يبدأ بها الكلام بعيدة عن أجواء النُّطق بسبب مايعلق بها من السُّرعة . .

٧٥ ـ سكون انصباب النّهي على الجمع والتّفرقة:

قال ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرّدّ على النُّحاة»: وكذلك الشّأن في مِثل «لاتأكل السّمك وتشرب اللّبن» انْ نَصَبَ القائلُ الفعلَ الثّانيَ كان المعنى لاتَجْمَعْ بينهما، وان رَفَعَ نَهى المخاطَب عن أكل السّمك وأوجب له شرب اللّبن أي هو ممن يشرب اللبن، وان جَزَمَ انصبّ النّهيُ على الجمع والتّفرقة . .

٧٦ ـ سكون القلقلة المفتعلة:

وتكون في الميم في قراءة بعض الجهلة النّص الكريم «غير المغضوب عليهمْ ولا الضالينّ» فانّهم يقلقلون ميم عليهم . . وبعض عوام المثقّفين يقلقلون الميم في مثل كلمة «نَعَمْ» و «أُمَم» والسّلامْ عند اسكانها . .

وكذلك يقع ذلك لعوام المثقفين في اللام عند اسكانها كقولهم عَمَلْ وعُمّالْ لاسيما في حالة الحماس . .

ومثل ذلك قلقلة النون الساكنة على لسان عوام المثقفين في مثل فلاحين

ومخلصين وايمانْ وانسانْ . .

٧٧ ـ سكون التوازن المقطعي . .

جاء في المثل السائر لابن الأثير ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد «١ : ٢٠٠» مانصّه : «الكريم من أوجب سائلَه حَقًّا ، وجعل كواذبَ آماله صِدْقا ، وكان خَرْقُ العطايا منه خُلْقًا ، ولم يربين ذممه وبين رَحِمه فَرْقًا» . .
وكان النصّ في «خُلُقا» قد ورد هنا بلفظ «خُلْقا» فاختلّ به قانون سكون التوازن المقطعي الذي هو أصل في فصاحة الكلام . .

٧٨ ـ سكون تعطيل أحكام الاعراب .

وهو من أضرّ ما وقع من اللحن بالعربيّة . . ويراد به ما يكون من السُّكون بسبب تعطيل أحكام الإعراب في مثل قول من يفعل ذلك : «انَّ قراءةْ الكتاب» فيسكّن تاء القراءة في الدّرج وهي لو سكنت وفق قواعد اللغة لقُلبت الى هاء . .
واذ لايوقف عليها في الدَّرج فانّه يجب إبراز الفتحة عليها لأنَّها اسم «انَّ» على أن تخفى بعدها همزة الوصل في الكتاب فاذ أظهرت كان ذلك لحناً ثانياً . .

٧٩ ـ السّكون المحوّل لدى العامّة . .

وهو سكون يعرف في كلام العامّة ويكثر لديهم في الألفاظ ذوات التاء من مثل گهوْچي وعَلْوْچي والأصل فيه گهْوَچي وعَلْوَچي نسبة الى الگهْوَة والعَلْوَة . .
ومن ذلك حبيبْتي وزَوجْتي وزجاجْتي ومدرَسْتي وقصيدْتي . . والأصل حبيبَتي وزجاجَتي ومدرسَتي وقصيدَتي . .
كما يرد هذا النّمط من السّكون في ألفاظ النِّسب على الطريقة التركيّة مثل

بغداذْ لي وحَلَبْلي والأصل في ذاك بغدادي وحَلَبي . .

وهناك من سكونات العامّة المحوّلة ما يرد في ألفاظ التّثنية مثل رُمَانْتين أي رُمّانَتَين وحكايْتين أي حكايتَين ومسألْتَين أي مسألَتين . . وبَيضْتين أي بيضَتين . .

ومن ذاك نطقُهم «أللّهُ أكبـر» بلفـظ «أللّهْ وَاكْبَـرْ» يجعلون الضمـة واواً ويسكنون الهاء في لفظ الجلالة اذ ينقلون الضمة من عليها فيفرغ مكانها فتسكّن . .

٨٠ ـ سكون التكبير . .

وهو يقع في تكبيرات الأذان وغيره اذ ترد بلفظ «الله أكبرْ الله أكبرْ» وان لم يكن هناك توقّف بين جملتي الأذان، وهذا ما ألفه المؤذنون . .

هوامش السّكون

١ ـ قال حازم القِرْطاجَنيّ في كتابه «منهاج البلغاء . . .» ـ ص ٢٥١ ـ في الكلام على التّفاعيل وأوزان الشِّعر: «وجعلوا الاعتماد على السّواكن وحفظ نظام الوزن بانبثاثها أثناء متحرّكاته على النّحو المناسب وتحصين وضعه من الاختلال باعتراضها في المواضع المقدّرة لها وإمرارها سلك الكلام وتلافيها له بما فيها من القوّة والجزالة عند توقّع وقوع الفترات بتضاعف الحركات وتواليها بمنزلة الأوتاد التي تحفظ وضع الخباء وتمسك جوانبه، فاذا تُلوفيَ ذلك في مظانّ تلافيه طاب الكلام واعتدل . .»

٢ ـ تنبّهَ فريق من علماء الأداء الصّوتي للسّكون الانسيابي غير أنّهم سمّوه بالسّكون الميّت ومنهم القسطلانيّ والنّوريّ الصّفاقسي . . وذكره من المحدثين مؤلف «حقّ التّلاوة» في الكلام على حالات ترقيق الرّاء ـ ص ٧١ ـ الطبعة الثانية . قال: «اذا كانت ساكنة بسبب الوقف وسبقتها باء ساكنة سواء كان السكون حيّاً أو ميتا نحو خير قدير» . . وفي الهامش قال: ويعبّر عن سكون نحو خَيْر بالسكون الحيّ أو السكون الوجودي، كما يعبّر عن سكون نحو قدير بالسكون الميت أو السكون العارض». اهـ قلنا ان كلا نموذجي السّكون هنا جنس واحد . .

والمراد عندنا بالانسيابيّة اجراء الصّوت في المقطع السّاكن على مقدار ما لِنَفَس النّاطق به من قُوّةٍ وتَمَكُّن . . ومن ذلك قولنا «قُوهَة» بواو غير مشدّدة، فانْ قلنا «قُوَّهَة» بواو مُشَدَّدة كان السّكون في المقطع غيرَ انسيابيّ . . ومثل ذلك قولنا «فُلانٌ يعتمد في قُوتِهِ» ـ بواو انسيابيّة السّكون ـ أي في أمر غذائه، أخذاً من القوت الذي هو الغذاء . . فان قلنا «فلان يعتمد في قُوَّتِهِ» فانّه من القُوَّة، وهذا سكونه سكون غير انسيابّي . .

وقد ينقلب السّكون الانسيابّي الى سكون غير انسيابيّ في مثل كلمة بَنِينَ وبَنِيَّ فانّ سكون المقطع الصّوتي «ني» في «بنين» سكون انسيابيّ فان أُضيف ذلك فقيل «بَنِيَّ» في مثل قوله تعالى: «وَاجْنُبْني وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنام» كان السّكون فيه قد انقلب الى سكون غير انسيابيّ . .

انّ القواعد الأدائيّة هي التي تُحَدِّد المسافات الزّمَنِيَّة للسّكونات الانسيابيّة تحديداً لايصحّ تَخَطِّيه، لافي التّلاوة ولا في الغناء ولا في سائر المقولات المنطوقة الاّ وَفْقَ استثناءاتٍ مُعَيَّنة . .

ولم يشر اللُّغويُّون الى هذا النّوع من السُّكون بل جعلوا ما كان من الألفاظ الرُّباعيّة الممدودة بالواو خاضعةً لِوَزْنِ «فَعول»، وكذلك ألحقوا بهذا الوزن ما ليست الواو فيه مَدّيّةً من نحو «بَغْوي» بفتح الباء وضمّ الغين وإسكان الواو بسكونٍ غير انسيابيٍّ وتحريك الياء. . ثم قالوا - وهو رأي الفرّاء - التّخريج بَغِيٌّ بافناء الواو في الياء. . وبقاء الغين على ضمّتها. . ثُمَّ كسروها لِتُوَائِمَ الياء فقالوا «بَغِيّ». . فنحن نرى أنّهم لو قالوا «بَغوى» بواوٍ مَدِّيَّةٍ أو قالوا «بَغْوِي» بواو غير مَدِّيَّةٍ فانّهم لم يكن لديهم مقياس لوزن كلٍّ من هاتين الصّيغتين بوزن خاص بها، بل اتّخذوا صيغة «فعول» لوزنهما معا. .

وانّما يستوي اللفظان «بَغوي» بواو انسيابيّة السُّكون و«بَغْوِي» بواو غير انسيابيّة السُّكون في الموازين العروضيّة لاغير لأنَّ الأصل في الموازين العَروضيّة انفراد المقاطع وازدواجها. . ومما قاسوه صَرْفِيّاً بفعول وما هو منها في شيء «عَفُوّ» التي يجب أن تكون صيغة وزنها على «فَعُلّ» لا على «فَعول». . وكذلك وزنوا «نَهُوّ» على فعول وانّما هي «فَعُلّ». . ومثل ذلك «دُلِيّ» التي جعلوا وزنها على فَعول وهي في الحقيقة على وزن «فُعِلّ». . وفي المصباح المنير «صُفِيّ» جمع صفاة على فُعول» وانّما هي «فُعِلّ». .

واستوى كذلك لدى الصَّرْفيِّين وزن كُومَة وصُبْرة اذ وزنوهما على «فُعْلَة» في حين أن السُّكون الذي على واو «كومة» سكون انسيابيٌّ مَدِّيّ لايلائمه في الوزن ما على عين «فُعْلة» من سكون بنائيّ غير انسيابيّ. . وقالوا في وزن «نَبِيّ» إنّها على فَعيل وهي على فَعِلّ. . وانّما النّبيء بالهمز على وزن فعيل. .

٣ - هناك نوع من سكون البناء الافتعالي وهو ما جاء على الحكاية كأنْ تسمّي غُلامةً باسم «نَجاةْ» باسكان التّاء المُدَوَّرة، فانّ هذه التّاء لاتقلب الى هاء عند الوقوف عليها، وهي كذلك لايوقف عليها ولا يُنطق بها في غير الوقوف إلاّ ساكنة لأنّها باتت عَلَماً على ذات هيئتها السّاكنة. . وفي حالة الاعراب يكون إعرابُها تقديريّاً، . أي أنْ يقال إنّ الضَّمَّة مقدَّرة على التّاء - اذا كانت اللفظة في موقع الرَّفْع - مَنَعَ من ظهورها سكون البناء الافتعالي. . وهو بناء لايعرض له التَّخَلُّف. .

٤ - في بعض الحالات يَحْمي السُّكون نفسه من التَّخَلُّف فيجتنب الوقوع في الحركة وذلك باستخدام نون الوقاية في مثل مِنّي وعَنّي. . ولكنّه جاء في الشّعر:

أيُّها السّائل عنهم وعَنِي … لستُ من قيسٍ ولا قَيْسُ مِنِي

٥ - يلاحظ أنَّ تَخَلُّفَ السُّكون في ياء «مَعِيَ» حال دونَ مَدِّها المدِّ المنفصل، فلو كانت قد بَقِيت

ساكنـةً لتَهَيّأ للمـدّ المنفصـل أن يؤدّي عمله، . وفي مثـل هذا المقام لاينبغي المدّ لأنّه مقامُ نِقمة لايُتَلَذّذُ فيـه بالمنقـوم منـه . . وانّمـا يُكْتَفَى في مثله بالـدّرج والتّعجلُ دون التّباطؤ حتى لوكان المدُّ قليلاً على مذهب من جَعَل المدَّ المنفصل جوازيّاً أبدا.

٦ ـ العامّة تنطق بلام «قُلْ» بحركةٍ وليس بسكون فتقرأ النّصَّ بهيئة «قُلَ رأَيْتُم» كما تقرأ «قُلَعوذُ بِرَبِّ النّاس . .»

٧ ـ هناك من قَرَأَ «والعَصْر» بلفظ «والعَصِرْ» ـ الوضع الجديد» . . ـ ص ٢٠٤ ـ . .

٨ ـ قال ابن جِنّي : في «سِرّ الصّناعة»: «والحرف الواحد لايتحَمّل حركتين لا متّفقتين ولامختلفتين» . .

٩ ـ ألْغيتُ هذه الطريقة في كتابة الشّعر عند التّقطيع في كتابي «العَروض: تهذيبه واعادةُ تدوينه». انّ كتابة الكاتب العبارات التّالية : «عند زيدٍ قلمٌ ودفترٌ ودواةٌ وأوراقٌ وانّ عند عمرٍو نقوداً كثيرةً ينفق منها في شراء حاجاتٍ كثيرةٍ دائماً وأبداً . . .» . .

فلولا الحـركـات الاصطـلاحيّة المضاعفة التي اتخذت على الحروف والتي عُرِفَتْ بالتّنوين، لكان كاتب ذلـك مضطـرّاً أن يكتبهـا على الوجه التالي «عند زَيْدِنْ قَلَمُنْ ودَفْتَرُنْ ودواتُنْ وأَوْراقُنْ وانّ عند عَمْرِنْ نُقودَنْ كثيرَتَنْ ينفق منها في شراء حاجاتِنْ كَثيرَتِنْ دائِمَنْ وأَبَدَنْ . . .»

وبهـذا عولجت مشكلة تكـرار كتـابـة النّون السّاكنة التي كما قلنا لايستغنى عند كتابتها عن الحركات من فتحة وضَمّة وكسرة فكان ابتكار الحركات المضاعفة على الحروف المنوّنة ابداعاً مفيداً في هذا الوجه، والاّ فانّ أيّاً من الحركات لايتكرّر في الكتابة على الحقيقة . .

١٠ ـ «دراسة الصّوت اللغوي» ـ ص ٣٠٢ ـ . .

١١ ـ يستطيـع الانســان أن يرفـع صوتـه اذا تكلّم فانّ ذلـك كائن في طاقتـه الصّـوْتيّـة ولكن آداب الحياة الاجتماعية تحول دون التّصارخ في كل خطاب يتخاطب به النّاس.

ويستطيـع النّـاطق بكلمـةٍ ذاتِ حرفٍ مدّيّ أن يمـدّهـا المَدّ الذي ينقطع عنده نفسه ولكنّ قوانين التّلاوة تمنـع ذلـك منعـاً باتـاً وتحـدّد مايجوز وما لايجوز من المدّ دون اعارة الطّاقات الصّوتيّة أيّ أهَمّيّة في هذا الشّأن، فانّ الأصل في العلوم أن تُنَظِّم الطّاقات، والأصل في القوانين ان تَنظُم التّصرُّفات . .

وقد استعمل المدّ للتركيز على معاني يُهِمُّ النّاطقَ أن يركّز عليها ان حقّا وان باطلاً، ومن ذلك قول قائل شارك شخصـاً في طبـخ حلوى فكـان عليـه جلب المـاء وايقـاد النّـار وكـان على الآخـر العسل والدقيق والسمن . . فقال صاحب الماء متباهياً:

منك الدّقيق ومنّي النار أوقدها
ومنّي الما ومنك السّمن والعسلُ

فمدّ النار والايقاد والما وتعجل في نطق ماسوى ذلك . .

١٣ ـ البيت الذي قبله :

ظَبْيٌ يرقّ الماء في وَجَناتِهِ ويرقُّ عودُه

١٣ ـ قال الجوهريّ ـ اللّسان ـ : «لام الأمر اذا ابتَدأتَها كانت مكسورة وان أدخلتَ عليها حرفاً من حروف العطف جازَ فيها الكسر والتّسكين كقوله تعالى : «ولْيَحْكُمْ أهْلُ الإنْجيل . . .»

١٤ ـ يشبه هذا أن تكون هناك عِدّةُ مصابيح كهربائيّة مرتبطة بزرٌ واحد ، فاذا حرّكنا الزّرّ أضاءت المصابيح العشرة كلها في آنٍ واحد . . والحقيقة أنّها لم تُضِئْ كُلُّها في وقت بعينه ، لكنّ السّرعة الزّمَنيّة التي لاتُدْرِكُها الأبصار هي التي توهم انّ تلك المصابيح اتّقدت كلّها مَرّةً واحدة دون تتابع زمنّي . .

١٥ ـ فانْ تَحَرّكَ الحرف نشأ بذلك مقطعٌ صوتيٌّ يفسد به وزن الشّعر وينكسر به عَروضه لزيادته في اللفظ ، وليس من الممكن استيلاد حرف متحرّك من حرف ساكن . .

١٦ ـ باستثناء الباء في بعض حالاتها فانّ سكونها يظهر عليه شيء من الانسيابيّة وذلك اذا لفظت والشّفتان شبه سائبتين كفعل المقرور أو المذعور . .

١٧ ـ قال الدّكتور «وأنت اذا حاولتَ أن تنتج صوتاً انفجاريّاً من منطقة الغار سواء كان مهموساً أومجهوراً ستسمع صُوَيْتاً آخر يسبقه مما يجعلك تسمع الصّوت مُرَكّباً ، والتّركيب هنا ليس مقصوداً وانّما ينتج بصورة آليّة حين يحاول المرء قَفْلَ المجرى بإحكام في هذه المنطقة ثم تفجيره . .» ثُمّ قال : «فالقدماء حين نظروا الى قفل المجرى عَدّوا الصّوت انفجاريّاً . . والمُحْدَثون حين نظروا الى الصُّويت الذي يسبق النُّطقَ عَدّوا الصّوت مُرَكّباً» . .

١٨ ـ ومن نماذج ذلك «وقالَ الذينَ أُوتوا العِلْمَ والإيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ في كِتابِ اللّهِ الى يَوْمِ البَعْثِ ، فهذا يَوْمُ البَعْثِ وَلكِنّكُمْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمون . . الرّوم ٥٦

ومن ألفاظ العرب ممّا لايقع فيه الاخفاء بسبب سكون التّفشيّ . . ـ

في الثّاء ـ الإرْث والبَحْث والحَرْث والفَرْث والنَّفْث . .

في الذال ـ الجَبْذ ـ بمعنى الجَذب ـ والنَّبْذ والوَقْذ . .

في الشّين ـ الأرْش والجأْش والجَحْش والجَرْش والفَرْش والقَرْش والقَمْش والنَّجْش والنّعش والنَّفْش

والنَّقش والنَّهش والوَحْش . .

في الظّاء ـ الحِفْظ واللَّحظ واللَّفظ والوَعْظ . .

في الفـاء ـ الألْفَ والجُـرْف والحَتْف والحَـذْف والحَرْف والخِشْف والخَصْف والخَطْف والخُلْف والـرَّشْف والسَّقْف والشِّنْخُف والصَّـرْف والضَّعْف والطَّـرفْ والظَّـرْف والعُـرْف والعَزْف والعسف والعَصْف والعِطْف والعُنْف والغَـرْف والغُلْف والقِحْف والقَـذْف والقَصْف والكَهْف والنَّـدْف والنَّسْف والنَّصْف والوَجْف والوَحْف والوَصْف والوَقْف . .

١٩ ـ السُّكون الانسيابي في مقابلة غيره لايظهر التَّمييز بينهما في موزاين العروض . . فمثلاً:

لَوْلَمْ	تُقِـمْ	دِيـنـاً	لقـامـت	وَحْـدَهـا	دِيـنـا
/٢١٢٢		٢١٢٢	/٢١٢٢		٢٢
مسـتـفـعـلن		مسـتـفـعـلن	مسـتـفـعـلن		فع لن

فانَّ مقطع «فَـعْ» سكـون العين فيـه غيـر انسيـابيّ ، ولكنّه قابل مقطع «دي» ـ من كلمة دينا ـ الذي سكونه سكون انسيابي . .

ولكنَّه يبرز في الموزاين الصَّرْفيَّة ، لذا كان من الخطأ أن يقال انَّ «العَفُوّ» على وزن فَعول وانَّما هو على وزن «فَعُـلّ» ، وكـذلـك النَّبيّ فانَّهم قالـوا انَّـه على وزن فعيل وهو على وزن «فَعِلّ» اذ لايتطابق السُّكون الانسيابيّ والسُّكون غير الانسيابيّ . . وقوله في اللِّسان فهو ذَكِيّ على فعيل خطأ . .

ويتخلف السُّكون الانسيابي في حالات مثل قولنا «بَنِيَّ» في نسبة البنين الى ياء المتكلِّم في مثل قول الشّاعر:

إنَّ بَـنِـيَّ لَـلِـئـامٌ زَهَـدَة
مالِـيَ في صدورهـم من مَوْدَدَة

فلا تكون الياء في ذلك انسيابيَّة السُّكون ، . خلاف الحالة في نسبتها الى غير المتكلِّم المفرد ـ مثلاً ـ اذ يقال بَنيك وبَنيه وبَنينا . .

٢٠ ـ يقع في اللهجـات العـاميَّة أنَّ الياءات المُشَدَّدة غير ذات السّكون الانسيابي اذا خُفِّفَت فنطق بها دونَ تشديد فانَّها تجري على لسانهم وكأنَّها انسيابيَّة في سكونها . .

وما ورد في النُّصوص العربية من مثل قوله : ـ

متـى أنـامُ لايؤرِّقـنـي الـكَـرِي ليـلاً ولا أَسْـمَـعُ أجـراسَ الـمَطـي

فانّ الأصل في ياء عَروضه وياء ضَرْبه التّشديد غير أنهم خَفّفوه، ولكن التّخفيف ظَلّ متأرجحاً بين الانسيابيّة واللا انسيابيّة . . فعند الفصحاء لاينقلب السُّكون غير الانسيابي الذي سببه التّشديد الى سكون انسيابيّ سببه التّخفيف . . ولكن العامّة تفعله . .

ملاحظة ـ ان السُّكون الانسيابيّ في المدود لايُعَلَّمُ عليه بعلامة السُّكون المعروفة . . وانما تكون هذه العلامة ـ عند ارادة استعمالها ـ فيما هو ساكنٌ سكوناً غير انسيابيّ . . اللّهُمّ الاّ في ياءات اللين وواواته، فانّهما وان كان سكونهما انسيابيّاً فبسبب الخوف من عُروض التباسٍ لمعاني الألفاظ يجوز استعمال علامات السّكون تلك مثل سَيْف التي تعني حدّة القتال المعروفة وسِيف التي تعني جانب البحر ورصيفه ومثل «نَيْل» بمعنى حُصولٍ وكَسْب ونيل بمعنى النّهر المعروف في مصر . .

ولكن كتاب العباب الزّاخر واللُّباب الفاخر للصّغاني ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل يسن ـ كثرت فيه علامات السكون على وجه اعتباطي غريب حتى أنّها جاءت على الألِف في مثل قَالْ . .

٢١ ـ انّ سكون الانشاد هنا لاتنقلب به التّاء المربوطة الى هاء لأنّه لايعبّر به عن الوقوف اذ إنّ الاستمرارية فيه غير منقطعة . .

٢٢ ـ أطلق في «تنبيه الغافلين» صفة السُّكون العارض على ما كان من نحو الأسباطْ والقِسطْ لدى الوقف . . أمّا الأسباطْ فينطبق عليه هذا الوصف، وأمّا القِسْطْ فلا . .

٢٣ ـ أطلق في تنبيه الغافلين لقب السُّكون اللازم على ما كان من نحو الْخَطْفة والأطفال وهو يريد سكون البناء ـ فصل الطاء المهملة . . وأطلقه الشيخ ابراهيم الحقي في كتابه «تجويد القرآن العظيم» على القاف في فقر . .

٢٤ ـ اذا اختلسنا فتحة العين وجعلناها سكوناً كان سكونُها هذا هو السُّكون المختلس وان كان الاختلاس هذا قد وقع على الفتحة . .

٢٥ ـ قال المرعشي في رسالته : وهذا كاخفاء الحركة في «لاتأمَنّا» اذ ذلك ليس باعدام للحركة بالكُلّيّة بل بتبعيضها . . وقال الاحسائي في « . . . أسرار التجويد» ما نصّه : وكل من أدغم في «لاتأمَنّا» لابُدّ له من الاشمام الاّ في قراءة أبي جعفر من العشرة بالادغام بعد الاشمام . . وفي «لطائف الاشارات لفنون القراءات» للقسطلاني ـ ص ١٨٧ ـ قال : «والاختلاس هو الاسراع بالحركة حتى يظُنّ سامعها أنّ المسموع سكون لاحركة . . » قلنا ان الاسراع بالحركة أمر نسبيّ

تتفاوت به أطراف الكلام وهو معيب ويقع فيه ما يسمّيه المواسفة بالشّاز وليس هو من الاختلاس في شيء . . وتظلّ الحركة هي هي لاتُلقَب من سرعة او بُطء بلقب مميّز لها . . انتهى قولنا . . وفي ولسان العرب لابن منظور» : والحرف الذي فيه الاشمام ساكن أو كالسّاكن مثل قول الشّاعر:

متى أنام لايؤرّقني الكَري
ليلاً ولا أسْمَعُ أجراس المَطي

قال سيبويه : العرب تُشِمُّ القاف شيئاً من الضّمّة ولو اعتددتَ بحركة الاشمام لانكسر البيت وصار تقطيع «رِقْني الكَري» مُتَفاعلن ولايكون ذلك الا في الكامل وهذا البيت من الرّجز . . وقد قال في السّكون المختلَس انه «ساكن أو كالسّاكن» . . وفي التّيسير للدّاني سمّى ما يجري من الاشمام للنّصّ القرآني في «تأْمَنّا» إخفاءً ونفى أن يكون ذلك ادغاماً صحيحا لأنّ الحركة لاتُسَكَّنُ راساً بل يضعف الصّوت فيها فيفصل بين المدغم والمدغم فيه لتأكيد دلالته، قال: «وصحّحه في القياس الكوفيّون» . .

غير انّا لانرى رأي القوم في اختلاس النّون الأولى في تأمَنّا التي كان أصلها «تأْمَنُنا» فسكُنت الأولى بفعل الجزم النّاشيء من دون جازم انّما هو وجه من وجوه النّطق بالفعل المضارع مجزوماً بغير جازم وقد وقع من هذا في كلام العرب كثير . ومنه هذا النّموذج في كتاب الله وقد جاء تبييناً لبعض نماذجهم الشّائعة . .

وما حكاية اختلاس الحركة في النّون هذه الا لابتغاء التعليل والمهارة فيه، ولذا فانّ «تأمّنا» هذه تقرأ بغُنّةٍ ادغاميّة لاغير . .

وتَحَيُّر سيبويه في البيت الذي هو-

متى أنامُ لايؤرِّقني الكَري
ليلاً ولا أسْمَع أجراس المطى

انّما كان من أجل أنّ «يؤرِّقْني» مجزومة بخلاف «أنامُ» التي هي فعل الشّرط فأراد أن لايجعلها مجزومة مادام فعل الشّرط لم يجزم . .

وسكون الاختلاس في «يؤرقني» أن ينطق حرف القاف مفخّماً بعض التّفخيم بسبب استعلائيّته ليكون في ذلك دلالةٌ على أثر الضّمّة فيه لأنّ حكمه الضّمّ وانّما سكن اختلاساً . . فان سُكِن حقّاً

انخفض فيه حكم الاستعلاء بسبب أنه سبق براء مرقّقة مكسورة انتظمته فكان حكمه حكم المكسور. .

٢٦ ـ انّ السُّكون الذي يقع في حروف القلقلة المشدّدة يفقد به الحرف الأوّل جانباً من قلقلته رغم وقوعها وحدوثها، أمّا الحرف الثّاني فانّ قلقلته تبرز واضحةً عند السُّكون الوقفي غير أنّ تتابع الحرفين السّاكنين يستوجب أن يكون نطقهما نُطْقَ حرف واحد غير مشدّد. . وقد لاحظنا أنّ ماجاء من حرف الدّال المشدّد في كتاب الله جاء بالفتحة مثل: «وتَخِرُّ الجِبالُ هَدّا» ومثل «سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّا». .

٢٧ ـ انّ الغُنّة تقع على الحرف الأول فاذا جاء الحرف الثّاني لم تكن فيه غُنّة ولكن لمّا كان مجيء الحرف الثّاني تِلْوَ غُنّة الحرف الأوّل وَقَعَ له الاندماج في تيّار تلك الغُنّة فصار أَغَنَّ وهو ليس الّا حرفاً مُظْهرا. .

٢٨ ـ هناك ما يمكن أن يطلق عليه اسم التّخَلُّف في تشديد المُشَدّدات مثل «الضّادّ» فلا تلفظ الدّال مشدّدة وانّما تلفظ مُخَفَّفة. . ومن هذا قول أبي نُؤاس:

لايعجب السّامعون من صِفَتي كذلك الثَّلجُ باردٌ حارُ

فانّ الاصل في راء «حار» التّشديد ولكنّها نُطِقَت مُخَفَّفة بمقتضى الشّعر وقافيته. . ولذلك عَدّ العروضِيّون المقطع الثلاثي المؤلف من حرف متحرّك وحرفين عليهما شدّة موقوفٌ عليها بالسُّكون مثل الفَنّ والجنّ مقطعاً زوجيّاً لخفاء تكرّر الحرف المشدّد. . ومن ذلك للنّاشيء الأكبر:

وكان لنا أصدقاء حماةٌ
وأعداء سوء فلم يخلدوا
تَساقَوْا جَميعاً كؤوس الحِمام
فمات الصّديق ومات العَدُوّ

فانّ واو العَدُوّ مشدّدة في تكوينها الصّرفيّ غير أنّ التّشديد فيها تَخَلَّف بحكم الرَّويّ والقافية. . ومثل ذلك لابن مَعْدِي كَرِب.

إنّا اذا اشتدّ الزمانُ ونابَ خطبٌ وادلهمّ
ألفيتَ حول قبابنا عُدَدَ الشّجاعة والكرمْ
للقا العدا بيضَ السُّيوف وللنّدى حُمْرَ النَّعَمْ
هذا وهذا دأبُنا يُودى دمٌ ويُراق دَمْ

وفي «مختار الصّحاح» قال في «البُخْتيّ»: وجمعه بخاتيّ ولك أنْ تخفّف الياء في الجمع». .

٢٩ ـ أصحاب القراءات لايجعلون ادغام غين «يبتغ» بغين «غير الاسلام» ادغاماً اعتياديّاً فهو عندهم ادغام خارج القاعدة بسبب عزل الياء في «يبتغي» بين الغينين ـ الوضع الجديد ـ ص ١٩٦ ـ

٣٠ ـ هذه الألقاب ألغيتها في كتابي «العَروض تهذيبه واعادة تدوينه» وقد طبع ببغداد سنة ١٩٧٨ (١٣٩٨ هـ) ثمّ أعيد طبعه موسعاً ومنقّحا سنة ١٩٨٥ (١٤٠٦ هـ).

وقد حبسه عن النّشر حتى اليوم كثرة الأخطاء في معظم نسخه والتشويه في تصحيفه. .

٣١ ـ من ألفات الاطلاق مالايعرب بالحركات مثل «هذا كتابِيا» و «شقّوا رِدائيا» و «مابِيا». .

٣٢ ـ وهذا غير السُّكون النّاشيء بمقتضى الضّرورة في الشّعر وغيره فللشّعر حالات خاصّة به في هذا المجال ففي اللسان «والبَضْعَة: أصوات السِّياط وقد جاء في الشّعر مُحَرّكا». .

(٣٣) ـ يبدو أنَّ شيوع نطق اهل المغرب بمثل راء عمر ومطر مشدّدتين اذ يقولون «عُمَرّ. . ومَطَرّ» آتٍ من هذا الوجه في النطق. .

(٣٤) ـ المولعون باحصاء الحروف القرآنية كثيرون قال الدكتور أحمد نصيّف الجنابي في بحث له في موضوع «الايضاح في القراءات للأندرابيّ»: «ومن المباحث الطّريفة جدّاً في كتاب الايضاح ما يتصّل باحصاء سور القرآن وآياته وحروفه». .

أنواع الغنن

الغُنَّـة: صوت يخـرج من الخَيْشـوم(1) وهـو أعلى قَصَبَـة الأنف فاذا انغلق الخيشـوم اختـلَّ نصـابُهـا وقد يستعصي النُطق بها. . والغُنَّة بطبيعتها ذات صوت انسيـابي الاتِّجـاه لاحَدَّ له الاّ بانتهاء النَفَس. . غير أنَّ قواعد الأداء والتَّجويد تحدِّد ذلك وتتحكَّم فيه بحيث لايباح أن تزيد المسافة الزَّمنِيَّة فيه على أربع حركات في التِّلاوة(2)، فانْ آلَ أمرها الى الغناء جازَ لهم الاطالة فيها الى ما لااستبشاع فيه ولاسماجة. .

وكذلك القول على هذا في شأن المؤذِّنين ومتعاطي الأناشيد فانَّ لهم حقَّ الاستمرار فيها على ضوء ما أسلفنا القول فيه. . كما أنَّ لهم اطالةَ المدود كذلـك. . وقـد جاء في هامش ـ ص ١٨ ـ من كتـاب «حقّ التـلاوة» قولـه «ينبغي على المؤذِّن أن يراعي أحكام التَّجويد في أداء شعيرة الأذان لكنَّ كثيراً من المؤذِّنين يخالفون أحكام التَّجويد فيمطِّطون أصواتَهم في بعض الحـروف ويُـدْمجـون وينطِّـون الحـروف الأخـرى ويطـرِّبون ويرقِّصون أصـواتهم ويحـرِّفـون الكلمـات فيقصرون ما يجب مدُّه ويمدُّون ما يجب قَصْـرُه ظانِّين أنَّهم يراعـون ألحـانـاً موسيقيَّةً ناسين أنَّ هذا الفعل بدعةٌ في الدِّين حرامٌ قبولُها ويجب ردُّها على مرتكبها». .

وكـان المـؤلف عند تعريف التَّجويد قد حَصَرَه على ألفاظ القرآن الكريم، فمن أين جعـل الأذان كألفـاظ القـرآن؟. . على أنّـا لاننفي عن فريق من المؤذِّنين مسؤوليَّة العبث في الأذان والتَّصرُّف السَّيِّء فيه. .

والغنن بضعة أنواع فيما يلي ايرادها: -

١ - غُنَّة الادغام . .

وتكون في الميم والنّون غُنّةٌ كاملةً أي حين تدغم ميمٌ في ميم ونونٌ في نون مثل - والنّماذج هنا ميمية - . .

«وأمّا السّائِلَ فلا تَنْهَرْ . .» الضّحى

«وما يُؤْمِنُ أكثرُهُمْ بِاللّهِ اِلاّ وهُمْ مُشْرِكون . .» يوسف ١٠٦

«أمْ مَنْ جَعَلَ الأرْضَ قَرارا، وَجَعَلَ خِلالَها أنْهارا . .» النّمل ٦١

وأمّا النّماذج النّونيَّة فمنها -

«اِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً . .» التّوبة ٦٦

«اِنْ نَقولُ اِلاّ اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسوء . .» هود ٥٤

«قُلْ أعوذُ بِرَبِّ النّاسِ ، مَلِكِ النّاسِ ، اِلَهِ النّاس . .» سورة النّاس

فاذا انقلبت النّون السّاكنة الى ميم كان ادغامُها ادغامَ ميم في ميم وليس ادغامَ نون في ميم[٣] . .

مثل -

«وآتوهُمْ مِنْ مالِ الله الذي آتاكُمْ» . . النّور ٣٣

«وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السّماواتِ لاتُغْني شَفاعَتُهُمْ شيئاً الاّ مِنْ بَعْدِ أنْ يَأذَنَ اللّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضىٰ» . . النّجم ٢٦

وهناك غنّة ناقصة أو هي شبه غنّة وتكون في الواو والياء عند وقوع الادغام في واوٍ وياءٍ مثل - النّماذج التالية وهي تشير الى الواوات المدغمة -

«الذي خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلَكَ» . . الانفطار ٧

«قال بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْراً» . . يوسف ١٨

«وَزَوَّجْناهُمْ بحورٍ عِين» . . الطّور ٢٠

«إنَّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حَليم» . . التَّوبة ١١٤
«وَلاتكونوا أوَّلَ كافِرٍ به» . . البقرة ٤١
أمــا الـــواو المجتلبـة المنقلبـة عن نون فحكمهـا نفس الحكم[4] . . ومن نماذجها : -
«أفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقيه» . . القَصَص ٦١
«قال مَعاذَ اللّهِ أنْ نَأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَه» . . يوسف ٧٩
«ويُطْعِمون الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وأَسيرا» . . الدّهر ٨
وفي الياء عند ادغامها في الياء نجد من النَّماذج -
«يَسْألونَكَ عَنِ السّاعَةِ أيّانَ مُرْساها» . . النّازعات ٤٢
«في أيِّ صورةٍ ما شاءَ رَكَّبَك» . . الانفطار ٨
«أيُّكُمْ يأْتيني بِعَرْشِها» . . النَّمل ٣٨
«لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّا» . . يسٓ ٧٠
«حَتّـى إذا أخَــذَتْ الأرضُ زُخْــرُفَهــا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أهْلُهــا أنَّهُمْ قادِرون عليها . . » . . يونس ٢٤
ومن نماذج ذلك في الياء المنقلبة عن نون ساكنة أي في ياء مُجْتَلَبَة : -
«ومَنْ يَكْفُرْ بِهِ فأولئك هُمُ الخاسِرون» . . البقرة ١٢١
«وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هاد» . . الزُّمَر ٢٣
«أفَمَنْ يَتَّقي بِوَجْهِهِ سوءَ العَذابِ يَوْمَ القِيامة» الزُّمَر ٢٤
«وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرين» . . الزُّخرف ٣٦
«وَمَنْ يَتَعَدَّ حدودَ اللّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه» . . الطَّلاق الآية الأولى
انَّ غُنَّـة الادغـام تكـون أربـعَ حركـات سواء أكانت كاملةً أم كانت غير كاملة . . كمـا أنَّ غُنَّـة الادغـام تكـون تابعـة للسّـاكن الأوَّل ولا شأن لهـا

بالمتحرِّك الـذي يليـه، فاذا تَمَّ تمـام الغُنَّـة فيـه نَهَضَ اللسان الى النُطق بالحـرف المتحـرِّك . . مثـل «إنّـا» المـؤلَّفة من مقطعين هما «إنْ» و«نا». فالغنَّة تقع في المقطع الأول الذي هو «إنْ» . .

على أنّا اذا وقفنا على النّون المشدَّدة في مثل لفظة «الجِنّ» أو الجانّ أو ما جاء في القـرآن الكـريم من الغُنَّـة بسبب أنَّها كانت ساكنةً وكان مابعدها من جنسها غير أنَّ النّون الثّانية وُقِفَ عليها بالسُّكون وقوفاً ارادياً، فهي هنا مُظْهَرة . .

فمن ظَنَّ أنَّ النون الثّانية كانت مقرونة بالغُنَّة فقد وهم في ظنِّه لأنَّ الغُنَّة من حقِّ النّون الأولى السّاكنة لا غير . . وكل الذي حَصَلَ عند النُّطق بالنُّون المشـدَّدةأو الميم المشـدَّدة هوانَّ النّـون الثّـانية جاءت لِحْقَ النّون الأولى ذات الغُنَّة فأُلْفِيَتْ وكأنَّها من بعض بقاياها على ما تدركه الأذن من أمر الأصوات . .

٢ ـ غُنَّة التَّمْكين ـ (*)

وهي غُنَّة في مستوى غنَّة الادغام اذ تنشأ بسببه غير أنَّها تتميَّز عن غُنَّته بأنَّها تقـع في الـواو المـدغمـة في واوٍ اذا كان ما قبلَهـا مضمـومـاً أومكسورا . . وتكـون كذلـك في اليـاء اذا أُدغمت في ياءٍ يكـون ما قبلهـا مكسـوراً أومضموما . . وهذا ما سمّاه أبو مزاحم بالاشباع اذ قال في رائيَّته (وضَمُّك قبلَ الواو كُنْ مُشْبعاً له) وكان يقال لذلك مد التمكين غير أن معنى المدّ لايتحقَّق هنا بسبب عدم انسيابيَّة السُّكون في كلٍّ من الواو والياء في هذه المواقع . . بل انَّ الغُنَّة ينقطع انسيابها في هذه الحالة وهي في الواقع شبه غُنَّة لأنَّها لاتنعدم عند انغلاق الخيشوم . .

ومن نماذج ذلك في الواو الأصيلة المضموم ما قبلَها ـ

«قالَ لَوْ أنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أو آوي الى رُكْنٍ شديد».. هود ٨٠
«النّارُ يُعْرَضونَ عليها غُدُوّاً وَعَشِيّاً».. غافر ٤٦
«بَلْ لَجّوا في عُتُوٍّ وَنُفور».. المُلْك ٢١
. «اذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».. التَّكوير الآية الأولى
«هل ثُوِّبَ الكُفّارُ ما كانوا يَفْعلون».. المطفِّفين ٣٩
«وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كبيرا».. الاسراء ٤
وفي الواو المُجْتَلَبة المنقلبة عن نون.. مثل ـ
«ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى».. الاسراء ٧
«وَلايُقْبَلُ منها عَدْلٌ ولا تَنْفَعُها شَفاعة».. البقرة ١٢٣
«صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوان».. الرَّعد ٤
«اِعْلَموا أنَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزينَة».. الحَديد ٢٠
ومن النَّماذج الواوِيَّة المكسور ما قبلها ـ ولايقع ذلك الاّ في المُجْتَلَبات من نون منقلبة الى واو: ـ
«وما لَكُمْ مِنْ دونِ الله مِنْ وَليٍّ وَلانَصير».. البقرة ١٠٧
«فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وما كانَ لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ واق».. غافر ٢١
«ما جَعَلَ اللّه مِنْ بَحيرةٍ ولا سائِبَةٍ ولا وَصيلةٍ وَلاحام».. المائدة ١٠٣
أمّا نماذج الياء الأَصيلة المكسور ما قبلَها.. فمثل: ـ
«اِيّاكَ نَعْبُدُ وَاِيّاكَ نَسْتَعين».. فاتحة الكتاب
«وَاجْنُبْني وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأَصْنام».. ابراهيم ٣٥
«رَبِّ هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَة».. آل عمران ٣٨
«وما أَدْراكَ ما عِلِّيُّون».. المطفِّفين ١٩
«إذْ عُرِضَ عليهِ بِالعَشِيِّ الصّافِناتُ الجِياد».. صٓ ٣١

يَنْظُرونَ اليكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عليهِ مِنَ المَوْت».. مُحَمَّد ٢٠
«وَاسْتَوَتْ عَلى الجُوديِّ».. هود ٤٤
«النَبيُّ أَوْلىٰ بِالمُؤمنين مِنْ أَنْفُسِهِمْ».. الأحزاب ٦
أما الياءات المجتلبة المنقلبة عن نون فمن نماذجها: -
«إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرونَ صابرون يَغْلِبوا مئتين».. الأنفال ٦٥
«وان يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فلا كاشِفَ لَهُ إِلاّ هو».. الأنعام ١٧
«إِنْ يوحىٰ إِلَيَّ إِلاّ أَنَّما أَنا نَذيرٌ مُبين».. صٓ ٧٠
«أَمّا الياءات المضموم ما قبلَها فمن نماذجها: -
«واذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ منها..» النّساء ٨٦
«واذا الجِبالُ سُيِّرَتْ..» التَّكوير ٣
«زُيِّنَ للذين كَفَروا الحياةُ الدُّنْيا..» البقرة ٢١٢
«ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين».. المرسلات ١٥
«كأَنَّها كَوْكَبُ دُرِّيٌّ يوقَدُ مِنْ شَجَرَة...» النُّور ٣٥

٣ - غُنَّة التَّماسّ..

وهي غُنَّةٌ تقع للميم السّاكنة عند التحاق الباءِ بها لدى من شاءَ ذلك[1]..
أي لدى من شاء التّماسَّ دون الاظهار..
مثل -
«قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالحَقّ..» الأنبياء ١١٢
«وتَرى النّاسَ سُكارىٰ وما هُمْ بِسُكارىٰ..» الحجّ ٢
«بل جاءَهُمْ بِالحَقِّ وأكثرُهُمْ للحَقِّ كارهون..» المؤمنون ٧٠
«فلا تُطعِ الكافرين وجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كبيرا..» الفرقان ٥٢
ويكـون لهـذه الغُنَّـة أثـرٌ ظاهر في تحقيق معنى التَّماسّ فاذا انغلقت الغُنَّة

بانغلاق الأنف ضعف التّماسُ وكاد ينعدم وجوده . . وقد أسهب مؤلفوا المطوّلات في رسم الطريقة التي تقع فيها غُنَّة التّماسّ بحيث تختلف مواصفاتها اختلافاً كبيرا عن غُنّة الادغام في حَصْيلة ما يستبينه المتتبِّع من تلك المواصفات . . وقد عرضنا لذلك في الكلام على أحكام الميم وحالة التّماسّ في هذا الحرف . وأوضحنا ان الغنّتين في الادغام والتماسّ لهما مذاق واحد . .

٤ ـ غُنَّة الاشمام . .

غُنّةٌ مشوبةٌ برائحة حرف الاشمام ولذا تتفاوت في مذاقها وطبيعتها . . وهي ألطف من غنّة التّماسّ والادغام . . وتفاوتها ناشىء من ظروف صلة النون بحروف الاشمام . . وقد اعترف صاحب «الوضع الجديد» بأنَّ اخفاء النُّون والتَّنوين يكون متفاوتاً بحسب قرب الحروف من مخرج النون وبعدها عنه على حدّ تقديره . . واذ كان الاشمام تقسم حروفه الى ثلاثة أقسام يُمَثِّل كلٌّ منها نَمَطاً من أنماط الاشمام الثّلاثة الكلّي والجزئي والخفيّ ، فانَّ الاشمام يُقْسَمُ كذلك الى قسمين آخرين هما : أنَّ جميع ما يمتُّ الى القلقلة من حروفه اذا انغلقت عليها الغنَّة ـ بسدِّ الخيشوم ـ فانها تنغلق هي أيضاً ولا يتهَيَّأ للجهاز الصَّوتي النُّطق بها . .

وحروف القلقلة الاشمامية هي القاف والكاف والجيم والتّاء والدّال والطّاء . . فانْ قُلْتَ «مَنْ كان» وسددتَ أنفكَ باصبعك استحال النُّطق بهذه الحروف فينعدم الاشمام كما تنعدم غنّته أيضا . .

أما بقيّة حروف الاشمام فانها تُؤدّي مُهمَّةَ الاشمام باعطائها ما فيها من رائحة مميّزة عند سدّ الأنف رغم أنَّ الغُنَّة تكون مُخْتَلَسَةً في هذه الحالة . . ونفس الأمر يقع عند عروض عاهة تَسُدُّ مجرى الخيشوم فتحول دون نطقه

بها نطقاً كاملا . .

٥ ـ الغُنَّة الكاذبة . .

وهي ما يقع للاَّم الساكنة ـ مشدَّدة وغير مشدَّدة ـ من تمويج وترعيد لايجيزهما شيء من قوانين التعبير السليم . . [٧]

هوامش أنواع الغنن..

١ ـ قال مؤلفوا كتاب «الفريد في فنّ التّجويد» ـ ص ٢٣ ـ في تعريف الغُنّة : «والغُنّة صوت رخيم لذيذ يخرج من الخيشوم» ولانرى من ضرورة لصفة الرُّخامة واللّذّة في تعريف الغُنّة . . فقد لايتحقق ذلك في كلّ غنّة وانّما تكون الرُّخامة واللّذّة في صوت دون صوت، وما كان كذلك فلا يتخذ أصلاً ومقياساً في التعريفات . . وقالوا في ذات الصّفحة «وهي ـ أي الغنّة ـ صفة ملازمة للميم والنّون لاتفارقهما أبدا» ثم نفوا ـ ص ٢٤ ـ ظهور الغُنّة فيهما عند الاظهار، فنفوا الملازمة . .

والحقيقة أنّ الحرف يأخذ أكثر من شكل صوتيّ بسبب تقلّبه في الكلام والمقاطع الصّوتيّة، فانّ النّون ـ مثلاً ـ حرف ساذج الصّوت في الاظهار، أما في الاشمام فانه يتذوّق فيه ذات صوت الحرف الآتي بعده مما ينتمي الى مجموعة الحروف الاشمامية مما أطلقنا عليه لقب الغُنّة الاشمامية . .

وهو ـ أي حرف النّون ـ يكون عند إدغامه في نونٍ مثله ذا غنّة صريحة لايمازجها صوتٌ دخيل . .

ويتعرض حرف النون للاقلاب الذي يبيت به راءاً ولاماً وميماً وواواً وياءاً بمقتضى أحكام الاقلاب . .

وبذلك يبدو للنّون أكثر من صوت واحد . . والزّعم بأنّ الغُنّة منغرزة في جسمه وملازمة له لاواقع صوتيّ له . .

وكذلك القول على الميم فانّه في حالة الاظهار يكون مجرّداً من كلّ غنّة، فانْ علقت به غنّة ما بطل معنى الاظهار فيه لأنّ الأظهار صفة منتزعة منها الغُنّة بالمرّة . .

٢ ـ قال في «التّجويد الواضح» : وقدرها ـ أي الغُنّة ـ مَدٌّ طبيعيٌ» . . وهو ما عليه القول في الكتب غير أنّ التّطبيق يجاوز ذلك وأحياناً ترى المجاوزة قد جاوزت حَدَّها لدى كثير من القراء . .

٣ ـ أورد في «فتح الملك المتعال» رَأْيَ من جَعَل غنّة النّون المنقلبة الى ميم غنّةَ نونيّة ثم قال «وذهب الباقون الى أنّها غنّة الميم، لأنّ النّون قد انقلبت الى لفظ الميم فهي غنّة الميم لاغُنّتهما» أي النّون والتّنوين ـ . .

وفي «تنبيه الغافلين» ـ ص ١٠٣ ـ قال «ذهب الجمهور وهو الصّحيح الى أنّ الغُنّة غنّة الميم لاغنّة

النّـون والتّنـوين لأنهمـا انقلبـا الى لفظهما . . » ـ وكان كلام صاحب التّنبيه على النّصّ القرآني «ومِنْ مال الله» . .

وسبب الخلاف أن الغُنَّة انّما تقع في الحرف الأول من الحرفين المدغمين ولكن اذ كانت النّون قد قلبت الى ميم من جراء أنها تهيّأت للإدغام فلقد صارت الغُنَّة فيها بسبب انقلابها الى ميم فهي غنّة في ميم مُجْتَلب منقطـع الصّلة بالنّـون ، وان كان حرف النـون مايـبرح هو الظّاهر في ساحة الكلام لأنَّ انقلابه حالة صوتيّة لالغويّة . .

٤ ـ قال الشّيـخ الميهي في «فتـح الملك المتعـال» ما نصّـه «والحـاصل أنَّ الغُنَّة التي كانت فيهما ـ النّون والتّنوين ـ قبل الادغام دامت بعده لأنهما بعد القلب لاغنَّة لهما لصيرورتهما واواً أو ياءاً» . . والحقيقـة انَّ الغنّـة النّـونيّـة الصّريحة انتفت في هذه الحالة لأنَّ تعريف الغُنَّة أنّها صوتٌ يخرج من الخيشـوم فاذا انغلق السّبيـل على الخيشـوم امتنعت الغُنّـة . . ولا نرى الغنن في الـواوات والياءات تنغلق بانغـلاق السّبيـل على الخيشـوم . . ومن هنـا قلنا في صفة هذه الغُنَّة إنّها شبه غنّة او إنّها غُنَّة ناقصة لأنّا لانمنع مثل ذلك كُلّيّةً في الواوات والياءات المشدّدة أصيلةً أو مجتلبة . . .

٥ ـ يستعمل مصطلح التّمكين في ثلاثة مواقع ـ

الأول: في حركة التّمكين وهي الضّمّة تكون على الواو مثل وُجُوه ووُجِد ووَعدْنا ومثل هُدُوا والكسرة تكون على الياء مثل يِسار بكسر الياء. والياء الثانية في «يُؤَيِّد» «ولم يُعْيِني الأمر» . . .

والثاني: مَدُّ التّمكين ويقع في الواو تمدّ مع الواو مثل «وُوري» وفي الياء تمدُّ مع الياء مثل عِلِّيِّين . . وتَبيِين وعَيِينـا فاليـاءان تحتـاجـان الى تركيز للاشارة الى اختلاط الياء الأولى بالثّانية ، وكذلك القول على الواوين . .

والثالث: في غنّة التّمكين على النّحو المفصّل في بابه . .

٦ ـ كانت القراءة العراقيّة قديماً تعتمد على اظهار الميم السّاكنة مع الباء . . وهي طريقة يخفُّ بها على القارىء من أمر الغنن ما قد يكون كثيراً متتابعاً في المقروء . .

٧ ـ قال الشيخ الميهي الأحمدي في كتابه «فتح الملك المتعال» ما نصُّه : «وأجاز بعض النّحويّين الغُنّـة مع الـلام خاصـة لزيـادة رخـاوتهـا على رخاوة الرّاء . . وبعضهم أجراها فيهما ـ ص ١١ ـ . .

ووصف ابن دريد في الجمهرة «١ : ٩» حرف اللام بأنها تنقطع بغنّة . .

والظّـاهـر أنّ الشّيـخ الميهيّ قال قولـه بنـاءاً على طبيعة حرف اللام اذ يقع فيها التّكرار وتجري معها

الغُنّة . . ولكنَّ قواعد الأداء وضوابطه الفَنّيّة هي التي يُصارُ اليها في تحديد الاختصاصات الشرعيّة للحروف، ولولا ذلك لكان المدّ تلقائياً بمقدار ما تتطاول اليه الأنفاس، في حين أنَّ قواعد التّجويد تحكّمت في ذلك فحدّدت أطوال المدود . . ومثل ذلك يقال في تقدير ابن دُرَيْد لواقع حرف اللام . . وانّا نكرر القول على أنَّ الواقع غير القاعدة والسّجيّة غير الافتعال . .

وهناك من علماء اللُّغة من نَصَّ على انحباس النَّفَس في اللام وهويريد بذلك أن تكون اللام غير ذات غنّة، كالذي اعتذر لمن يقلقل اللام بأنه يفعل ذلك حرصاً على اظهارها وحذراً من ادغامها في مابعدها، ولانرى لمن يصنع هذا عذراً وان سلمت نيته فانّ الظنّ لايغني من الحقّ شيئا . .

وقال في «مختصر فيوض النّور الودود» للشيخ عبدالمجيد الخطيب الموصلي ـ ص ٣٨ ـ «وذهب الهذليّ وكذلك الأهوازيّ على ما وجده الأزميري في «وجيزه» الى ابقائها فيها أي ابقاء الغُنَّة في اللام . . وأشار ابن الجَزَري في «نَشْره» الى أنّ ابقاء الغنَّة في الرّاء واللام معروف في القراءة . .

وقال في «الرِّعاية» ممّا نقله المرعشي : «ذهاب الغُنَّة في ادغامهما في اللام والرّاء هو المشهور المأخوذ به . . ونقل المرعشي عن الكَشّاف في «مِنْ رَبِّهم» أدغمت بغنّة وبغير غنّة . . »

قلنا انَّ وضع الغُنّة في الرّاء يُدْخِلُها في جماعة حروف الاشمام، وقد يكون هناك من يصنع هذا لاسيما عند حَضْرمة الرّاء أوعند اللُّثْغَة فيها أو غلبة الخُنَّة على بعض الخياشيم ولايصلح مثل ذلك أن يكون محلاًّ للقياس . . وفي هامش ص ١٧٠ ـ من «الوضع الجديد» قال هناك من أثبت الغُنّة مع اللام اذا كانت النّون ظاهرة في الكتابة القرآنيّة فان لم تكن مخطوطة مثل : «فِألَّمْ يستجيبوا لكم» و«ألَّنْ نجعلَ لكم» فلا غُنَّة . . وعلّلوا ذلك بأنّ فيه اثبات نون ليست في المصحف . . والحقيقة ان كتابة النّون وعدم كتابتها في مثل هذه الألفاظ لايتأتّى منه مثل الحكم الذي جاء به صاحب الهامش، وذاك لأنَّ النّون في «من» لوكانت مكتوبة فانها تقلب تلقائياً الى لام ليقع الادغام على وجهه الطّبيعيّ اذ لا إدغام بين حرفين ليسا في الأصل حرفا واحداً الاّ بعد عروض حالة الاقلاب في أولهما ليكون ذاتَ الحرف الذي يليه فيدغم فيه . .

وموضوع الغُنّة في اللام والرّاء نُظر فيه اذ كان بعض مقرئي تلك الأحايين يصنعون ذلك فبنى أناس من المصنّفين أحكامهم على هذا النّمط من السّماع الذي قُبِلَ على علاّته من غير اخضاعه للنقاش والمراجعة . .

ولا نزال عند رأينا في أن بعض الأحكام التي حكم بها على أوضاع الحروف وأوصافها لدى فريق من المصنّفين في هذا الحقل قد كانت من فعل الاعتماد على ما سمعته أسماعهم من تلاوات أناس لانظنّهم مصيبين في نطق بعض الحروف على الوجه السليم . .

ومثل هذا كائنٌ في أيامنا عند غربلةٍ من يلون أمر الاقراء في المساجد ومجالس العزاء وبعض المناسبات والاذاعات وفي ضمن هؤلاء غير قليل من المذيعين فانّا نجد فيهم من لايستبين الحرف في أفواههم . . وانّما يتمّ الاعتماد في إجراء الدّراسات التّجويديّة على من يكونون رؤوساً في القراءة واللغة وليس على كلّ من هبّ ودبّ.

الوقوفات القرآنيّة

ويراد بذلك أن يكون القارئ على علم بالمواقع التي يصحُّ عندها وقوفه وانتهاؤه وتنقُّله . . وانّما يُعْتمد في هذا على تَفَهُّم المعنى القرآني واستيعاب مقاصد الآي لكي يكون هناك شيء من الملاءمة بين المعنى والصَّوت المعبِّر عنه . . ولذا يجب أن يتزوَّد المقرىء ومن يُعْنى بأمور التّلاوة بالثّقافة اللُّغوية ، ويُلِمَّ بالبلاغة العربيَّة ويعرف مواقع الإعراب والبناء ويفقه فقه التَّفسير . .

فأن لم يكن القارىء كذلك أعياه أن يتبيَّن مواقع الوقوف ومنازل الابتداء والحركة . . بل انَّ القارىء الذي لايملك من أدوات المعرفة اللِّسانيَّة شيئاً سيخفى عليه كيف ينطق بالألفاظ في حالة الاستفهام والزَّجر والرِّفق والشِّدَّة والبدء والانتهاء وطبيعة المناسبة والمواقع الملائمة . . ان قواعد الأداء الصَّوتي لاتكفي وحدها للتّعبير السَّليم مالم يكن هناك قدرٌ كافٍ من اللُّغة والنَّحو واستيعاب احتمالات وجوه الكلام والنِّقاط التي ينتهي عندها الحديث القرآني . . . وانّا لنرى في المقرئين من يقف في مواقع لايمكن الوقوف عندها ثُمَّ نراه يعود الى ألفاظ سبق أنْ قرَأها فيتوَهَّم من لادراية له بالنُّصوص المقروءة أنَّها مكتوبة مرَّتين على الحالة التي ظهرت على لسان القارىء . . فانَّ هذا لايجوز في كتاب الله في التلاوات المسموعة، فما لم يكرَّر فيه من لفظ فلا يجوز تكراره الآ في حروف معدودة . .

انَّ القاعدة الغالبة في شأن الوقوفات القرآنيَّة أن يكون الوقوف على نهايات الآي، ولكنَّ ذلك لايَطَّرد فقد تكون نهايات الآي متعلِّقةً بما بعدها فلا يصحُّ الوقوف عليها. . وانَّما يتجَلَّى هذا لمن يفقه المعاني القرآنيَّة فيعرف أين يقف وأين لايقف. .

وقد نبَّه علماء القراءة الى أنَّه لايصحّ البدء بتلاوة آيٍ من نوع الآية التَّالية «كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموت» عند بدء تلاوةٍ للتمهيد لعقد نكاح. . كما انَّه لايصحّ بترجزءٍ من الآية وتلاوة ماتلا ذلك لاسيما إنْ كان هذا المتلوّ أو المراد تلاوته مُخِلاً بالمعنى القرآني كأن يبدأ بتلاوة «. . . انَّ الله فقير ونحن أغنياء» بعد بَتْرِ «لقد كفرَ الذين قالوا انَّ الله فقير ونحن أغنياء». . أو «. . . نحن أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤه» بعد بتر «وقالت اليهود». . أو «. . . لا أعبدُ الذي فَطَرَني» بعد بتر «ومالِيَ لا أعبد الذي فطرني» أورد هذا مؤلف «حقّ التّلاوة». . وقد يكون مثل ذلك مما لايقع لقارىء يفقه القرآن. . .

ومن محاسن التلاوة التَّقطيع في العبارات القرآنيَّة ليكون ذلك عاملاً مساعداً على حفظ ما يتلى من القرآن الكريم واستظهاره من قِبَلِ سامعه، وليكون كذلك وسيلة لإعطاء الصُّورة الواضحة للشَّخصيّات والحالات التي يصوِّرها القرآن ببلاغته المنقطعة النَّظير. . ومن ذلك ـ أي من تقطيع فقرات النَّصّ في الآية الواحدة ـ قوله تعالى: «واذا رأيتهم تُعْجِبُك اجسامهُم، وان يقولوا تَسْمَعْ لقولهم، كأنَّهم خُشُبٌ مسنَّدة، يحسبون كُلَّ صيحة عليهم، هم العَدُوُّ فاحذرهم، قَاتَلَهُم اللّهُ انى يُؤْفَكون». . سورة المنافقين الآية الرَّابعة

فهذه آية واحدة لو قَطَّعها القارىء هذا التَّقطيع فانَّ أثرَها في النَّفس يكون أعمق وأغزر. . ومن ذلك:

«اياك نعبد، واياك نستعين» بالوقوف على نعبد. . وهي أصغر من آية المنافقين، ولكن الوقوف على نَعْبُدُ لايخلو من تأثير وجدانيّ على السّمع والنّفس كما لايخلو من نكهة نغميّة جميلة. .

وقد منع أبو جعفر النّحّاس الوقوف على «نعبد» قائلاً: ولاتقف على ايّاك لأنّه نصب بنعبد، ولا على نعبد لأنّ مابعده معطوف عليه والتّمام نستعين[1]. .

وأبو جعفر واهمٌ في هذا فانَّ للوقوف على «نعبد» مُرَجِّحات كثيرة، منها أنَّ كون مابعدها معطوفاً عليها لايَتأتّى منه أنْ يُقْرَن المعطوفُ بالمعطوف عليه في التّلاوة على وجه الوجوب بحيث يلفظ المتعاطفان تِباعاً بصوتٍ واحد. . ومثل هذا الحكم ليس طبيعيّاً في الكلام. . والشيء الثّاني أنَّ المعطوف هنا مغاير للمعطوف عليه فلا يجب في هذه الحالة ـ أي في حالة المغايرة ـ الجمع بين المتعاطفين، ان لم يشأ القارىء الجمع بينهما، وقد يكون الفَكُّ والفصل بوقف قصير أو طويل مُرَجِّحاً على الوصل والجمع في قراءة المتعاطفين بصوت واحد. .

أما هذا التّغاير فانّه في الأوّل حصرٌ للعبادة بالمعبود، وفي الثّاني حصر للاستعانة بمستعانٍ واحد. . والاستعانة غير العبادة. . وانَّ في الفصل بينهما ما يجعل العبادة غير مشروطة بالاستعانة على قضاء الحوائج وإنجاز المطالب كما أنَّ في الفصل بين هذين المتعاطفين ما يجعل العبادة خالصة غير مشروطة. .

ثُمَّ انَّ الوقوف على «نَعْبُد» ينضُّ عن مذاقٍ تَعَبُّدِيٍّ رائع يستقرُّ في سمع السّامع عند الصّلاة خاصة فيُذكي في ضميره حماسَ العبادة ووَهَجَ التّقوى، فاذا تَمَّ ذلك واستقَرَّ معناه في النّفْس استأنف القارىء الجزء

الثّـاني من النَّصّ فقـال «وإيّاك نستعين» فجاء بمعنى الاتّكال على اللّه في أمـورِ الـرِّزق وسـائـر مطالب العبد الكثيرة، . فالفصل في هذا مُرَجَّح على الـوصـل أَلْبَتَّـة. . على أن مقـولـة النَّحّـاس غيـر مُلْزمـة لأَنَّهـا رَأْيٌ هو قائله، وليس ثَمَّـة نَصٌّ من حديث صحيـح يمنـع من ذلـك، كما أنّه لاتَواتُرَ هناك يُلْزِمُ بالوَصْل ويمنع الفصل. .

وقـال في حق التـلاوة ـ ص ٣٥ الطبعـة الثـانية ـ: ينبغي أن يراعي في الوقف الازدواج كأن يقرأ «تؤتي المُلْكَ مَنْ تشاء وتنزع الملك مِمَّن تشاء» ونحوه لايقف بينهما. .

ولسنا نرى ضرورة ذلك لأنَّ المعنى لاينقطع بتلاوة أحد الجزءين النظيرين إذ إنّه واضح من ايراد أحدهما مايتضمنه الجزء الآخر. . وهذا من نوع مايسمّى في المصطلحات البلاغية بالإرصاد. .

وعندنا أن إفراد مثل هذه الأجزاء بعضها عن بعض أولى من قرنها بقَرَنٍ واحد، وذلـك لمـوطن التـركيـز على العبرة وتذوّق المعنى القرآني المتضمّن سلطان الله وحكمه في خلقه. . وهو المكث الذي قال الله فيه «لتقرأه على النّاس على مُكْث». .

ونقـل مؤلف «تـربيـة الصَّـوت وفَنّ الالقـاء» ـ ص ٧٨ ـ عن بعض مؤلفي التجويد أنَّ الوقفَ على «الحمد» في «الحمد لله ربّ العالمين» وقفٌ قبيح. . ولا نراه قبيحاً بل هو حسن، لأنَّ كلمة الحمد مبتدأ وسامعها ينتظر بقية الكلام الذي يتمم الجملة الابتدائية وبذلك لايضلّ عليه من اللفظ والمعنى شيء فلا انقطاع ثَمَّة في الكلام فلا قبح إذَنْ. .

وفي «الـوضـع الجـديد» قال: وصَحَّ عن الشَّعْبي أنّه قال اذا قرأت «كُلُّ مَنْ عليهـا فان» فلا تَسْكُتْ حتى تقـرأ «ويبقى وجـه رَبِّـك ذو الجَـلال

والإكــرام» ثُمَّ عَلَّقَ على ذلـك قائـلا : قلت «واخـرجـه ابن ابي حاتم» . . والحقيقــة الظّـاهـرة انَّ الـوقـوف على «فـانْ» أكثـر تثبيتـاً لمعنى الفنـاء العـام، وأكثر جلبا للرَّهبة والخشوع وتَذَوُّق المعنى القرآني . . والاقرار بسلطان اللّه في ملكــوتــه . . لاسيّمـا وفي العبـارات القـرآنيّـات طول اذا اتّصلت في القـراءة . . ويغلب على الظَّنّ أن الشّعبيّ أراد هذا لكي لايستتبـع الـوقوف على «فـانٍ» الظَّنّ والتّـوهُّم بوقـوع «فبأيّ آلاء ربِّكما تكذِّبان» التي ترد بين الآيات الأخر في السُّورة . .

أمّا التّطاول بالنَّفَس الطَّويل وتلاوة جمهرة عديدة من الآي القرآني بصوت واحـد فانَّ ذلـك لايُعَـدّ ذا أَهَمِّيَّةٍ في التَّعبير بل هومباهاة بأمر يمكن أن يقع لمن يمارسه ويروض نفسه عليه . .

والأمر في الحقيقة يخضع لاجتهادات نابعة من القدرة على التّمييز بين معـاني الألفـاظ وَفْقَ سَعَـة الأفق الثّقافيّ الذي يكون عليه القارىء . . وقد قال في حَقّ التّــلاوة ـ ص ٣٩ ـ «فمــراعـاة المعنى هي الأصـل في الـوقف والابتداء» . .

ومن المؤسف أنَّ معظم المقرئين في العراق وسائر البلاد العربيَّة لايملكون حظّـاً من العلم ينفعهم في فهم دقـائق الآي القـرآنيّ ليستطيعوا أن يوائموا بين الصَّوت الالقائي وبين النَّصّ المقروء . .

نماذج من الوقوفات القرآنية ـ

في نهاية الآية الأولى من سورة ابراهيم جاء النَّصّ التّالي : «لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ الى النّورِ بِإذْنِ رَبِّهِمْ الى صِراطِ العَزيزِ الحَميدِ» . .

أما الآية الثّانية التي تلي هذه الآيَةَ فقد بُدِئت بقوله تعالى : «اللّهِ الذي لَهُ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ وَوَيْلٌ للكافرينَ مِنْ عَذابٍ شَديدٍ» . .

فانَّ اسم الجلالة في أوَّل الآية الثَّانية جاء بكسر الهاء لأنّه بَدَلٌ للعزيز الحميد. . فاذا وَقَفَ القارىء على نهاية الآية الأولى ثُمَّ بَدَأَ بقراءة الآية الثَّانية فانَّه لايصحُّ أن يقرأ لفظ الجلالة بكسر الهاء. . فان قرأها بالضَّمّ فانّ ذلك مخالف للنَّصّ والقاعدة. . فلا بُدَّ إذَنْ من إلحاق الآية الثَّانية بالأولى دون توقف. .

وهذه آية أخرى نَصُّها: «وما يَعْلَمُ تَأْويلَه الاَّ اللّهُ والرّاسِخونَ في العِلْمِ يقولون آمَنّا به. . .» آل عمران ٧

فانَّ من يرى جواز عطف الرّاسخين على اسم الباري عَزَّ وجَلّ لايقف على لفظ الجلالة. . والذين لايجيزون ذلك يقفون على لفظ الجلالة ويجعلون الواو في «الراسخون» بدء كلام آخر. .

وهذا نموذج ثالث من الوقوفات القرآنية «سَواء مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وسارِبٌ بِالنَّهارِ له مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ يحفظونه من أَمْرِ الله». . الرّعد ١٠ و١١ فانّ الوقوف على النهار والابتداء بما جاءت به الآيَةُ التّالية يُفْقِد المعنى جزءاً مترابطاً معه اذ إنَّ «له مُعَقِّباتٌ» من بعض الصِّفات التي وُصِفَ بها ذلك السّاربُ بالنَّهار، اشارةً الى قوّته وسلطانه وأنَّ له من الحَشَم والخَدَم ما يحسبهم يحفظونه من أقدار الله. .

وقد كان النَّصُّ القرآني قد وَرَدَ للمقارنة بين فئتين من النّاس أولاهما الفئة الضَّعيفة المذعورة التي لاتملك العون فهي في ظلام اللَّيل تلوذ بالاختباء، فكيف اذا طلعت عليها الشَّمس وانكشفت للنّاس ممن تخافهم وتخشاهم. . والفئة الثّانية فئةٌ قويَّة غالبة متسلِّطة لها حَشَمُها وخدمها فما تخاف من شيء. .

وعلى هذا ينبغي أن يُقْـرأ النَّصُّ القـرآنيُّ : «وسـاربٌ بالنَّهارِ لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يديه ومِنْ خَلْفه . . » دون فاصل، ليستبين القصد القرآنيُّ ويتجلّى معناه . .

ولاصحَّة لقول من قال ان ذلك واردٌ في حقّ النبيّ ، وإنَّ المعقّبات يراد بها الملائكة . . .

ومثـل ذلـك : «أُدْعُ الى سبيل رَبِّكَ بالحكمة والمَوْعِظة الحَسَنَة ، وجادِلْهُمْ بالتي هي أحسن . . فانَّ الـوقـوف على جادِلهم غير لائق لأنه يُوهِم الدَّعوة الى الجدل المحض في حين أنَّه جدلٌ بالتي هي أحسن . .

وبـذلـك يتأكـد أنَّ فهم معاني النَّصّ القرآنيّ من الضَّرورة بمكان لمن يقرأ القـرآن الكـريم فيـدرك فحـواه وغـايات تعابيره . . أما من يفوت عليه ذلك ولايـدري ما هو قارىءٌ من ألفـاظ الـذِّكر الحكيم ، فانّه لايدري كذلك أين يقف وكيف يقف ، ومن أين يبدأ وكيف يبدأ . .

ومثـل هذا النّمـط من الثّقـافـة اللغوية لاتقتصر ضرورته على كتاب الله عزَّ وجلّ بل انّه في غاية الضّرورة لكل من يقرأ نَصّاً عربيّاً من شعرٍ ونثر في غناء وغـير غنـاء ، لأنَّ جهل ذلك يُفْقد حافظَ هذه النّصوص وقارئها قدرة التّمييز بين منازلها في الألقاء الصَّوتي والتّعبير المستوعب لمعاني الألفاظ وغايات المتكلمين . .

كما أنّ اعتـماد بعض المقـرئـين على أسلوبٍ في التّـلاوة يُعْرَف لقارىء ما يؤدّي الى نقـل الخطأ دون تبصُّـر الاّ اذا كانَ النّـاقـل يحسن قوانـين النَّقد الاقرائي ويعلم ما يصحّ ومالا يصحّ . .

وما ازدحمت به صفحات القرآن من الرُّموز واشارات الوقوف لاينفع من كان غير مُلِمّ بالمعاني القرآنيَّة ، ولا من كان غير ذي دراية بأساليب البلاغة في

كتــاب الله، وهي كذلـك رمـوزٌ يغلب عليهـا الاعتبـاط المحض، ومنهـا مايُرْبِكُ من يحاول التّطبيق. . ونرىٰ القرآن في غنىً عن إقحام هذه الأمور في صُلْب آياته[٢]. .

كما أنَّ في نثر هذه الرُّموز بين الآيات والكلمات القرآنيَّة ما يحول دون تدبُّر القارىء معاني ما يقرأ لأنَّه أُلْزِمَ سَلَفاً باتِّباع نهج في القراءة غير مرادٍ مثلُه من القارىء. . ولو كان من يقرأ القرآن ـ من المتخصِّصين بقراءته ـ متفقِّهاً في فقـه اللّغـة وعـالمـاً بالتَّفسيـر لكان له في ساحة التّلاوة مجالٌ فسيح لتطبيق ثقـافتـه الاقـرائيَّـة المتكاملة في الرَّبط بين الألفاظ القرآنيّة وَصْلا ووقفا. .

ولكـان له كذلـك مجـال فسيـح في التَّعبيـر عن المقـاصـد المقصـودة في نصـوص القـرآن من زجـرٍ ومـوعظة، وعذابٍ ورحمة، ورفقٍ وشِدَّة. . فما يكون لمن لايفهم معاني القرآن أن يعرف ذلك. .

انَّ تكـوين فئـةٍ مستـوعبـة للثّقـافـة الاقرائيّة أمْرٌ ضروريٌّ غاية الضَّرورة ليكـون المقـرئون فصيلة من فصائل علماءِ الشَّريعة المتمكِّنين في مقامهم العلمي في حين أنَّ الذي هو كائنٌ في الوقت الحاضر أنَّ جماعة المقرئين لايُحْصَوْنَ في العلماء أصلاً وانَّما هم فئةٌ محترفة لصناعة كريمة يتعاطونها في منـاسبـات محـدودة وفي تعـاطيهم هذا أكثـر من نقطة ضعف من بينها جهلهم بمعـاني مايقـرأون من كتـاب الله العـزيز، وكفى بذلك عيباً يُعاب عليه من يحفظ القرآن ولايحفظ معانيه ومراميه وبيِّنات آياته. .

لامجـال للاسهـاب في موضـوع الوقوفات القرآنيَّة فانَّها تستحقّ الكلام الطَّويـل المستفيض وانَّمـا كان غايـة قصـدنا في هذه السُّطور التَّنبيه على وجوب دراسة التِّلاوة القرآنيَّة تلاوةً مقرونةً بقسط عظيم من علوم اللُّغة وَفقهِ

القرآن والتّفسير ليكون في العالم الاسلامي مقرئون ذوو علمٍ ودراية شاملة، وبذلك تخرج التّلاوة من دائرة الاحتراف الى دائرة العِلْم والثّقافة المتميّزة. . وانّ جهل المقرئين معاني مايقرأون سيكون قد انتهى عصرُه بايجاد طبقة من المقرئين تفهم النُّصوص المتلوّة فَهْمَ تفسير وبيان وتذوّق. .

وهو جهلٌ جدير أن يوصف بأنّه ذريع، على أنَّ تلافيه أهون بكثير من استظهار كتاب الله عَزَّ وجَلَّ بجميع سوره، فمن أمكن له حفظ السّور القرآنيّة الكريمة حفظاً جيّداً بما يملكه من مَلَكة الحفظ والاستظهار فانّ حفظ معاني القرآن وبقيّة علومه ليس بالأمر العسير على مثله لاسيّما ما يكون من باب الوقوفات والائتنافات مما يصقله التّطبيق وتجوّده الممارسة وينضجه الأداء الصحيح. .

هوامش الوقوفات

١ ـ الدِّراسات اللُّغويَّة والنَّحْويَّة في مصر للدكتور احمد نصيف الجنابي ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م . .

٢ ـ في سورة القدر ـ في شتىّ المصاحف ـ وُضِعَتْ علامة «لا» على كلمة «أمْر» في قوله تعالى «مِنْ كُلِّ أمْر» . . ووضعت علامة «قف» على كلمة «سَلام» فصار القارىء يقرأ «من كل أمْرٍ سلامْ» ثم يقرأ «هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْر» . . فيبدو المعنى في هذا النَّصِّ غير ذي معنى ، اذ إنَّ محتواه يعني أنَّها ليلةٌ تنتهي عند مطلع الفجر وذاك هو من خصائص كل ليلة من ليالي الزَّمان ، في حين أنَّ الله ألْبَسَ هذه الليلة ثوب السَّلام حتى مطلع فجرها . . فلا يصحُّ الوقوف على سلام إذَنْ . .

موسيقى التّلاوة والمقرئون البغداديّون

كانت قراءة القرآن الكريم مُرَتَّلًا بالنَّغمة مسألةً حتميَّة، فمنذ أن نزلت آياته نُغِّمَتْ تنغيما وُرُتِّلَتْ تَرْتيلا، اذ كان من طبيعة نَسَقهِ الجميل اَنْ يتواءَم مع النَّغمة ويتساوق مع اللَّحن رغم انه لم يكن شعراً ذا تفاعيل موزونة..

وكان لابدَّ أنْ تعيش موسيقى النَّغَم في ظلال اللفظ القرآني البارع الأخّاذ، ولم يكن شيء من هذا بِدْعاً في الأشياء فلقد اقرَّت الأديان القديمةُ مسألة النَّغَم والايقاع فقرنت بها المزامير وعُبِدَ بها الله في الهياكل والأديرة والصوامع والمحاريب..

وكان لابدَّ أن يُقرأ القرآن الكريم منذ نزل، باللَّحن والنَّغم اذ كانت النَّغمة معروفةً لدى العرب يعنون بها ويحفلون بأربابها، بل انَّها لم تكن تعدم من بين أشراف الناس من كان يحسن الغناء ويفقه اصوله ويجيد أداءه، فلقد ذكرت الكتب عِدَّةً من هؤلاء كان منهم ابو لهب عم الرسول..

ففي المسعودي (٥/ ٤٤٩) انَّ يزيد الثّاني سأل ابن ابي لهب ـ وكان مُغَنّياً ـ عن استاذه في الغناء فقال «أبي». فقال يزيد لولم تَرِثْ الاّ هذا الصَّوت لكان ابو لهب قد ورَّثكم خيراً كثيرا، فقال يا أمير المؤمنين اِنَّ ابا لهب مات كافرا مُؤْذياً لرسول اللّه ﴿ﷺ﴾ فقال أعلم ما تقول ولكن دخلتني له رِقَّة اذ كان مُجيدَ الغناء...

وكانت في الجاهلية قينات كثيرات يغنِّين في النّاس سوادِهم

وسـرواتهم، ويغنّين كذلك في الحانات والبيوت، وقد جاءت الاشارة الى هذا في غير نصّ من النّصوص الجاهليّة كان منها قول طرفة بن العبد:

نَدامـايَ بيضٌ كالنُّجـوم وقَيـنـةٌ تَروحُ علينـا بينَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ
اذا رَجَّعَتْ في صَوْتِهـا خِلْتَ صَوْتَهـا تَجاوُبَ أظـآرٍ على رُبَـعٍ ردي
اذا نحن قُلْنـا أَسْمِعينا انْبرَتْ لَنا على رسْلِهـا مَطْـروفَـةً لم تَشَـدَّدِ

وكـان من دأب الشّبـاب التّغني والتّـرنّم بلحـونٍ لهـا اسمـاؤها وأوصافها، وعرف عن أهل الجاهليّة اقامة الحفلات الليليّة السّاهرة يعكفون فيها على الغنـاء الى اقصى الليـل، أمّا الحفلات الشّعبية التي كانت تقام مصحوبة بالغناء والموسيقى فكانت شائعة عندهم كل الشُّيوع.

وعـرفـوا الحُـداء فاشتـركـوا في التّلذذ بنَغَمـاته هم وابلهم واشتهر فيهم العـدد الكبيـر من الحُـداة وكـان لابُـدَّ من ذلـك مادام العربيّ يألف التّنقُّل والضّرب في الأرض على بعيره..

وأصغى الرّسول الى الحداء، ولفت نظر الحُداة يوماً الى الرّفق بالقوارير اذ كان في القافلة شيء من النّساء وهنَّ اكثر خلق الله تأثُّراً بالنّغم الشّجيّ الرّقيق..

ولقـد اشتـرط الحُطَيْئَةُ الشّـاعـر على جارٍ جاوره ان لايغنّي، يتحاشى بذلـك ان يفعـل الغنـاء فعـل السّحـر في أهـلِ خبـائـه، ويستفاد من ذلك استفاضة الغناء وشيوعه بحيث كانت الناس تغنّي حيثما شاءت..

ويـوم هاجـر الـرسـول الى المـدينة كان حاديه ذو البِجادَيْن يحدو لناقته بمقاطع من بعض ألفاظها قوله:

تَعَرَّضي مَدارِجاً وَسومي
تَعَرُّضَ الجَوْزاءِ لِلنّجوم

هذا أبو القاسم فَاسْتَقيمي .

والحُداء على ما عرّفه الغزالي أشعارٌ تؤدّى بأصواتٍ طيّبة وألْحانٍ موزونة . . ولم يكن انشاد الشّعر الاّ على وجه من وجوه التّغنّي والتّرتيل ، واذ نعلم ـ على كل حال ـ انَّ الغناء عاش مع العربيّ وهو طفل يُناغىٰ في مهده حتى بَلَغَ من العمر عِتّياً فمات فَأُبِّنَ وقيمَ على قبره لانجد انَّ من المعقول ان تُغفِلَ الشّريعة الاسلامية هذه النّواحي كلها فتدعو الى قراءة القرآن ساذَجاً هَذّاً كما يقرأ احدُنا صحيفة مكتوبة . .

وجاء في كتاب الموسيقى والحضارة للدكتورة سَمْحة الخولي «انَّ الدِّين قَدَّرَ جمال الصَّوْت وما يمكن ان يكون له من أثرٍ على النّفس فَحَبَّب الى المسلمين تَزْيينَ القرآن بأصواتهم» . .

ونجد في النّصوص الدينية شيئاً يدلُّنا دلالةً ظاهرة على أنَّ عِدَّةً من القراء نَشأوا ايام الرسول فأحسنوا في الالقاء وجوّدوا في الأداء كان منهم أبو موسى الأشعري فانَّ الرسول قال له يوماً «لقد استمعتُ اليك البارحَة ، لقد أوتيتَ مِزْمارا من مزامير آل داود» فقال لو كنتُ أعْلَم أنَّكَ تستمع اليَّ لحَبَّرْتُهُ لك تحبيرا . . فدلَّ هذا على أنَّ مقرئنا كان ذا قدرة نغميَّة حسنة بحيث كان يستطيع ان يقرأ القرآن على أيِّ وجهٍ شاء من وجوه الاداء النغّميّ . .

ونَوَّهَ الرَّسول بصوت عبدالله بن مسعود في القراءة فقال في ذلك «من أرادَ ان يقرأ القرآن غَضّاً كما أُنزل فليقرأ بقراءة ابن أُمِّ عبدٍ» . . والمراد بذلك الاشارة الى ما كان عليه ابن مسعود من البراعة في الأداء النّغمي اذ كان رقيق الصَّوْت ذا تطريبٍ فيه ، بحيث دعا الرسولُ الى تخيُّر طريقته في تلاوة الذّكر الحكيم . . ويتحدث ابن مسعود عن نفسه وهو يصف بعض

ضروبٍ من قراءته قائلا «اذا وقعتُ في آل حَم وقعتُ في روضاتٍ دَمِثاتٍ أتأنّق فيهنّ» . .

وهكذا انتظمت لآيِ القرآن دساتينُ الحناجر فتُغنّيَ به في كل دهر وفي كل جيل منذ نزل حتى يوم الناس هذا، وما برحت آياته يصدح بها الصّادحون فيستهوون الأسماع ويفتنون الألباب.

على أنّا نعلم بالبداهة أن ذلك حين أُذِنَ به في تلاوة القرآن انما أُذِن به أن يُؤدّي باللّحن المهذّب، والنّغم المقرون بالحشمة والوقار، لأنّ القصد فيه التعبّد لا الترفيه، . وكذلك القول على الأنغام الغنائيّة فان من ضروريّاتها مصاحبة النُّصوص المُتَغَنّى بها والحالات المتغنّى فيها بما يلائمها من الايجابيات والتوافق دون ماينافضها من السّلبيّات والتّنافر . .

وفي القرآن الكريم نَصٌّ يشير الى فعل التّلاوة في النّفوس هو قوله تعالى في قُسس نَجْران : «واذا سَمعوا ما أُنْزل الى الرَّسولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْع . .» ولا شَكَّ اَنَّ للنَّغْمة هنا حظّاً من التّأثير على اولئك القوم حين سمعوا القرآن وهو يُتْلىٰ عليهم . ذلك انَّ النَّغمات اذا ركبت اجنحة الصّوت الحَسَن جاءت بالبِدْع البديع من التّأثير على الأسماع وفعلت فعل السِّحر في النّفوس، اذ كان الصّوت الجميل اَبَدَ الدّهر من أمتع المُتَع وأطرَف الطُّرَف في مجالات الائتلاف وسائرَ أمزجة النّاس . .

وهناك قواعد تتصل بالأداء القرآنيّ تتعيّن بها مخارج الحروف والادغامات والغنن والاشمامات والاظهارات ونحو ذلك ممّا رسمته مصادر التّلاوة واصولُها، فينبغي على القارىء الذي استوفى نصيباً من الصَّوْت والنَّغَم ان يلتزم في تلاوته بهاتيك الأحكام والقواعد فانّها الحجر الأساسيّ في هندسة اللفظ القرآني البليغ .

والحقيقة الثّابتة أنّ كُلّاً من النّغَم والصّوت الجميل وأصول الاداء حقيق ان يكون أسبق من قرينيه في حلبة التّلاوة. فلا نملك ان نميّز بين أحد من هذه الأشياء الثّلاثة. . فاذا كان لابدّ من ترجيح وتنسيق فانّ الاسماع اكثر حفولاً واصغاءاً للأصوات الطّيّبة لأنّها أوضح شيء بالنسبة اليها، ثُمّ يلي ذلك أمرُ النّغم فانه قد يخفى على قوم دون آخرين، ثُمّ يليهما ما يتّصل بالقواعد والأصول الأدائيّة فانّ هذه تَدِقّ على كثير من النّاس الا من تلقّاها بالدّراسة والتّحصيل. .

ومصداق هذا أنّ ابن عُيَيْنَةَ كان يتردّد على كُتّابٍ فيه صبيانٌ يتعلّمون القرآن فكان يصغي الى قراءاتهم اذ كان يستهويه جمال الصّوْت من قارىءٍ بينهم، قال الشّافعي «رأيت سفيان بن عيينة على باب كُتّاب فقلت له ماتعمل؟ قال أُحِبُّ ان اسمع كلام ربّي من هذا الغلام». .

وبديهي ان ذلك الصّبيّ لم يكن ملمّاً بالتّجويد وأصوله ولا بالانغام وشُعَبِها وانّما كان كُلّ رأس ماله الصّوْت الحسن المروّق.

وكان إحرازُ مقرئي القرآن المكانةَ الحَسَنَةَ والشأنَ لدى النّاس واستدرارهم بقراءتهم اهتمامَ الوُلاة، واصطفاءَ الخلفاء إيّاهم احد الادلة على الحفول الاجماعي للطّرائق النّغميّة المقروءِ بها بل انّ من القراء من قال ابن قتيبة في عيون أخباره إن الغرور جَرَّهُمْ الى الاستطالة بذلك على أهل بلادهم. .

ومن قديم اصطفت الخلفاءُ مَهَرَةَ المقرئين واهلَ الحِذْق والتّجويد فيهم وكان هرون الرشيد معجباً بقراءة سعيد العَلّاف فكان يُحْظيه ويُعْطيه ويُعْرفُ بقارىء أمير المؤمنين ـ «ابن قتيبة في عيون الأخبار».

ومن الأمر الطّبيعيّ ان تدور رحى تنافسٍ عظيم بين المقرئين والمغنّين

مادام لأهـل الغنـاء الشأنُ والحفـاوة في القصـور والبلاطات ولدى كثير من النّـاس، وجَـرَّ هذا الى ان يأخـذ هؤلاء من هؤلاء، يتسـارقـون اللّحن ويتنـازعـون النَّغَم ويضاهون المغنِّين في منحاهم الغنائي . . قال ابن قتيبة في كتابه «المعارف»:

(وكان القراء كلهم الهَيْثَمُ وأبان وابنُ أعْيَن وغيرهم يُدْخِلون في القراءة من ألْحـان الغنـاء والحُـداء والـرَّهبانيَّة، فمنهم من كان يَدُسُّ الشيء من ذلك دسّاً رقيقا، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه فمن ذلك قراءة الهيثم «أمّا السَّفينةُ فكانَتْ لمساكينَ يَعْمَلون في البَحْر»[٢] سلخه من صوت الغناء كهيئة:

أمّـا الـقطـاةُ فانـيّ سوف أنْـعَـتُـهـا   نَعْتـاً يوافق نَعْتي بَعْضَ مَفيهـا

وكـان ابن أعين يدخـل الشيء ويخفيـه، حتى كان التُّرمذيّ محمد بن سعد، فانّه قرأ على الأغاني المولدة المُحْدَثَة سَلْخاً في القراءة بأعيانها) . .

ونقل ابن حجر في كتابه «آداب قراءة القرآن» انَّ الناس ابتدعوا في قراءة القـرآن اصـوات الغنـاء وشيئـاً يسمونه التَّرعْيد، وهو أن يُرْعَدَ صوتُه كالذي يُرْعَدُ من بَرْدٍ أو ألَم، وآخر سموه التَّرقيص وهو ان يروم على الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عَدْو وهَرْولة . .

وآخـر يُسَمّى التَّطـريب وهـو ان يَتَـرَنَّم بالقـرآن ويتنغَّم به فيمـدَّ في غير موضع المدّ ويزيد في المدّ مالا ينبغي، وآخر يسمّى التَّحزْين وهو اَنْ يأتي به على وجه الحزن حتى كأنَّه يبكي مع خشوع وخضوع . . »

وجـاء في وصف التحـزين في نفس الرسالة بأنه تليين الصَّوْت وترقيقه، وجـاء فيهـا من الأنمـاط في القـراءة ما يسمى بالحَدْر وهو رفع الصَّوت تارةً

وخفضه أخرى . .

وكان من الفقهاء من يروِّعهم مثل هذا فيروون للنّاس الاحاديث القائلة «اقرأوا القرآن بلُحون العَرَب واصواتِها، وايّاكم ولحونَ أهلِ الكتابين وأهل الفِسْق فانّـه يجيء بعـدي قومٌ يرجِّعون بالقراءة ترجيعَ العُبّاد الرَّهابنة مفتونة قلوبهم وقلوبُ من يُعْجَبُ بشأنهم» وفي حديث آخر «وايّاكم ولحونَ أهل العِشْق» .

وهنـاك كتبٌ كثيـرة أُلِّفت في النَّهيْ عن قراءة القـرآن بالألْحـان واخرى أُلِّفت في اباحة القراءة بها، وكان لكل فريق من اولئك الفريقين شيءٌ مما يحتجُّـون به من نَصٍّ او أصـلٍ فِقْهي . . والظـاهـر الواضح أنَّ قراءة القرآن بالنَّغَم أمرٌ لاغُبار على حلِّيّته ولكنَّ شيئاً من ذلك اذا خرج عن طوره وجاوز حدَّ الاعتـدال وَجـرَّ الى الفتنـة فانَّ من حق المُتَفَقِّهَة في الدِّين أن يُبْدُوا من الرَّأي ما يبدون في هذا الصَّدد . .

ولعـل حجَّـةَ ما نعي القـراءة باللَّحن انْبَنَتْ على تعليـلات لوحظت بها نقاطٌ خاصَّة من الضَّرورات والمحظورات بالاضافة الى ما كان لدى فريق منهم من تَعَصُّبٍ على المـوسيقى وتَحَـرُّجٍ في مسألتهـا، فمن هؤلاء من شاء أن يقول «انّ استماعَ القرآن بالألْحان مَعْصِيَةٌ والتّالي والسّامع آثمان» ـ نقله النابلسي في ايضاح الدَّلالات ـ

بل انَّ من الفقهاء من نَهَوْا عن التَّواجد عند سماع القرآن ولم يكن هذا الا ردَّ فعـلٍ نشأ لدى الفقهـاء ازاء ما كان يصنعـه المقـرئـون من انطـلاق شاسع في حَلَبات التَّنافس النَّغَميّ بينهم وبين المواسقة والمغنِّين .

وليس من الغـريب ان نعلم أنَّ بعض كبـار المغنِّين كانـوا يحسنـون التِّـلاوة ، ففي كتـاب المـوسيقى العـراقيَّـة للمؤرِّخ العَزّاوي أنَّ عبدالقادر

المراغي - وهو من عظماء المغنين في بغداد في القرنين الثامن والتاسع - قرأ القرآن في بعض المحافل بصوتٍ عالٍ ولَحْنٍ جذّاب . .

ولا اجدني أشُكُّ في أنَّ قرّاء القرآن شأوا المغنّين كُلَّ شأو، ولا يطعن في هذا أنَّ المغنّين يغنُّون على آلات موسيقيَّة وضوابط ايقاعيّة، وأنَّ مقرئي القرآن انما يقرأون القرآن بحناجرهم المجرَّدة من كُلِّ شيء لايجدون غيرها مما يشحذون به العزم على صِناعة اللَّحن من آلة وايقاع . .

على أنَّ القرآن وان كان يُجَلُّ ان يُقْرأ مصحوباً بالمعازف فانّه لن يحتاج اليها ألبتّة، ذلك لأنَّ الحنجرة هي التَّخت الموسيقي الأوّل الذي صنعه الله اذ تتجسَّد عليه اروع النغمات والألحان وانَّ الحناجر السَّليمة التي وهبها الله الرَّخامة والبُحَّة لتستغني عن كل تخت موسيقيٍّ كُلَّ استغناء . .

وقد نصَّ أهل الصّناعة على هذه الحقيقة، قال ابن زيلة المتوفّى سنة ٤٤٤ هـ في كتابه «الكافي في الموسيقى» (وليس هنا ما هو اكمل من الحُلوق فانّها تجمع كُلَّ فصول الأصوات، وسائرُ ما يؤخذ فيه النَّغم من الآلات ينقص عنها نقصاً كثيرا) ويقول كذلك «والألحان الكاملة انما توجد بالتَّصويت الانساني».

ويقول الاستاذ رؤوف يكْتابك في مطالعاته حول مؤتمر الموسيقى العربيَّة المنعقد في القاهرة سنة ١٩٣٢ - ص ٢٩ - «من الحقائق المعروفة عند رجال الموسيقى أنَّ حنجرة الانسان هي اكمل آلات الطرب» . .

ويقول الاستاذ احمد الديك في كتابه «نيل الارب في موسيقى الافرنج والعرب» ص ٩٦ - «واعلم ان احسن الطرق في العمل الموسيقي هو العمل بالصّوت الانساني فانه اعظم بكثير من العمل بغيره من الوسائط الموسيقيَّة الأخرى وكفى بفضله أن يوصل المعاني الى الذِّهن في الالحان

الملفوظة فأنه يشجي ويطرب اكثر من غيره». .

وكذلك ثبت علميا «ان من أشدّ الاصوات تأثيرا الانغام ذات الذّبذبات العالية النّاشئة من صوت الانسان». .

وكان مما ابتكر من الطّرائق النغمية في قراءة القرآن الكريم ما نقله ابن حجر في كتابه «آداب قراءة القرآن» من انّه لابأس بالادارة للقراءة فانّها جائزة وحسنة، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم يقرأ البعض الآخر قطعة بعدها وان يجتمع جماعة على هذه القراءة.

وكانت هذه الطريقة معروفة في بغداد اشار اليها ونوّه بها الرّحّالة ابن جبير الذي زار العراق سنة ٥٨٠ هـ فقد قال في رحلته (ثم شاهدنا صبيحة يوم السّبت مجلس الشّيخ الفقيه الامام الأوحد جمال الدين ابي الفضائل بن علي الجوزي رئيس الحنبليّة والمخصوص في العلوم بالرُّتَب العَلِيَّة، ويبدأ القرّاء وعددهم نَيَّفَ على العشرين قارئاً فينتزع الاثنان منهم او الثّلاثة آيةً من القرآن ويتلونها على نسق بتطريب وتشويق فاذا فرغوا تلت طائفة اخرى على عددهم آية ثانية.

ولا يزالون يتناوبون آياتٍ من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءةً وقد أتَواْ بآياتٍ مشتبهات لايكاد المُتَّقِدُ الخاطر يُحْصيها عدداً أَوْ يسمّيها نسقا». .

وقال ايضا «ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بُكْرَةَ يوم الخميس الحادي عشر لصفر في باب بَدْر في ساحة قصور الخليفة ومناظرُه مشرفةٌ عليه وقد تَسَطَّرَ القُرّاء امامَه على كراسيَّ موضوعة، فابتدروا القراءة على التّرتيب وشَوَّقوا ماشاءوا وأَطْرَبوا ما أرادوا وبادرت العيون بارسال الدّموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تِسْعَ آيات من سُوَرٍ مختلفات. . .»

وهذا النّمط من التّلاوة لايعرف اليوم لدى مقرئي بغداد اللّهم الاّ

مايتعـاطـاه انـاس من المـؤذِّنين بين يدي صلاة العشـاء من ليـالي الجُمَع احياناً قبل التَّأذين لاقامتها، حيث يقرأون بصوت واحد سورة الاخلاص . .

ويحـدثنـا أبن جُبَيْـر مرة اخرى عن القرّاء البغداديين اذ يقول في بعض كلامـه على وعّـاظ بغـداد «فأوّل من شاهـدنـا مجلسـه منهم الشَّيخ الامام رضيّ الدِّين القزويني رئيس الشّافعيَّة وفقيه المدرسة النّظاميَّة والمشار اليه بالتَّقـديم في العلوم الأصـوليَّـة، حضـرنـا مجلسـه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصـر من يوم الجمعـة الخـامس لصفر المذكور ـ أي سنة ٥٨٠ هـ فصعـد المنبـر وأخـذ القـراء أمـامه في القراءة على كراسيَّ موضوعة فَتَوَّقوا وشَوَّقوا وأتوا بتلاحين مُعْجِبَة ونَغَماتٍ مُفرحة مُطْرِبَة .» . .

فانّ ممـا يستفـاد من هذا الكـلام ان المقرئين في بغداد كانوا من الكثرة الكاثرة بحيث تتداعى الجماعة منهم على القراءة بين يدي الوعاظ، ويدلُّ ذلـك كذلـك على تكـافـؤ هؤلاء في الاجـادة وعلى تفـاوتهم في الطَّرائق والاساليب والاّ لاسْتُغْنِيَ بفريق عن فريق . .

ومنذ وقت بعيد نزر عدد المقرئين في بغداد وهـم اليوم أقل عدداً فلانعلم المجيدين منهم الاّ دون ما يعبَّر عن قلّته بعدد أصابع اليد الواحدة . .

ان شهـادة ابن جبيـر للطّـريقـة البغـداديـة بالتّشـويق والاتيـان باللحن المُعْجِب والنَّغَم المُطْـرِب لشهـادةٌ ذات أهميـة ظاهـرة، فانّـه رجـلٌ جابَ ارجـاءَ الـدُّنيـا واستمـع الى مقـرئين كثيـرين فكان ما أثبته في صفة التِّلاوة البغدادية يومئذ أمراً صدر فيه عن علم وَبيِّنَةٍ ثابتة . . على أنَّ مقرئي بغداد رغم قلّة عددهم اليـوم تعـرف لهم اسـاليب ومـدارس متعـدِّدة في التِّـلاوة الاّ أنّها ذات اطار واحد هو هذا المقام العراقي[٢] الذي يُعْنَوْنَ به عدلَ عناية

المغنّين به وانَّ منهم من يتـابــع المغنّين في التِّـلاوة على نفس أنمـاطهم النَّغميـة فيأتي بالآيـات مقـروءةً بمثـل ما يأتي صاحب المقـام بالمقولات الشِّعرية ونحوها يتغنّى بها تحريراً ومَيانَة . . وان كنا لانرتضي ذلك في التّلاوة . .

ولانعـرف نَغَمـاً قرأ به قراءُ المقـام والمغنـون الّاقَرأَ به المقرئون لايَشِقُّ عليهم شيءٌ من ذلك فَتَأَتّى من هذا أن تخلد عشرات الانغام على حناجر رجال التِّلاوة والاقراء جيلاً بعد جيل بل ان عِدَّة من المقرئين الذين عاصرنا كانوا مرجعا في امر المقامات واصول الغناء . .

وقـد لبثت بغـداد ترثُ مجدها الاقرائي وسبقها في مضماره على مقرئي العـالم ففي القـرن التّاسع شهد اليَعْقوبي المؤرِّخ الجَوّابة ـ الذي زار كثيراً من البـلاد العـربيّة والاسلاميّة ـ في كلامه على البغداديين بأنَّه لم ير أَصَحَّ من قارئهم ، وهي شهادة ذات أهمّيّة عظمى . .

ولم يكن تثبيت نمـاذج صوتيّـة لمقـرئي بغداد بالأمر الميسور قبل شيوع وسـائـل التَّسجيـل الحديثة رغم انَّ التَّسجيل الاسطواني عرف وشاع أوائل هذا القـــرن ، ذلـك لأنَّ هذه البحـوث لم تجـد من يُعنى بهـا كُلَّ العنـايـة أوبعضها ، وبذلك حُرِمْنا نماذجَ حَسَنة لتلاوات بغدادية كان يتلوها غير واحد من المجيدين كالمُلاّ جاسم بن سَلامة والمُلاّ جاسم بن أمين وابراهيم بن جِريشة والحاج عبّاس المؤذن والحافظ خَمّاس الشيخلي . .

وفي خواتيم هذه السُّطـور أَقتبسُ نَصّـاً ورد في كتاب الموسيقى العراقية تأليف الاستـاذ عبـاس العـزاوي ق"ل العـزاوي «والعرب خلدت آثارهـم في المـوسيقى مكـانةً ساميةً بين الاقوام ـ وقد ادَّوا خدمة كبيرة في ترتيل القرآن

الكريم فصار من اكبر ما تميل اليه النفوس للتّوافق بين ألفاظه المُنَسَّقة «نَظْمِهِ المُعْجِز» وبين النَّغمة الموسيقيّة والاتّصال الوثيق بها فكأنّه في انتظار هذا التّطبيق ليظهر الاعجاز اعظم فيدخل المعنى في ذهن السّامع بسهولة وبذلك تكمّلت بلاغته بالالتفات الى اطّراد نغمته الموسيقيّة . .

وقال كذلك «والموسيقى خاصةً نالت اهتماماً كبيراً لحدٍّ أنّها دخلت قراءة القرآن الكريم وصار يراعى فيه الصَّوت الموسيقيّ وبذلك جَذَبَ وَجَلَبَ . . ولاشك انَّ الصَّوت المنظَّم تنظيما علمياً زادَ في بلاغة الكتاب الكريم زيادةً مشهودةً لما في ألفاظه من انسجام وبلاغة . . فساعَدَ ـ ذلك ـ على اتّساق ألفاظه واطّرادها بحيث يُعْتَقَد أنَّ اللحن مقصود بها وانه ـ اي القرآن ـ مُتَّصِلٌ بالموسيقى اتّصالاً وثيقا» . .

ثُمَّ ذكر العزاوي ان القراءة ـ اي التّلاوة ـ تعدُّ من أسباب حماية الموسيقى وانّها طريق تمكُّنها . .

× ـ من محاضرة ألقاها المؤلف في المؤتمر الدّوْلي للموسيقى العربيّة الذي انعقد في بغداد عام ١٩٦٤م

(١) ـ كان يقرأ النص «لِمَسَكين . » . . محاكاة لقول الشاعر:

أمـا الـقطـاة فانـي سوف أنعتهـا
نعتـاً يوافق عنـدي بعض مَفيهَـا

يريد . . بعض ما فيها، فألغى المدّ في ما . . .

(٢) ـ المراد بذلك ما يستمدّ منه المقام أنغامه لا ماتكون عليه طريقة التغني به فانّ لكل مقام طريقةً وتكويناً خاصاً به . . وقراءة القرآن تعتمد في هذا الصدد على الأنغام كأنغام مستقلة عن المقام لاكأنغام في صلب المقام . .

مراتب التّلاوة ومجالاتها المعاصرة

تختلف مراتب التّلاوة في كل جيل عن جيل آخر غيره، وذاك بما يُنْشِئُهُ مُقْرِئَةُ كُلِّ جيل من أنماطٍ مبتدَعة في القراءة، ورغم أنَّ أصول التّلاوة وقواعدها ثابتة، فانَّ الجانب النّغمي هو الذي يضع المميِّزات العامَّة والخاصَّة لكلِّ تلاوة بالنِّسبة لما تكون عليه من مواضعات فَنِّيَّة متطوِّرة. .

وليس من العجيب أن لاتكون لنا معرفةٌ وثقى بالنّماذج الصَّوتيَّة التي طُبِقتَ في تلك الفترات لعدم امكان تثبيت ذلك وتسجيله على نحو ما هو ممكن في الوقت الحاضر. .

والتِّلاوات المعروفة اليوم مجهولة الأصول ولذا تُرى مختلفة ومتنوعة ومتميزة قَلَّما تتقارب في مناحيها بل انَّ في بعض الأنحاءِ العربيَّة من لايحفل بالنَّغمة، فلايفرغ لها مكاناً في تلاوته على ما نسمع من بعض الأذاعات . .

ومراتب التِّلاوة التي يمكن التَّنويه بها في أيامنا هي أَنَّ أَرْقى مراتبها أن يجمع المقرىء بين النُّطق الصَّحيح الذي تقرّره كتب التَّجويد وبين الأداء النَّغمي وفق قواعد الغناء الى الحدّ الذي تحفظ به هيبة كتاب الله وتتقبَّله النَّفوس المؤمنة[1] . . رغم أن هناك من يتصرَّف في تلاوته تصرُّف المغنِّين تَماماً، وعلى هذا أكثر من علامة استفهام . .

والمرتبة الثّانية هي مرتبة تلاوة علماء الأئمة في صَلَواتهم ، فانَّهم يقرأون آيَ القرآن على طبقة صوتيَّة هادئة يحرصون فيها على الجمع بين القاعدة

والنَّغمة. . وعلى هذه السُّنَّة يكون غالب قراءة النّاس في بيوتهم. .
والمرتبة الثالثة هي تلاوة من يتعجَّل التِّلاوة مكتفياً فيها باظهار الحروف بحيث يتبيَّنها من يكون قد سمعها ولكنَّ جانباً كبيراً من قواعد التِّلاوة يتسامح فيه وكذلك القول على النَّغمة التي تفقد نسبة عالية بالمئة من شخصيَّتها. .
وعند الاستشهاد بالآيات القرآنية عندنا فانّا نقرأ تلك الآيات كما نقرأ أيَّ نَصٍّ منثور، وهذا على عكس ما هو معروف في بعض البلاد الاسلامية اذ يقرأون الاستشهادات القرآنيّة بشيء من التَّنغُّم والصَّوت الغنائيّ الخفيف. .
وكانت قد ابتكرت في بغداد قبل بضعة عصور طريقة فى التّلاوة يقال لها الادارة، * وهي أن يقرأ غير واحد من المقرئين معاً وفي وقت واحد آياً من الذِّكر الحكيم وقد انقرضت هذه الطَّريقة، اللّهُمَّ الّا مايقع في بعض الليالي من اجتماع أكثر من مقرىء أو مؤذِّن على تلاوة آياتٍ قرآنية بصوتٍ مسموع وبنغمة واحدة وفي وقت واحد. وقد لاحظت في مساجد المغرب والجزائر وتونس مؤذنيهم يتلون آيات من القرآن مجتمعين بين الأذان والاقامة. . وذاك على مانرى من بقايا تلك الطريقة[1] ومن عادات المقرئين أنهُم اذا قرأوا وقتاً غير قصير راوحوا في القراءة مراوحة، فهم يرفعون أصواتهم آونة ويخفضونها آونة الى حدّ التَّهامس. . وربما فعل بعضهم ذلك أي خَفَضَ صوته عند ورود آيات عذاب ونقمة، اذا كانت التِّلاوة موجهة الى روح مُتَوَفيًّ وهي تتلى في مجلس عام، . ولايصنعون ذلك في تلاوات المساجد. .
ويكثر هذا اللون من ألوان التّلاوة عند المداورة أو ما يسمى بالدّوار وهو أن

يعمد المقرىء يومياً الى تلاوة آي الذِّكر الحكيم خوفاً من النِّسيان، ويمكن أن توصف هذه التّلاوة بأنّها نمط من الحَذْر لأنّها تتميّز بالسُّرْعَة وعدم الرَّغبة في إسماع الآخرين. .

ومن المؤسف أن لا وجود في البلاد العربية اليوم لنساءٍ مقرئات، وقد أدركنا في الثّلاثينات مقرئات بالاذاعة المصريّة. . والمعروف أن في بعض بلدان العالم الاسلاميّ مساهمةً ظاهرة للنِّساء في مجالات التِّلاوة في العصر الحاضر[٣]. . ومن مراتب التِّلاوة وأنواع مجالاتها أن توزَّع الرَّبعات على ثلاثين مقرئاً يقرأ كل منهم جزءاً فيتمّ بذلك ما يُعَدّ ختمةً كاملة لكتاب الله، وكان مثل ذلك معروفاً في بعض مساجد بغداد، وهي طريقة كانت شائعة في العراق قديما. . ورأينا في بعض مجالس العزاء في النَّجف أجزاءاً من المصحف توزَّع على حُضّار تلك المجالس يتلو كل منهم جزءاً بكامله. .

أما في بغداد فانَّ أكثر من مقرىء يقوم بالمناوبة بمهمَّة التِّلاوة في مجالس العزاء التي يقال لها مجالس الفاتحة. . وفي دور الاذاعة يتلى القرآن بمقدار ما يَتَّسع له المنهج من وقت قد يطول وقد يقصر، ولكنه في أطول فتراته لايجاوز الثلاثين دقيقة. . اللهم الاّ عند حدوث وَفَيات خاصة فانّ أكثر من مقرىء يتداعى على ذلك الوقتَ الطَّويلَ حتى صارت تلاوة القرآن نفسها في غير الأوقات المنهجيَّة للاذاعات علامةً على وقوع وفاةٍ لشخصية ذات مركز كبير في الدَّولة، ويغلب أن يكون الحِداد الرسميُّ في الدولة مقصوراً على التِّلاوات القرآنيَّة في الغالب. .

ومن النّاس من يتكسَّب بالتِّلاوة عرض الطريق وفي الأسواق وعلى أبواب البيوت وهم اليوم في العراق من النُّدْرة بمكان. .

وقد ظهرت في أيامنا طريقةٌ في التِّلاوة سمّيت بالمصحف المُرَتَّل وهي

في الحقيقة ذات طريقة المقرئين في المداورة،* غير أنها يسمع بها الصَّوت ويتضح المعنى واللفظ، ويؤخذ فيها بغالب قواعد التِّلاوة، وكان القصد من اتخاذ هذه الطّريقة اسماع المسلمين في شتى آفاق الأرض صوت النّصّ القرآني السّليم للتثبُّت من صحَّة النَّصّ خشية أن تكون هناك طبعات للمصحف فيها خطأ غير مقصود. . وهي لعمري من أكرم الخَدَمات الاقرائيَّة في العصر المعاصر، . ويعود الفضل فيها الى مشيخة الأزهر. . وخير من أجاد في ذلك ـ بل هو أوَّلُهُم ـ الشيخ محمود الحُصَري. . ثم كان هناك من شاء تسجيل التلاوة مجدداً بصوته دون ضرورة اذ كان يحسن أن يظلّ المصحف المرتل على مارتّله عليه الحصري دون فتح باب التّنافس الذي حكم عليه بالفشل على وجه الاجماع. . غير أنّ تغليب هذه الطّريقة في التِّلاوة على التِّلاوات المُنَغَّمَة أمرٌ يجب التّنبه له والحيلولة دون إقراره، فانّه لو أُقِرّ لأضعنا به ثروةً عظمى من النَّغَم الذي ترعرع في محافل التِّلاوة ومحاريبها مئات السِّنين. .

أما ماجاء في «كفاية الراغبين» ـ ص ٤٣ ـ من قوله «والذي ابتدعه قرّاء زماننا في القراءة أشياء كثيرة لاتحلّ. . . » فانه نصّ منقول من مصدر كتب قبل أكثر من سبعة قرون ولم يشأ المؤلف ردّ ذلك لعصره ولقائله. .

هذا مع العلم أنّ الأصل في التّلاوة هو أن يقترن النّصُّ المُنْـزَلُ بالنَّغَم الجميل، فاذا اختير لذلك ذوو الأصوات الرَّخيمة كانت التِّلاوة في قِمَّة الشُّموخ وذروة الابداع والنُّشوة النَّفسيَّة والوجدانيَّة. .

إنّا لانعلم شيئاً عن الصّورة النَّغميّة للتِّلاوة على عهد الرسول الأعظم، . وان كنّا نعلم أنّ القرآن كان يُتلى مُنَغَّماً بالألحان العربيّة الشّائعة يومذاك. .

* ـ ونعني بأيامنا النصف الأخير من القرن الرّابع عشر الهجري. .

غير أنّا نعلم من طريق النّصّ والقياس أن الأصل في التّلاوة أن يثبت بها شكل النّصّ القرآني، بحرفه الواضح المعدّ للتّلقي، وهذا ما أوجب أن تكون القراءة قراءةً لا مُعاضَلَةَ فيها بين الحروف والألفاظ، وان تكون من الوضوح والنّصاعة بمكان، وهذا ما عنته الآيات القرآنية التي تَمَّ بها تعليم الرّسول كيف يقرأ «لِتَقْرأهُ على النّاسِ على مُكْث». . ـ الاسراء ١٠٦ ـ «لاتُحَرِّكْ به لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِه إنَّ علينا جَمْعَه وقُرْآنه فاذا قرأناه فَاتَّبِعْ قرآنه ثُمَّ إنَّ علينا بيانَه». . ـ القيامة ١٦ و١٧ و١٨ و١٩ ـ «. . ورَتِّلْ القُرْآنَ تَرْتيلا». . ـ المُزَّمِّل ٤ ـ و«كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ به فُؤادَكَ وَرَتَّلْناه تَرْتيلا». . ـ الفرقان ٣٢ ـ . . .

وهذه هي التّلاوة التّعليميّة التي تتمثّل فيها التّلاوة بأسلوبها المبسّط لغرض الحفظ والرّواية، . أما القراءة التي يراد بها الجانب الاعلامي والوعظي الفعّال في النّفوس والتَعبُّديّ كذلك فهي القراءة المصحوبة بالنَّغَم وهذا مانرى الآية القرآنية قد عنته «وانْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكين استجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلام اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَه»[1]. . فانَّ المراد بسماع المشرك كلام الله سماعهُ عَرَضاً وهو في بيت مُجيره عند قيام أهل بيته للصّلاة، أوعند أخذهم بالتّلاوة اليوميّة فانَّ للنَّغمة في مثل هذه الحالات أثراً عظيماً في النّفوس. . ومسألة التّلاوة المنغّمة مسألة مفروغ من الكلام على ثبوتها. .

وما ورد من تحريم ذلك انّما أريد به إنكار مجاوزة الحدّ في التّنغيم، والخروج من إطار العبادة الى التّطريب، فلقد وجدنا في أيام زماننا من يفعل ذلك فتبدو التّلاوة على لسانه وكأنّها نُزع منها الوقار بالمرّة. .

ومن أنواع التّلاوة التّلاوةُ التّلقينيّةُ التي يراد بها تلقين الصّبيّ وغيره ألفاظ القرآن على وجه التعليم كأن تقرأ على سمعه كلام الله كلمة كلمة وبينهما

فاصلة صامتة فتقول «الحمد» ثُمَّ تقول «لله» ثمّ «ربِّ» ثمّ «العالمين» . . يستوي في ذلك التحريك والتسكين، وقد يكون التّحريك لغرض التّعليم أحسن وأولى . .

ومثل هذه الأمور يُكَلَّم فيها النّاس على قدر عقولهم، ويُسْعى الى إقرارها في أذهانهم وفق استعداداتهم . . فهي موكولة الى نباهة من يُعَلِّم وحرص من يَتَعَلَّم . .

---

(١) - يمكن ان يسمى هذا بالتّحْبير أخذاً من قوله «لحبّرته لك تحبيراً» أي بذلت كل جهدي لجعله أروق وأطرى . .

(٢) - يلزم تلاميذ الكتاتيب بالقراءة الجَماعيّة وبصوت مرتفع مسموع . .

(٣) - يزعم أناس - عندنا - في المساجد الجامعة ان صوت المرأة بالقرآن عورة في حين لا يحكمون على سجودها وركوعها للصلاة بالعورويّة . .

(٤) - التّوبة ٧

التّجويد بين المقاميّة والنّغميّة

يقال جَوَّدَ يُجَوِّدُ وجَوَّدَتْ هي تُجَوِّدُ في معنى تلاوة القرآن الكريم منغمةً آيه بالانغـام وذاكَ حين تكـون التِّلاوة على هيئةٍ يستقل بها القرآن فلا يُشْبِهُ في شيءٍ منها شيئاً آخر ممّاً يستقلُّ بشخصيته من التّلاحين والمقولات المُنَغَّمة كالمقـامـات والأناشيد والبستات والعتابات والتّواشيح والمنلوجات وما كان من قبيلها . . ومصطلح التّجويد هذا عُرِفَ منذ زمن بعيد .

فقـد اوردوا أنَ أول من استعمله الامـام عليٌّ رضي الله عنـه اذ قال فيما قالـه في صفـة التِّـلاوة إنّها تجويد الحروف . . وقد أُلِّفَتْ كتبٌ شتى كانت عناوينها تعتمد على هذه التّسمية . .

أمـا المقـام فهـو جمهـرة من الأنغام تجمع على هيئات مختارة لها بدءٌ معـروف ببـدئيّتـه الخـاصَّـة به ، ونهـايـةٌ معروفة بنهائيَّتها الخاصّة بها وفي تضـاعيف ذلـك صيحـات مرسـومـة وتحـاسين صوتيَّة ترسل احياناً وتُمَوَّجُ احياناً أخرى . . ولكل مقام اطار يعرف به تتجمَّع فيه تفرّعات مُعَيَّنة لايجوز الخروج عليها ولا يحقُّ لمغنٍّ من مغنيّ المقامات ان يتجاوزها اويزيد فيها ما يشاء ، الا اذا كان صاحب مدرسة ، ولا يكون صاحب مدرسة الا اذا كان رأسـاً في فئـة المغنّين ، وهـو كذلـك لايملك ان يتصـرَّف في هذا المجال تصرُّفاً غير موزون ، لأنَّ القوم لايرضَوْن من هذه التَّصرُّفات الّا ما استهواهم ووجـدوا فيـه فَنِّيَّـةً تنضاف الى فنِّهم . . والقول على الأناشيد كالقول على الأنمـاط الاخـرى التي تنبني تلاحينها على الانغام بهيئات ملائمة لها ، اذ

تكـون الأنـاشيد اكثر اهتزازاً وأظهر انفعالاً ، ويحسن فيها أن تكون جماعيًة لا فرديًـة ، وهي كذلـك ذات مسـاك لايُسمـح فيـه بالتّصـرُف الـذي يتلفع بالشُـذوذ والانبتـات . . وتكـون الجـدِّيَّة في الأناشيد سجيةً غير محدثة . .

والبستة أمرها معروف وصفتها معلومة ، فانها وان كانت تركب اجنحة النغم كغيـرهـا من المقـولات المنغّمة ، فانًها ذات هيئة لاتشبه الهيئات الأخرى المتغنّى بهـا ، فهي أكثـر اتسـاعـاً في مجالات التّعبير بحيث يصلح لها أن تقـرن بالتّصفيق ومـا اليـه ، ويقـع فيها من التّغنُج والتّمَيُّع ما تقتضيه طبيعة أمثالها من الأغاني الرّاقصة وغير الرّاقصة . .

هذه تلخيصـات يسيـرة للتّعريف ببعض ما تتغنّى النّاس به من الأغاني التي تختلف هيئاتها اختلافاً كبيراً، في حين أنًها تتألّف من أنغام هي هي لافرق بينها في النّغَمِيَّة . .

أخلص من هذا الى تصحيـح ما يتلجلج في أذهـان كثير من النّاس ، اذ يحسبـون القـرآن الكـريم حين يُجَـوُّد به انّمـا يجـوُّد به وَفْقَ قواعـد المقام العراقي ، وهذا خطأ صُراحٌ لَعَلَّ في مقدمة كلامنا ما عساه أن يزيل شيئاً منه أو يزيله كُلَّه . .

ومن الأمر المعروف لنا جميعاً أَنَّ القرآن الكريم لايُؤذَن لقارئه أن يقرأه على هيئـة البستـات والأنـاشيـد ، فان فعـل فقـد آذى القـرآن وخرج على العـرف ، واستعلن النّكيـر على نفسه ، لأن القرآن له ادبه وحشمته ، وله من أدوات التّعبير ما لايتحقّق في اللجوء الى أسلوب البستة والنّشيد ، فوق أَنَّ كُلّاً من البستة والنّشيد قد أنشىء لغرض يُغْرَض اليه . .

وقد علمنا للشّعر أسلوباً في الانشاد والالقاء ، لاسيّما حين يلقي الشّاعر قصيدته بين يدي خليفة أو رئيس دولة أو شيخ قبيلة ، فلو أنه قرأ قصيدته وفق

أسلوب البستة فانّه سيرفض منه ذلك ولعلّهم سيطردونه شرَّ طردة . .

انَّ القــرآن الكـريم لايقـرأ على هيئـة المقـام ولا يُلجأ في قراءتـه الى استيعاب ما في كلّ مقام من تفرّعات . لأنَّ تفرّعات الأنغام في المقام لها طبيعـة ودوافـع لايُعْـرَف مثلهـا في قراءة القـرآن الكريم . . ومن قرأ القرآن مقتفياً في قراءته نهج مقرئي المقام فقد أساء الى المقام قبل أن يسيء الى القرآن . .

وذاك أنَّ قراءة القـرآن الكـريم تعتمـد على مقـاييس دقيقـة في التَّلَفُّـظ بالألفاظ القرآنية ، اذ لايجوز لقارىء القرآن أن يمدّ المقطع القرآني المقرَّر فيه المَدُّ أكثر مما قرِّر له من مسافة ولا أَقَلَّ من ذلك . . وكذلك القول على الغُنَن التي يُغَنُّ بهـا ، وعلى الاشمـامات التي يُشَمُّ بها حرفُ رائحةَ حَرْفٍ آخـر . . وهنـاك مصطلحـات في فنِّ التَّجـويـد والتـزامات أدائيَّة أريح منها المغنّـون ، وان كانـوا لـم يُعْفَـوْا بالمـرّة من مثـل تلك القـواعد والالتزامات ومابرحوا تحت أعباء رقابة شديدة تُحْصىٰ بها عليهم أنفاسُهم . .

وممـا أعفي المغنـون من الالتـزام به في هذا الـوجه ، أنهم أُذِنَ لهم أن يتخطـوا الحـدود في مدّ ماهـو من فصيلة المـدّ الطَّبيعيّ الـذي لايمدّ لدى المجـوِّدين أكثـر من حركتين ، والحركتان تتمثلان برفع أصبع وخفضها . . ولو أُلزم المغنّي بان يقف عند حدّه في مدّ المقاطع لضاق عليه ما اتسع له من مجـالات المـدّ ، وكـذلـك ينسحب هذا الحكم على مسـائـل معدودة يختلف فيها المغنوّن عن جماعة المقرئين . .

وقـارىء القـرآن ان اراد ان يحـاكيَ قارىء المقـام وَجَبَ عليه أن يفرِّط بقـواعـده ، وفي هذا التَّفريطِ اِن وَقَعَ : خروج بالقراءة القرآنيَّة عن قرآنيَّتها ، فان ظلّ قارىء القـرآن ملتـزمـاً بقـواعـد التِّلاوة دون ان يتابع قارىءَ المقام

حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، فانه لايكون قد قرأ المقام الا بهيئة غير هيئة المقام . .
ان المقرئين يعرفون هذا، وان وجِدَ فيهم منِ حاول أن يأخذ بهدبِ مقامٍ ما فيعمد الى تطبيق تفرّعات ذلك على التِلاوة، فانّهم ظهرت في تلاوتهم مظاهر التخبط والحشرجة . .

ولانقول هذه المقولة من أجل أن نتبرأ من المقام فهو ركازُ ثروةٍ ومعدنُ حضارةٍ، وهو من خير ما سُمِعَ في الألحان من لحن رائق، ومن خير ما عرف في الآداب من أدب شائق . . غير أنّ التّمييز بين منازل ما تكون الانغام أصلاً فيه ومادةً من مواده، أمرٌ ضروريٌّ في كلّ دراسة علميّة وأدبيّة . .

ولذا جعلنا المقام مقاماً، والتّلاوة تلاوة، والنّشيد نشيدا، والپستة پستة، أمـا ما يجمع بين الأصوات من جوامع النَّغَم فذاك شَيْءٌ تردُّ اليه هذه المعاني جميعا . . وبذا فانا نرجِّح استعمال مصطلح النَّغْمة في التّلاوة دون مصطلح المقام، لأنَّه لا مقام في التِّلاوات القرآنيّة . .

وقد كانت نغميّة التّجويد قد عُرفت في تلاوة القرآن الكريم منذ أبدٍ أبيد، وكان كثير من المشركين يُصْغون الى تلاوة القرآنِ فيعجَبون بها أيّما اعجاب، وكان فيهم من يصرف القوم عن الاصغاء الى القرآن فراراً من قوة تأثيره عليهم، لاسيّما حين يكون تأثيرُه آتياً من جوانب شتى من بينها حسن أدائه وجماليّة تلاوته . .

ووجدنا اكثر من اشارة واضحة جاءت في تضاعيف الأحاديث النّبويّة تدلُّ على هذه الحقيقة . . ومن ذلك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مارّاً ليلةً ما من أمام دار فسمع أحد أصحابه يتلو القرآن فقال له في غده «لقد استمعتُ اليك البارحةَ لقد أوتيتَ مزمارا من مزامير آل داود» فردَّ

الصحابي قائلاً «لو كنت أعلم أنّك تستمع اليّ يارسول الله لَحَبَّرتهُ لك تحبيرا» . .

وواضح من هذا النص أن تلاوة القرآن كانت تعيش في أُطُر نغميّة ممّا كان معروفاً من النّغم إبّانَذاك، وكان الذين يتلون القرآن يجدون أن في مقدورهم ان يقرأوه كل آونة بأسلوب نغميّ جديد . .

وكان لابدّ أن يقرأ القرآن منغّما، لأنّ النّغمة من الوسائل الاعلاميّة التي اهتدت اليها الأديان جميعا . . فالأحبار الذين يقرأون التوراة، والرهبان الذين يقرأون الأناجيل في صلواتهم، والموابذة الذين يزمزمون في طقوسهم المجوسيّة، وغيرهم من أصحاب الديانات انما يفعلون ذلك بالاستعانة بالأنغام المعلومة لديهم . .

فما يكون من مصلحة القرآن أن تلغى في تلاوته مسألة الاستعانة بالأنغام، اذ لم يكن هناك ما يحمل الدّين الجديد على تغيير معالمَ فنّيَّة عُرِفَتْ في الفِطَر البشريَّة من عهد آدم عليه السَّلام . .

وكانت العرب تعرف من أفانين النَّغم ومن ضروب الغناء، عِدْلَ ما كانت تعرف الأمم والشعوب الأخرى وصَوَّرَ لنا طرفَةُ الشّاعر الجاهلي ملامحَ من غنائهم في قوله:

اذا نحن قلنا أسمعينا انبرتْ لنا
على رِسْلها مطروفةً لم تشدد

وكان لغنائهم اثر عظيم في نفوسهم، وقد اشترط الحُطيئة الشّاعر على أناس ارادوا أن يجاوروه أن لايغنّوا قريباً من بيته، يخشى بذلك على أهل خبائه . .

وكانت العرب في أسفارها يحدو الحُداة لأبلها، فكانت الابل يشتدُّ

عزمها على السَّير، وكانت الناس تهشّ لنغمات الحادي وكان في الحداة من مازهم الله بالصَّوت الرَّخيم المؤثّر في سامعيه . .

وقد خاطب الرسول الأعظم بعض هؤلاء الحداة قائلا له «رفقاً بالقوارير» يصف بذلك الرِّقَّة الفطريَّة في النِّساء، ويدعو الحادي الى أن لايؤذيهن بممشوق اللحن ومستدقّ النَّغم . .

واذا كان هناك من يزعمون أنّ القرآن لايتلى منغَّماً فانّ هؤلاء يجهلون حتماً طبيعة الدَّعوات الدّينيّة التي لم يكن الاسلام بدعاً منها . . وانّهم ليجهلون كذلك مذاق المناجاة والمناغاة في هذه الأنغام التي لم تكن من خلق الانسان بل كانت من خلق الله . .

وانهم ليجهلون ايضاً ما في الأنغام من مذاق تتذوقه النّفوس السَّليمة التي جَنَّبها الله أن تكون مَعْيُوهَةً بعاهة الانكماش والكزازة . .

ومما يستدلّ به على أنَّ الالقاءَ القرآني قد أريد له أن يصحبه جَرْسٌ نغَمّي خاصّ، وهذا هوواضح كلَّ الوضوح بالأسلوب الكتابي الذي كتبت به حروفه فانا نقرأ قوله تعالى : «ان تَرَنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولدا» بدون مدّ النّون في «ترن» التي أصلها ترني بالياء ولوكانت الياء مراداً لها ان تُمَدَّ لكتبت في المصحف ولما حذفت في الخطّ . . ولو كتبت الياء لكان هناك مَدٌّ يقال له المد المنفصل، ولقلنا في قراءتها عند ذاك «ان ترني أنا أقلّ منك مالا وولدا» . . فلما كانت الياء لم تثبت في هذا الموقع علمنا أن هناك استغناءاً عن مدّ ماقبلها بها . .

ونرى مثل ذلك في قوله تعالى «لكم دينكم ولي دين» فالياء في «دين» التي أصلها «ديني» لم تثبت في الخطّ وذاك من أجل أن يكون لفظ هذا الحرف ساكناً موقوفاً عليه، أي ان يقول القارىء : «لكم دينكم ولي دينْ»

ولايقـول «لكم دينكم ولي ديني» . . فان رَبْـطَ النَّصّ بنصّ آتٍ بعـده، لم يكن من حقه أن يمدَّ النّون بالياء ابداً وانما يظهر الكسرة التي تتصل بالنّون لاغير . .

ومثـل ذلـك «وإيّـايَ فاتقون» والأصل فيها وايّاي فاتقوني . . ولكنّا نقف على النّون باللفظ الذي كتب لنا في القرآن، أي أن نقول واياي فاتقونْ . . وقـد عرف في البيـان العـربي مثـل هذه الاستعمالات، اذ سمع في بعض شعر أمرىء القيس، قوله : -

أحـنظـل لو حامـيـتـم وصـبـرتـم
لأثـنـيـت خيـراً صالـحـاً ولأرضـانْ

يريد ولأرضاني . . .

وفي القرآن من ذلك «فعسى ربيّ ان يؤتين خيراً من جَنَّتك» بلا ياء في «يـؤتين» ولـو كانت ياء لكان هناك ما يسمىّ بالمدّ الطّبيعيّ فيقال في قراءة النّصّ آنذاك «فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جَنَّتِكَ» ولكنّا لانقرؤ ها على هذا الوجه لأنّ النَّصّ لاياءَ فيه . .

وممـا يفطن منـه الى فعـل النَّغمة في النَّصّ قوله تعالى « . . ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا» . . فان هاء الضمير في «فيه» هنا تمدّ كحال مدّ الصِلة، وان لم تكن قاعدة مدّ الصلة كائنـة فيهـا، اذ يشتـرط في مدّ الصلة أن يكـون ما قبل الضمير متحركا غير ساكن . . مثـل «لـه، عنـده، به» ولكن كلمة «فيه» مدّت مدّ صلة، لما في ذلـك من تعبيـر ذي جَرْسٍ نَغَمي يتَّضح به المعنى الكـامن في العبـارة القرآنّية الكريمة . .

وبهـذا ندرك من حاجتنـا الى النَّغمـة في سائر الأحايين، ما قد لايدركه من لايتفقد مثل هذه الأصول . .

وانَّ قواعـد التَّجـويد هي قواعد اللغة العربيَّة، ولكنّها تزيد عليها أحياناً بأنهـا تؤدّي في مجـالات الكـلام والتَّعبيـر دورَ التَّـزيين والتَّـوضيـح ودقّـة التَّصوير، كالذي وقع في النَّصّ المستشهد به. .

وانّ الغُنَن التي يُغنّ بها في بعض مجالات الادغام والاشمام والتَّماس من نحـو قولنـا «انّـا كنّا وممّا وعَمّا» ومن نحو «من فعل هذا بآلهتنا» و«من ذا الذي يُقْرِضُ الله قرضاً حسنا» و «انَّ ربَّهم بهم يومئذ لخبير». .

وكـذلـك المدود التي من حقِّها أن تكون طويلة، كالمدّ المُتَّصل والمدّ اللازم والمدّ المنفصل والمدّ العارض، فانّ هؤلاء من المعالم الدّالة على نغميّـة التَّجـويـد لأن هذه الغنن والمـدود تصلح للتطبيق النغمي والتمويج الصوتي تلقائيا. .

انَّ بعض قواعـد التَّجـويـد هي نفس قواعـد الغنـاء العربي من النّاحية الادائيـة، غيـر انّ المجـوِّدين كانـوا أمنـاء على هذه القواعد بسبب قدسيَّة النَّصّ والحـرص على الالتـزام بالتَّطبيق الادائي بكـل دقّـة، وكـانت هذه القـواعـد تؤخـذ من أفـواه الرجال ولا يعتبط فيها اعتباطاً. . اللهم الا عند ذيوع الجهل وفساد التَّلقّي وتوسيد الأمر الى غير أهله. .

أمـا المغنّـون فقـد تسـامحـوا في أشيـاء كثيرة كانت شقّتها تبعّد وتقرِّب بينهم وبين المقرئين في سائر الآماد والأزمنة. .

وكان التّلاقح النّغمي بين الفريقين طريقةً متبعة سائدة، اذ كان كلٌّ من المغنين والمقـرئين يستـرق اللحن من الآخـر، وهكـذا ترعـرع النَّغم لدى المُجَوِّدين ترعرعه لدى المغنّين. . وفي كتب التّاريخ شواهد كثيرة على ذلك. .

وكان المقرئون من الحذق والمهارة بحيث كانوا اذا استَرَقُوا لحناً لم يَبِنْ

على لحنهم شيء من تشويه اللّفظ القرآني أو تقريبه من جادّة الغناء أو جعله غناءاً صرفا . . اللّهم الا فريقا منهم قليلا ، وكان الفقهاء يعلنون السُّخط الشّديد على من كان يفعل ذلك من مقرئي زمانهم . . كمثل سخطنا اليوم على عبدالباسط ومصطفى اسماعيل اذ تجاوز هذان الرجلان الحدود المحدودة لمن يلي تجويد القرآن وفق قواعده وأصوله السّليمة ولايخرج به من أطُره الأدائيّة والنغميّة الى الحالة التي يختلّ فيها النّصاب الأدائي ويشيع فيها جوٌّ من الترفيه الذي لم يعدّ ولن يعدّ يوما ما من المطالب الاقرائيّة المطلوبة . .

ومن الأمر البديهيّ أن يكون دور النّغم في التّلاوة دوراً يتأتّى به تركيز المعنى القرآني في النفوس، ولكنّ جهل غالبيّة المقرئين معاني ما يقرأون جعل قارئهم يتخبّط في تحقيق هذا الأمر، فهو يكثر من تمطيط شفتيه وهزّ أعطافه، ورفع يديه الى أذنيه وخفضهما، واطالة نَفَسه وتغليب النّغمة على القاعدة الأدائيّة المقرَّرة في علم التّجويد، فيسيء بذلك اساءة ظاهرة الى المعنى وهو يحسب أنّه من الذين يحسنون صنعا . .

انّ الذين لم يدرسوا البلاغة ، ولم يتعلموا التّفسير، ولم يتوغلوا في دراسة الأدب العربي ، ولا عرفوا سبيل الخطابة ، لايملكون أبداً أن يؤدّوا ماتضمّنه الآيات القرآنيّة المقروءة من معان وحاجات تعبيريّة تامة . .

ولذلك يجب التّنبُّه الى من يزعم هذا الزَّعم من المقرئين، فما يصحُّ تصديقهم الا بعد اجالتهم اجالةً طويلة في أكثر من مضمار . . ولا أقول هذا مجازفةً ، فلقد لقيت كثيراً منهم فعلمت من شأنهم انهم لايلمّون بغير الأنغام التي تضفي على تلاوتهم ما تضفيه من قيمة ومن جمالية ، وهم على حفظهم لكتاب الله فانّهم لايعدّون من علماء المسلمين ولا من

أدبـائهم، ولا من مفسِّـريهم، الا من كان فلتـة فيهم في الجيـل والجيلين كالحـافـظ الملا عثمان الموصلي، فانه كان أسطورة الأساطير ولم نجد له بعد نسخةً مماثلة في المقرئين. .

ومن المـؤسف انَّ كثيـراً من الذين يلون أمر التّلاوة في جيلنا هذا ليسوا من الحفظة، ولا يملكون قراءة القرآن كلّه على ظهر، واضافة الى ما سبق القـولُ عليـه في صدد املاق القوم من الدّراية القرآنية، أنفي كل النفي أن يكون فيهم من هو قادر على أن يتلو الآية بأسلوب يبرُزُ فيه المعنى ويتجسَّدُ الغرضُ القرآني، وذلك للجهل السّائدِ في الأوساط الاقرائيّة في سائر بلاد المسلمين. .

ولـو أردنـا أن نأتي بمثـل على هذا أو بشاهد يكون مصداقاً لما نقول فهو ما قرأه أبـو العينين شعيشـع من قولـه تعـالى «قـالت أنىّ يكـون لي غلام ولم يمسسني بَشَـر ولم أكُ بغيّـا» اذ نجـد الـرجـل سقط في هوّة عميقة، وأفسد المعنى القـرآني، فاستنطق مريم عليهـا السـلام بلحن بعيـد عن الـذّوق الفطـري المألـوف في العذارى. . اذ جعل في تضاعيف قولها ضروباً من التغنّج ينأى عنه خلقُهُنّ كل النّأي. . .

وهناك من يخرج القرآن من مسحه اللاهوتي المقدس، الى ثوب كثوب ليلة العرس، وما تلاوة «عبد الباسط» عنا ببعيد وهو يتلو قوله تعالى «وقالت هيت لك قال معاذ الله». .

ان مزاعم من يزعم أن في المقـرئين المعـاصـرين من يقرأ القرآن معبّراً في قراءته عن تصوير المقاصد القرآنية انما هي مزاعم مردودة قطعا. .

ونحن في حاجـة ماسّـة الى أن نبحث عن المقـريء الـذي يملك هذه القـدرة، ولكنـا يجب أن نعلم أن هذه القـدرة لاتكـون مع الاكتفاء بمعرفة

الأنغـام وضبـط الحفـظ ، فلابـدّ من اضـافـة معـارف أخـرى الى ثقـافـة المقرئين ، منها دراسة البلاغة ، والأدب العربي ، والتّفسير ، ودراسة الأنغام دراسـة علميـة ، لادراسـة عابـرة تؤخـذ من أفـواه الاسطـوانـات ومن هنـا وهناك . . انّا لفي أمسّ الحاجة الى مقرئين ومقرئات من طراز فخم ليُضفوا على كتاب الله جلالاً يتجلّى به جلاله ، وتبرز به عظمته ، ويستنشق النّاس من أدبه ماتنتعش به نفوسهم ، وتحيا به أفئدتهم ، وتخشع له جوارحهم . . وقـد قال الله تعـالى «لـو أنزلنا هذا القرآن على جَبَلٍ لرأيته خاشعاً متصدِّعاً من خشية الله» . .

انَّ علم التَّجـويـد او فنّ التَّجـويـد حريٌّ أن يجـد مكانته اللائقة به بين العلوم والفنون ، وأن لايُظَنّ فيه أنه من الأمور التي تعيش في بيئات ضئيلة محـدودة ، أو انـه من شأن الـذين يقـرأون في الفواتح والتعازي وعلى قبور الموتى ، لا غير . .

وكنت ولا أزال أدعـو الى انشـاء معاهد وأكاديميات يدرس فيها التَّجويد وقواعد الالقاء الصوتّي أداءاً ونغماً . .

وبـذلـك سنتـوصـل الى ايجاد فئة يحسنون تعليمه وتدريسه ، والى فئة أخرى تمارس في مجالاته العديدة طرائق النَّقد الاقرائي بمهارة تامة ، والى فئـة ممن يجيـدون تلاوة آيـه اجـادة حسنـة ، وبـذلـك سيكـون لنا مقرئون ومقـرئـات يشـوّقـون ويتـوّقـون ، ويعيدون للمجد الاقرائي البغدادي رايته العالية في سائر أرجاء العالم الاسلامي . .

فالأمـر لايتطلّب الاّ العـزم والنفّقـة والعمـل على اكتشـاف الأصـوات الرخيمة في شباب الأمّة والحرص على التّعليم والجدّ فيه . .

والزّمن اليوم كفيل بأجهزته الاعلاميّة والاذاعيّة أن يبرز مهارات الماهرين

وتفـوّق المتفـوّقـين بحيث يتمّ الانتفاع بذلك في سائر أنحاء العالم الاسلامي
وفي شتّى مجالاته الإقرائيّة . .
وفي شتّى مجالاته الإقرائيّة . . مضافاً الى ذلك ما يتناوله هذا العلم العظيم
من مطالب يصحّ بها النّطق وينتظم التّعبير . .

ـ كتب المؤلف هذا البحث بذات العنوان الذي اقترح عليه لمحاضرة ألقاها في بعض مواسم وزارة الثقافة والاعلام . .

مسائل في النّقد الاقرائي

هذا علمٌ مارَسَه علماءُ اللغة والقراءة في مناسبات سانحة، وفي أماكن متناثرة من كتبهم وتصانيفهم، دون أن يَضَعُوا له مواضعات يتفقَّه فيها النُّقّاد الذين يلونهم في معالجة مسائل مماثلة..

ولذا باتَ النّقد الاقرائي قضيَّةً ذوقيَّة مزاجية، فانَّ أحدنا قد يستذوق قراءة قارىء فيتشيَّع له، ويبيت من بعض دعاته الذين يذبُّون عنه.. والأمر حين يكون غُفْلاً عن الالتزام بمقياس سليم متواضَعٍ عليه فانَّه يتأتّى منه هدر حقوق العلم والأدب والفنّ وذويها..

والمقرئون الذين يُمْتَحَنون في دور الاذاعات لايُحْتَكَمُ في شأنهم لغير الذَّوق والمزاج أوماعسى أن يكون لأولئك المقرئين من صيت في بعض الأوساط.. في حين لايصحُّ أن يُعَدَّ شيءٌ من ذلك أصلاً يعتمد عليه في الاختبار العلمي وغيره..

وفي أيامنا نشأت علومٌ ودراسات في سائر أنماط النَّقد فصار للمسرح نُقّادٌ وللألعاب الرِّياضيَّة ـ على تنوُّعها وتعدُّد صنوفها ـ نُقّادٌ يمارسون نقدَ الألعاب واللاعبين، وصار لكل ضرب من ضروب الفنّ والمعرفة أناسٌ متخصِّصون في نقد ذلك على قواعد وأسس يستبين بها أنَّ النُّقّاد الممارسين لنقدهم انما يمارسون حقّاً لايشوبه شيءٌ من الباطل[1]..

ولبث علم التَّجويد والاقراء معزولاً عن العلوم التي تحتمي بالنَّقد وتستجيب لأحكامه وقراراته.. وليس ثمة من مزيَّة أوفضيلة لأيِّ علم من

العلوم أو فنٌ من الفنون حين يأخذ حَيِّزاً يُبَرّأ فيه من كل نقد واتّهام . . فانّ النّقـد يصقـل كلّ رأي ، ويُنَقِّي كل فكـرة ، ويهذّب كلّ مقولة ، ويرقى بكل مرقـاة من مراقي المعـرفـة الى ماهـو أعلى ، ويكـون كذلك وسيلة ملموسة للتّعليم والثّقافة الصّادقة المُعَلَّلة بعللها التي تساعد على التّصديق والقبول والاقتناع التّام . .

والنّـاقـد لايملك حقّ الاجحـاف في قراراتـه ، لأنّ وراءه ناقـداً آخر يردُّ الأمور الى موازينها ، وانّ وراء الاثنين من يضع المقولات النّقديَّة في كفّتي ميزان ليرى أيّ الكفتين أرجح وزناً وأصدق قيلا . .

ومن هنـا كان علم النّقـد بصـورة عامّـة علمـاً يحتاج اليه كل علم ، وَفَنّاً يفتقـر اليـه كلّ فنّ . . وعلى هذا كان حرمان المجالات الاقرائيَّة من النُّقّاد الاقـرائيين خسـارة عظمى وجناية كبرى على علم الاقراء الذي لبث يعيش في ظلّ عقليَّة عاميَّة ساذجة ، اذ يتعرض النّاقد ـ ان وُجِدَ ـ بسبب نقده الى غضب أناس يحسبون أنّهم في عصمة من الخطأ ، وفي منجى من المسؤولية . .

ومهمـا يكن من أمـر فانّ علم النّقد الاقرائي يجب أن يستعيد شخصيته التي وجـدت متـوزّعـةً في التاريخ الحضاري العربي الاسلامي على أفراد جدّ قليلين . .

ان النقـد يعـدّ أقوى مُوَجِّه وأصدق معبِّر وأعدل شاهد في كل قضيَّة يتناولها ان كان بنّاءاً وكان قائماً على ركائز بريئة غير مغرضة . .

وليست وسـائـل الـدّعـاية مهما كانت شديدة الاندفاع ، ولا أساليب التحيُّز للمنقود الذي تتناوشه أقلام النّقد بالقادرة على حمايته واستنقاذه من الحكم العادل الذي يصدره النُّقّاد عليه ، ومن هنا كان النقد سلاحاً لايجوز اغماده

وتعطيله واسكات متعاطيه . .
انّ اسكات النُقّاد عن نقدهم واهمال الانتفاع بمَلَكَة النّقد وطاقاته يتأتّى منه ذيوع الجهل وشيوع الخطأ وبقاء ما هو غير صحيح على ماهو عليه . . ولاضرر على الثّقافة والحضارة أسوأ وأقسى من ذلك . .
كنّا صبياناً صغاراً نستمع الى بعض مشاهير الوعّاظ أيام رمضان، وقد رأينا خلال ذلك فتى يتلو القرآن الكريم وقد طَرِبَتْ النّاس لقراءته، وأُعجبوا بجمال صوته وعذوبة تلاوته، وكان حالنا حال أولئك القوم . . فلما مَرَّ بنا الزّمن وتعلّمنا ما كنّا نجهله من أمر التّلاوة وقواعدها، أدركنا أن ذلك القارىء لم يكن يُلِمُّ بشيء من قواعد التّجويد لا قِلاًّ ولا جلاّ . . وكان مايبرح يقرأ في الاذاعة العراقية بحيث جَرَّني ذلك الى أن أُنبِّه مسؤولي الاذاعة من طريق الصُّحف المحلِّيّة الى جهل الرجل في التّلاوة لكل حكم من أحكامها . .
وقد لقيني في ذات اليوم فأراد أن يعتب عليَّ لأنّي تسببت في حرمانه من القراءة، فقلت له ألم يكن خليقاً بك وأنت تطمع في أن تكون مقرئاً أن تتعلّم القراءة وقواعدها المقرّرة . . فهل ترانا ما نبرح صغاراً لانميز بين الصّواب والخطأ؟؟
ان ذلك الفتى لو كان وَجَدَ من نَبَّهَهُ الى أصول التّلاوة وأساليبها وقواعدها من أول عهده لاهتدى الى سبيل من الخير والتوفيق يهديه الى خدمة الفنّ، وحماية العلم، وصيانة كتاب الله، ولحصل على اعجاب الفاهمين من النّاس وكفى باعجابهم إعجاباً، أما جَهلَتُهُمْ والعامّة الذين لايعلمون فيهم فانّ اعجابهم بشيءٍ لاينضُّ عنه شيء . .
والمقرئون اليوم يقرأون في الاذاعات وتذاع أسماء أناس بكثير من التّجلّة

والتّعظيم وابـراز الشّخصيّـة لتكـون على مستـوى من الصّيت والسّمعة العالميّة، ولكنّ الأمر ليس بذاك . .

والسّبب في هذا أن لاناقـدَ اقـرائيـاً واحـداً يقف في السّاحة ليشير بأصبع التّصحيح والتّخطيء الى قارىءٍ وما يقرأ . .

واذا كان اعجـاب النّـاس من المستمعين الى تلاوة مقـرىء صحيحاً، فانّ الصّحّة فيه مقدّرة بقدرها ـ ان صحّت ـ وذاك إمّا أن تكون للقارىء حنجرة سليمـة ذات صوت رخيم، وامـا أن يكون الرّجل يملك من الأنغام وأفانين اللحن القدر الذي يميزه على غيره، وامّا أن يكون الرجل يحسن استغلال صنـوف من النّـاس فيعـرف كيف يجرُّهم الى نفسه جرّاً كأنْ يُشرِّق ويُغرِّب في القـراءة، فتحسب النّـاس أنّـه على علم غزيـر، واستيعـاب عظيم لأساليب التّلاوة، وأنه يدري من أسرار القرآن مالا يدريه الغير . .

وكـلّ ذلـك لايصلح أن يكـون أصـلاً في الاعجـاب بمقـرىء وان كان جديـراً بالاعجـاب، لأنّ كلّ أمـر لايقـوم على الالتـزام بمقـاييس سليمـة معترَف بها يكون عرضةً للسّلب والايجاب والأمزجة المُتَقلّبَة فَيَصِلُ أناسٌ الى غيـر مايستحقـوّن من صيت وتكـريم، ويحـرم آخـرون من الـوصـول الى مايستحقوّن من ذلك . .

انّ علم النّقد الاقرائي اذا ترعرع وَضَعَ كل شيء في نصابه، وآتى كل ذي حَقٍّ حَقّـه، دون تحيّـز لأحـد أو تحيُّف على أحد . . وبذلك يسقط سلطان المغـريـات والـدّعـايات والمطيّباتِيّة في مجال الحكم لمقرىء ما بالتّفوُّق والسّبْق دون حقٍّ أو فضيلة ثابتة له في مجال اختصاصه . .

والنّقـد الاقـرائي يتنـاول عنـد التّحكيم أكثـر من جانب في هذا الباب فهو يتنـاول الحنجـرة قوتها وصفاءَها وعذوبتها ورخامة الصّوت فيها . . ويتناول

كميةَ الأنغـام التي يملك المقـرىء القـراءة بها، وأيّ هذه الأنغام يقع في موقعه الطّبيعي خلال التّـلاوة القـرآنيّـة. . ويتناول كذلك النّمط التّعبيريّ والالقـائيّ عنـد التّـلاوة ومقدار ما في ذلك من الاتيان باللفظ القرآني على وجهه من حيث الأداءِ والضوابطِ المقررة في علم التّجويد. .

ويتطلب هذا أن يكـون النّـاقـدُ مُلِمّـاً غايـةَ الالمـام بمـا يُقْبل عليه من مطـالب النّقـد ومسائله فانّ ذلك أحرى أن يجعله متنبِّهاً كُلَّ التّنبُّه لحركات القارىء وسكناته، فيجيء النّقدُ واضحاً بَيِّناً فانَّ في غفلة النّاقد ما يضيع به أكثر من حقّ، ويضطرب به أكثر من حكم. .

ومما يتناوله النّاقد الاقرائي من أمور صدقُ العلاقة التّعبيرية بين النّصّ وبين نفسيـةِ القـارىء وتحـرُّكـاتـه الصَّـوتيَّة، هذا اذا كان القارىء يفقه ما يقرأ، ويعلم ما يتلو. . فانَّ التّوافق النّغمي والنّصَّ المتلوَّ شيءٌ على القارىء أن يحرص على ملاحظتـه والالتـزام به وانّمـا يغيب ذلـك عن القرّاء اذا كانوا على غيـر درايـة بمعـاني القـران ومـواقـع ألفـاظه. . وكثيراً ما يتورَّط القرّاء في الوقوفات القرآنيَّة تورطاً ذريعاً ينكشف لكلِّ ذي احاطة يسيرة بمسائل هذا العلم. .

ومن مجمـوع ما هنـاك من أشـراط التّلاوة السّليمة وأدواتها يكون التّوفيق، وعلى جميع هذه الأركان يقوم الحكم لصالح المقرىء أو لغير صالحه. . على أن يكـون في مقـدمـة ذلـك كلّه ثبـوتُ حفظ المقرىء لجمهرة السُّورَ القـرآنيّـة، وليس لآيـاتٍ ومقاطع محدودة لا يهتدي لغيرها، ولا يعرف قراءة ماسواهـا. . كالـذي هو معـروف في أيـامنا من قلة الحَفَظَة واكتفاءِ أناسٍ منهم بمحفوظات ممّا يقرأ في المناسبات لا غير. .

ومـا دام القـرآن الكـريم يتلى بالأنغـام فانَّ قواعـد النّقـد النّغميّ تُلاحَـظ

ملاحظـة تامّـة في مسألة النّقد الاقرائي من الوجهة النّغمِيَّة المُتوَاضَع على أعرافها بين خبراء الصّناعة ومشيخة الحُذّاق فيها . .

ولابـدّ أن يكـون الآخـذ بهُـذْبِ النّقـد الاقـرائي مُلِمّـاً بأكثر من جانب من جوانب هذا الأمـر وفنـونـه ، وأصـولـه وفروعه ، ليكون مقبول الرأي مَرْضِيَّ الحُكْم ، وليس من الضـروريّ أن يكـون مقـرئـاً ممـارسـاً للقراءة فان كان فذلك مما يعين على التّوفيق ويُحْكِمُ عقدةَ الاصابة[1] .

والالمـام بعلوم العـربيّـة من نحـو وصرف وبلاغة وتفسير من المواد المهمّة التي يجب أن يكـون النّـاقـد الاقرائي متزوّداً بها ، مضافاً ذلك الى المعرفة الدقيقة بقواعد الأداء وطبائع الحروف . .

وكـان علمـاء العـربيّـة القدامى من أوائل من صنعوا مبادىء النقد الاقرائي فكانوا من القُوَّة في مواجهة المقرئين بحيث كانت لهم الغلبة دائماً وفي كلّ حين . .

ومن نمـاذج نقـد اللغـويين القدامى للقرّاء ما كان من قول ابن جِنّي في «سرّ الصّناعة» اذ قال: «فأما قراءة أبي عمرو - يَغْفِرْ لَكُمْ - بادغام الرّاء في الـلام فمـدفوع عندنا وغير معروف عند أصحابنا ، انّما هو شيء رواه القُرّاء ولا قُوَّةَ له في القيـاس» . . وقـد خَطَّأَ النُّحاةُ البصريّون جميعا «نافعاً» على قراءته «معايِش» بهمزة بدلاً من ياء اذ قرأها «معائِش» . .

وبهـذا نعلم أنّ المقـرئين كانـوا أبداً تحت مِحَكّ اللُّغويِّين ، ولم يكونوا في يوم من الأيّـام أحـراراً يقرأون على الناس ما يشاؤ ون كالذي هو كائن اليوم من دون اعتراض . . وبذلك وجدنا غير قليل من المقرئين يخوِّلُون أنفسهم حقوقاً في التّلاوة هي حقوق مخترعة سوّغوها لأنفسهم من جراء أن لاأحد كان يقف في وجههم من النُّقاد المتخصّصين في فنّ النّقد الاقرائي . . كما

أن ضعف ثقافة الجمهور في هذه الدّراسات جعل النّاس، لايدرون كيف يتصرّفون في مواجهة ما يسمعون من قراءة المقرئين إنْ وقع لديهم الخطأ وما يستوجب النّقد والتّصحيح، . من نحو الوقوف على ما لايحسن الوقوف عليه، والرجوع الى ما وُقِفَ عليه من الألفاظ حتى تبدو كأنّها كرّرت في أصل النّصّ في حين لايجوز تكرار لفظ في القرآن لم يقع له أن جاء في النّصّ المقروء مكرّراً . . كمن يقرأ قوله تعالى «وَتِلْكَ القُرى أهْلَكْناهُمْ لَمّا ظَلَموا وَجَعَلْنا» فيسكت ثمّ يعود قارئاً «وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدا» . . فتكون هناك «جَعلْنا» مكرّرة مرتين، وانما هي في النّصّ قد وردت مَرّةً واحدة . . وكان أولى بالقارىء أن يقف على «لَمّا ظَلَموا» فاذا سكت تستأنف التّلاوة بَدْءاً من قوله تعالى «وجعلنا لِمَهْلِكِهِمْ . . . .» . .

لقد وجدنا مقرئاً قرأ النّصَّ القرآني: «يا أيّها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخَلَّقَة وغير مُخَلَّقه لِنُبَيِّنَ لكم ونُقِرُّ في الارحام ما نشاء الى أجل مسمّى ثم نخرجكُمْ طفلاً ثم لتَبْلُغوا أشُدَّكُمْ ومنكم من يُتَوَفّى ومنكم من يُرَدُّ الى أرْذلِ العُمُر لكيلا يَعْلَمَ من بعد علمٍ شيئا وترى الأرض هامدةً فاذا أنزلنا عليها الماءَ اهتَزَّتْ ورَبَتْ وأنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زوجٍ بَهيج» . .

قرأه مكرّراً فيه فِقَراً وكلمات فصار المقروء على الهَيْئَةِ التّالية: ياأيها النّاس ان كنتم في رَيْبٍ من البعث فانّا خلقناكم «فانّا خلقناكم» من تراب ثم من نطفة ثم من عَلَقَةٍ «ثم من علقة» ثُمَّ من مُضْغة مُخَلَّقَةٍ وغير مُخَلَّقة «مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقة» لِنُبَيِّنَ لكم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء الى أَجَلٍ مسمّى ثم نخرجكُمْ طفلاً ثم لتَبْلُغوا أشُدَّكُمْ ومنكم من يُتَوَفّى ومنكم من يُرَدُّ الى أرذلِ العُمُر «ومنكم من يُرَدّ الى أرذلِ العُمُر» لكيلا يعلمَ مِنْ بَعْدِ علمٍ شيئاً .

وتـرى الأرض هامـدةً فاذا أنـزلنـا عليهـا الماء اهتزّت وربت . . «فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت ورَبَتْ» وأنْبَتَتْ من كلِّ زوج بهيج . . »

ووجدنا قارئاً قرأ النص التّالي من سورة الحجّ :

«يـومَ تَرَوْنَهـا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرى النّاسَ سُكارى وما هم بسُكارى ولكنَّ عذابَ اللّهِ شديد . .

ومن النّـاس من يجـادل في الله بغيـر علم ويَتَّبـع كُلَّ شيطان مَريدٍ كُتِبَ عليه أنَّه مَنْ تَوَلّاه فأنَّه يُضِلُّه ويهديه الى عذاب السَّعير» . .

لقـد كان النَّصّ المقـروء بسبب تكـرار ألفـاظ فيـه قد جاء على الـوجـه التّالي : يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت «تذهل كل مرضعة عما أرضعت» وتضـع كل ذات حمـل حملهـا وتـرى النـاس سكـارى ومـاهم بسكارى «وماهم بسُكارى» ولكنَّ عذاب الله شديد . .

ومن النـاس من يجـادل في الله بغيـر علم «بغير علم» ويتّبع كُلَّ شيطان مريد كتب عليه أنّه من تَوَلّاهُ فأنّه يُضِلُّه «فانّه يضلُّه» ويهديه الى عذاب السّعير» . .

ووجدنا من مقرئة المصريّين من يقرأ النَّصّ التّالي من سورة الحجرات فيكرر فيه كلمات وألفاظاً قد يحسبها سامعها ممن لايستظهرون القرآن أنها مكررة في صلب النّصّ الكريم . .

«يـا أيهـا الذين آمنوا لاتُقَدِّموا بين يَدَي الله ورسولهِ واتّقوا اللّهَ انَّ الله سميع عليم يا أيُّهـا الـذين آمنـوا لاتـرفعـوا أصـواتكم فوق صوت النَّبيّ «لاترفعوا اصـواتكم فوقَ صوت النّبي» ولاتجهـروا له بالقول «ولا تجهروا له بالقول» كجهـر بعضكم لبعض أن تحبـط أعمـالكم «كجهـر بعضكم لبعض أن تحبط اعمـالكم» وانتم لاتشعـرون انَّ الـذين يغُضّـون أصـواتهم عند رسول الله

اولئك «اولئك» الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم.
انَّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنَّهم صَبَروا حتّى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم.
ياأيّها الذين آمنوا ان جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فَتَبَيَّنُوا «فتبيَّنوا» أن تُصيبوا قوماً بجَهالة فتُصبحوا على ما فعلتم نادمين. واعلموا أنَّ فيكم رسولَ الله لويُطيعُكم في كثيرٍ من الأمرِ لَعَنِتُّمْ ولكنَّ الله حَبَّبَ اليكم» الايمان وزَيَّنه في قلوبكم «وزيَّنه في قلوبكم» وكَرَّه اليكم الكفر والفُسوق والعِصْيان اولئك هم الرّاشدون فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم.»

ولانجد في شيء من ضوابط التّلاوة وقواعدها ما يستوجب هذا التَّكرار وكان على المقرىء الذي صَنَع الذي صَنَع من التَّكرار أن يلتزم بالوقوف في المواقع التي يحسن فيها الوقوف، فانَّه لو وقف على قوله تعالى «لويطيعكم في كثير من الأمر لَعَنتُّمْ» لكان وقوفه خير وقوف، امّا إلصاقه كَلِمَة (ولكن) والرُّجوع اليها لاكمال بقية الآية فلما أكملها في «وزَيَّنَه في قلوبكم» عاد فكرَّر ذلك من دون أن يكون ثَمَّةَ مايدعو الى ما فعل..
والخلاصة أنَّ مهمَّة الناقد الاقرائي تجول في آفاق تعتمد على ملاحظة تطبيق القارىء ما كان قد قرأ من أصول فنّه وصناعته من قواعد أدائية وفنون نغميَّة ومسائل أخرى يجب أن تكون كائنة في ثقافة القُرّاء على اختلاف أنواعها وتعدُّد نماذجها مما أسلفنا القول عليه في هذه الكلمة[٣].
والنّباهة في النّاقد والقدرة على اختزان الملاحظات في الذِّهن، أمْرٌ من الضَّرورة بمكان ليأتي نقده شاملاً كُلَّ الشُّمول لجمهرة المطالب المُخْضَعَة للنَّقد..

على أنَّ النَّقـد الاقـرائيّ يختلف كُلَّ الاختـلاف عمّـا سواه من المقـولات المنقودة . . فانَّ الجملة العربيَّة اذا أُريد نقدها نَحْوياً وجب الانتظار الى أن ينتهي المتكلِّم من كلامـه لأنَّ كيـان النَّحـو قائمٌ على نهايات الألفاظ، أمّا مسائل الاقراءِ فانَّ المقطع الأوَّل الذي يتفوَّه به القارىء قد يبدو فيه الخطأ ظاهـراً من قِبَـلِ المُضِيِّ في النُّطق بالكلمـة التي كان المقطع ـ ذاك ـ أوَّل شيءٍ فيهـا . . وقـد تحتوي الكلمة الواحدة في علم التَّجويد على أكثر من خطأ يقـع فيـه القـارىء . . فالانتظار هنا غير ذي وجود ألبَتَّةَ، وبذلك يكون النّـاقـد الاقـرائي أدقَّ النُّقـاد مهمَّـةً، وأكثرهـم تَحَفُّزاً، وأقواهم سلطاناً في مجال عمله واختصاصه . .

ومن هنا نرى أنَّ ظهور فِئَةٍ من النُّقاد الاقرائيِّين يتولَّون هذه المهمَّة الجليلة في البيئة الاقرائيَّة سيكون عاملاً ذا فَعّاليَّة عظيمة في خدمة أغراض التِّلاوة وصيـانـة أحكـامها وقواعدها وازاحة الضعفاء من المتشبِّثين بها ازاحة تترك السّاحة لمن يستحقّ الجولان فيها بقوَّة وأهليَّة واقتدار . .

ومـا دامت التّـلاوة قد ضربت بسهمٍ وافـر في المجال النَّغمي فصار ذلك فيها جزءاً لاينفصلِ عنها، فلابدَّ أن تنسحب عليه مطالب النَّقد الاقرائي من قِبَلِ ممارسيه، كما أنَّه لابدَّ من أن تنسحب عليه كذلك قواعد النَّقد الفَنّي من قِبَل النّقّاد المتخصصين فيه، فانَّ النَّغم ليس شيئاً مُلْقىً على عواهنه ولاهو بالأمر الموكول الى المزاج وحده .

بل هو من القضايا الرياضيّة المنتمية لقوانين علميّة هي في غاية الدقَّة، وأمّا الأذواق والأمزجة فانها رغم تأثّرها وتأثيرها لاقوة لها عند إصدار قرار في شأن هذه القضايا لأنها ـ أي الأمزجة ـ ليست ذات ضوابط ثابتة او مطّردة في النّاس . .

ونرى أن يوسّع النّقّاد والدّارسون الموسيقيّون مجال اختصاصهم الفنّي فيعمدوا الى دراسة فنون الأداء الصّوتي وتعلّم قواعد التّجويد ليكون لهم فيه دور متميّز تظهر آثاره في النّقد الاقرائي وفي الدّراسات الصّوتيّة وسيكون ذلك عظيم الأثر في تكوين الشّخصيّات الاقرائيّة التي نأمل أن تتحقّق فيها القدرة على استيعاب الثّقافة الاقرائيّة وتبعاً لذلك نأمل أن يبلغ علم النّقد الاقرائي أوْجَه في المستقبل بتفوّق نقّاده في هذا الاختصاص. .

هوامش النقد الاقرائي

(١) ـ الجمال الذي كان أمر الحكم فيه موكولاً الى الذّوق المحض، صار عِلْماً يحتكم فيه الى مقاييس مقرّرة، ولم يعد الذّوق هو الذي يتحكم في الموضوع على نحو ما تهوى الأنفس وترى الأعين. .

(٢) ـ مما يدخل في حقوق النّقد الاقرائي مجلس القارىء وتحركاته وهيئته إبّانَ القراءة وارتفاع صوته وانخفاضه والتّعجيل والتّباطؤ والحذلقة والتّقعّر والتّغنّج وغير ذلك مما قد يقع بعضه من قبل المقرئين الأكِفّاء ـ أي غير المبصرين ـ فانّ هؤلاء يجب ارشادهم الى قواعد الجلوس والكلام والتّحرك خلال القراءة وغيرها لتكون لهم هيئةٌ مرضيّةٌ مقبولة عند مواجهة النّاس. .

(٣) ـ من ذلك مثلا أن يراقب النّاقد المسافات المَدّيّة لدى القارىء أهي مجاوِزَةٌ للحدّ المقرّر أدائيّاً أم إنّها دون ذلك. . وعليه أن يراقب كذلك حالات الاشمام النّوني والاظهارات النّونيّة والميميّة واظهارات سائر الحروف في مواقع الاظهار. . وينظر ما اذا كان المقرىء قد فَرّطَ في الغُنَن أو زاد فيها. . أي انّ عليه أن يسجّل على القارىء أيّ خروج يكون منه على جمهرة قواعد التّجويد والالقاء الصّوتي بحكم كونه ناقداً إقرائيّاً يقوم بمهمته هذه على ضوء هذا العلم. .

التّجويد والطّفل

التجـويـد من صميم المطالب الصّوتية في اللغة العربية. والاطفال بما أودع الله فيهم من غريـزة التّنبُّه الـدقيق للألفاظ التي يسمعونها وسلامة التلقي للحروف التي تلتقطها آذانُهم في حياتهم اليومية فانهم يملكون القدرة على استيعاب مفردات أية لغة تعيش أسماعهم في بيئاتها ولذا كان الاطفـال أقـدر من غيـرهـم من كبـار السنّ على ضبـط ألفـاظ اللغـات من الناحية الصوتية..

واذا كان الكبـار يتعلمـون اللغـات بدرجة عالية من الاعتماد على النظر والمطـالعـة والاستيعاب الفكري الذي تستدعيه الحاجة الى تكثيف الثّروة اللغـويـة في الالفـاظ ومعانيها مما يعدّ من الأضعاف المضاعفة في مقابلة الاعتمـاد على السمـع والتلقي الصـوتي لدى الاطفال فان الاطفال يعتمد تلقّيهم للدراسـات اللغـوية على السمع فقط أو انه اي السمع يكون أعلى نسبة في أسباب التلقي وأدواته من سائر الوسائل الاخرى غير السمعية.

ومن هنـا كان جديـرا بنا استغلال القدرة السمعية الفطرية في الاطفال من أجـل تعليمهم اللفـظ اللغـوي بصـوتـه السليم من شوائب اللحن والرطانات العامية التي تملأ أصمختهم منذ سني حياتهم الاولى في بيئتهم البيتية والبيئات الاخرى التي يعيشون في أطرها الضيقة..

ان الاطفـال اذا تعلمـوا في الصغـر قواعـد علم التجـويـد انتقش في أذهانهم فلانت الحروف على ألسنتهم وانضبطت أصول اللفظ العربي في

حناجرهم وقد صدق من كان قد قال «العلم في الصّغر كالنّقش في الحجر».

ان علم الصوتيات الذي هو علم التجويد في مصطلح أهل القراءات يسهل تعليمه للصغار اكثر مما يسهل تعليمه للكبار مما هو ثابت في عالم الواقع والتّطبيق والمشاهدة ومن الضروري الاشارة هنا الى ان اللغة العربية في عصرنا الحاضر ـ بل انها منذ عصور عديدة ـ قد تأثرت صوتيّا باللفظ الاعجمي فابتعدت حروفها عن مخارجها الصحيحة ابتعادا ملحوظا في الاسماع السليمة غير المعيوهة.

ولا ملاذ من أجل استئصال شأفة اللحن في أجيالنا الحاضرة الا اذا لذنا بعلم التجويد.. وبدأنا بتطبيقه على لهوات الاطفال الرقيقة..

أما هذا العلم فهو علم هندسة اللفظ العربي الفصيح وقد كان مظنونا لدى البعض ـ وربما لدى الكل ـ انه علم لايحتاج له سوى الذين يفرضون على انفسهم التخصص في تلاوة آي الذكر الحكيم..

وهؤلاء كذلك لايفرضون هذا على انفسهم قصد التخصص العلمي واللساني وانما يلجأون الى ذلك أو الى بعض ذلك ـ بعبارة أدقّ ـ من أجل التعيّش واتخاذ ذلك وسيلة وظيفية للحياة..

وحين يتحقق لهم شيء من ذلك مما يمكن ان يوصف بالحدّ الأدنى من جوهر هذا العلم فانهم يتوقفون عن المتابعة اللازمة للدارسين الذين يفترض فيهم مواصلة هذه المتابعة حتى يصلوا الى الطرف الأقصى..

ومن هنا لم يكن معظم من يتولى أمر الاقراء والتلاوة أهلاً لأداء هذه المهمة التعليمية لأنهم لم يكونوا في الاصل أهلا لضبط صيغها ضبطا دقيقا ولا تلقّيها تلقّياً سليما ولانَوَوْا عند تعلم شيء منها أن يكونوا حملة

علم بل انما صنعوا ذلك ليكونوا ذوي حرفة يحترفونها في عالم المعاش والارتزاق . .

التجـويـد من حيث هو الصـوت اللغـوي الصحيح للحـرف العـربي وللمقاطع الصّوتية المتحكمة فيه يعدّ تعليمه للصغار أمراً في غاية الضرورة . .

أمـا ان يراد من التجـويـد ترتيل النصوص القرآنية على الوجه الأتمّ فان ذلك ان وقع له التوفيق التام فانما يقع له ذلك في مراحل الكبر لأن التجويد في المفهـوم الاصطـلاحي اضيق ممـا حددناه بالصوتيات التي هي قانون للغة المنطوقة وذاك ما نتغيّاه من وراء تعليم الصبيان هذا الفن الرفيع . .

ان صوت بعض الصبيان في ميعة حداثتهم قد تعرض له عوارض كثيرة فيكـون للنـاقـد بعـد اجتياز هذه المرحلة التكاملية ان يعطي في صفة تلك الاصـوات وتحـديـد حدودهـا حكمـة لهـا او عليها من حيث تمتعها بالقوّة والجمـاليـة والرّونق والسعة والاكتمال الفني الذي يستقرّ قراره في الحناجر بعـد اجتيـاز سنّ الطفـولة اذ تتجلى سماته وتتضح قدراته ولا سيما بعد ان تنصقـل الحنـاجر وتتمرّس اللهوات بمهمة الأداء اللساني والالقاء الصّوتي حتى تصل الى عهد البلوغ . .

غيـر ان الامـر الذي ينتفع به الطّفل انتفاعاً تامّاً من دراسة علم التجويد انما هو ما يظلّ عائشاً في حنجرته وعلى لهاته منذ سنّه المبكرة حتى آخر عهده بالحياة فهو مستفيد من ذلك أبداً خلال كلامه وحديثه وإلقائه وغنائه وتـلاوتـه . . وذاك عنـد ضبطـه أصوات الحروف في أوعيتها المقطعية وفق قانون الاصوات . .

ومـا من شك في أنّ هذا ليعـدّ من خيـرة المكاسب وأقومها وأغلاها في

المجال الدراسي للسانيات منذ عهد الصغر. .

وليس العطاء المضمون الذي تحققه دراسة التجويد في بيئة الاطفال هو التطبيق الوظيفي فحسب وأعني به النطق والتلاوة. بل ان من بعض هذا العطاء التعليم وكذلك من بعضه ممارسة النقد الاقرائي وأداء مهمة الحكم بين المتبارين والمتسابقين وفي حالات اختبار هؤلاء والتمييز بين منازلهم في هذه المضامير فان فَن النقّد الاقرائي سيستعيد مكانته في العراق بدءاً بأطفاله وصبيانه من ذكرانٍ واناث وذلك من مهمّات ما يتحصل لنا من تدريس الصبيان هذا الفنّ الرّائع الجميل. .

على ان دراسة الاحداث والاطفال علم التجويد لاتخلو اضافة الى العنصر اللغوي فيه من جمال وامتاع تزكّيهما براءة الطفولة في الاسماع، وهذا ما يفسر ما قاله سفيان بن عيينة من فقهاء صدر الاسلام حين وجد واقفاً ملياً على باب كتّاب حتى اذا سئل عن سبب وقوفه قال انه يحب ان يسمع كلام الله من تلاوة صبيّ صغير كان يتلو القرآن فيه. اذ قال «اني احبّ ان اسمع كلام ربّي من هذا الصبيّ».

أجل ان علم التّجويد من أدقّ الموازين التي تضمن للحرف العربي أن يصيب نصيبه التام من النّطق الصّحيح من حيث لا أثر لعلمٍ سواه في هذا الأمر. .

وما يغني النّحو ولا الصرّف ولا غيرهما من الرّكاز اللغوي الغنىّ بالفصاحة والبلاغة عن علم التّجويد الذي نعني به علم الصّوتيّات. .

على ان دّارسي اللغة العربية من الاجانب وذوي الألسنة غير العربية اذا تلقوا شيئاً من علم الصُّوت العربي الذي يحمل لقب علم التجويد فانهم تقلّ عندهم الرطانة في نطق الالفاظ العربية لدرجة كبيرة فيأخذ الحرف

العربي مكانه على ألسنتهم بحيث اذا نطقوا حاكوا فصحاء الناطقين منا . .

ان الصبي شديد التقليد لما يسمع وحَسَنُ التعبير والتمثيل اذا شاء، مما يسهِّل عليه محاكاة سائر الاصوات وتقليدها وهذا يمكن أن يوصف بأنه رأس مال رابح مضمون الرّبح ومكفوله . .

وقد كانت لي طفلة[×] لاحظت عليها أنها تصغي لمن يتكلم فتكرر ماتسمع بصوت خافت كأنّها هدتها الفطرة الى أنّ ما تصنعه من المحاكاة هو الطريقة الصائبة في تعلم الكلام وضبط الألفاظ وتأدية المهمة الصوتية التي هي الوسيلة البديهية للخروج الى عالم المجتمع وهي حقاً الوسيلة البدائية الاولى لتحصيل المعلومات والاعلان عن وجود الكائن البشري، وعما يريد أن يفضي به من حاجاته ومطالبه قبل ان يتعلم العلوم ويصل الى المعارف بوسائلها الحضاريّة وأدواتها التعليمية . .

اذن ان في امكاننا ان نقول ان دراسة علم الاصوات أول ما يسعى اليه الطفل من تلقاء نفسه لكي يملك القدرة على التعرف على الاشياء ومخاطبة لداته ومن هم فوق سنهم من أهل ومعارف وغرباء . .

والطفل ذو قدرة على حفظ ملفوظات كثيرة يكررها بسهولة وهو كذلك يلتذ بايرادها ملحّنة ومنغّمة ومن أجل ذلك كثرت الاغاني والاناشيد في ألعاب الاطفال بل صار من بديهيات الامور ان تتعاشق الاغنيّة واللعبة ولنا في كتاب اغاني الاطفال للباحث حسين قدوري خير دليل على ذلك . .

ويلاحظ كذلك ان الطفل يملك ملكة التمييز بين أنماط الاغاني التي يقدّر انسجامها وصلاحها لألعاب يلعبها هو ولداته من صبيان الحيّ وصباياه . .

ومن هنا يكون لعلم التجويد اثره الفعال في تقويم ألسنة الاطفال وهذا

[×] هي «عروض» التي ولدت في شنغهاي عام ١٩٧٦ .

يساعد كثيراً في ان يقوم الطفل بمهمة تصحيح النطق في بيئته البيتية لاسيما في جيلنا الجديد الذي صار فيه للطفل رأي لدى ذويه وأولياء امره . .

وانه لمن المهمّ القول ان كثيراً من المناقشات التي تعقد في شأن ما هناك من التخلف في الحيوية اللغوية فيشرّق قوم ويغرّب آخرون فيتّهم أناس الكتّاب ويتهم أناس الأدباء وتتوزع تباعة ذلك على اكثر من عاتق، غير أنّ موضوع الغفلة عن الصوتيات لايجد له مكاناً في هذه الحيثيّات، في حين انه ذو أهميّة قصوى في تشخيص عوامل الخلل الظاهر في كلام المتكلمين وحديث المتحدثين وأدب المتأدبين وثقافة المثقفين.

علم التجويد يتضمن قواعد وقوانين صوتيّة يعرف بها كيف تتلاقى الحروف وتتشابك المقاطع؟ وما الصورة المسموعة لكل حرف في وعائه المقطعي؟ وما قوانين اقلاب الحروف وابدالها؟ وما اظهارها واخفاؤها؟ واني لا اجد لغة تبلغ ما بلغته العربية الفصحى من رونق ودمائة وحلاوة وعذوبة لو عَوَّدنا ألسنتنا على ادائها وفق نظامها الصوّتي الصحيح . .

ان الاطفال الذين سيتعلمون علم التجنويد الذي تنضبط به على ألسنتهم أصول الالقاء الصوتي سيصمدون في وجه التيّار المشبع باللحن الذريع في نطق الحروف والمقاطع الفصحى مما صار يعمّ الاذاعات العربية ومنها اذاعتنا في بغداد فيثير قلق علماء اللغة المنطوقة . . بما يصاحب هذا اللحن من استبشاعات مستبشعة في نطق الحروف والعبارات.

فلنعلّم الطفل الجديد علم التجويد لنستمع اليه فنعجب به كما استمع اليه ابن عيينة قبل اثني عشر قرنا فأعجب به . .

الخاتمة

بحمد الله ينتهي كتاب «قواعد التّجويد والالقاء الصّوتي» وقد استغرقت فترة تأليفه بضع سنوات كان المؤلف يراجع خلالها أكبر عدد متيسّر من المراجع الصوتية المطبوعة والمخطوطة وقد سافر - وأوفد - الى أكثر من قطر عربي لهذا الغرض فاطّلع على المصادر والتقى بعلماء التّجويد والصّوتيّات المتميّزين وكان كذلك قد وجه من قِبَلُ الى فريق منهم - خلال فترات متكررة رسائل في ذات الموضوع يحتفظ بأجوبتهم عليها . .

كما أنه مارس تدريس مادة الكتاب في أكثر من معهد منها المركز الاقرائي العراقي بجامع الخلفاء ومعهد تدريب المعلمين المركزي، ومعهد تطوير تدريس اللغة العربية، ومعهد الدراسات النغمية العراقي . . . ومما لاتنكر أهميته أن معاطاة التّدريس تفتح للباحث آفاقاً من المسائل التي يجد نفسه في مواجهتها فيحمله ذلك على الامعان في التحقيق الجدّي والحرص الشّديد على بذل الجهد ابتغاء الوصول الى الحقيقة المنشودة . .

ان في الكتاب آراءاً ونظريّات تَمَّ بها تصحيح كثير من أخطاء المصطلح الشّائع في أروقة تعليم هذا الفرع الأساسيّ بين فروع العربية ممّا له فيها مكان الصّدارة والأولوية . .

وقد كان من توفيق المؤلف وحسن حظّ الكتاب أن تتولى أمر طبعه مطابع دار الحريّة فانها كانت نعم الدار وذاك بعون خاص من مديرها العام الاستاذ عبدالحسين فرحان جزاه الله خيرا . .

ولابدّ أن أتقدم بالثّناء الجميل على سيادة وزير الأوقاف والشؤون الدينية الاستاذ عبدالله فاضل ولجنة التراث الموقرة في الوزارة بما كان من إقرارهم طبع الكتاب الذي جاء على هذه الصّفة الوثائقيّة في نصوصه وأحكامه ومتونه وهوامشه المفصّلة . .

أتمنّى ان تكون قواعد التجويد هذه سبيلاً الى توحيد دراسة التجويد في الأقطار العربية والاسلامية فانّ معظم ما جاء فيه من أحكام قد وثّق بموافقات تحريرية وشفهية من قبل جملةٍ من علماء تلك الأقطار . .

وآمل أن يجد علم التّجويد كرسيُّه الوطيد في الجامعات وكلّيّاتها فانّه من خير مايلاذ به في مواجهة الانحرافات الصّوتيّة في نطق الحرف العربي الذي وقع الابتلاء باللحن فيه خلال الجيل الحاضر . .

وقد وجدت أن أتّخذ من الكتاب تجريداً مختصراً للمبتدئين يسهل عليهم دراسته دون توريطهم في متابعة مطالب معقدة من فلسفة اللغة ، أوحملهم على خوض أكثر من لجّة عميقة في هذا العلم العظيم . .

وأنا الآن في سبيل وضع دراسة في نقد أربعين مقرئاً معاصراً نقداً اقرائيّاً ترسيخاً لقدم فنّ النّقد الاقرائي في البيئات الاقرائيّة فانه من مهمّات ماتحتاجه الثقافة الصّوتيّة المعاصرة وعسى الله أن يعين على ما نتمنّاه فهو خير من يستعان به وخير من يتّكل عليه .

الشيخ جلال الحنفي

المراجع

× احكام تجويد القرآن لمحمد سعيد محمد علي ملحق مكتبة الأقصى ـ عمّان الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م

× آداب قراءة القرآن لابن حَجَر .

× الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس .

× اصوات واشارات لكوندراتوف نقله عن الانكليزية ادور يوحنا

× اعـانـة المستفيـد في علم التّجـويـد تأليف قاسم مصطفى البيـرقـدار ١٣٨٧هـ مكتبة الأوقاف المركزية ـ السليمانية .

× بداية الهداية للشيخ محسن بن محمد بن الشيخ مبارك اللويمي المُتوفّى سنة ١٢٤٥هـ

× البرهان في تجويد القرآن ـ محمد الصّادق قمحاوي

× بغية المرتاد لتصحيح الضّاد تأليف علي بن غانم المقدسي الحنفي . .

× بغية المستفيد في علم التجويد لشمس الدين محمد الشهير بابن بلبان الحنبلي .

× بيـان المشكـلات على المبتـدئين من جهـة التّجـويد في القرآن المبين لمحمد الميداني

× التّبيان في آداب حملة القرآن لمحي الدين النواوي . .

× تجويد القرآن العظيم لابراهيم الحقي الفقيري

× التجويد للشيخ محمد تاج الدين الموصلي .

× التجويد وآداب التلاوة لداود العطّار

× التجـويـد والاصـوات للدكتـور ابـراهيم نجـا ـ من مكتبة الاستاذ سامي عبدالحميد نقيب الفنانين العراقيين . .

× التجويد وعلوم القرآن لعبد البديع السيّد صقر

× التجويد الواضح لأحمد فروخي

× تربيـة الصـوت وفن الالقـاء (تربية الصوت وتطوير الالقاء) تأليف سامي عبدالحميد ـ بغداد ١٩٧٤ ـ

× تعليقات على شرح الجزرية للشيخ عبدالله السُّويدي البغدادي المتوفي عام ١١٥٤هـ (١٧٣٣)م . . والنُّسخـة مخطوطـة في سنـة ١٢٧٥هـ غرة جمادى الأولى على يد السيد محمد أمين بن السيد عبدالرحمن بن محمد محسن الدوري . .

× تعليم القاري للشيخ محمد البارودي طبع بتونس سنة ١٢٩٤ هـ

× تنبيه الغافلين للنوري الصفاقسي

تحقيق العلامة النيفر عميد كلية الشريعة بتونس . .

× تحفة الاخوان في بيان احكام تجويد القرآن تأليف الشيخ حسن ابراهيم الشاعر

× تحفة الاخوان فيما تصح به تلاوة القرآن تأليف خليل بن عثمان القرافي توفي سنة ٨٠١هـ

× تحفة الاخوان للشيخ عبدالعزيز النقشبندي الأغطاشي . .

× حاوي الفنون وسلوة المحزون لابن الطحّان من رجال القرن الهجري الخامس . .

× حق التلاوة لحسين شيخ عثمان

× الدِّراسات اللَّهْجية والصَّوْتيَّة عند ابن جنّي للدكتور حسام سعيد النُّعيميّ

× دراسة الصَّوت اللُّغَويّ للدكتور أحمد مختار عمر.
× الدُّرّ المَرْصوف في مخارج الحروف للشيخ برهان الدين بن وثيق الأندلسي
× دروس التجويد على ظريف الاعظمي
× الـدُّروس التَّجويديَّة لطلاَّب المدارس الابتدائية لمرتِّبه يوسف عزّ الدّين النَّاصري طبع في بغداد سنة ١٣٤١ هـ
× دروس في علم أصـوات العـربيَّـة لجان كانتينو ترجمة صالح القرمادي ـ الكِرْمَيدي ـ . .
× رسالة التَّجويد للشيخ المرعشي ساچقلي زاده . .
× رسـالـة التجـويـد للمنـلا حسين بن اسكنـدر الحنفي ـ المتـوفى سنـة ١٠٨٤هـ ـ
× الرِّسالة التَّجويديَّة لاسماعيل بهاء الدين العبيدي . .
× رسـالـة في بعض أسـرار التَّجويد لأحمد بن زين الدّين بن صقر بن داغر الاحسائي ـ توفّي سنة ١٢٤٥هـ ـ.
× رسالة في بيان حكم التَّجويد للشيخ محمد بن عبد الرَّحمن السَّند ـ أنكر فيها أن يكون للتَّجويد حكم شرعيّ ـ وجدتها في مكتبة الزُّبير الأَهليّة
× سبعـة ابـواب في علم التَّجـويـد للشيـخ عبدالحميد بن أحمد الحديثي خطيب الكاظمية ـ من علماء القرن الرابع عشر الهجري ـ
× سرّ الصناعة لأبي الفتح عثمان بن جِنّي
× عجالة البريد في حلّ بغية المستفيد . .
× عَرْفُ النَّدّ في حكم حذف المدّ تأليف ابي العباس احمد بن عبدالعزيز الهـلالي ـ قال في المقـدمة «بسم الله الحمد لله علماء التجويد لايجيزون

اسقـاط المـدّ واعدامه نقل ابو العباس الهلالي عن الشيخ علي الاجهوري في شرح المختصـر ما نصّـه : «ولابُـدّ في الجـلالـة من المدّ الطّبيعي فانّ تاركه لاتجزيه صلاته وكذلك الذّاكر لايكون ذاكراً بتركه» اه

× علم الأصـوات تأليف برتيـل مامبـرك . . . تعـريب ودراسـة الـدكتـور عبد الصّبور شاهين 1985 . .

× علم التّجويد في تلاوة القرآن المجيد للشيخ عبدالله مصطفى العريس . . استعرت نسخته من الدّكتور محسن جمال الدّين . .

× علوم القرآن لأحمد كمال عادل

× عمدة المُجيد وعدّة المفيد في معرفة التّجْويد . . ، لابي الحسن علي بن محمـد بن عبـد الصّمد علم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ ـ وورد اسمه بلفظ آخر هو عمدة المفيد وعدّة المجيد في معرفة التّجويد ـ

× عمـدة المفيـد وعـدّة المجيـد في أصـول التجـويـد للشيخ عبدالمجيد الخطيب الموصلي . .

× غُنْية الطّالبين ومُنْيَة الرّاغبين لمحمد بن قاسم البقري المتوفى عام ١١١١هـ

× فتح الاقفال للشيخ الجمزوري

× فتح الملك المتعال للشيخ محمد الميهي الأحمدي .

× الفريد في علم التّجويد لجماعة من مدّرسي التّجويد بالسُّعودية . .

× فنّ الالقاء لعبد الوارث عسر . .

× فَنّ التّرتيل لعبدالله توفيق الصّبّاغ

× القافية والأصوات اللُّغويّة للدكتور محمد عوني عبد الرؤوف . .

× القراءات القرآنيّة ـ تاريخ وتعريف ـ للدكتور عبدالهادي الفضلي الطبعة

الثّانية ببيروت ١٩٨٠
x القراءات واللّهجات عبدالوهاب حمودة
x قواعد التّلاوة وعلم التّجويد فرج توفيق الوليد . .
x القول المفيد في أصول التّجويد تأليف أبي الحسن ابراهيم البقاعي الشّافعي .
x الكافي في الموسيقى . . لابن زيلة المتوفى سنة ٤٤٤هـ
x كيف تجَوِّد القرآن وترتّله ترتيلا محمد عبدالعزيز الهلاوي مكتبة الاعتصام القاهرة ١٩٨٠
x لطائف الاشارات لفنون القراءات للقسطلاني - توفي سنة ٩٢٣ هـ -
x اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسّان . .
x معاني الحروف للرّمّاني النّحوي
x مَغْنَم الصّبيان في تجويد القرآن للشيخ حبيب محمد الكندي السيلاني . .
x المنح الفكريّة على متن الجزريّة للملاّ علي القاري . .
x المنهج الصّوتي للبنية العربيّة للدّكتور عبدالصّبور شاهين . .
x النّشر لابن الجزري
x نيل الأرب في موسيقى الافرنج والعرب . . لأحمد الديك . .

على انّ عدّةً معدودة من المسائل المثبتة في الكتاب ترجع الى اجتهادات المؤلف ودراساته الخاصة التي لم يتنبّه لها الباحثون في الأصوات من قدامى ومحدثين ومازال العلم يتحصّل من الدراسة والتّعليم وصدق الله اذ قال «ولكنْ كونوا ربّانيّين بما كنتم تُعَلِّمون الكتابَ وبما كنتم تَدْرسُون» . .

تنويه

كراسان في التجويد يحسن بالطُّلاّب مراجعتهما . .

١ ـ أصول التِّلاوة إعداد الشيخ جلال الحنفي تلخيص صالح محمد عبدالفتاح معلم مدرسة بادينان / السليمانية .

نشرته المديرية العامة لتربية محافظة السليمانية [وحدة التدريب] دورة التربية الاسلامية للمعلمين . . أواسط شوال ١٤٠٠هـ ـ أواخر آب ١٩٨٠م

٢ ـ علم التَّجويد للصف الثالث المتوسط تأليف كلٍّ من الشّيخ جلال الحنفي وفرج توفيق الوليد وقحطان عبدالرَّحمن الدُّوري . . نشرته وزارة التّربية «المدارس الاسلاميّة» الطبعة الأولى في ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م مطبعة وزارة التربية [رقم ٢] أربيل . .

كلـــــمة

مع اللمسات الأخيرة . .

أرى من أدب الإنصـــاف والاعتـــراف بالجميـــل أن أشيـــر الى من كان قد أعـانني على بعض شؤون التّصحيـح والمـراجعـة ولاسيّمـا تخـريج الآي القـرآني ـ وهـو من أهمّ مُهمّـات الكِتاب ـ فأذكر جُهْدَ كُلٍّ من الأستاذ جبّار سهم معاون شؤون الطّلبة في «معهد الدراسات النّغميّة العراقي» أوّل عهد الكتـاب في المـراحـل الطّباعيّة، والأستاذ سعد الخزرجي معاون الشّؤون الاداريّـة في المعهـد ومدرّس الانكليزية فيه والشّيخ محمود الفَلاحي إمام جامع الفاروق في مدينة الحرّيّة، والمقرىء المُلاّ علي حسن داود خطيب جامـع الشّيـخ سراج الدّين، والطّالب النّابه الشّيخ عبدالحكيم محمد في كليّـة الشّـريعـة، وولدي البكر «لبيد» الطّالب في «إعداديّة الصّناعة» وكان قد سهـر معي على التّنسيق والمقـابلة الليـالي المتتـابعات، بحيث صرت آمل أن يحوز الكتاب على صفة الوثائقيّة في شكله وموضوعه والعصمة لله جَلّ وعلا . .

كذلـك أشكـر للأستـاذ المفكـر التّونسي محمد الحبيب عبّاس مقدّمته العلميّـة القيّمـة، كمـا أشكر للدّكتور عبدالمنعم الحاج ناصر المتخصّص العـراقي بعلم الأصـوات ـ من جامعـات لنـدن ـ كلمتـه بالانكليـزيّـة في التّعريف والتقريض ومن الحقّ أن لا أغفل عن الاشارة بأصبع التّقدير الى الصـديق الكـريم الاستاذ عبد الرزّاق الجزّار اذ كان وما زال يهديني ما يقع في يده من المصادر الاقرائيّة والعروضيّة النّادرة . .

وعلى الله قصد السبيل . .

المؤلف

صفحات للتعقيب والتصحيح

صفحات للتعقيب والتصحيح

صفحات للتعقيب والتصحيح

صفحات للتعقيب والتصحيح

صفحات للتعقيب والتصحيح

صفحات للتعقيب والتصحيح

التّجريد

من

قواعد التّجويد

يصحّ طبع التجريد مستقلا بعد موافقة المؤلف . .

قواعد التّجويد

و

الالقاء الصّوتي

تأليف

الشيخ جلال الحنفي

التمهيد . . .

هذه خلاصـة مستخلصـة من الكتاب المفصّل في التّجويد وفلسفتـه وهو ما سمّيته «قواعد التّجويد والالقاء الصّوتي» وذاك نظـراً للحـاجـة الى تجـريـد موجـز منه لتسهيل تعلمه وتعليمه للمبتدئين، أمّا الذين يرغبون في التّوسّع في هذه الدّراسة فانّ الأصل الكامل للكتاب متيسّر لهم مارغبوا في ذلك وأرادوه . . .

ولابـدّ من الاشـارة في هذا المـوجـز الى أنّنـا عالجنا بعض المصطلحـات التّجـويـديّـة الشّـائعـة فأجـرينا عليها شيئاً من التّعـديـل والتّصحيـح لتكـون قريبـة الى الأفهـام في التّعريف بمحتوياتها، وليكون منطوقها واضح الدلالة على مفهومها . .

التّجويد: موضوعه وغايته . . .

موضوع علم التّجويد هو الصّوت الذي تؤدى به الألفاظ وتنطق الحروف وتنشأ المقاطع، أي إنه علم هندسة اللفظ العربي في سائـر أنمـاط كلام العـرب، ولمـا كان القرآن الكريم من أعلى مراتب الكلام العربي فانّ له حصّته الكبرى في علم التّجويد، واذا كان لمـا سواه من الكـلام أكثـرُ من استثنـاء صوتي كالذي

يكـون للغنـاء ومـاهـو من فصيلتـه فانّ الكلم القـرآني يحتضن قواعـد التّجـويـد دون شيء ممّا يسمّى بالاستثناء والتّسامح . .

ومن هنـا كان علم التّجـويد أوثق صلةً بالقرآن الكريم ممّا سواه من المصادر الصّوتيّة الأخرى . .

ولسنـا نقـول إنّ موضـوع علـم التّجـويد هو الحرف القرآني كالـذي جاء في بعض الكتب بحيث حصـر هذا العلم بالتّلاوة القـرآنيّـة وحـدهـا في حين أنّـه علمٌ يتضمن قواعـد وأحكـامـاً تنسحب على سائر الألفاظ العربيّة المنطوق بها في شعر ونثر . .

انّ غايـة هذا العلم هي المحـافظـة على لغة العرب من أن تعتـريهـا رطـانة عُجْمةٍ أو اختلالُ نطقٍ أويطغى عليها فسادٌ في الجَرْس الصّوتيّ ولَيٌّ في الأداء البيانيّ . .

ويـذلـك تكون لغةُ العرب في حَصانةٍ من اللّحن، وهذا ما ينبني عليه أن يكون كتاب الله العزيز في حصانة من اللّحن أيضاً . .

ولـذلـك جاءت بعض استشهـاداتنـا في التّجـويد من سائر ألفاظ النّاس اضافةً الى ما نَسْبِق في الاستشهاد به الى التّنزيل العزيز والله المعين . .

الحروف الشّمسيّة والقمريّة

تقسم الحروف الهجائية الى حروف شمسيّة وأخرى قمريّة والفرق بينهما ان الحرف الشّمسيّ يكون له تأثيره الظاهر على لام التّعريف بحيث تنقلب هذه اللام الى حرف من جنس الحرف الشّمسي . . فان كلمة «شمس» مثلاً فيها شين واحدة فاذا قلنا «الشّمس» صارت فيها شينان إحداهما الشّين الأصيلة في الكلمة والأخرى شين مجتلبة باقلاب اللام اليها . . والحروف الشّمسيّة ثلاثة عشر حرفاً هي :

ت. ث. د. ذ. ر. ز. س. ش. ص. ض. ط. ظ. ن. .

مثل : التّين. الثّوب. الدّار. الذّهب. الرّأي. الزّمن. السّيف. الشّرف. الصّوم. الضّوء. الطّير. الظّبي. النّور. .

والحرف القمري هوما لايؤثرفي لام التّعريف . . وعدّة هذه المجموعة من الحروف خمسة عشر حرفاً على النّسق التّالي :

أ. ب. ج. ح. خ. ع. غ. ف. ق. ك. ل. م. و. هـ. ي. .

ومن نماذج ذلك:

الأَمل. البَذْر. الجمال. الحياة. الخير. العلم. الغرب. الفلق. القَلَم. الكتاب. اللبن. المنار. الوعد. الهدى. اليقين...

همزة الوصل وهمزة القطع

همزة الوصل هي الهمزة التي لاتتقبّل الحركات وهي على سكونها لايعرف لسكونها شكل من الأشكال أو صورة من الصُّور لأنّها أبداً غير مسموعة الاّ اذا بدئ بها اللفظ وآنذاك لاتعدّ همزة وصل بل تعدّ همزة قطع ومن ذلك «انّ القمر والشّمس» فانّ الهمزة التي في أل التعريف في القمر والشّمس هي همزة وصل تحذف أبداً عند الوصل، بل ان لام التّعريف تحذف كذلك مع الحرف الشمسي فيكون الحذف شاملاً لأداة التعريف كلها همزة ولاما.. ويستعاض عن لام التعريف في الألفاظ الشّمسيّة بحرف شمسيّ مُجْتَلَب يحلّ محلّ لام التّعريف المحذوفة.. ولايجوز ابراز همزة الوصل عند الوصل بحالٍ من الأحوال اذ لايصحّ أن يقال «انّ ألْعِلْم خيرٌ من ألْجَهلْ» ولايصح «جاءتْ ألطّالبة». ومثل ذلك: «سبعة من

أَفْـرادُ أُلعَـدُوّ» باسكـان الـدّال في أفـراد وفتح همزة الوصل في العـدوّ، وصـواب اللفـظ أن يكون: «سبعة من أَفْرادِ العَدُوّ». . ومن ذلـك قولهم «لِأَلْغَـرَض» وصـوابـه «لِلْغَرَض» وهومن أشدّ أنواع اللحن لحنا. . ومثل ذلك «لِأَلْكُتّاب» وقائل ذلك يريد أن يقول «لِلْكُتّاب». .

وذيـوع مثـل هذا الخطأ الـذّريـع في البيئـة يفسـد الـذوق اللُّغـويّ ويخرج على طبيعة الصّوت العربيّ ويُخلّ بأمانة نقله الى أجيـال الأمّـة، وقـد صار النّاس يعتمدون على هذا النّمط من التّلقّي السّمعيّ ممّا تبثّه الاذاعات فيتأتّى من ذلك التّخبُّطُ في دراسة العربيّة والتّورُّطُ في أداء أصواتها أداءاً مُشَوَّها. .

التّاءات المربوطة والمبسوطة

تقلب التّاءات المربوطة الى هاءات عند الوقوف عليها وهي في العـادة لاتكـون الاّ في نهـايـة الكلمـات ومن ذلـك مكتبـة وجمهوريّة ورسالة وأمثلة وقِصّة وعمارة وأمنيّة وحزينة ومسرورة وامـرأة ومـدرسـة وعـربيّة وآية ودعاية وهيئة وشجرة وثمرة وصلاة وزكاة وهُواة ومباراة ورُواة وقضاة. .

فان كل هذه التــاءات اذا وقف عليهـــا وقف عليهـــا وكأنّ لافظها يلفظ هاءاً لاتاءا .*.

حروف الاستعلاء **

حروف الاستعـلاء سبعـة هي الخـاء والصّاد والضّاد والطّاء والظّاء والغين والقاف . .

وهي اذا نطقت ممـدودة بألف بعـدهـا جرى عليها يسير من التفخيم يعرف بالسّماع . . مثل خافق وصادق وضاحك وطائع وظامىء وغائب وقاطع . . .

ولايصحّ تفخيم غيـرهـا كالـذين يتطقـون الفاء مفخمة في فاروق، والميم مفخمة في كمال. والباء في أخبار . .

وهنـاك حروف يقـع لهـا التّفخيم ولكنّ من غيـر انتمـائهـا الى الاستعلائيّة وان وصفت لدى البعض بشيء من ذلك كالرّاء واللام . .

والتّفخيم في حروف الاستعـلاء لايسـوّغ النّطقَ بالحرف على وجـه الـرّطـانـة الأعجميّـة فان ذلك مرفوض لأنّه نطقٌ يفسد به الصّوت العربيّ في الحرف . .

---

* ـ ومن الأخطـاء الشـائعـة لدى المـذيعين أن ينطقـوا مبـاراة وركن الهـواة ـ عند الوقوف والتسكين ـ بتاءات مسموعة في حين يجب أن يكون لفظ هذه التاءات على هيئة هاءات سواكن . .

** ـ ورد الكلام على حروف الاستعلاء في الأصل الذي جرّد منه الكتاب ـ ص ٦٥ ـ .

ويجب العلم بأنّ التّفخيم منازل ليس صالحاً منها للتّطبيق الّا ما كان معتدلاً غير مُبالَغٍ فيه . .

المقاطع الصّوتيّة .*

المقاطع الصّوْتيّة إمّا فرديّة ويقال لها أحاديّة أيضاً ، وإما زوجيّة ويقال لها ثنائيّة ، وإما ثلاثيّة . .

الفردية : مثل كَ . تَ . بَ . .

الزوجيّة : مثل مُسْ . تَشْ . فيْ .

الثلاثيّة : مثل نامْ . نورْ . تينْ .

لَحْنْ . زَيْدْ . نَحْلْ . لَحْمْ . صَوْتْ . .

فما تألف من حرف واحد متحرّك فهو مقطع فردي . وما تألف من حرفين أولهما متحرك والثاني ساكن فهو مقطع زوجي . . وما تألف من ثلاثة حروف أولها متحرك والآخران ساكنان فهو المقطع الثلاثي . .

ويجري تأليف الكلمات على هذا الأساس فان قولنا «يَكْتُبُ» مؤلف من مقطع زوجي ومقطعين فرديين . . وقولنا «خُبَراء» مؤلف من مقطع فردي وثان فردي وثالث زوجي ورابع فردي ، وقولنا «اسْتَقَلَّ» مؤلف من مقطع زوجي ففردي فزوجي ففردي . .

* ـ جاء الكلام على هذا الموضوع باسهاب في الأصل الذي جرّد منه هذا الملحق ـ ص ٢٥ ـ .

وهكـذا تكـون المقطعيّـة أصـلاً في نشـوء الكلمـات، أمّا الحـروف فليست إلاّ أصواتاً صوامت لايتحصّل منها كلامٌ قبل تركيبها المقطعيّ . .

مخارج الحروف

مخارج الحروف هي المواقع الفمويّة التي يعتمد عليها في نطق الحروف ساكنةً ومتحرّكة . .

وهي تقسم الى قسمين المخـارج النُّقطـويَّـة والمخـارج الخَطيَّـة . . والمـراد بالنّقطويّة ما ينطق عندها من الحروف فاذا ميل عنه قليلا تغيّر واقع الحرف الى حرف غيره ومن ذلك حرف الذّال . . أما الخطيّة فهي ما اذا ميل بالحرف الصادر منها الى يمين وشمال ظلّ الحرف محتفظاً بمذاقه الصّوتي مع اختلاف الجرس فيه من تفخيم وترقيق كالقاف والخاء والغين فاذا قلت «قال» أمكنك نطق القاف بعدّة هيئات صوتيّة كلها تؤدي حرف القـاف ولكن باختـلاف ظاهـر في مذاقه الصّوْتي غير أنّ القاف الشّرْعي معروف بصفاته المقررة في علم التجويد . .

والنُّطق بالحروف أمر جِبِلّيّ اذ لايمكن نطق الميم والباء من غير جهـة الشفتين ولا نطق الحـاء والخـاء من غيـر جهـة الحنجـرة والحلق، وهكذا . .

ومـا يفعله بعض المقـرئـة من نطق الذّال على هيئة الذال خطأ ذريع مبعثه التّغنج في غير مكان التّغنّج . .

المدود ×

المدود جمع مدّ وهو أن يكون في المقطع الزّوجي (والثّلاثيّ) حرف من حروف المدّ الثلاثة التي هي الألف والواو والياء مثل قال ويقول وقيل وأتى ويدنو ويمضي . . وقالْ وقيلْ . .

ويشتـرط في تحقق المـد أن يكون حرف المد ساكناً سكوناً انسيـابيّـاً وأن يكـون ماقبـل حرف المدّ متحرّكاً بحركة مطاوعة لحـرف المدّ . . ويكون ذلك بالفتحة قبل الألف وبالضمّة قبل الـواو وبـالكسـرة قبـل الياء . . ونماذج ذلك تَمّت الاشارة اليها صدر الموضوع . .

وفي الأصـل الـذي جُرِّدَ منـه هذا المختصـر مايُثْبت حقيقة ذلك علميّاً . .

ان السّكـون الانسيـابي هو سكـون يستجيب للامتـداد والجريان مع النّفس في مثل فُوهةٍ وقُوتٍ . . أما غير الانسيابيّ فانه لايقوى على ذلك مثل فُوّهة وقُوّة . . فلا نملك أن نلفظ بـ «فو» هنا ممدودة ولا بـ «قو» في قُوّة . . ولكنّا أمكن لنا ان نلفظ

×ـ استغرق موضوع المدود في الأصل من ص ٧٣ حتى ص ١١٦

«فو» في فوهة و«قو» في قوت بمنتهى السُّهولة لأن السُّكون في مقطعها سكون انسيابيّ . .

يقسم المدّ الى عدّة أقسام:

١ ـ المدّ الطّبيعيّ . .

وهو مايقع في المقطع الزّوجي المؤلف من حرف هجاء متحرك بعده حرف من حروف المدّ الثلاثة مثل قاموسي وقانوني فهذه نماذج للمدّ الطّبيعي المؤلّف من خرف هجائي بعده ألف وواوٌ وياء . . تلفظ الياء في قاموسي وقانوني دون تشديد لأن الياء ضمير المتكلم هنا وليست ياء النسبة . .

نماذج أخرى للمدّ الطّبيعيّ مع الألف: أتى، دنا، قال، مصطفى، حافَظَ، طالَع، جوادٌ، بَناتٌ . . . .

ومع الواو مثل:

رسول، يرجو، أبوك، سُعود، سوقٌ، أمور، علوم، الأولى نعومة، رطوبة . .

ومع الياء مثل: أبي، طال ليلي، تمثيل، مُقيم، رخيم. يمين، حبيب، في، لي، حيطة، مشيخة، حقيقة، ربيعة . .

ومن النماذج التي تتتابع في بعض نهاياتها المدود سورة الضحى في القرآن الكريم:

والضُّحىٰ . .
والليل اذا سَجٰى . .
ما ودَّعك رَبُّك وما قلى . .
ولا الآخِرَةُ خيرٌ لك من الأُولىٰ . .
ولسوف يُعْطيك رَبُّكَ فترْضىٰ . .
أَلَمْ يَجِدْك يَتيماً فآوىٰ . .
ووَجَدَكَ ضالاً فَهدىٰ . .
ووجدك عائِلاً فأَغْنىٰ . .
فأمّا اليتيمَ فلا تقهر . .
وأمّا السَّائِلَ فلا تنهر . .
وأمّا بِنِعْمَةِ ربّكَ فَحَدِّثْ . .

٢ ـ المدّ المُتَّصل . .

وهـو يقـع اذا جاءت بعد حرف المدّ همزة متحركة أو ساكنة في مقطعين متلاصقين أي في نهاية كلمة واحدة بحيث يمكن ان يكـون من المقطعين مقطـع ثلاثي ففي مثـل «مساءٍ وسَناءٍ» يمكن أن يقال ساءْ وناءْ . .

وهذه نماذج خاصّة بالهمزة بعد الألف :

سمـاء، بِنـاء، أشيـاء، أنبـاء، إبـاء، أنبيـاء، رداء، ابتـداء، انتهاء، شاء، داء.. ودائنٌ. وبائن. ورهائن. ومدائن..

أمّا نماذج المدّ المتّصل في الهمزة بعد الواو فمن ذلك:

سُوء، ينُــوء، نُتــوء، مَوْبـوء، مَوْطـوء، قُروء، نُشــوء، لُجـوء. ومروءة. ونبوءة..

ونماذج المدّ المتّصل في الهمزة بعد الياء:

جريء، مليءٌ، يفيء، نسيء، ربيئـة، دريئـة، بيئة، ومشيئة، خطيئة، هنيئا، مريئا، وبريئات وبريئون...

٣ ـ المدّ المنفصل

وهـو أن تقـع بعد حرف المدّ همزة في مقطع منعزل أي في كلمــة أخـرى بحيث لايتصـوّر اجتمـاع المقطعين في مقطـع ثلاثي.. مثل:

«يـا أيُّهـا الانسـان» فانّـه لايقال «ياءْ» بالجمع بين «يا» والهمزة التي في «أيُّها» إذ لاينشأ من ذلك بحالٍ من الأحوال مقطعٌ ثلاثيّ..

من نماذج المدّ المنفصل بوقوع الهمزة بعد الألف:

«أتى أمرُ الله»..

«إنّا آمَنّا بِرَبِّنا»

«إنّا أعطيناك الكَوْثَر»

«لاأُقْسم بيوم القيامة»

«ما آتاكم الرّسولُ فخذوه»

ومن نماذجه بوقوع الهمزة بعد الواو المدّيّة :

«فسجدوا إلاّ إبليس» . .

«واعلموا أنّكم مُلاقوه» . .

«فقالوا أَبَشَرٌ يهدوننا» . .

ومن نماذجه بوقوع الهمزة بعد الياء المدّيّة :

«إنّي أرىٰ مالاتَرَوْن» . .

«أفْتوني في أمْري» . .

«ولقد كَرَّمنا بَني آدم» . .

٤ ـ المدّ العارض . .

وهو مايقع في المقطع الثّلاثي الموقوف عليه بالسّكون مثل «بـابْ» وأصل لفظه «بابٌ» فانّه مقطع زوجيّ «بُنْ» اندمج في مقطع ثلاثي «بابْ» بسبب ارتباطه بما قبله «با» . . ومثله «يَعْلَمونْ» فانّ أصله مقطع فردي «نَ» انقلب الى مقطع ثلاثي لذات السَّبب . . وكان ما قبله على ماهو ظاهر مما ينتمي الى

فصيلة المدّ الطّبيعي «مُو» . . ومثل ذلك «يَقينْ» فانَّ النّون حين ارتبطت صوتيّاً بما قبلها «قي» ـ المقطع الزوجي ـ صار من هذا الارتبـاط مقطـع ثلاثي هو «قينْ» وكـان سببَ ذلـك السّكـونُ الحاصل من طريق الوقف على اللفظ . .

مثـل هذه الألفـاظ تطلق عليهـا تسميـة المـد العارض لأنّ سكونها سكون عارض أي طارئ بسبب الوقف . .

وسورة الفاتحة جميع نهاياتها من المدود العارضة ذوات الياء . .

وفي سورة الماعون ترد المدود العارضة ذوات الياء والواو معا:

«أرأيت الذي يكذِّب بالدِّينْ . .
فذلكِ الذي يدُعُّ اليتيمْ . .
ولايَحُضُّ على طعام المسكينْ . .
فَوَيْلٌ للمصلّين الذين هُمْ عن صلاتهم ساهونْ . .
الذين هم يُراؤ ونْ . .
ويمنعون الماعونْ . . »

ومثلها سورة الفيل:

«أَلَمْ تَرَ كيف فَعَلَ رَبُّك بأصحاب الفيلْ . .
أَلَمْ يَجْعَلْ كيدهم في تَضْليلْ . .

وأرسلَ عليهم طيراً أبابيلْ . .
ترميهم بحجارةٍ من سِجِّيلْ . .
فجعلهم كعصفٍ مأكولْ . . »

ومثلها سورة البروج التي جاء فيها المدّ العارض بالواو في احدى عشرة آية، والمد العارض بالياء في احدى عشرة آية . .

وأحياناً تنعقد السّورة على نهايات من المدّ العارض بالألف كسُورة الرّحمن

وغالب السّور الطّوال تنعقد نهاياتها على المد العارض بالياء والواو كسورة التوبة ويونس وهود والنّحل والأنبياء . . وفي يوسف التي تتألف من ١١١ آية نهاياتها مدود عارضة بالواو والياء ورد مدّان عارضان بالألف في نهاية آيتين «القهار» و«تستفتيان» . . وكذلك يسيطر المد العارض بالواو والياء على نهايات سورة الحجّ البالغ عدد آياتها ٧٨ آية باستثناء آية واحدة جاء فيها المدّ المتصل من فصيلة الألف: «ان الله يفعل مايشاء» . .

المدّ العارض مَدٌّ جوازيّ أي للقارىء أن يمدّه بين حركتين وستّ حركات الاّ اذا وقع مقترناً بمدٍّ لازم مثل «ضالّينْ» أومتصل مثل «يُراؤ ونْ» فانه يكون مدّه حركات ستّاً في حكم

الوجوب لا الجواز . .

ويحسن في مدّ العارض الجوازيّ ملاحظة المعنى الذي يحتجنه النصّ فقد يكون مدّه ستّ حركات أولى من مدّه دون ذلك ومن هذا «آلآنَ وقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكنتَ من المُفْسدِينْ» فانّ مدّ العارض في المفسدين يحسن إعطاؤه كامل حدوده المدّيّة لما في ذلك من الدّقّة في تصوير صورة الافساد في الذّهن . . والأمر في هذا منوطٌ بنباهة القارىء وحسن درايته بمعاني ما يقرأ في هذا الباب . .

٥ ـ المدّ اللاّزم . .

وهو مدّ سببه وجود سكون بنائيّ بعد حرف المدّ في الكلمة الواحدة مثل ضالّين فانّ اللام في «ضالّ» ساكنة سكون بناءٍ في الدَّرْج والوقف وقد جاء هذا السكون عليها وقبلها «ألف» فكان ذلك من موجبات المدّ ست حركات وجوباً . .

ومثل ذلك دابّة وحاجّ ورادّوه اليكِ والصّاخّة والطّامّة ومُدْهامّتان والعادّين . .

ومن نماذج ما جاء فيه السّكون البنائي في الكلمة بعد الواو «تأمرُونّي» . . و«تحاجّونّي» وفي هذه مدّان لازمان الأوّل مع الألف والآخر مع الواو . . والمدّ اللازم نادر الورود في الياء . .

٦ ـ مدّ اللِّين

وهـو مدّ ذو جذر يخـالف جذر المـدّ الطّبيعي ومجموعة المدود المنبثقـة منـه. . وذاك ان مدّ اللين لايشترط في حرفيه المدّيّين الـواو واليـاء أن يكـون ماقبلَ كلٍّ منهما محرٌكاً بحركة ملائمة له من ضَمَّـة وكسـرة. . بل يشتـرط فيـه أن يكـون ما قبلَ الواو فيه والياءِ مفتوحاً لاغير، وانّه لايقع فيه المدّ الاّ اذا وقف على لفظه دون الـدَّرْج أي انـه لايقـع الاّ في مقطـع ثلاثيّ مثـل صَيْفْ وثَـوْبْ، وممـا يقـع من أخطـاء بعض المقـرئين أنهم يمـدّون أصوات اللين في الدَّرج. .

ومن السّـور القـرآنيَّة التي تنعقد نهاياتها على مدّ اللين حالة الوقوف عليه لا الدَّرج سورة قريش:

«لايلاف قُرَيْشْ* اِيلافِهِم رِحْلَةَ الشّتاء والصَّيْفْ* فليعبدوا رَبَّ هذا البيتْ* الذي أطعمهم من جوعٍ وآمَنَهم من خَوْفْ*». .

وهنـا مدود فرعيـة منهـا مدّ الصِّلة وهـو على ذات حال المدّ الطبيعي الاّ أنَّ حرف المـدّ فيـه مقـدَّر ويقـع غالبـاً في هاءات الضّمـائر الفرديّة الغائبة المذكرة المتحرّك ماقبلها دون السّاكن مثل «لَهُ وبِهِ وعندَهُ ورَبُّهُ وعُرْبِهِ وعَرَبِهِ» وغير ذلك فانّها تمدّ مدّاً طبيعياً مقداره حركتان. .

أمّا ما كان ساكناً قبلَ تلك الهاء فلا يمدّ مدّ صلة مثل «فيه ومنه وعليـه وعنـه» خلافـاً لإمكـان ذلك عروضيًا. . باستثناء النّصّ القـرآني «ومن يَفْعَـلْ ذلـك يلقَ أثـامـاً يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيـامـة ويخلُدْ فيـهِ مُهانا» فانّ الهاء في «فيهِ» تمدّ مدّ صلة. . ولاتمدّ الهاء في قوله تعالى «وانْ تَشْكروا يَرْضَهُ لكم» مدّ صلة وانما تلفظ مكتفىً في لفظها بحركة الضّمّة لاغير. .

ويقـع مدّ الصّلة كذلـك في غيـر هاءات الضّميـر أيضاً مثل الهاء الثانية في «هذهِ» كقوله تعالى: «هذهِ ناقةُ الله. . . .». . فاذا جاء بعد هاء الصّلة حرف مدّ مدّت هاء الصلة مدّاً منفصلاً أي قدر حكـم الـمـدّ الـمنفصـل الـذي يبلغ أقصـاه ستّ حركـات. . مثـل «فَلَهُ أَسْلمـوا» ومثـل ذلك «وأَخَذَ بَراسِ أخيه يجرُّهُ إليه». . ومثل «وانّ هذه أمّتُكم أمّةً واحدة». .

وهنـاك مدّ يقـال له مدّ التّمكين وحكمه حكم المدّ الطّبيعي في مسـافـة المدّ فيه اذ لاتجاوز الحركتين، ويكون في اجتماع واوين أو ياءين ثانيهمـا حرف مدّ مثـل «أَفَعَيينـا بالخَلْق الأوّل» ومثـل «لِيُبـديَ لهما ما وُورِيَ عنهما» وانما كان مدّ اللين لإبراز صورة التقـاء الـواوين واليـاءين على الحـالـة المـدّيّة التي قام النّصّ عليها. .

ومثل ذلك «قُلْ يُحْيِيها الذي أنشأها أَوّلَ مرَّة» . . ومثل عِلِّيِّين وأُمِّيِّين ولايشترط التّشديد في الواو ولا في الياء ليكون مابعده في حالة مدّ تمكين على ما يظنّ البعض . .

وكذلك لايشترط لتحقّق مدّ التّمكين سكون ما قبلهما . .

هدر المدّ

ولايجوز هدر المدّ بأن ينطق المقطع المدِّيّ وكأنّه لامَدَّ فيه كمن يقرأ «إنّا» على هيئة «إنَّ» . . وانما يكون هدر المدّ منوطاً بحالات معترف بها منها «أَنا» التي أصلها «أنا» . .

وقولنا جاء معلموا المدرسة يتخلف المدّ في ميم «معلموا»[x] لانضيافها الى كلمة بعدها . . فلا يصحّ أن يقال في نطقها «مُولْ» وانما يقال «مُلْ» أي على النّسق المقطعي التّالي «مُ عَلْ لِ مُلْ مَدْ رَسَ ةِ» وكأنّ الكلام يدور على معلّم واحد . . وعلى هذا لم تكتب الواو في النّصّ القرآني «وصالحُ المؤمنين» المراد به الصالحون من المؤمنين وذاك تصحيحاً لنطق اللفظ دون مدّ في الحاء فلو كتبت «وصالحوا المؤمنين» لربّما مُدَّت الحاء في حين انّ المدّ فيها متخلّف بسبب الاضافة . .

---

x ـ في مذهبنا الاملائي أنّ إثبات الألف في جمع المذكر السّالم بعد حذف نونه هو الصّحيح .

أحكام الميم السّاكنة

للميم السّاكنة ثلاثةُ أحكام وحكمٌ رابع آخر يرد الكلام عليه خارج هذا الموضوع.

وفي ما يلي تعدادها:

١ ـ الادغام. .

وذاك ان ترد بعد الميم السّاكنة ميم أخرى مثل «لَهُمْ مِنْ جهنّم مِهاد» ومثل ثُمَّ ومِمَّ وحُمِّلوا وعَمَّ يتساءلون. .

معنى الادغام هنا هو أن ينطق الميمان المتعاقبان دون فاصل افتعالي وأن يكون نطق الميم الأول مقروناً بغنّة مداها الزمني أربع حركات،. وهذا مايعرف بوضوح صوتيّاً. .

٢ ـ التّماسّ. .

وهو حين تكون الميم السّاكنة مُتْبَعَة بحرف الباء مثل «ترميهم بحجارة من سِجّيل» ومثل «إنَّ رَبَّهم بهم يومَئذ لخبير». .

فعند نطق الميم الساكنة المتبعة بحرف الباء تكون هناك غنّة يقال لها غنّة التّماس وهي لاتختلف أي اختلاف عن غنّة الادغام. .

ولكن حالـة التّمـاسّ هذه حالة جوازية اذ يمكن نطق الميم السـاكنة بحالة اظهار لاغنّة معه في حالات قد يترجّح بها الاظهار.

وبعض هذه الميمـات تكـون مُجْتلبة من طريق قلب النّون السّـاكنـة الى ميم عند التقاء النون بالباء مثل «أنْباء» فانّ النون هنا قلبت الى ميم، فصار الكلام ماضياً في شأن التقاء ميم بباء وان لم يظهر حرف الميم مكتوباً في اللفظ..

ففي مثـل هذه الحـالـة ـ ومثلهـا أنْبيـاء ومِنْ بَعْـد ويَنْبغي ـ تجـري على نطق الميم أحكـام التّماسّ أو الاظهار وفق مشيئة النّاطق لأن الأمر في هذه الحالة جوازيّ..

٣ ـ الاظهار..

وهـــو نطق الميم السّـاكنـة دون أيّ زيـادة صوتيّـة من قلقلة مفتعلة أو غنّـة إشمـاميّـة وغيـر إشمـاميّة أو إقلاب أو إخفاء..

وتكون حالة الاظهار هذه حالة واسعة في ارتباط الميم السّاكنة بسـائـر مجمـوعة حروف الهجاء باستثناء الألف والميم ـ والباء حين تُعـامـل الميم السّـاكنة معها وَفْق قاعدة التّماسّ لمن شاء ذلك ـ..

أمـا الحالة الرابعة فهي حالة الاخفاء التي يرد الكلام عليها في موضوع الاخفاء الذي يطلق عليه لقب الرَّوم كذلك..

أحكام النّون السّاكنة

للنّون السّاكنة أربع حالات وحالة خامسة يرد الكلام عليها في باب آخر. .

١ ـ الاظهار. .

وهـو نطق النّـون دون غُنّـة أو قلقلة أو إشمام أو إقلاب وانما يكتفى بنطق هذا الحرف بالحدّ الأدنى من النُّطق الذي يسمع بوضوح كاف دون أن يشاب بذيول صوتيّة مفتعلة. .

والعادة في هذا الاظهار النّوني أن يكون مع كل نون ساكنة كائنـة في نهـاية مقطع زوجيّ أو ثلاثيّ موقوفٍ عليه كقولنا زَمَنْ أوزمانْ. . وأمينْ ومأمونْ ويعلمونْ وغير ذلك. .

ويكـون الاظهـار النّـوني كذلك في النّونات المُعْقَبة بحرف من حروف الاظهار ـ حروف الحَلْق ـ وهي ستّة حروف:
«أ. ح. خ. ع. غ. هـ»

مثل: يَنْأَوْن. . من آمن. . أنْ آمنوا. . من أيّ شيئ خَلَقَه. . فصـلّ لربك وَانْحَرْ. ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَق. . أَنْعَمْتَ عليهم. . ونَزَعْنا ما في صدورهم مِنْ غِلّ. . وأمّا السّائل فلا تَنْهَرْ. .

وأمر التّنوين كأمر النّون السّاكنة في هذا التّعامل الصّوتي مثل «عزيزاً حكيماً» فانّ تنوين الزّاي ينطق على وجه الاظهار لمجيء حرف الحاء بعده.. و«عذاباً أليماً» تنطق الباء المنوّنة بالاظهار إذ جاءت بعدها الهمزة التي هي إحدى حروف الحلق.. وهكذا يكون نطق المنوّنات مع حروف الاظهار النّوني..

ويقع الاظهار في النّون السّاكنة اذا جاء بعدها أحد حرفي الواو والياء في مقطعين متجاورين ضمن كلمة واحدة مثل دُنْيا وبُنْيان وصنو وعنوان..

٢ ـ الاقلاب (القَلْب)..

ويكون عند التقاء النّون السّاكنة بياء اذ تقلب النُّون الى ميم مثل انْباء وانْبياء وانْبَرى ينْبري وينْبغي ومن بعد.. فكل هذه النّونات تلفظ ميمات تسمّى ميمات مجتلبة..

كذلك تقلب النّون السّاكنة الى ميم اذا التقت بها مثل «مِنْ مال الله» فانها تلفظ صوتياً «مِمّ مالِ الله»..

ويقيّة الكلام على اقلابات النّون في موضوع الاقلابات من الكتاب..

٣ ـ الادغام . .

ويكـون عنـد اجتمـاع نونين أولاهما ساكنة مثل «السِّنَّ بالسِّنّ» ومثـل «بـل الله يَمُنُّ عليكم أنْ هداكم للايمـان» و«إنَّكم ومـا تعبدون مِنْ دون الله حَصَبُ جَهَنَّم» و«مِن الجِنَّةِ والنَّاس» . .

٤ ـ الإشمام . .

وهـو أن تُشَمَّ النّـونُ السـاكنـة رائحةَ حرفٍ يليها من حروف عدَّتهـا خمسـة عشـر حرفـاً يقال لها حروف الاشمام وذاك لأنّ اللّسـان عنـد نطق هذه النّون يميـل بعض الميـل الى مخرج الحـرف الآتي بعـدهـا . . ويقسم الاشمـام من حيث الشّـدة والضّعف الى ثلاثة أقسام :

١ ـ الاشمام الكُلّيّ :

وحـروفـه ثمـانيـة هي الثّـاء والذّال والشّين والطّاء والظّاء والفاء والقاف والكاف ـ خمسة شمسيّات وثلاثة قمريّات ـ . .

مثـل : «مِنْ ذَكَـرٍ وأُنْثى» فانّ رائحـة الـذّال الآتيـة بعـد النّـون السّاكنة ظهرت في النّون بوضوحٍ، وكذلك رائحة الثّاء في نون أُنْثى . . ومثل «مَنْ شاء» و«فانْطَلَقا» و«أُنْظروا الى ثمره» و«مَنْ فَعَلَ هذا» و «فَانْ قيلَ لكم ارْجِعوا» و«من كان يريد الحياة الدُّنيا» . .

ب ـ الاشمام الجزئيّ:

وحروفه خمسة هي الجيم والزّاء والسّين والصّاد والضّاد. .

مثـل: «من جاء بالحَسَنـة» و«قـد أَفْلَحَ مَنْ زَكّـاهـا» و«تَرْميهم بحجارةٍ من سِجِّيل» و«عَنْ صلاتهم ساهون» و«خَلَقَكم من ضَعْف». .

وفي هذا النّمـط من الاشمام تكون الغُنّة الاشمامية مساوقة لغنـة النّـون المحـررة على غير الحالة الصّوتيّة التي تسمع في غنة الاشمام الكليّ. .

ج ـ الاشمام الخفيّ:

ويكون في النّون السّاكنة مع كلّ من حرفي التّاء والدّال. . مثل «انت وعِنْـدَ» وهنـا تكـون غنّـة النّون المحرّرة هي السّائدة في الجـوّ الصّـوتي للحـالـة الاشماميّة وذاك بسبب ضعف المذاق الاشماميّ في ذينك الحرفين. .

انّ ما سميناه الاشمام عرفته كتب التجويد بأنه إخفاء، وقد سَبَّبـت تسـميـتـهـم فشـل المقـرئين في نطق هذه النّـون السّـاكنـة نطقاً سليماً وطبيعيّاً. .

وذلك لأنّهم أوصُوا بابعاد ألسنتهم عن النّون في هذه الحالة فعطّلوا عملها اذ صارت سائبة في جوّ الفم. .

أحكام اللام . .

اللام حرفٌ انسيابيّ الجَرْس ولكنّ انسيابيّتة - أي جريان النَّفَس فيه - لاتبيح ذلك لناطقيه اذ ستنشأ منه غنّة كاذبة ليست اللام مَحَلاً لها . . كذلك لاتجوز قلقلة اللام بأيّ حال من الأحوال . .

وما يفعله بعض المؤذّنين من إطالة التّلبُّث على اللام المشدّدة، وكذلك ما يفعله بعض النّاطقين باللام السّاكنة من اضافة جَلْنَبَلَقات صوتيّة اليها - ومنهم المذيعون - غير صحيح . .

واللام من الحروف التي يقع لها الاقلاب في مثل «وقُلْ رَبِّ زدني علما» فانّها تصير راءاً في النُّطق «وقُرْربِّ» . . كما يقع لها الاقلاب الشمسي في «والشّمس» ويقع للاّم الاخفاءُ في مثل «نَخْلْ» ويقع لها الادغام مثل لَعَلَّ وكَلاّ وكُلَّما . .

وهناك لامات مجتلبة تنشأ من إقلاب النّون السّاكنة الى لام مثل «فَمَنْ لم يَجِدْ» اذ تلفظ عل هيئة «فَمَلْ لَمْ يَجِدْ» . . واللام لاتفخم الاّ في لفظ الجلالة حين يكون ما قبلها مفتوحاً أومضموماً مثل «انّ الله» و«يعلَمُهُ اللّهُ» . . وترقّق اذا كان

ماقبلها مكسوراً مثل «لله» و«من عِنْدِ الله» . .

والــلام حرف قمــري لاشـمسي لأن ما كان من الألفــاظ المبــدوءة بالــلام مثــل لبن ولـون وليـل اذا دخلت عليـه لام التعــريف لم يغيِّــر صفتهـا ولم يؤثّـر فيهـا مثـل اللَّبَن واللَّوْن واللَّيْــل . . والأصـل في الحـروف الشَّمسيَّـة أن تؤثّـر في لام التّعريف فتقلبها الى جنس من أجناسها . .

والحكم على شمسيّة الحرف يعتمد على أن يكون له تأثيرٌ إقلابيّ على لام التّعريف، ولا دخل للادغام في تحديد ذلك . .

أحكام الراء

الراء حرف أصيل ومُجْتَلَب ومن نماذج اجتلابه «وقُلْ رَبِّ زِدْني علمـا» فانّ الـلام تلفـظ راءاً «قُرْرَبِّ» . . ومثل ذلك «قال فَمَنْ ربُّكمـا يا موسى» فان النـون السـاكنـة تنشأ عنها راء مجتلبة اذ تلفظ «فَمَرْ رَبُّكما» . .

تفخم الـراء اذا كانت مفتـوحـة مثل منارة وضَرَبَ، . واذا كانت مضمومة مثل: رُزِقَ وعُروج . .

فانْ كانت ساكنـة نظـر الى ما قبلهـا فان كان مفتوحاً أومضموماً فُخّمت مثــل بَرْدٍ وبُـرْد . . وان كان مكســوراً رقّقت مثـل بِرْكـة وفِرْعون ومِرْآة . .

وتفخم الـرّاء السّـاكنـة اذا سُبقت بواوٍ مدّيّـة أو ألفٍ مثـل نُور ونارْ. . ولكنها ترقّق اذا سبقت بياء مدّيّة مثل خبيرْ. .

وفي مدّ اللين تفخم مع الـواو مثـل طَوْرْ ودَوْرْ وثَوْرْ وترقق مع الياء مثل طَيْرْ ودَيْرْ وخَيْرْ. .

واذا كانت الـرّاء السّـاكنـة مكسـوراً ماقبلهـا ومـا بعـدها حرف استعلاء مكسور فخّمت ورقّقت مثل «كُلُّ فِرْقٍ» فان كان حرف الاستعلاء غير مكسور فخّمت مثل فِرْقة وقِرْطاس ومِرْصاد. .

ويتخلّف التّفخيم والتّـرقيق في الـرّاء السّـاكنـة اذا جاءت بعـدهـا راء متحركة ينشأ عنها صوت ادغاميّ مثل «الحُرُّ بالحُرّ» فانّ الـرّاء السّـاكنـة المفخمـة في كلمـة الحـرّ الثّانية «حُرْ» قد جاءت بعـدهـا راء مكسـورة «رِ» لذا رقّقت الرّاء السّاكنة إجراءاً لهـا مجـرى الـرّاء المكسورة الآتية بعدها. . وفي «ولكنَّ البِرَّ» فانَّ الرّاء السّاكنة المرقّقة بحكم كونها ساكنة وما قبلها مكسور تخلف فيها التّرقيق ففخمت اجراءاً لها مجرى الرّاء المفتوحة بعدها «بِرْرَ» . .

والرّاء من حروف الاخفاء الثّمانية مثل نَهْرْ وشَهْرْ وبَذْرْ وصِهْرْ وقُطْرْ أي انّها تلفظ دون أن تلحق بذيل صوتي لأنّها هي بالذّات عنـد اخفـائهـا تكـون في غايـة الضُّمور والخفاء. . وتنشأ عن

ترجيفها رطانةً في غاية البشاعة.

الاخفاء..

حروف الاخفاء ثمانية هي الرّاء والضّاد واللام والميم والنّون والهاء والواو والياء..

وذاك اذا وقعت هذه الحروف نهاية مقطع ثلاثي لاوجود فيه لحرف مدّي من ألف وواو وياء، وكذلك حين لايكون حرف الاخفاء مشدّداً..

مثل دَهْرْ وقَدْرْ. وأَرْضْ وبَعْضْ.. وسَهْلْ وفَصْلْ.. وسَهْمْ وعِلْمْ.. ولَحْنْ ودُهْنْ.. ووَجْهْ واسأَلْهْ.. وسَهْوْ ونَحْوْ وسَعْيْ ووَعْيْ.. والاخفاء هو مايقال له الرَّوم ومعناه إرادة نطق الحرف دون الاتيان به بالوضوح المطلوب وذلك لكون المقطع ثلاثيّ الحروف ليس من الحركة شيء الاّ على حرفه الأول ومابقي من حرفيه فانهما ساكنان ويشقّ على النّاطق التّصرّف في ذلك كما يريد..

ولايقع الاخفاء في حروف القلقلة ولا الصَّفير ولا الاستعلاء باستثناء الضّاد ولا الحَلْق باستثناء الهاء ولا التّفشّي.

ومن اللحن نطق حروف الاخفاء في حالة إخفائها نطقاً مُتَعَسِّفاً فيه ابتغاء إبرازها بالقوّة اذ يُصحبونها صوتاً افتعاليّاً ظاهر

البشاعة كالذي يسمع من المذيعين في مثل لفظ «شَهْرْ». . أما العـامّـة فانهّم يحـركـون ما قبـل الحـرف الثّـالث في المقطع الثّلاثي على جاري عادتهم . .

الادغام

الادغـام حالـة تقـع لكـل حرف مكرّر على أن يكون الأول من المكرّرين ساكناً . .

وحروف الادغام هي سائر حروف الكلام باستثناء الألف أي إن الادغام يقع في ثمانية وعشرين حرفاً هجائياً ومن نماذج ذلك . .

سُؤّال جمـع سائـل . . شَبٌ . . شَتَّـتَ . . رَثٌ . . حَجٌ . . صَحٌ . . ضَخٌ . . رَدٌ . . شَذٌ . . دَرٌ . . حَزٌ . . أَسٌس . . رَشٌ . . قَصٌ . . عَضٌ . . حَطٌ . . حَظٌ . . دَعٌ . . نَغّصَ . . حَفٌ . . حَقٌ . . شكٌ . . شلٌ . . شَمٌ . . شنٌ . . سَوّى . . سَهّلَ . . سِيّما . .

بعض حالات الادغـام تكون مصحوبة بغنّة إدغاميّة . وذاك في حرفين هما الميم والنّون في مثل ثُمّ وانّ . . يليانهما حرفان آخران هما الواو والياء في مثل خَوّلَ وثُوّبَ وبَيّنَ وزُيّنَ . .

ولايقـع الادغـام الاّ بين حرفين مكـررين هما في الأصل شيء

واحـد فان أريـد ادغـامُ حرفٍ في حرف آخر غيره وجب إقلاب أحدهما الى مثل صاحبه والاّ امتنع الادغام واستعصى واستحال . .

ففي ادغام نون «مَنْ» في راء «رَأى» يجب اقلاب نون «مَنْ» الى راء فيقـال أولاً «مَـرْ» بدلاً من «مَنْ» ثم يقـال «رأى» فتلتقي الـرّاء المجتلبـة ـ النـاشئـة عن إقـلاب النّـون السّـاكنة ـ بالرّاء الأصيلة الكائنة في «رأى» فيقع الادغام . . على أن تكون كلتا الـرّاءين على حدّ واحـد من التفخيم أو التـرقيق والا استحـال الادغـام بينهمـا . . ومثـل ذلـك اللام المفخمة واللام المرققة فانهما وان كانا حرفاً واحداً فانّ اختلاف صفة التّفخيم والتّرقيق بينهمـا يحـول دون وقوع حالة الادغام عليهما لذا كان لابُد من توحيـد الصفـة فيهمـا وذاك ان اللسـان يستقـرّ على الحـرف المـدغم فاذا ارتفـع عنه ارتفع بذات هيئته الصّوتيّة . . وذاك هو معنى الادغام .

وما حدّدوه في الادغام بحروف «يرملون» لا صحّة له . . كذلك ما أوردوه في باب الادغـام ممّـا سمّـوه بادغـام المتقـاربين والمتجانسين لا أصل له ، وانّما هو نمط من ادغام التّماثل وقع ذلـك فيـه بين حروف أصيلة وأخـرى مجتلبـة . . أو هو إظهـار

توهّموه ادغاماً وما هو به، وتفصيل ذلك في الأصل المطوّل . .

أمّا حرف الألف فلا تعرض له الحالة الإدغاميّة لأنَّ الألف ساكنةٌ أبداً، والادغام انّما يقع بين ساكن ومتحرّك ولا صورة للتحرّك في الألف . .

الاقلابات

الاقلاب هو استبدال حرف بحرف ممـا يقضي بوقوعه في الألفاظ قانون الأصوات . . والاقلابات كثيرة الاّ أن المعترف به منها لايعدو عشرة أنواع على الوجه الآتي :

١ ـ تقلب لام التعريف الى حرف من جنس الحرف الذي يكون أوّل حروف الكلمة المُعَرَّفة اذا كان ذلك الحرف شمسيّاً مثل :ـ

والتّين والزّيتون . .

فلأُمّه الثُّلُث . .

حينٌ من الدّهر . .

وأخاف أن يأكُلَه الذّئب . .

بِسْمِ الله الرَّحْمن الرَّحيم . .

ويُؤْتون الزَّكاة . .

وما أَكَلَ السَّبُعُ . .

والشَّمْسِ وضُحاها . .
رِحْلَةَ الشِّتاء والصَّيْف . .
والضُّحى والليل اذا سجى . .
الطَّلاق مَرَّتانِ . .
ما للظَّالمين من حميم . .
انَّ اللّهَ فالقُ الحَبَّ والنَّوىٰ . .
ففي التّين تاءان وفي الثُّلث ثاءان وفي الـدَّهـر دالان وهكذا . .
وانّما تكرر الحرف الشّمسي في هذه الألفاظ لأنَّ لام التعريف خرجت عن لاميّتها الى مثل الحرف الذي كان في الكلمة المعرَّفة . .

الحـروف الشّمسيّـة وقد سبق القول عليها ثلاثة عشر حرفاً هي ماستشهـدنـا آنفـاً بنمـاذج من الألفاظ وردت فيها حروفها . . وقد جرى عدّهــا على هذا التّحـديـد في المنهـج الصّـوتي للبنيـة العـربيـة للدكتور عبد الصَّبور شاهين . . أما القمريّة فما سوى ذلـك من حروف الهجـاء باستثناء الألف اذ ليست في مفردات العربية كلمة تبدأ بالألف السّاكنة ليجري تعريفها بأداة التّعريف . .

٢ ـ تقلب النّون السّاكنة الى راءٍ عند اتّصالها بها في مثل «قال

فَمَنْ رَبُّكمـا يامـوسى» فانّهـا تقـرأ «مَـرْ رَبُّكما». . ومن نماذج الاقلاب في التّنوين «غفورٌ رحيم» اذ يكون اللفظ «غفورُرْ رحيم». .

٣ ـ تقلب النّون السّاكنة الى لام عند اتّصالها بها مثل «وأَنْ لَوْ استقاموا» اذ تلفظ «وأَلْ لو استقاموا». . وفي التّنوين «ماءاً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ» اذ يلفظ «غَدَقَلْ لِنَفْتِنَهُمْ. .»

٤ ـ تقلب النّـون السّـاكنـة الى واو عنـد اتصـالها بها في مقطع منفصل مثل «إلاّ مَنْ وَجَدْنا متاعَنا عنده». فانّها تلفظ «مَوْ وَجَدْنا».

فان كان ذلك في مقطع متصل فلا. . مثل عَنْوة وصِنوان. .

٥ ـ تقلب النّـون السّـاكنـة الى ياء عنـد اتّصـالها بها في مقطع منفصـل مثـل: «ومَنْ يُهاجِرْ في سبيل الله» فانّ النّون تلفظ ياءاً «ومَيْ يُهاجر». . فانْ وقع ذلك في مقطع متّصل فلا إقلاب مثل «دُنْيا ومُنْيَة وبُنْيان» ومن ذلك:

«لايَزال بُنْيانُهم الذي بَنَوْا رِيبَةً في قلوبهم». .

٦ ـ تقلب النّون السّاكنة الى ميم عند ملاقاتها إيّاه مثل «مِنْ مال الله» اذ تلفـظ: «مِمْ مال الله». . وفي حالـة التّنـوين «قِطَـعٌ مُتَجاورات» فانّها تلفظ «قِطَعُمْ مُتجاورات». .

٧ ـ تقلب النّون السّاكنة الى ميم عند التقائها بباء. . ومن ذلك

في كلمة واحدة أنْبياء وأنَّباء وفي كلمتين مِنْ بعد. . فان النون في هذه الألفاظ تلفظ ميماً «أمْبياء وأمْباء ومِمْ بَعد» و«انبَعَثَ أشْقاها». . تلفظ «امْبَعَثَ». .

٨ ـ تقلب اللام السّاكنة الى راء اذا التقت بها مثل «وقُلْ رَبِّ زِدْني عِلْما» اذ تلفظ «وقُرْ رَبّ زدني عِلْما. . ومثل «بَلْ رَفَعه» اذ تلفظ: «بَرْ رَفَعَه». .

٩ ـ تقلب التّاء المربوطة الى هاء وقد مرّ الكلام على ذلك.

١٠ ـ تقلب الباء السّاكنة الى ميم مثل «يابُنَيَّ اركَبْ مَعَنا» فتلفظ «اركَمْ مَعَنا». . وهو في كلام الناس جوازيّ.

انّ الحروف المُقْلَبة صوتيّاً الى حروف أخرى اجتلابيّة تظلّ على حالها في الكتابة لتُعْلم أصول الألفاظ كما وضعها العرب، فلو كتبت «أنباء» بالميم لما عُلِمَ أن واحدها «نَبَأ». . والحروف التي يستعاض بها صوتيّاً عن الحروف الأصيلة تسمّى حروفاً مُجْتَلَبَة. .

القَلْقَلَة.

يقع لحروف تنتمي الى الشِّدَّة توقُّف جَرَيان النَّفَس عند نطقها فيتأتّى من ذلك أن يُعالَجَ نطقُها بطريقة آليَّة يؤدّيها الجهاز الفَمَويّ تعتمد على هزّ الحرف في مخرجه فيتّضح حاله

ويصفو في الاذن سماعه، . وهذا ما يقال له القلقلة . .
عدد حروف القلقلة خمسة هي الباء والجيم والدّال والطّاء والقاف على أن يكنَّ سواكن ـ أيْ ضمْنَ مقاطع زوجيّة أوثلاثيّة ـ فانْ كنَّ متحرّكات فلا قلقلة آنذاك . .

وهناك أربعة حروف توابع لهذه الخمسة هي الهمزة والتّاء والعين والكاف لهنَّ مثل حكم أولئك الخمسة . .

ان بعض النّاطقين بحرف القلقلة يتعمّدون تحريكه ظنّاً منهم انَّ ذلك هومفهوم القلقلة وهوظنّ غير صحيح لاسيما حين يأخذ اللفظ في حالة تحريك ساكنه معنى غير مقصود كنطق من يلفظ «يَدْعون» السّاكنة الدّال بدال مفتوحة فيقول «يَدَعون» يحسب ذلك هو القلقلة . .

إنّ القلقلة أن ينطق الحرف السّاكن ـ سواء أكان من حروفها أومن غير حروفها ـ كما هوبتامّ سكونه دون تحريك ولاضجيج، . وما قيل في صفة القلقلة من أنّها لها نبرة شديدة وإنّها لها صوت انفجاري فانّما هوكلام مبالغ فيه ولاشيء هناك سوى ذيول صوتية طارئة لاحاجة لوصفها بالانفجار ولابالنّبرة الشّديدة ولابيتر الألفاظ بتراً يحدث به للنّاطق مايشبه العثار عند ايراد الكلمات ذوات حروف القلقلة أوتوابعها .*

* جاء الكلام على القلقلة في أكثر من مكان من الأصل لاسيما في ص ٢٥٧ حتى ٢٧٢ . .

انّ ما يقـع عنـد نطق حروف القلقلة من تلك الذُّيول الصَّوتيَّة ـ مالم يكن افتعاليّاً مبالغاً فيه ـ لا اعتراض لنا عليه . .

السُّكون . .

السُّكـون حالـة صوتيّـة لهـا في لغات الناس ـ لاسيما العربيّة ـ دور تنظيمي يطيب فيـه جرس الكـلام ويتّسـع حجم التّعبير، . ولـو كان الكـلام حركـات لا غيـر لأعيـا ذلك:المتكلّمَ أن يقول مايـريـد . . ولضـاق نطـاق الاشتقاق واختلّ ميزان الأفعال ولما وُجـدت الضّمـائـر ولا كان حجم معـاجم اللغـة الاّ في أدنى درجات الصّغر والاملاق الكلمي . .

وقـد أحصينـا للسّكـون عشـرات الصُّـور والحالات يرى ذلك مفصَّـلاً في الأصـل المطوَّل، وما نريد ايراده في هذا التّجريد المجّرد انّما هو شيء يسير جدّا على الوجه التالي :

السُّكون إمّا انسيابيّ وإمّا غير انسيابيّ . . والانسيابيّ منهما يكـون في حروف المـدّ التي تجـري فيها الأنْفاس لاتتلكأ في ذلـك مثـل قولنـا نورٌ ونارٌ ونيرٌ . . ويقينْ وبيانْ وشموسْ . . وقالَ ويقولُ وقيلَ . .

ومثل ذلك «فُوهةٌ وقُوتٌ» فانْ قلنا «فُوَّهةٌ وقُوَّةٌ» صار السُّكون على الـواوين سكـوناً غير انسيابيّ إذ لايجري النَّفَس فيهما . .

واذا قلنا «كتابي» باضافة الكتاب الى ياء المتكلّم فانّ السُّكون في اليـاء هنـا انسيابيّ فان قلنا «كتابِيٌّ» بنسبة شخص الى أهل الكتـاب فانْ سكـون الياء فيه غير انسيابيّ لأنْ هذه الياء ليست حرف مدّ . .

ولذا لَزِمَنا أن نقول في صفة حرف المدّ إنّ سكونه سكونٌ انسيابي . .

ومن أنـواع السُّكـون سكـون البنـاء الذي لايقع له التَّخَلُّف مثل «سُبْحانَ» فانّ الباء تظلّ ساكنةً أبداً، فلا يصحُّ بحالٍ من الأحـوال تحـريكها فيقال «سُبُحانَ» بحجة القلقلة وغيرها ومثل «يَبْعث» فلا يجـوز نطقهـا «يَبَعَثُ» ومثـل «يَقْتَصِـد» فلا يجـوز نطقها «يَقَتَصِد» ومثل «يَجْعَل» فلا يجوز نطقها «يَجَعَلُ» كالذي يصنع أناسٌ من المذيعين . .

ومثـل ذلـك في البشـاعـة التي تثيـر الاشمئـزاز نطقهم كلمـة «أبْنائي» بلفظ «أبَنائي» . .

ولكن هنـاك من أنـواع سكـون البنـاء مايقـع له التخلُّف مثـل الضّمـائـر وحـروف المعـاني اذ يقـال «هُمُ القومُ» فان ميم هُمْ المبنيّة على السُّكون حرّكت الى الضّمّ ومثل «كَتَبَتْ» فانّ التّاء هنـا يقـال لهـا تاء التّأنيث السّـاكنـة لكنّهـا تحرّك في مثل قولنا «كَتَبَتِ الطالبةُ درسَها» ومثل «قُلْ الحقَّ وإنْ كان مُرّا» فانّ «قُلْ»

فعلُ أمرٍ مبنيّ على السّكون ولكنّه تخلّف فيه السُّكون فكان حركةً بالكسر «قُلِ الحَقُّ» بمقتضى حكم التّخلُّف في السُّكون . .

ومن مراجعة هذا الباب في الأصل المطوّل تتّضح في عالم السُّكون حقائق جديرة بالدّراسة . .

الوقوفات القرآنيّة

يجب معرفة الوقوفات القرآنيّة عند تلاوة القرآن الكريم، وهذا أمرٌ يوفّق للصّواب فيه من يفهم معاني مايقرأ من الآي القرآنيّ . .

ولايصحُّ الوقوف على كلمة قرآنيّة ثمّ الرُّجوع اليها فانَّ ذلك يوهم من لم يحفظ النَّصَّ أنَّ اللفظ الذي يكرّره القارىء مكرَّرٌ في صُلْبِ النَّصّ الّا مايقع من ذلك نزولاً على حكم الاضطرار القسري وليس العادة المعتادة . .

على أنَّ الذين لايُلِمّون بمعاني مايتلون من الآي يقعون في أكثر من ورطة في تلاواتهم بسبب الجهل بفحوى التّعبير القرآني الكريم . .

وهناك مصادر كثيرة تنوّه بالوقوفات القرآنيّة الصحيحة وبما وراء ذلك من ائتناف التّلاوة على الوجه الصّحيح . .

وفي الأصل المفصَّل شواهد على مايصحّ الوقوف عليه من الآي ومالايصحّ. ؟

التَّصديق

جرت عادة المقرئين عند الانتهاء من تلاوة ما يتلون من آي الذِّكر الحكيم ان يقولوا «صَدَقَ الله العظيم» بذات الصَّوت الذي تتلى به الآيات بحيث يظنّ من يجهل حدود النَّصّ القرآني أن ذلك قرآنٌ لاسيما من كان من غير المسلمين. .

ان النغمة المستعملة في التّلاوة تدلّ على الانتهاء من التّلاوة، ولاشيء في التصديق من الدِّلالة على ذلك. .

على ان كلمة التَّصديق هذه لو تلفَّظ بها الامام في صلاته لبطلت صلاته، فهي من هذه النَّاحية ليست قُرْبَةً من القُرُبات. .

كما أنّها لم تعرف قديماً على ألسنة المقرئين وإنّما كان ذيوعها جدّ قريب وحديث. .

قال ابن الجزري: «ورأيت بعض الشّيوخ يبتدئون الدُّعاء عقب الختم بقولهم صدق الله العظيم وبَلّغَ رسوله النّبي الكريم وهذا تنزيل من رب العالمين ربنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا

الرّسول فاكتبنا مع الشّاهدين» ويعني هذا ان هذه العبارة كانت ترد على لســان بعض الشّيـوخ عنـد الانتهـاء من ختم القـرآن لاغيـر. . ويبـدو أنهـا راجت فيما بعد على ألسنة المقرئين بعد كل تلاوة فصارت ضربةَ لازم في حين أنّها بدعة مبتدعة لاقربة فيها. .

ولـــو أنّ المقـرئين تركـوا ذلـك للمستمعين يصـدّقـون التّـلاوة بأنفسهم وبصـوت مخـافت لمـا كان في ذلـك مافيـه من جهل وقائع النّصّ القرآنيّ الكرْيم. .

والحمد لله أوّلاً وأخيرا

الفهرست

للمؤلف : ـ

من بعض ما طبع له

العروض: تهذيبه وإعادة تدوينه .
معاني القرآن .
التّشريع الإسلامي : تاريخه وفلسفته .
الأمثال البغداديّة .
معجم اللغة العاميّة البغداديّة .
معجم الألفاظ الكويتيّة .
المرأة في القرآن الكريم .
المغنّون البغداديّون والمقام العراقي .

صورة الغلاف: مئذنة جامع الخلفاء ـ بغداد

تمَّ بناؤها سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م)

التنقيح النهائي عباس مظهر محمود

الغلاف: خط وتصميم سعد يوسف طه

ترجمة المقدّمة الانگليزية

الدكتور عبدالمنعم ال ناصر

هنالك معتقد شائع بان قواعد التجويد مقصورة على تلاوة القرآن الكريم فقط. ويعود السبب جزئياً في هذا الاعتقاد الى حقيقة ان هذا المجال من الدراسة ظل محصوراً ضمن اهتمامات مقرئي القرآن الكريم. وتقليدياً يوصف هذا الاسلوب في تلاوة القرآن بانه الطريقة الصحيحة في نطق اصوات اللغة العربية. لذلك لم يشعر كثير من الناس انهم ملزمون بمراعاة هذه القواعد في نطق العربية الفصيحة.

اما بالنسبة لأولئك الملمين بأسس علم الاصوات فان هذه القواعد تتلاءم مع العمليات الصوتية الوظيفية التي تؤثر على القيم الصوتية للحروف في الكلام المترابط الالفاظ.

ان هذا المؤلَّف محاولة لدراسة متقدمة في قواعد التجويد في مسعى لجعل هذه القواعد ميسورة ومفيدة ليس فقط لمقرئي القرآن الكريم بل وكذلك لمذيعي الراديو والتلفزيون، للممثلين والممثلات، لخطباء المساجد ولكل من ينتظر منه ان ينطق العربية بشكل فصيح.

ان المؤلف يأتي بطريقة متجددة في دراسة هذا الجانب من العربية. فهو يقدم تعاريف ومصطلحات جديدة ويحاول ان يفسر العمليات الصوتية الوظيفية باسلوب جديد قد يثير غير قليل من الجدل والنقاش وخاصة عندما يتفحص بصورة ناقدة النظريات المقبولة تقليدياً في علم التجويد ويحاول ان يفنّد فريقاً منها.

ولكي يبرهن على وجهة نظره يحاول المؤلف جاهداً ان يقدم العدد الوفير من الامثلة عن القواعد والاصول التي يبحثها. ان من شأن هذه الطريقة ان تجعل هذا الكتاب مادة مفيدة لتعليم هذا الجانب من الثقافة الاسلامية.

يعتبر الشيخ جلال الحنفي مرجعاً معترفاً به في هذا الباب مثلما هو في باب اللهجات والموسيقى العراقية وبحور الشعر العربي. وتلك امور تجعل من دراساته موضع اهتمام كبير لقطاع واسع من القراء.

اما بالنسبة للساتيين المحدثين فقد يجدون في البعض من الافكار المبحوثة في الكتاب سبباً للنقاش. غير ان من الافضل ان ينظر اليه على انه خطوة جديدة في الدراسة التقليدية في علم التجويد.

ان الحس المرهف الذي يتمتع به المؤلف وقدرته على تمييز السمات الدقيقة للاصوات اللغوية جعلت الاستنتاجات التي يتوصل اليها ذات صفة انطباعية سيما عندما لا تكون وسائل التقنية الحديثة في دراسة الاصوات في متناول يده.

ان الجهد الكبير الذي بذله في تأليف الكتاب والخبرة الواسعة التي للمؤلف في تعليم التجويد حريان بان يجعلا هذا الكتاب مادة جيدة لكل المهتمين باللغة العربية وبكيفية نطق الفاظ أقدس كتاب في اللغة وهو القرآن الكريم.

بغداد ١٩٨٦

To a modern linguist, some of the ideas put foreward in this work would be debatable. But it might be better advised that it be looked upon as a new step in the traditional study of Tajweed. Having a sharp ear for subtle properties of speech sounds but no access to modern phonetic instrumentation the author's conclusions are evidently impressionistic.

However, the great effort in composing this work and the author's long experience in teaching Tajweed should make it good reading for all those interested in Arabic and the pronunciation of the most revered book in the language, the Holy QUR'AN

Dr. Abdulmunim Al Nasser
Baghdad 1986.

Introduction

It is commonly believed that rules of "Tajweed" only pertains to the recitation of the Holy Qur'an. This belief is partly due to the fact that this field of study was almost solely the concern of professional recitors of the Qur'an Traditionally this mode of reciting the Qur'an is described to be the correct method of articulating speech sounds of Arabic. Thus not many people felt obliged to observe these rules in the pronunciation of literary Arabic. But to all those who are familiar with the basics of phonetics these rules in fact comply with phonological processes that bear upon the phonetic values of speech sounds in connected speech.

The present work is an attempt at an advanced study of the rules of "Tajweed" trying to make these rules available and helpful not only to recitors of the Holy Qur'an but also to announcers in the Radio and Television field. to actors and actresses, to orators in mosques and all those who are expected to pronounce Arabic in an 'eloquent' manner.

The author presents a novel way of looking at this aspect of Arabic. He comes foreward with new terminology and definitions and endeavours to interpret phonological processes in a new way which should raise much debate and discussion. This is specially the case when he critically examines traditionally accepted theories in Tajweed and tries to refute some of them. To prove his point the author goes a long way to present an abundance of examples for the rules and cases he investigates. This method should make the present work a suitable matter for teaching this discipline of Islamic education.

Sheikh al Hanafi is a recognized authority in this field as well as in dialects, music of Iraq, and Arabic verse system. These facts should make his studies of great interest to a wide audience.

THE RECITATION AND PRONUNCIATION

OF

THE WORDS OF THE HOLY QUR'AN

AND

ALL THE OTHER WORDS OF ARABIC SPEECH

BY

SHAIKH JALAL AL-HANAFI

Published by:

Ministry of Awqaf and Religious Affairs Republic of Iraq.

1987

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ٢ لسنة ١٩٨٧

الشيخ جلال الحنفي وكلام على قواعد التجويد والإملاء العربي

د. حقي عبد الرزاق لطيف الصالحي
وزارة التربية

خلاصة البحث :

هذا بحث تناولنا فيه بعض الاجتهادات الصوتية لعلم من أعلام الفكر والتراث البغدادي الأصيل ، هو الشيخ جلال الحنفي .

وقد اقتضى منهج البحث التعريف بسيرته ، ثم بيان آرائه الصوتية في موضوع القلقلة، والحروف الشمسية ، والحروف القمرية ، مدّ البدل ، مفهوم الإدغام ، الإخفاء ، الاقلاب ، صورة الحرف وعلاقتها بالمعنى .

حروف التفشي ، الحركة وعلاقتها بالحرف ، ثم اجتهدت لبيان رأيه فيما يخص الإملاء العربي ولاسيما الف واو الجماعة والتاء المربوطة والمفتوحة وكتابة الهمزة .

هذا (بعض) مما ورد في كتابه (قواعد التجويد والإلقاء الصوتي) وكراسة (كلام على الإملاء العربي).

قلت (بعض) لأن ماورد في كتابه (قواعد التجويد) من آراء يحتاج الى دراسة علمية مستقلة لاتنهض بها صفحات البحث .

سيلحظ القارئ أننا اومأنا الى رؤوس الموضوعات من غير تفصيل لانها في رأي الباحث قد اشبعت درسا ولان هدف البحث ومبتغاه إبراز رأي الحنفي .

المطلب الاول

حياته ومؤلفاته

اولا: جلال الحنفي من المهد إلى اللحد :

في يوم من أيام شهر آذار العام ٢٠٠٦ ، غادرنّا إلى بارئه سبحانه واحدُ من ابرز رواد الفكر والتراث البغدادي الأصيل ، وعلم من أعلامه البارزين هو الشيخ جلال الحنفي البغدادي عن عمر تجاوز التسعين عاما ، فمن هو ؟

هو الشيخ جلال الدين بن يحيى الدين بن عبد الفتاح بن مصطفى الحنفي البغدادي ولد في محلة الباروديه ببغداد العام ١٩١٤ .

درس المرحلة الابتدائية في بغداد متنقلا بين البارودية والمأمونية والحيدرية وكان قبلها قد التحق بكتاب الملا ابراهيم وهو من أشهر أصحاب الكتاتيب لدى اطفال محلات الفضل والباروديـة والقره غول .

عاش ايام طفولته كما ورد على لسانه في فقر مدقع لايطاق ، صبر عليه صبرا جميلا، وهذا ماعوّده على مواجهة الجوع بلا مبالاة مهما كانت وطأته شديدة ، وبذلك كان صوم رمضان اهون شيء لديه مهما طال نهاره حتى استوى عنده الجوع والشبع . وقد افاده الفقر – على ماذكر الانصراف الى القراءة والكتابة فلم يجتز الصف الرابع الابتدائي حتى كان قد انجز قراءة قصة عنترة ابن شداد ،وسيرة الظاهر بيبرس وسيف بن ذي يزن وحمزة البهلوان والف ليلة وليلة.

بعد اكماله المرحلة الابتدائية عام ١٩٣٠ ، وكان الطالب الوحيد الذي حاز على درجة (١٠٠) من (١٠٠) في اللغة العربية في الامتحانات العامة (البكالوريا) ، التحق بعدها بكلية الإمام الأعظم .

وكانت كلية يقبل فيها خريجو الابتدائية وبعد سنتين غير اسمها الى (دار العلوم العربية والدينية) وازيلت عنها صفة الكلية فصارت مدرسة ثانوية على مستوى دور المعلمين.

في سنة ١٩٣٦ تم التحاقه بالوظائف الدينية في مساجد الاوقاف اذ بدأ حياته خطيبا في جامع المرادية ، وفي سنة ١٩٣٩ التحق بالازهر الشريف واذ كانت الحرب العالمية الثانية تهلك الحرث والنسل اغلقت الجامعات المصرية ابوابها ، فعاد الى العراق سنة ١٩٤٠م.

صدر في العام ١٩٤٧ قرار من لجنة الحكام والقضاة بتعينه قاضيا في احدى المحاكم الشرعية .

لغزارة علمه ، وتمكنه من اللغة العربية وآدابها ، أوفد العام ١٩٦٦ بقرار خاص الى الصين لتدريس اللغة العربية ومكث فيها حتى العام ١٩٧٠. وقد تعلم اللغة الصينية ووضع معجما عربيا صينيا تحتفظ به عائلته .

واعيد ايفادة للتدريس في شنغهاي بين سنتي (١٩٧٥ – ١٩٧٦) عاد منها بعد سنة ونصف ليستأنف الإمامة والخطابة في جامع الخلفاء حتى وفاته .

كان له مجلسه الثقافي الذي يرتأده كثير من المثقفين ، قام بتدريس علم التجويد في معهد الدراسات النغمية وفي المركز الاقرائي ببغداد ، قدم برامج دينية وثقافية وتاريخية في الاجهزة المرئية وغير المرئية .

له مقالات كثيرة في جرائد بغداد منها جريدة القادسية التي خصها بعمود أسبوعي (رؤوس أقلام) .

اشتغل بالتأليف منذ أوائل الثلاثينيات وقد نشر أول كتاب له عام ١٩٤٠ في القاهرة – اذ كان طالباً أزهرياً – وهو بعنوان (التشريع الإسلامي تأريخه وفلسفته) .

كان رحمه الله عالما موسوعيا كتب في اغلب الموضوعات بدقة العالم المتبحر ، يظهر ذلك من عنوانات تأليفه ، وتاخذ بغداد التي هام بها حصة الاسد من جهده الفكري ، فكان بحق ابنها البار.

ناقش مشاهير المؤرخين والباحثين والاسلاميين ، وغيرهم، من ذلك ماكتبه في نقد الدكتور جواد علي والدكتور بديع شريف والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الكريم زيدان وعالم الاجتماع الدكتور علي الوردي .

وفي مباحث اللغويات والصوتيات ناقش الدكتور حسام النعيمي والدكتور غانم قدوري الحمد .

احتفى به – قبل وفاته باشهر – التجمع الثقافي في شارع المنتني والقى فيه محاضرة عن الحضارة الإسلامية أدهش الحاضرين بموسوعيته ، وذاكرته المتوقدة .

اقامت له مؤسسه المدى في شارع المتنبي احتفالية تذكارية يوم ٢٠١٠/٥/٢١ حضرها افراد عائلته مع غفير من محبيه ، كان الباحث من الحاضرين ، تكلم في هذه لاحتفالية الاستاذ سالم الالوسي وباسم عبد الحميد حمودي والمؤرخ الأستاذ حسين امين الذي وصفه بـ " نادرة عصره وفرد دهره ، جمع صفات لم تتوافر الا في قلة نادرة ، انه عبقري في كل شيء " .

لمناسبة الذكرى الرابعة لرحيله أصدرت جريدة المدى ملحقا ثقافيا خاصا به . (عراقيون ، العدد ١٨٠٠ في ٢٠١٠/٥/٢٠)

ثانيا: منجزه الفكري :

أ. في الموروث الشعبي :

احصى له الدكتور صباح نوري المرزوك (٥٣) بحثاً في التراث الشعبي العراقي . [١]

ب. كتبه : [٢]

ترك الشيخ جلال الحنفي اكثر من ثلاثين كتابا ضم بعضها اجزاء عدة . من أشهرها :

١. الامثال البغدادية ٢ جزء .
٢. معجم اللغة العامية البغدادية ٧ اجزاء طبع منها (٣) جزء
٣. قواعد التجويد والالقاء الصوتي .
٤. العروض تهذيبه وإعادة تدوينه ، انتهج فيه منهج التبسيط وتصحيح المصطلحات ، والتوسع في البحور .
٥. معجم الألفاظ الكويتية .
٦. الصناعات والحرف البغدادية .
٧. شخصية الرسول الاعظم قرآنياً ، وهو من أنفس كتبه لانه سيخلق (مدرسة جديدة في دراسة القران الكريم) [٣] وقد اوصى الحنفي ان تدفن معه نسخة من هذا الكتاب .
٨. المغنون البغداديون .

كما نشر العديد من القصائد ، لم تجمع في ديوان .

المطلب الثاني

ثانيا: جهده الصوتي :

لسعة اطلاع الشيخ الحنفي على بحوث علمي القراءات والتجويد وتعمقه في دراسة الأصوات ، ومسائل فقه اللغة ، وتقصيه ، من قبل ، فيما نشر عن قضايا العروض المعقدة ، وما له من ابتكارات فريدة في الأوزان الشعرية ، وتمرسه بعلم الموسيقى والأنغام فضلا عن حذقه للغة الصينية ، كشفت له عن اسرار صوتيه لم يسبق اليها شأنه في ذلك شأن المجتهدين من أيمة اللسان الذين بلغوا بعلم الأصوات مبلغا دقيقا متطورا . ضمنها كتابه (قواعد التجويد والإلقاء الصوتي) [٤] فكان مساهمة نفيسة لاستدراك تخلفنا العلمي في اللسانيات واليك بعضا مما وقفنا عليه .

اولا: الحركات ابعاض الحروف وهمٌ:

الحركة لغة ضد السكون ، وسميت الحركة حركة لانها تزلزل الحرف عن مستقره وحده ، وتأخذ به الى الحرف الذي هي بعضه [٥] واصطلاحا هي الفتحة والضمة والكسرة .

ذهب علماء العربية وعلماء التجويد الى ان الحركة بعض حروف المدي واللين . فالضمة بعض الواو ، والفتحة بعض الالف والكسرة بعض الياء ، ويبدو انهم توصلوا الى ذلك عن طريق دراسة (الاشباع) الذي سماه ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) (مطل الحركات) [٦] .

قال القرطبي (٤٦٢هـ) : " واما الحركات فهي ابعاض حروف المد والين التي هي الألف ، ولا يكون ماقبلها الا مفتوحا ، والواو والياء اذا كان ماقبلهما منهما . واذا كانت هذه الحروف ثلاثة وجب ان تكون الحركات التي هي ابعاض لها ثلاثا وهي الضمة والكسرة والفتحة، فالضمة بعض الواو والكسرة بعض الياء، والفتحة بعض الالف ، وهذا لامزيد عليه في الوضوح ، فان الضمة اذا اشبعت صارت واوا ، والكسرة اذا مكنت عادت ياء ،والفتحة اذا امعن فيها تحولت الفا)[٧] وهو قول ابن جني [٨]

وقال ابو عمرو الداني (٤٤٤هـ) وهو من علماء التجويد. " وان الحركات مأخوذة منها ، فالفتحة من الالف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الواو " [٩] .

بل ان متقدمي النحويين كانوا يسمون الفتحة الالف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة ، ويرى ابن جني انهم كانوا على صواب لانك تجد في هذه الحروف طولا وامتدادا اذا قلت : يخاف ،ويسير ويقوم

وعندما نشبع حركة من الحركات نجد اننا انشأنا حرفا من الحروف فلو أشبعنا الكسرة في (عِنب) لأنشأنا منها ياء ساكنة فيصبح (عينب) ولو أشبعنا ضمة العين في (عُمر) لأنشأنا بعدها واوا ساكنة فتكون (عُومر) [١٠] .

هذا ما استقر عليه الدرس الصوتي قديما

اما الشيخ الحنفي فله رأي في مفهوم (البعضية) و(الاشباع) يباين ماذهب اليه سلفنا الصالح.

قال : وهو وهْم وقع فيه من القدامى (ابن جني) حين قال : " ان الحركات ابعاض الحروف " ... كذلك وقع في ذات الوهم الإمام القسطلاني (   ) في كتابه (لطائف الإشارات) اذ قال : ووزن الحركات بالتحقيق نصف الحرف المتولد عنها ..) (١١)

لماذا هم واهمون ؟ لان : الملاءمة بين الحركة وحرف المد لا دلالة على ان الحركة من جنس المد فانا نرانا نقول (طَيْر) فيقع عندنا لين في هذا اللفظ وكذلك هو كائن على المواءمة بين حركة الفتح التي على (الطاء) وبين الياء الساكنة سكونا انسيابيا دون ان تكون هذه الفتحة من جنس (الياء) رغم التحامهما في الحالة المدية ، والمد كائن في ياء (طير) وفي واو (طور) ولم يدع أحد في هذا شيئا غير ماقلناه .

اما الاشباع فيها فانه لاينقلها الى شيء من السكون فلو اشبعنا حركة الفتحة التي على الميم في " زمَن" فانها تظل حركة خالصة أي تظل فتحة لاغير ، فان قلنا (زمان) فان الفتحة التي على الميم مالم تكن مشبعة فسرعان ما تنتهي الى السكون الكائن في الالف فتنتصب فيه ، فأن أشبعنا الفتحة استحال الانتقال الى صوت الالف كل استحالة ، فأن أصررنا على هذه النقلة ظهر النشاز في ذلك بكل بشاعته بحيث يعلم منه ان سبيل إشباع الفتحة غير سبيل النطق بالالف " (١٢) .

ولا زيادة لمستزيد على مافي هذا القول من حجج صوتيه صائبة اقرها الدرس الصوتي الحديث الذي درس الحركات وحروف المد تحت قسم واحد اطلقوا عليه (المصوتات) ، (الصوائت) . (الطليقات) وهي عندهم قسمان : قصيرة تقابل (الحركات) وطويلة تقابل (حروف المد واللين) وعلى اساس من هذا التقسيم كشفوا اضطراب القدامى وانهم " قد ضلوا الطريق حين ظنوا ان هناك حركات قصيرة قبل حروف المد " (١٣) .

ثانيا: اللام حرف قمري :

تنقسم الحروف العربية بحسب لام – أل التعريف – على قسمين : شمسية وقمرية .

اما الشمسية : فهي الحروف التي لاتلفظ لام – الــ – اذا ادخلت عليها ، وانما تلفظ مشددة فنقول مثلا " اشمس " بتشديد الشين ، ونكتبها (الشمس) ، وعددها اربعة عشر حرفا يجمعها اوائل كل كلمة في البيت الاتي :

طب ثم صل رحما تفز ضف ذا نعم   دع سوء ظن زر شريفا ذا الكرم (١٤)

وسميت شمسية تشبيها لها بلام الشمس في الخفاء وعدم الاظهار . (١٥)

واما الحروف القمرية: فهي الحروف التي اذا ادخلت عليها لام – ألــ – ، تلفظ اللام ساكنة فنقول مثلا : القمر بتسكين اللام (١٦) .

وسميت بالقمرية تشبيها بلام القمر في الظهور وعدم الخفاء وقد جمعت في جملة : (ابــغ حجــك وخف عقيمه) (١٧)

وهذا يعني ان (اللام)حرف شمسي، وهو ما استقر في دروس الاملاء،وأحكام التجويد.

وقد وجدت للشيخ الحنفي رأيا آخر ينقض فيه ما استقر في اذهاننا،فاللام عنده حرف قمري.

قال : اما الحروف القمرية فهي الهمزة والباء والجيم والحاء والخاء والعين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والهاء والواو والياء " .

وقد جعل بعض المصنفين في هذه المباحث حرف اللام شمسيا بل لعلهم اجمعوا على شمسيته – او كادوا– رغم ان لام التعريف لاتتأثر به ، وذلك لان اللام لاتنقلب الى لام اذ لامفهوم لانقلاب الشيء الى نفسه ، والذين قسموا الحروف الى شمسية وقمرية لم يلاحظوا هذه الضوابط " .

اننا اذا نطقنا بلفظة (ليل) مقرونة بلام التعريف فقلنا (الليل) لانجد احد اللامين مجتلبا، بل نجد كلا منهما اصيلا في مكانه ، وهذا يعني ان اللام قمري لا شمسي (١٨)

ومن مآخذه على المتقدمين انهم لايحصون مجتلبات الحروف فهم لايذكرون للشمس شينين بل يذكرون لها شيناً واحدة لاغير فاذا أحصوا مافي الليل من لامات احصوا في اللفظ لامين هما لام التعريف ولام الليل . (١٩)

ويعلل سبب احتسابهم اللام في الشمسيات مافيها من ادغام " في حين ان سبب التسمية غير ذي علاقة بالإدغام ، انما تتعلق حكايته بالاقلاب واما الادغام فعملية اخرى تبعيه " (٢٠)

ثم يمضي في تفنيد رأيهم بقوله : ولو جعلنا الادغام سببا لتسمية الحروف باسم الشمسية لكانت الحروف كلها شمسية لانها كلها يقع لها الادغام ، فنحن نقول (محمد) بادغام الاولي في الثانية فلا يكون من هذا ان تعد الميم في جمهرة الحروف الشمسية ، ونقول (وفّى) فندغم (فاءا) في (فاء) فلا يكون الادغام مغيرا من قمرية الحرف شيئا) (٢١)

وقد استأثر موضوع (قمرية حرف اللام) باهتمام الدكتور عبد الصبور شاهين وهو من المهتمين بالدراسات الصوتية الحديثة ، وقد ذهب الى ان اللام(حرف قمري)موافقا رأي الحنفي .

قال مانصه : وقد جرى الاستعمال باختفائها مع ثلاثة عشر صوتا هي مقدم الفم " ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ن " وتظهر مع بقية اصوات اللغة الخمسة عشر وهي " ء ب ج ح خ ع غ ف ق ك ل م هـ و ي " (٢٢)

ثم يقول : فلا خلاف بيننا وبينهم (أي القدماء) الا فيما يتعلق بصوت اللام في بداية كلمة نريد تعريفها مثل لوم ، لعاب ، فالقدماء يرون ان نطق اللوم واللعاب هو من قبيل اللام الشمسية ، ونحن نرى ان اللام الشمسية تختفي في الصوت التالي بعدها اختفاء تاما ، وهي في الامثلة المذكورة موجودة بكل خصائصها دون ادنى تأثر فهي قمرية واضحة لا فرق بينها وبين اللام في مثل "الباب والجور والحيوان والكلب ... " (٢٣)

ان ايرادنا رأي د. شاهين الذي جاء مطابقا لرأي الحنفي في قمرية (اللام) دليل على ان الرجل لايطرح آراءه لمجرد المخالفة على قاعدة (خالف تعرف) – كما ذهب بعض المتقولين – بل عن قناعة علمية : وهو العالم بقدراته ، المتمكن في مادته .

ثالثا: القلقلة الصغرى والكبرى

القلقلة لغة : الاضطراب والتحرك ، ويقال: قلق الشيء قلقلة وقلقالا ، أي ، حركه فتحرك واضطرب [٢٤].

واصطلاحا : اضطراب مخرج الحرف عند النطق به ساكنا حيث يسمع له نبره قوية وحروف القلقلة خمسة يجمعها (قطب جد) [٢٥]

وسميت بذلك لان القارئ اذا وقف عليها بالسكون تقلقل اللسان فيها عند خروجه [٢٦] .

وتقسم القلقلة الى :

١. القلقلة الصغرى : وفيها تكون حروف القلقلة في وسط الكلمة وتكون نبرتها اقل قوة من القلقلة الكبرى ، نحو يطعمون ، نجوى ، ابراهيم .

٢. القلقلة الكبرى : وفيها تكون حروف القلقلة في اخر الكلمة متحركة ثم تقف عليها بالسكون وتكون نبرتها قوية ، ينبو معها اللسان عن موضعه وذلك لشدة الحفز والضغط . نحو الفلق ، والبروج [٢٧] .

هذا ماتعارف عليه أهل الأداء ، ومناهج علم التجويد [٢٨] .

اما شيخنا فينكر على القوم هذه (النبرة القوية) التي شاعت في تآليف العصور المتاخرة ، وعدها لحنا لم يقع فيه قدامى الناطقين بهذه الاحرف ، ووصفها بـ (الضجة الجلنبلقية الذريعه الصخب) [٢٩]

وقد فسر قلقلة الحرف واضطرابه بقوله : " انما كانت القلقلة في هذه الحروف لأنها حروف ينحبس عندها الهواء فلا يجري ، واذا ظل الامر على هذه الحال يظل النطق بالحرف معلقا في مخرجه ، فكان من السنن الصوتية ان ينفصم اللسان عن مخرج الحرف متراجعا قليلا، فينشأ بهذا التراجع خفق من الصوت يسير ، مسموع في بعض الحالات وغير مسموع في حالات اخرى .. وذاك هو القلقلة لاغير فمن شاء ان يحدث هذا الصوت على هيئة انفجار فقد اضاف الى اصل الحرف حرفا آخر مجتلبا دون ضرورة " [٣٠] .

وعلى هذا فأنه لايقر تقسيم القلقلة ، ولا يقر هذا النوع من المصطلحات لعدم وجود " اثارة من علم فيها " [٣١] .

ويرى الباحث ان ماذهب اليه الحنفي يجد صداه في كتب المتقدمين التي خلت تعريفاتهم للقلقلة من صفة (النبرة القوية) جاء في (المقتضب) للمبرد (٢٨٥هـ) " واعلم ان من الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة " [٣٢] .

وقال مكي القيسي (٤٣٧) : وانما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن" [٣٣]

بل حدد بعضهم مايجب ان تكون عليه النبرة بقوله " اظهار نبرة لطيفة للصوت حالة النطق بالحرف المقلقل " [٣٤]

كما ان الباحث لم يجد اية اشارة لمصطلحي القلقلة الصغرى والكبرى في تآليف المتقدمين على الرغم من كثرة البحث والتنقير [٣٥] .

ويبدو ان هذين المصطلحين قد شاعا في كتابات المتاخرين الذين اتسم عصرهم بكثرة المصطلح والتفريع يظهر ذلك واضحا في علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة فضلا عن علم التجويد .

اما عدد حروف القلقلة فأن مذهب جمهور علماء التجويد انها خمسة تجمع في : قطب جد ، تنضاف اليها – على رأي لحنفي – اربعة اخرى لها مالها من مواصفات انحباس النفس في مخرجه [٣٦] هي:(الهمزة ، والتاء ، والعين ، والكاف) ، جاءت الاشارة اليها في المصادر القديمة .

قال القسطلاني (٩٢٣) : " واضاف بعضهم اليها الهمزة لما فيها من الجهر والشدة .. وأضاف اليها سيبويه التاء ... وجعل المبرد منها الكاف لكنه جعلها دون القاف " [٣٧] .

رابعا : حروف التفشي :

التفشي : من صفات الحروف ، ومعنى التفشي : هو كثرة خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها ، والحرف المتفشي هو (الشين)اتفاقا لانها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء" [٣٨]

ومنهم من جعل التفشي في حرفين هما (الشين والثاء) [٣٩] لانها تفشت حتى اتصلت بمخرج الثاء ولذلك تبدل منها فيقال : جدف وجدث : [٤٠]

قال القرطبي (٤٦٢) : " واما المتفشية ، وتسمى (المخالطة) لانها تخالط مايتصل بها في طرف اللسان فـ (الشين والضاد) وذلك ان الشين تتفتشى في الفم حتى تتصل بمخرج الضاد والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام ، ومعنى التفشي انتشار الصوت بها عند النطق " [٤١]

والان لنتعرف على مفهوم التفشي وحروفه عند الحنفي ، قال : وان حروف التفشي هي الحروف التي يقع معها عند النطق بها شيء من النفخ وانتشار الهواء خارج الفم او في جوفه وهي(الشين والفاء والذال والظاء والثاء) [٤٢]

اذن ، حروف التفشي عنده خمسة لانطباق صفة التفشي عليها ،

واما من نسب الى التفشي (الراء والصاد والسين والياء والتاء والميم والضاد) [٤٣] فان هذه الحروف بحسب رأيه : لاتمت الى التفشي بأية صلة [٤٤] .

خامسا: مد البدل ، مد طبيعي :

شاع في كتب التجويد وفي المناهج الدراسية تقسيم المد بسبب الهمزة الى ثلاثة أنواع:

١. المد المتصل: وهو ان يجتمع حرف المد (الالف الساكنة المفتوح ماقبلها او الواو المضموم ماقبلها او الياء الساكنة المكسور ماقبلها) مع الهمزة في كلمة واحدة ، نحو : (السماء ، السوء ، جيء) .

٢. المد المنفصل : هو ان يأتي حرف المد في آخر كلمة ، ويأتي بعدها في اول كلمة ثانية همزة ، وسمي بذلك لان المد والهمزة انفصلا عن بعضهما. ومثاله : يايها الناس ، اني انا ، وما آرسلناك .

٣. مد البدل :وهو ان تسبق الهمزة احد حروف المد (الالف او الواو او الياء)،

وسمي بـــ (مد البدل) لان المد مبدل عن الهمزة الساكنة . (٤٥)

ويقتصر المد بسبب الهمزة عند الشيخ الحنفي على النوع الاول والثاني . اما مد البدل فهـــو مـــد طبيعي . قال " ويجب العلم ان الهمزة اذا سبقت حرف المد فانما هو (مد طبيعي) لاغير مثل : آدم ، اوذينا ، إيلافهم ، أقرأوا ، وتسميته بمد البدل لاحصيلة فيها عندنا ، ولا طائل " (٤٦) .

وفي اثناء بحثي لتقويم رأي الحنفي وجدت ان كتب المتقدمين قد خلت من مصطلح (مد البدل) واكتفت بمصطلح المد الطبيعي والمد الفرعي او المتكلف ، وبعضهم لم يشر الى اية تسمية او تقـــسيم والحنفي في هذا اما ان يكون قد اطلع على هذه الكتب من غير ان يشير اليها وهذا ما اســـتبعده لمـــا يتمتع به من امانة علمية واما اصالة رأي وهو ما أرجحه .

فهذا كتاب (الرعاية لتجويد القراءة لمكي القيسي ٣٤٧هـــ) يخلو من التسميات السابقة قـــال : وانما سُمين بحروف المد لان مد الصوت لايكون في شيء من الكلام الا فيهن مع ملاصقتهن لساكن بعدهن او همزة قبلهن او بعدهن ولانهن في انفسهن مدات " (٤٧) .

والى هذا ذهب عبد الوهاب القرطبي (٤٦٢) في كتابه (الموضح في التجويد) (٤٨) بل لم يشر الى الهمزة قبل حرف المد البتة .

اما الداني (٤٤٤هـــ) فالمد عنده طبيعي ومتكلف لاغير ويقصد بالمتكلف المد المتصل والمنفصل . (٤٩)

حتى اذا غادرنا العصور الزاهرة ، المشرقة ، اثقلت التآليف بالتفريعات مما لاغنى فيه ولا طائل .

نقل لنا المرعشي (١١٥٠هـــ) ان مصطلح المد وصلت انواعه عند بعضهم الى تسعة وعـــشرين نوعا ، وقد علق على ذلك بقوله : " الاشتغال بمعرفة تلك الاسامي قليل الجدوى "(٥٠) فتأمل:

سادسا: الإدغام = (الاقلاب)

عنى علماء العربية بظاهرة الادغام عناية كبيرة ، وفطن لها اوائلهم وافردوا أبوابا فيما ألفوا، افاد منها علماء التجويد كثيرا ، (٥١) وما كانت دراستهم للاصوات وبيان مخارجها وصفاتها الا تمهيداً لفهم هذه الظاهرة والوقوف على عللها الصوتية . (٥٢)

قال سيبويه (١٨٠هـــ) في ختام حديثه عن مخارج الحروف : وانما وصفت لك حروف المعجـــم بهذه الصفات لتعرف مايحسن فيه الادغام وما يجوز فيه ، وما لايحسن فيه ذلك وما يجوز فيه ومـــا تبدله استثقالا كما تدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك " (٥٣) .

والادغام لغة : إدخال الشيء في الشيء ومزجه

واصطلاحا : ادخال حرف ساكن بمثله او مقاربه ادخالا شديدا بحيث يصيران حرفاً واحدا مشددا من جنس الثاني يرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة . (٥٤)

وعرفوه بأنه : ادغام النون الساكنة والتنوين عند ملاقاة حرف من حروف الادغام يجمعها قولهم (يرملون) (٥٥) .

ويأخذ الادغام مفهوما آخر عند الشيخ الحنفي فالادغام عنده حالة تقع لكل حرف مكرر على ان يكون الاول من المكررين ساكنا ،

وحروف الادغام ٠ اذن – هي سائر حروف الكلام باستثناء الالف أي ان الادغام يقع في ثمانية وعشرين حرفا هجائيا نحو: شب ، رث ، حج ، شم ، سهل، سوى ، سيما . (٥٦)

ومن كلامه نفهم ان الادغام عنده لايقع الا بين حرفين مكررين هما في الاصل شيء واحد وهو مانطلق عليه (الحرف المشدد) .

هذا هو مفهوم الادغام اما ماتعارفنا عليه في كتب العربية والتجويد فيطلق عليه (الاقلاب)

قال: وما حددوه في الادغام بحروف (يرملون) لاصحة له ، كذلك ما اوردوه في باب الادغام مما سموه بادغام المتقاربين والمتجانسين لا اصل له ، وانما هو نمط من ادغام التماثل وقع ذلك بين حروف اصلية مجتبله ، او هو اظهار توهموه إدغاماً وما هو به " (٥٧)

وينفي الشيخ ان يكون الادغام ادخال حرف في آخر لانها تعني ذهاب لفظ الحرف الاول في الثاني بكليته وتصييره بلفظ الثاني ، وانما هو قلب احدهما الى مثل صاحبه والا امتنع الادغام واستحال ،

ففي ادغام نون (من) في راء (رأى) يجب اقلاب نون (من) الى (راء) فيقال اولا (مر) بدلا من (من) ثم يقال (رأى) فتلتقي الراء المجتبلة بالراء الاصلية الكائنة في رأى فيقع الإدغام (٥٨) ، والى هذا ذهب الدرس الصوتي الحديث الذي يرى ان " الصوت الاول يبقى موجودا ومنطوقا ولا يفنى "(٥٩)

وعلى هذا درس في كتاب (قواعد التجويد) ادغام النون الساكنة والتنوين بحروف (يرملون) في باب (الاقلاب) (٦٠) وقد فصل القول فيها . وما صنعه خارج عن المألوف في كتب التجويد .

واما الادغام فقد جعله حكما للنون المشدد ومهد له بقوله : تدغم النون الساكنة في نون متحركة ان جاءت بعدها في ذات الكلمة او كانت كل منهما في طرف كلمة غير الاخرى "(٦١).

ومن نماذج ذلك مما وقع الادغام فيه لدى كلمة واحدة " قل اعوذ برب الناس ، ملك الناس " ... الناس

" يحسب ان ماله اخلده " الهمزة

ومن ذلك التقاء النونين طرفي كلمتين :

" ان نعف عن طائفة (التوبة ٦٦)

ومما تجدر الاشارة اليه ان فكرة (الاقلاب) هذه التي عول عليها المحدثون قد نبه عليها عبد الوهاب بن محمد القرطبي (٤٦٢) وهو احد علماء التجويد في القرن الخامس الهجري بقوله :

واذا التقى حرفان مثلان او حرفان متقاربان ، الاول منهما ساكن والثاني متقاربان ، الاول منهما ساكن والثاني متحرك فيقلب احدهما الى الاخر فيجب الادغام .. ويكون الحرفان ملفوظا بهما... " (٦٢)

يجد القارئ في النص فكرة الاقلاب صريحة ، وكل ما هنالك ان القدامى أعوزهم التعريف السليم .

سابعا: الاقلاب:

استقر هذا المصطلح عند علماء التجويد حكما من أحكام النون الساكنة والتنوين ويراد به " قلب النون الساكنة والتنوين ميما مخفاة عند الباء مع بقاء الغنة الظاهرة " (٦٣)

تناول هذه الظاهرة كل من القيسي والداني في اثناء حديثهم عن احكام النون الساكنة .

قال القيسي (٤٣٧) انهما (النون والتنوين) يقلبان ميما اذا لقيتهما الباء نحو قوله تعالى : (هنيئاً بما) ( ) و (ان بورك) ( ) . لان الميم مؤاخية للباء لانها من مخرجها ، وهي ايضا مؤاخيه للنون في الغنة والجهر " (٦٤)

والى هذا ذهب الداني (٤٤٤) من غير ان يزيد شيئا (٦٥) وتبعه المحدثون فحرف الاقلاب الوحيد هو (الباء) (٦٦) .

وياتي الشيخ الحنفي ليصف جهدهم بانه " وهم وقع فيه مشاهير المؤلفين في هذه الصناعة"(٦٧)

فالاقلاب كما يرى يكون عند التقاء النون الساكنة بحرف الباء وحروف (يرملون) فالنون الساكنة تقلب الى ميم اذا التقت بباء مثل انباء وأنبياء ، وانبرى، وينبري وينبغي ومن بعد .. فكل هذه النونات تلفظ ميمات تسمى ميمات مجتبله .

وكذلك تقلب النون الساكنة الى ميم اذا التقت بها مثل " من مال الله " فانها تلفظ صوتا " مم مال الله " (٦٨) .

وفيها يعرض للنون من حالات الاقلاب انها تكون ياء عند اتصالها بها مثل " ان يشأ " فتلفظ" أي يشأ " بياء مسموعة لاتكتب (٦٩) ... الى آخر الحروف وقد فصل القول فيها .

ثامنا : الإخفاء : (الإشمام)

الاخفاء : هو النطق بالنون الساكنة والتنوين على صفة بين الاظهار والادغام خال من التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الاول عند اتصالهما باحد حروف الاخفاء .

وحروف الاخفاء خمسة عشر حرفاً يجمعها مافي اوائل كلمات هذا البيت التعليمي :

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما (٧٠)

ومن أمثلته : (عن صلاتهم) (   ) و (فأنــصرنا) (   ) ، (قومــا صـــالحين) (   ) .

وقد عد الحنفي استعمال مصطلح (الاخفاء) على هذه الحالة الصوتية (اعتباطيا وجديرا بالتصحيح رغم اشتراك علماء اللغة والقراءة في استعماله من دهر بعيد) (٧١) .

وقد اطلق على هذه الظاهرة تسمية (الاشمام) بدلا من (الاخفاء) لانه رأى " ان النــون الــساكنة تأخذ من رائحة هذه الحروف شميما ملحوظا في الاسماع ، وانها لتتاثر بتلك الحروف تأثرا ظــاهرا وتشرب مذاقها ، وهذا ناشئ من كونها تقترب من مخرجها ولا تبيت فيه ، وبعبارة اخرى ان النــون الساكنة تتاثر بالحرف الاشمامي الآتي بعدها ، وهي ما تبرح في حالتها السكونية من قبل ان تحتــك بالحرف الذي تريد الالتقاء به في المقطع الثاني . وهذا ظاهر في المذاق الاشمامي العــالق بــالنون الساكنة بمجرد سكونها فاذا انتهى منه تم النطق بالحرف الاشمامي الذي رشحت رائحته في النون الى الاسماع قبل النطق به .. اما حالة الاخفاء فانها لاوجود لها هنا " (٧٢)

وعلى هذا ، فتكون للنون الساكنة حالات اربعة ، هي : الاظهار والادغام ، والقلب والاشمام .

وتسالني بعد هذه (اللبكة) عن مفهوم (الاخفاء) عند الشيخ الحنفي فأقول :

الاخفاء معناه ارادة نطق الحرف دون الاتيان به بالوضوح المطلوب او هــو ان يلفــظ الحــرف بصوت خافت لايكاد يسمعه السامع (٧٣) .

وحروف الاخفاء ثمانية هي : الراء والضاد واللام والميم والنون والهاء والواو والياء.

ولا يتحقق الاخفاء الا اذا وقعت هذه الحروف نهاية مقطع ثلاثي لاوجود فيه لحرف مدي من الف وواو وياء ، وكذلك حين لا يكون حرف الاخفاء مشددا مثل : دهر وقدر ، وارض وبعــض وســهل وفصل ، وسهم وعلم ، ولحن ودهن ..

ويعلل سبب الاخفاء وعدم الوضوح لكون المقطع ثلاثي الحروف ليس من الحركة شيء الا على حرفه الاول وما بقي من حرفيه فانهما ساكنان ويشق على الناطق التصرف في ذلك كما يريد(٧٤)

ان مفهوم الاخفاء عند الحنفي هو غير المراد بمصطلح الاخفاء في المصنفات الشائعة مما حسبوه من احكام النون الساكنة او ماحسبوه من احكام الميم الساكنة وهو مفهوم فيه من الاجتهاد ما يــستحق الاعجاب والتقدير .

المطلب الثالث

كلام على الإملاء العربي

اولا: التاء المربوطة والتاء المفتوحة:-

كان ابن جني (٣٩٢ هـ)اكثر اللغويين المتحمسين لفكرة الصلة بين اللفظ والمدلول اذ بسط المساله ،واخذ على عاتقه تفصيل دقائقها وعقد لها فصولا أربعه في كتابه الخصائص متلمسا هذه الصله فيما يعرض له من ظواهر صوتيه ،والابواب التي عقدها هي :تلاقي المعاني على اختلاف الاصول والمباني، والاشتقاق الاكبر ، وتصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني، وامساس الالفاظ اشباه المعاني (٧٥).

وعزز هذه الابواب بامثله وافية تدل على المعيه فذه ،وعبقرية سابقه لعصرها.

ومن الامثله في باب تصاقب الالفاظ تصاقب المعاني أي ان المعاني المتقاربه يلزمها الفاظ واصوات متقاربه نحو : از وهز تقارب مخرجا الهمزه والهاء لان الكلمتين يؤديان معنى واحدا ، وان المعنى في الهمزه اقوى منه في الهاء ،لذلك كان الأز أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز مالا بال له كالجذع وساق الشجرة (٧٦) .

ومن الامثله التي حاول فيها الربط بين دلاله الكلمة وجرس احد اصواتها او حروفها ،قوله :الخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقثاء ..والقضم للصلب اليابس ،فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ،والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث (٧٧) .

ثم توالت من بعده جهود العلماء والباحثين حتى يومنا هذا ، وكلها تهدف الى ايجاد الصله بين الصوت والمعنى (٧٨) .

ومن هذا الجهد وايجاد علاقة بين صورة الحرف وبين المعنى قال الحنفي: وجاءت في كلمات القران كلمات بالتاء لطويلة وكان حقها ان تكتب بالتاء المربوطه – مثل "شجرت الزقوم "اشعار بعظم اذى هذه الشجره لاكلها ومثل ذلك "ومعصيت الرسول " بالتاء الطويلة استعظاما لهذه المعصية .. وكتبوا " وجنّت نعيم "ابرازا لصورة الجنة وسعة نعمتها .. وكتبوا "وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك .. بالتاء الطويله لعظم التلهف على ما اريد الحرص عليه والحفول به وذلك في كلمة قرة عيني ..

وكل ماجاء في خط الصحف من الفاظ المراة اذا كان مضافا جاء مكتوبا بتاء مبسوطه . مثل"امرات العزيز . وامرات نوح وامرات لوط "وذلك لاهمية دورها في هذه المواقع ،فان افردت كلمة المراة كتبت بتاء مربوطه مثل :"وحدت امراة تملكهم "و "امراة مؤمنه " و"ان امراة خافت من بعلها نشوزا"(٧٩)

ومثل ذلك مما كتب من ألفاظ الرحمة والنعمة والسنة واللعنة بالتاء الطويله تجسيما لمعانيها ولفتا للأنظار اليها ومن ذلك "فانظر الى اثار رحمت الله "ان كتابة الرحمة بتاء مبسوطة مراد به ابراز رحمة الله بصوره واسعه لإقرار ذلك في النفوس اقرارا تاما [٨٠]

ثانيا: الف واو الجماعة:-

من المعلوم ان جمع المذكر السالم تحذف منه النون للاضافه من غير ان تقترن واو الجماعه بالالف ،نحو :مد رسو المدرسة ،مهند سو الدائرة .

هذا ماتعارف عليه الدرس الاملائي ،وتقرر في مناهجنا الدراسية الا ان الشيخ الحنفي يحرص على ان يكتب جمع المذكر السالم المحذوف النون متبعا بالف تمييزا له عن الالفاظ الملحقة بهذا الجمع مما لاتمتلك شروطه ،ويتابع ذلك بنفسه عند طبع مؤلفاته . نحو:مدرسوا المدرسه ،خريجوا الكليات [٨١] .

ان موضوع زيادة الالف الفارقه بعد واو الجماعة من عدمه قديم حديث ، تباينت فيه اراء علماء اللغه ، والمعنيون بها .

قديم ،لان الزجاجي (٣١١هـ) في رسالته الموسومة (كتاب الخط) قد فصل القول في بيان راي العلماء في هذا الموضوع مع حجة كل فريق .

قال : " ومنه زيادتهم الالف بعد الواو في (يغزوا ،ويدعوا ،وضربوا ، وخرجوا) وما اشبه ذلك.

قال بعضهم :زيدت الالف لئلا تشبه هذه الواو واو النسق ،.. وقال اخرون :زيدت هذه الالف لتدل على ان الفعل غير واقع على مضمر . وهذا قول ينسب الى الكسائي وعليه اعتماد جميع الكوفيين .

وكان بعض الكتاب لايزيد الالف بعد (غزوا ،ودعوا ،ومشوا) وما اشبه ذلك، ولا بعد المجزوم والمنصوب في قولك :القوم لن يغزوا ولن يدعوا ،ولم يدعوا،ولم يغزوا.

والاختيار اثبات الالف في هذه المواضع كلها .

ثم قال : وكان جماعه من متقدمي الكتاب يكتبونه كله بغير الف على الاصل ، نحو :يغزوا ،ويدعوا، وغزوا ،ودعوا ،وماشبه ذلك . والاختيار ما عليه الجماعه .

واذا كان مثل هذا في الاسماء كتبوه كلهم بغير الف ،ومنهم من يزيد الالف اذا كان في الجمع ، نحو قولك : بنوا فلان .

ثم بين رايه : والاختيار عندي حذفها في الاسماء كلها [٨٢].

وهذا يعني ان راي الحنفي خلاف ما ذهب اليه الزجاجي من حذف الالف في الاسماء كلها .

وفي العصر الحديث ، يعيد التاريخ نفسه ،كما يقولون ، فيعود الخلاف بين الكتاب والادباء في امر هذه الزيادة وعدمها كما وقع في العصور القديمه .

مما دفع مجلة (عالم الغد)البغدادية الى ان تستفتي عددا من رجال العلم والادب في اثبات الالــف بعد واو الجماعة ، منهم :الاب انستاس الكرملي ،الدكتور داود الحلبي ،الاستاذ طه الراوي، الاســتاذ عز الدين ال ياسين ،الاستاذ محمد بهجة الاثري ، الدكتور مصطفى جواد٠

وقد تباينت آراؤهم بين مؤيد ومعارض [٨٣]٠

الخاتمة

تبين لنا من البحث ان الشيخ جلال الحنفي يرى :

١٠ تقسيم القلقلة الى صغرى وكبرى ليس فيه أثارة من علم ٠

٢٠ مد البدل هو مد طبيعي وتسميته بهذا لاحصيلة فيها ولا طائل ٠

٣٠ الحركات ابعاض الحروف وهم وقع فيه القدماء ٠

٤٠ ان مفهوم الإدغام الشائع في كتب علماء اللغه هو إقلاب . اما الادغام فهو الحرف المشدد٠

٥٠ ان حصر الاقلاب عند القدامى بالتقاء النون الساكنه بالباء وهم وقع فيه مشاهير المؤلفين بــل يشمل حروف (يرملون) .

٦. مانسميه (اخفاءً) سماه (اشماماً) وأحرف الإخفاء ثمانية لا خمسة عشر حرفا كما ذهب القدماء .

٧. اللام حرف قمري لا شمسي مخالفا ماحفظناه (ابغ حجك وخف عقيمه) .

٨. ذهب الى اثبات ألالألف بعد واو جمع المذكر السالم المضاف ، كما بين بوضوح علاقة رســم المصحف بالمعنى في اثناء كلامه على التاء المربوطة والتاء المفتوحة .

عرض كل هذا باسلوب علمي ميسر يدل على تمكن من الاداة وسعة في الاطلاع وعمق في التحليل الصوتي يجعله علما من اعلام الدرس الصوتي الحديث .

المصادر والمراجع

١. الإدغام في العربية ، فاطمة الراضي ، رسالة ماجستير ، بغداد ، الآداب ، ١٩٨٨ .
٢. أصوات العربية بين التحول والثبات ، د. حسام النعيمي ، سلسلة بيت الحكمة (٤) ، جامعة بغداد .
٣. الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم انيس ، ط٣ ، ١٩٦١ .
٤. أعلام الأدب في العراق الحديث ، مير بصري ، دار الحكمة ، ط١ ، ١٩٩٤ .
٥. البحث اللغوي عند العرب ، د. احمد مختار عمر ، ط٢ ، ١٩٧٦ .
٦. تأويل ماله اكثر من وجه املائي (بحث) د. عبد الفتاح الجموز ، مجلة الضياء ، العراق ، ع٢ ، ١٩٨٩ .
٧. التحديد في الاتقان والتجويد ، لابي عمرو الداني ، تح د. غانم قدوري الحمد ، ط١ ، ١٩٨٨ .
٨. التمهيد في علم التجويد ، لابن الجزري ، تح د. غانم قدوري ، مؤسسة الرسالة .
٩. جريدة المدى ، العدد ١٨٠٠ في ٢٠ /٥ /٢٠١٠ ملحق (عراقيون) .
١٠. جهد المقل / لمحمد المرعشي ، دراسة وتحقيق سالم قدوري الحمد ، رسالة دكتوراه ، بغداد، الاداب ، ١٩٩٢ .
١١. الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية ، احمد حسين مهاوش ، رسالة دكتوراه ، بغداد ، التربية (ابن رشد) ، ٢٠٠٣ .
١٢. الخصائص، لابن جني (   ) ، تح محمد علي النجار ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٤.
١٣. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدروي الحمد ، وزارة الاوقاف ، العراق ، ط١ ، ١٩٨٦ .
١٤. الدراسات اللغوية في العراق ، د. عبد الجبار القزاز ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨١ .
١٥. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام النعيمي ، بغداد ، ١٩٨٠ .
١٦. دراسة الصوت اللغوي ، د. احمد مختار عمر ، ط١ ، ١٩٧٦ .
١٧. الدلالة الصوتية في القران الكريم ، كريم مزعل ، رسالة ماجستير كلية التربية ، المستنصرية ، ١٩٨٧ .
١٨. رأي في إصلاح قواعد الإملاء (بحث) محمد بهجة الاثري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٤ ، ط١ ، ١٩٥٦ .
١٩. الرعاية لتجويد القراءة لابي محمد مكي القيسي(   ) ، تح، احمد حسن فرحان، ط٢ ، ١٩٨٤.
٢٠. سر صناعة الاعراب لابي الفتح عثمان بن جني ، تح ، مصطفى السقا وآخرون ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
٢١. شخصية الرسول الأعظم قرآنيا ، الشيخ جلال الحنفي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٧ .
٢٢. صبح الاعشى في صناعة الانشا ، لابي العباس احمد القلقشندي وزارة الثقافة ، مصر ، نسخة مصورة .
٢٣. الصوت والمعنى في الدرس اللغوي الحديث ، د. تحسين الوزان ، رسالة دكتوراه ، التربية ، بغداد ، ٢٠٠١ .
٢٤. الصورة السمعية ودلالتها ، البلاغية في القران الكريم ، د. عباس السامرائي ، رسالة دكتوراه ، آداب ، بغداد ، ٢٠٠١ .
٢٥. العربية والتحديث ، د. محمد عبد المطلب البكاء ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد .
٢٦. علم اللغة العام (الاصوات) د. كمال بشر ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر، ١٩٧٥ .

٢٧. في البحث الصوتي عند العرب ، د. خليل ابراهيم العطية ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، الموسوعة الصغيرة .
٢٨. في التراث العربي ، د. مصطفى جواد ، تح محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٥ .
٢٩. قواعد التجويد والالقاء الصوتي ، الشيخ جلال الحنفي ، وزارة الأوقاف ، العراق ، ١٩٨٧ .
٣٠. قواعد التلاوة وعلم التجويد ، فرج توفيق الوليد ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، ط٢، ١٩٨٩ .
٣١. الكتاب ، لسيبويه (عمرو بن عثمان) (   ) تح، عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
٣٢. كتاب الخط للزجاجي ، تح غانم قدوري الحمد ، مجلة المورد ، جمهورية العراق ، م١٩، ع٢ ، ١٩٩٠ .
٣٣. كفاية المستفيد في فن التجويد ، محي الدين خطيب ، بغداد ، ط٥ ، ١٩٨٢ .
٣٤. كلام على الاملاء العربي، الشيخ جلال الحنفي، دار الحرية ، بغداد ،١٩٨٨.
٣٥. كمال التجويد ، الشيخ كمال الطائي ، مكتب نيسان ، بغداد .
٣٦. لطالف الاشارات لفنون القراءات، للقسطلاني (   ) ، تح د. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
٣٧. مجالس بغداد ، يونس السامرائي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥ .
٣٨. مخارج الحروف وصفاتها لابن الطحان(٥٤٠) تح ، د. محمد يعقوب ، ط١، مكة المكرمة ، ١٩٨٤ .
٣٩. المختار من صحاح اللغة ، محمد محي الدين ومحمد السبكي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .
٤٠. المصوتات عند علماء العربية ، د. غانم قدوري ، بغداد ، مطبعة بابل .
٤١. معاني القران ، لابي زكريا يحيى بن زياد (   ) ، تح ، محمد علي النجار ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٢ .
٤٢. معجم المؤلفين والكتاب العراقيين ، د. صباح نوري المرزوك ، بغداد ، ٢٠٠٢ .
٤٣. المقتضب ، لابي العباس المبرد (   ) ، تح ، محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة احياء التراث ، مصر .
٤٤. من اسرار العربية في البيان القرآني،د. عائشة عبد الرحمن، جامعة بيروت، ١٩٧٢
٤٥. المنهج الصوتي للبنية العربية ، د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٤٦. المنهج الصوتي في توجيه القراءات ، د. مي فاضل الجبوري ، رسالة دكتوراه ، بغداد ، الاداب ، ١٩٩٤ .
٤٧. موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، حميد المطبعي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٥ .
٤٨. الموضح في التجويد ، لعبد الوهاب القرطبي ، تح غانم قدوري ، الكويت ، ١٩٨٧ .
٤٩. النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، تح محمد الضباع ، دار الكتب العلمية .
٥٠. نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابه العربية ، محمد بهجة الاثري ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، ط١ ، ١٩٩١ .
٥١. هداية المستفيد في أحكام التجويد ، للشيخ محمد محمود (ابو ريمة) ، دار احياء الكتب العربية ، مصر .

الهوامش

([1]) جريدة المدى ، العدد ١٨٠٠ في ٢٠/٥/٢٠١٠ ملحق (عراقيون) .

([2]) ينظر: مجالس بغداد : ١٣ ومعجم المؤلفين والكتاب العراقيين : ٦١/٢ .

([3]) شخصية الرسول الاعظم ، تقديم الدكتور حسين امين ، ص٤، وقد اعتمدنا في إقامة هذا الموجز على مادونه الشيخ الحنفي عن نفسه اودعها .الصفحات الاخيرة من كتابه : شخصية الرسول الأعظم ، ٣٦٦- ٣٦٨ . وينظر : ملحق عراقيون خاص بالشيخ الحنفي . ومجالس بغداد : ٦٣ . وموسوعة اعلام العراق ٤٢/١ واعلام الادب في العراق الحديث ٥٤٨/٢ .

([4]) إصدار وزارة الاوقاف ، جمهورية العراق ، ١٩٨٧ .

([5]) ينظر: المختار من صحاح اللغة مادة (حرك) ، سر صياغة الإعراب ٦ /٣٠ .

([6]) ينظر: الخصائص ٣١٥/٢ ، في البحث الصوتي : ٥١ .

([7]) الموضع في التجويد ٧٢ .

([8]) ينظر: سر صناعة الاعراب ١٩/١-٢٠ .

([9]) التحديد في الاتقان : ١٠٩ .

([10]) سر صناعة الاعراب ، ٢٠/١و ٢٧ .

([11]) لطائف الاشارات : نقلا عن : قواعد التجويد : ١١٠ و ١١١ .

([12]) نقلا عن : قواعد التجويد :١١١ ،١٠٦ وينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات : ١٩ .

([13]) الأصوات اللغوية : ٤٠ ، وينظر: الدراسات اللجهية ، ٣٣٠ المصوتات عند علماء العربية ، ٤٢ ، علم اللغة العام – الاصوات : ٧٥ .

([14]) الاملاء الواضح ٦٥ وينظر: قواعد التلاوة : ١٨٥ .

([15]) كفاية المستفيد : ٢٨ .

([16]) الإملاء الواضح : ٦٦ .

([17]) كفاية المستفيد : ٢٩ وينظر: كمال التجويد : ٦٥ .

([18]) قواعد التجويد : ٤٠ .

([19]) ينظر: المصدر نفسه : ٤١ .

([20]) قواعد التجويد : ٤١ .

([21]) المصدر نفسه : ٤٢ .

([22]) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٢١٢ .

([23]) م . ن : ٢١٢ ، وينظر: دراسة الصوت اللغوي : ٣٣٤.

([24]) المختار من صحاح اللغة مادة (قلل) .

([25]) ينظر: كمال التجويد : ٢٥ ، قواعد التلاوة : ٣٨ .

([26]) ينظر: كفاية المستفيد : ٥١ .

([27]) م ن : ٥٢ وقواعد التلاوة : ٤٠ .

([28]) ينظر: القران الكريم تلاوته ومعانيه للصف الأول ، جمهورية العراق ، ط١٤ ، ٢٠١٠ .

([29]) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي : ٢٥٨ ، ٤٧٠ .

(30) قواعد التجويد : ٢٦٢ وينظر: الدراسات الصوتية : ٣٠٢ .

(31) قواعد التجويد :٢٦٧ .

(32) المقتضب ١٩٦/١ وينظر : الكتاب ١٧٤/٤ ، سر صناعة الاعراب ٧٣/١ .

(33) الرعاية : ١٢٤، وينظر: التحديد في الاتقان والتجويد : ١١١ .

(34) بغية المستفيد في علم التجويد :

(35) ينظر: الرعاية ، التحديد ، الموضح ، التمهيد .

(36) قواعد التجويد : ٢٦٢ .

(37) لطائف الإشارات لفنون القراءات : ٢٠٠ وينظر : الدراسات الصوتية : ٣٠٤ وقد فصل القول فيها . والدراسات اللهجية والصوتية : ٣٢٢ .

(38) ينظر: الكتاب ٤٤٨/٤ ، النشر في القراءات العشر ٢٠٥/١ وكفاية المستفيد : ٥٢ .

(39) ينظر : الرعاية ،١٣٤ ومخارج الحروف : ٩١ .

(40) التحديد في الإتقان والتجويد : ١١٠ .

(41) الموضع في التجويد : ٩٦ . وينظر: التمهيد في علم التجويد : ١٠٧ .

(42) قواعد التجويد : ٢١٢ وانظر: ٢٠٦ و٢١٥ .

(43) ينظر: النشر ٢٠٥/١ .

(44) قواعد التجويد : ٢١٢ وانظر:الدراسات الصوتية : ٣١٨ .

(45) ينظر: كفاية المستفيد : ٢٣ ، ٢٤ ، هداية المستفيد ، ١٧ . قواعد التلاوة : ١٤٣ .

(46) قواعد التجويد : ٨٤ .

(47) الرعاية : ١٢٥ .

(48) الموضح في التجويد : ١٣٥ .

(49) التحديد في الاتقان والتجويد : ١٠٠ .

(50) جهد المقل : ٦٢ وينظر : الدراسات الصوتية : ٥٢٢ .

(51) ينظر: الإدغام في العربية : ٩ وما بعدها .

(52) ينظر: البحث اللغوي عند العرب ، ٧٣ .

(53) الكتاب ، ٤، ٤٣٦ وينظر: المقتضب ، ١٩٦/١ .

(54) ينظر: الرعاية ،٢٦٣ ، التحديد : ١٠١ .

(55) هداية المستفيد : ٨ قواعد التلاوة ،٩٢ . كمال التجويد ، ٦١ .

(56) قواعد التجويد ، ٢٢٣ ، ٤٦٤ .

(57) م . ن : ٤٦٦ ، وانظر: ص٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(58) م . ن : ٤٦٥ ، ٢٤٤ .

(59) المنهج الصوتي في توجيه القراءات : ٩١ .

(60) قواعد التجويد : ١٥٣ .

(61) م . ن : ١٠٧ .

(62) الموضح في التجويد : ١٣٩ وينظر: النشر : ١/ ٢٧٩ .

([63]) جهد المقل : ١٧٩ ، وينظر : ظاهرة التنوين : ٤٦ .

([64]) الرعاية : ٢٦٥ .

([65]) التحديد : ١١٧ .

([66]) ينظر :

([67]) قواعد التجويد : ٢٥٥ .

([68]) قواعد التجويد : ٤٥٧ .

([69]) م . ن : ١٥٤ .

([70]) كفاية المستفيد : ٣١ وينظر : هداية المستفيد : ١٠ .

([71]) قواعد التجويد : ١٦١ .

([72]) م. ن ، ١٦١ .

([73]) م . ن ، ٢٠٥ .

([74]) قواعد التجويد ، ٤٦٣ .

([75]) الخصائص ١١٣/٢ ،١٣٣، ١٤٥، ١٥٢ .

([76]) الخصائص ٢/ ١٤٦ .

([77]) م . ن :١٥٧/٢ وينظر :الدلاله اللغوية عند العرب :١٠٣ ومابعدها .

([78]) للمزيد ينظر :الجهود الصوتيه في كتب البلاغه العربيه ،(رسالة دكتوراه) الصوت والمعنى في الدرس اللغوي (رساله دكتوراه)الدلالة الصوتيه في القران الكريم (رساله ماجستير). الدراسات اللهجيه والصوتيه فصل (الصوت والمعنى).

([79])كلام على الاملاء العربي :٣١ .وينظر من اسرار العربية ،٤٦ .

([80])ينظر :قواعد التجويد :٥٨ .

([81])كلام على الاملاء العربي :٣٢ .

([82]) ينظر : كتاب الخط ، مجله المورد (نص محقق) .

([83]) لمعرفه ارائهم ينظر :الدراسات اللغوية في العراق :٢٠٣ – ٢٠٨ ، العربية والتحديث : ١٥٧ نظرات فاحصة : ١٤ ، تأويل ماله من اكثر من وجه املائي (بحث : ١٥٠)